٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٣٦٤٣

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
الدراسات العليا

UMM AL-QURA UNIVERSITY

كتاب: مدارك التنزيل وحقائق التأويل

للإمام النسفي المتوفى (٧١٠هـ)

تحقيق ودراسة وتعليق/ من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الحجر

رسالة مقدمة من الطالب: عبدالله عثمان أحمد

لنيل درجة الدكتوراة

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور:
أمين محمد عطية باشا

وفضيلة الأستاذ الدكتور:
أحمد سعد حمدان الغامدي

عام ١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ

المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليـــــــم العالي

جـــــامعـــــة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صياغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم(رباعي): عبدالله عثمان أحمد بن أحمد كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم:الكتاب والسنة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة: الـدكتـــــــــوراة في تخصص:الكتاب والسنة

عنوان الأطروحة:" كتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي المتوفى (٧١٠هـ) تحقيق ودراسة وتعليق

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه ـ والتي تمت مناقشتها بتاريخ:-٢٢/١٠/١٤٢١هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم، فإن اللجنة توصي بإجازتهـــا في صيغتهـــا النهائيـــة المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه .....

والله الموفق....

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم: أ.د/أمين محمد عطية باشا	الاسم:أ.د/عبدالله سعاف اللحياني	الاسم:ا.د/محمد حسين الغماري
التوقيع:........	التوقيع:........	التوقيع:........

المشرف

الاسم: أ.د/ أحمد سعد حمدان الغامدي

التوقيع:........

رئيس قسم الكتاب والسنة

الاسم: د/ حسنين فلمبان

التوقيع:........

يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنو ان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعـــــــــــــد:

فإن موضوع الرسالة التي تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراة في قسم الكتاب والسـنة هـو : كتـاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي المتوفى(٧١٠هـ) تحقيقا ودراسة وتعليقا مـن أول سـورة المائدة إلى آخر سورة الحجر، وتتكون الرسالة من : مقدمة وقسمين رئيسين، وخاتمة .

المقدمة: فتشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، وخطة البحث، ومنـهجي فيـه، وعملـي في التحقيق .

القسم الأول: الدراسة ويشتمل على بابين .

الباب الأول: عصر المؤلف وحياته، ويشتمل على فصلين .

الباب الثاني:دراسة الكتاب، وهذه الدراسة تضم تمهيدا عن نشأة التفسير، ونسبة الكتاب إلى مؤلفـه، ووصف النسخ الموجودة التي اعتمدت عليها في التحقيق، وأهمية الكتاب العلمية، ومنهج مؤلفه فيه .

القسم الثاني: النص المحقق، وهو من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الحجر .

الخاتمــــة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، ومنها:

١-أن تفسير النسفي أقل من بعض التفاسير في إيراد الأحاديث الموضوعة، وإيراد الاسرائيليات .

٢-أن الإمام النسفي حنفي المذهب ما تريدي العقيدة، بل من المتعصبين للماتريدية مع أنه تحمد لــه بعض ردوده على الزمخشري في الاعتزال .

٣-أن تفسيره-كما ذكر في مقدمته-جاء وسطا بين التفاسير فليس بالطويل الممـل ولا بـالمختصر المخل ، واشتمل على فوائد من سبقه .

٤-لم تذكر كتب التاريخ والتراجم مواقف جهادية للإمام النسفي على الرغم من أنه عاش في الفـترة التي اجتاح فيها المغول البلاد الإسلامية شرقا وغربا .

هذا والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص والقبول، وأن يمنحنا التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

توقيع الطالب	توقيع المشرف	توقيع عميد كلية الدعوة
عبدالله عثمان أحمد	أ.د/أمين محمد عطية باشا	أ.د/ عبدالله بن عمر الدميجي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له (أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين).

وعد فيه وبشر، وأوعد وحذر، ونهى وأمر، وجعله الوسيلة الناجعة والحبل المتين ويسره للذكر، وخلده غابر الدهر عصمة للمعتصمين، ونوراً ساطعاً في مشكلات المختصمين، وحجة قائمة على العالمين، ودعوة شاملة للناس أجمعين..

واشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الذي خاطبه ربه بقوله: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون) اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه شموس العلم والعرفان، الذين هداهم الله وطهرهم، وبصحبة نبيه محمد ﷺ خصهم وآثرهم، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين ماتناوبت الأنواء وتعاقبت الظلمُ والأضواء، ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

فإن كتاب الله تعالى هو المصدر الأول من مصادر الشريعة الإسلامية الغراء الذي تقوم عليه حياة البشرية وبه سعادتهم في الدنيا والآخرة، وهو المنهج الرباني الصحيح الذي اختاره الله لعباده، وإن من أعظم ماخص الله به هذه الأمة من الفضيلة، وشرفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة، وحباهم به من الكرامة، حفظُه تعالى لهذا الكتاب العزيز الذي: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ذلكم هو الدستور الإلهي الخالد الذي جعله الله دلالة واضحة باقية على صدق نبوة محمد ﷺ، وعلامة ظاهرة على ماخصه به من الكرامة، كتاب أعجز الله به الفصحاء والبلغاء: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) فجعله في

دجى الظلم نوراً ساطعاً، وفي سُدف الشبه شهاباً لامعاً، وفي مضلة المسلك دليلاً هادياً: (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم).

لذا فالاشتغال بتفسيره خير ما تُصرف فيه الجهود، وتقضي به الأوقات والأعمار، وقد أودع الله – عزوجل – في هذا الكتاب العظيم من الكنوز العلمية في شتى النواحي ماجعل المهرة والحذاق من أهل كل فن يتسابقون إلى إبراز المكنون فيه من جواهر فنهم، وينهلون من معينه الصافي، (عبر العصور) إلى يومنا هذا وإلى قيام الساعة، ومن بين هؤلاء العلماء الإمام الجليل (أبو البركات عبدالله بن أحمد ابن محمود النسفي) المتوفى سنة ٧١٠هـ على الأصح الذي عرف بغزارة علمه، ودقة فهمه، وتبحره في العلوم والمعارف المختلفة.

حيث طاف بثقافاته المتنوعة في مجالات شتى من علوم القرآن الكريم والسنة المطهرة، وكان من أهم تلك العلوم: تفسير القرآن الكريم، ذلك التفسير الذي يعد أحد مداركه الواسعة، وآثاره العظيمة التي أفاء الله بها عليه وسماه: "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" وحيث أن النسخ المطبوعة لهذا الكتاب على كثرتها وحداثة طباعتها تكاد تكون طبعات تجارية لا تخدم طلاب العلم والباحثين خدمة كافية.

لذا فقد تقدمت بموضوع رسالتي في مرحلة الدكتوراة بعنوان: "كتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل" للإمام النسفي المتوفى سنة ٧١٠هـ تحقيقاً ودراسة وتعليقاً من أول سورة المائدة إلى أخر سورة الحجر علماً بأنه تقدم الأخ الزميل/ أحمد محمد عبدالرحمن محمود قبلي بموضوع يتعلق بدراسة شخصية الإمام المذكور، ومعرفة منهجه، وتحقيق جزء من تفسيره "من أول الكتاب إلى آخر سورة النساء" ولهذا فستكون دراستي لشخصية المؤلف دراسة موجزة.

هذا ولما كان موضوع رسالتي في مرحلة الماجستير بعنوان: طاووس ابن كيسان اليماني مروياته وآراؤه في التفسير من كتب التفسير بالمأثور وكتب السنة المشتهرة،

رأيت أن يكون موضوع رسالتي في التحقيق، وذلك لأجمع بين البحث والتحقيق وتتم الفائدة بإذن الله تعالى.

فتقدمت بهذا الموضع وبدأت من حيث وقف زميلي، أي: من أول سورة المائدة إلى أخر سورة الحجر، وبذلك أكون قد ساهمت في دراسة وتحقيق القدر المذكور من تفسير الإمام النسفي – يرحمه الله – سائلاً المولى عزوجل العون والتوفيق.

هذا وأهم مادعاني لاختيار هذا الموضوع مايأتي:

١ – رغبتي الشديدةُ في خدمة كتاب الله الكريم؛ طمعاً فيما عنده من الأجر العظيم والمغفرة والرضوان.

٢ – سَعةُ علم النسفي –يرحمه اله – واشتغاله بالعلوم المختلفة مما يجعل تفسيره باحثاً في شتى العلوم لاسيما وأن تفسيره هذا يعد من أهم الكتب المفيدة والمراجع النفيسة لطلاب العلم والباحثين.

٣ – مكانةُ الكتاب العلمية وضرورة دراسة ومناقشة بعض الآراء العقدية، والرد عليها، وبيان مذهب السلف منها.

٤ – المساهمةُ –ولو بجهد متواضع– في تحقيق شيء من تراثنا الإسلامي العظيم.

٥ – أن في اشتغالي بتحقيق قدر من هذا الكتاب مايدعوني إلى الرجوع إلى كثير من كتب التفسير، والحديث، واللغة، والقراءات وغيرها من المراجع، ولايخفى مافي ذلك من الفوائد العلمية العظيمة التي يحرص عليها طالب العلم.

٦ – شهرة الكتاب وانتشاره وذيوعه وتداوله بين طلاب العلم وتدريسه في كثير من المعاهد العلمية والجامعات مما دفعني إلى الاشتراك في تحقيقه واخراجه بصورة تليق بمكانته وشهرته العلمية حتى نستفيد منه ويستفيد منه الآخرون.

لهذه الأسباب اخترت هذا الموضوع ليكون بحث رسالتي لنيل درجة الدكتوراة من قسم الكتاب والسنة، بعنوان: كتاب: "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" للإمام الجليل النسفي المتوفى سنة ٧١٠هـ تحقيق ودراسة وتعليق: "من أول سورة المائدة إلى أخر سورة الحجر".

خطة البحث

هذا وقد اشتمل البحث على مقدمة، وقسمين رئيسين، وخاتمة.

أما المقدمة فتشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، وخطة البحث، ومنهجي فيه، وعملي في التحقيق.

والقسم الأول: الدراسة، ويشمل على بابين:

الباب الأول: عصر المؤلف وحياته، ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: العصر الذي عاش فيه المؤلف، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة العلمية.

المبحث الثالث: الحالة الدينية.

الفصل الثاني: حياة المؤلف، وفيه مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته، وكنيته ولقبه، ووفاته.

المبحث الثاني: مكانته، ومنزلته العلمية

المبحث الثالث: طلبه للعلم.

المبحث الرابع: شيوخه، وتلاميذه.

المبحث الخامس: مذهبه وعقيدته.

المبحث السادس: مصنفاته.

الباب الثاني: دراسة الكتاب، وقد جعلت هذه الدراسة تمهيدا وفصلين.

التمهيد، تحدثت فيه عن نشأة التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي بإيجاز

الفصل الأول: نسبة الكتاب، ونسخه، وفيه مبحثان.

المبحث الأول: توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

المبحث الثاني: وصف نسخ الكتاب الموجودة.

الفصل الثاني: أهمية الكتاب، ومنهج المؤلف فيه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أهمية الكتاب العلمية.

المبحث الثاني: منهج المؤلف فيه.

القسم الثاني: النص المحقق وهو من أول سورة المائدة إلى أخر سورة الحجر وقد اتبعت في تحقيق هذا الجزء من الكتاب منهجا أجمله فيما يلي:

١ – مقابلة النسخ بعضها ببعض بعد اختيار افضلها أصلا، ثم إثبات الفروق في الهامش.

٢ – ترقيم الآيات القرآنية الكريمة، وعزوها إلى سورها.

٣ – تخريج الأحاديث والآثار من الكتب والمصادر الأصلية مع بيان الصحيح منها وغير الصحيح.

٤ – شرح غريب الألفاظ الواردة في النص والتي تحتاج إلى شرح، أو تعليق.

٥ – عزو الأقوال إلى مصادرها.

٦ – التعليق على بعض الآراء الفقهية والمسائل العقدية عند الحاجة.

٧ – الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

شكر وتقدير

وفي ختام هذه المقدمة أحمد الله تعالى حمدا كثيرا كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وأشكره وأثني عليه بما هو أهله، فله الحمد والشكر كله على ما من علي من الإعانة والتيسير، وعلى ما أمدني به من الصحة والعافية في إتمام هذا البحث الذي أسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله لنا بابا من أبواب تحصيل العلم النافع الذي يرضيه سبحانه.

وعملا بالنصوص الشرعية الكريمة في هذا الموضوع، واعترافا بالجميل لأهله أتقدم بخالص الشكر والتقدير وعظيم الامتنان لهذه الحكومة الرشيدة – حكومة المملكة العربية السعودية – التي مافتئت تقدم لنا ولطلاب العلم والباحثين – في الداخل والخارج كل دعم وعون ومساعدة.

فنسأل الله أن يديم عزها ويعلي سلطانها ويزيدها أمنا واستقرارا، وأتقدم أيضا بخالص الشكر والتقدير والعرفان لجامعتنا الفتية – جامعة أم القرى – تلكم الجامعة المباركة التي تعد صرحا شامخا من أكبر صروح العلم والمعرفة ومنبعا صافيا ينهل منه طلاب العلم من جميع أقطار العالم الإسلامي.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لكلية الدعوة واصول الدين على ماقامت به من جهود مخلصة في سبيل تيسير وتذليل الصعوبات التي كانت تعترضني في هذا البحث وأخص بالشكر والتقدير – قسمنا المبارك – قسم الكتاب والسنة على ماأولانا من رعاية وعناية واهتمام في إتمام البحث حتى ظهر على هذا الوجه الذي أرجو أن يكون مرضيا – إن شاء الله – كما لايسعني إلا أن أتقدم بعظيم الشكر وكريم الامتنان لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أمين محمد عطية باشا، وفضيلة الأستاذ

الدكتور/ أحمد سعد الغامدي، المشرفين على هذه الرسالة فقد زوداني بنصائحهما الغالية، وتوجيهاتهما القيمة، فجزاهما الله عني وعن طلاب العلم خيرا، كفاء ما قدما لي ولإخواني طلبة العلم من عون وتشجيع ومساعدة وتوجيه، وأسأل الله تعالى أن يمتعهما بالصحة والعافية وأن يبارك في أعمالهما وأعمارهما.

كذلك أخص بالشكر والتقدير الشيخين الفاضلين، والعالمين الجليلين فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد بن حسن الغماري، الذي طوقني بفضله، ووسعني بحلمه وعلمه، حينما كان مشرفا علي في اطروحتي لمرحلة الماجستير، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن سعاف اللحياني، الذي أكرمني الله به مناقشا في رسالة الماجستير، فاستفدت من إرشاداته وتوجيهاته القيمة، اشكرهما على قبولهما مناقشة هذه الرسالة – على الرغم من ضيق وقتيهما، وكثرة مشاغلهما – وإني في شوق وتلهف لسماع توجيهاتهما، وارشاداتهما التي سأنتفع بها إن شاء الله – وسينتفع بها كل طالب علم، وتكمل ما هنالك من نقص أو خلل في الرسالة، سائلا المولى عزوجل أن ينفع بعلومهما المسلمين، وأن يجعل مابذلوا من جهد في موازين حسناتهما.

كما اشكر كل من ساعدني في هذا البحث المتواضع ولو بكلمة، أو توجيه، أو إرشاد، من شيوخي الأجلاء، وزملائي الأعزاء، وأبنائي البررة وغيرهم، واسأل الله تعالى أن يجزي الجميع خير الجزاء، كما أسأله سبحانه أن يعفو عن تقصيري ويتجاوز عن هفواتي وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله عليه وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

القســـم الأول: الدراســـــة

وتنقسم إلى بابين:

الباب الأول: عصر المؤلف وحياته وتشتمل على فصلين

الفصل الأول: العصر الذي عاش فيه الإمام النسفي.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثاني: الحالة العلمية.

المبحث الثالث: الحالة الدينية.

الحالة السياسية – في عهد الإمام النسفي – يرحمه الله –

من المعروف أن كل شخص يتأثر بمايحيط به من أحداث سياسية واجتماعية، وهذا التأثر يكون سلباً أو إيجابا، ولكن إمامنا الجليل – يرحمه الله – آثر العلم واشتغل به فلم يذكر لنا كتب التراجم والتاريخ – حسب علمي – أنه تولى منصباً سياسياً أو شارك في أحداث إجتماعية، مع أنه عاش في فترة تعد من أسوأ الفترات التي مرت بها الدولة الإسلامية – بل أسوأها – فقد نشأ في القرن السابع الهجرى، وكانت هذه الفترة فترة ضعف الدولة الإسلامية، نتيجة الإنقسامات، ووجود القادة والزعماء الذين اهتموا اهتماماً بالغاً بمصالحهم الشخصية وأهوائهم ... مع أن هناك بعض القوى السياسية الإسلامية كانت لها مواجهات مع المغول، كالدولة (الخوارزمية) في المشرق، حيث كانت تسيطر على مناطق فارس، وخراسان – إيران – حالياً والدولة (الغورية) التي تقع إلى الجنوب من الدولة الخوارزمية في مناطق: أفغانستان، وبلاد السند، وماجاورها[1].

إلا أن هذه القوى – وحدها – لم تستطع مقاومة الزحف المغولي الظالم، الذي اجتاح العالم الإسلامي، إبتداء ببلاد ماوراء النهر، مثل: بخارى، وسمرقند، ونساء، وترمذ، وبلخ، وغيرها، وانتهاء ببغداد عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك، والتي كانت من أشد المناطق الإسلامية تضرراً من هذا الغزو المغولي المتوحش، الذي لم يوقفه دين، أو يهذبه خلق، أو يقيده مبدأ، فقد دخلوا بغداد سنة ٦٥٦هـ ووضعوا السيف، واستمر القتل والسبي، والنهب نيفا وثلاثين يوما، ولم ينج من أهل بغداد إلا القليل، وكل هذا بتحريض وتآمر من ابن العلقمي

---

[1] الفتوح الإسلامية عبر العصور، الدكتور: عبدالعزيز بن إبراهيم العمري ص ٣٣٣ ومابعدها ط الأولى ١٤١٨هـ مركز الدراسات والأعلام – دار إشبيليا.

وزير المعتصم البغدادي، وكان رافضياً خبيثاً، رديء الطوية على الإسلام وأهله، فهو الذي مالأ على الإسلام وأهله "هولاكوخان" قائد التتار[1].

وهناك أسباب كثيرة – ذكرها المؤرخون – دعت التتار للهجوم على البلاد الإسلامية[2] ومن أهمها:

أن الصليبين خافوا أن يسلم التتار على أيدي المسلمين بسبب احتكاكهم مع المسلمين – كما حدث لأبناء عمومتهم من الترك السلاجقة، والغز وغيرهم، وإذا ماحدث هذا فإن المسلمين يزدادون قوة إلى قوتهم، ويخشى على أوروبا حينئذ وليس على الصليبين في بلاد الشام – فحسب – فأخذوا يحسنون ديار الإسلام للتتار، ويحرضوهم على المسلمين ويرغبوهم في غلاتها، وأهميتها، وغزوها، هذا بالإضافة إلى الرسل حيث كانت النساء النصرانيات قد دخلن بيوتات التتار، على شكل حليلات، أو خليلات، وهن يعملن عمل الرسل بشكل مستمر، وهذا ماأوجد الفكرة عند التتار للإنطلاق نحو الغرب والاستيلاء على بلاد الإسلام[3].

ولا يستغرب هذا من الصليبين، فهم المعروفون بحقدهم على الإسلام والمسلمين على مر العصور، ولكن مهما بلغت قوة التآمر فإن هذا الدين غالب وظاهر لا محالة .. (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون)[4].

---

(1) التتار: هم جيل بأقاصي بلاد الشرق في جبال طغماج من حدود الصين، يتاخمون الترك، ويجاورونهم وبينهم وبين بلاد الاسلام التي هي بلاد ماوراء النهر مايزيد على مدة ستة أشهر، وهم الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (... كأن وجوههم المجّان المطرقة ... الخ) انظر تاريخ ابن خلدون ٣/٥٣٤-٥٣٥؛ تاج العروس للإمام الزبيدي ٣/٦٦ ط دارالفكر.

(2) انظر: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية – الدولة العباسية ص ٤٧٠ ومابعدها للشيخ/ محمد الخضري بك – المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

(3) التاريخ الاسلامي للشيخ / أحمد شاكر ٦/٣٤٥-٣٤٦ ط – المكتب الاسلامي ١٤١١هـ.

(4) سورة التوبة رقم الآية [٣٢].

UMM AL-QURA UNIVERSITY

قام المغول المتوحشون بغزو العالم الإسلامي وقضوا على جميع مظاهر الحياة فيه، ولعظم جريمتهم وشناعة أفعالهم، رفض المؤرخ الشهير العلامة: ابن الأثير أن يكتب تلك الأحداث، إذ ظن أن كتابتها تعني: نعى الإسلام وانتهاء أمره على أيدي هؤلاء المخربين حتى حثه جماعة من أصدقائه على ضرورة كتابتها ....[1]

حقا إن الإنسان حينما يسمع اسم المغول، أو يقرأ في تاريخهم، فإن أول مايتبادر إلى الذهن أن هذا اللفظ – المغول أو التتار – رمز للبربرية والوحشية، والفظاظة، والغلظة، وسفك الدماء وانتهاك الأعراض، وتخريب المدن والقرى فتاريخهم تاريخ أسود مظلم للغاية، وقد ظهرت تلك الفئة المجرمة بظهور "جنكيزخان" والذي لم يكن والده سوى أمير على ثلاث عشرة قبيلة من المغول، وكان هذا الأمير يخضع لسيطرة الخان الأكبر المدعو/ أوتك خان تحت رعايته عبر عهود متبادلة[2].

ومعلوم أن جنكيزخان هذا كان شديد البطش فقد شب على ظهور الخيل، وتعلم الرماية وضرب السيف، واتقن الفروسية، وعود أصحابه على ذلك، فاجتمعت كلمتهم على نصرته، ومؤازرته وانقادوا جميعا لأوامره، ولما أراد أوتك أن يبطش بـ"جنكيزخان" قتله هو واستولى على البلاد التي تحت سيطرته وكان حكمه مابين سنة (٥٩٩-٦٢٤هـ)[3].

وهكذا فقد كان لهذه الأحداث المتعاقبة أسوأ الأثر في نفس هذا العاهل المغولي، مما جعله يحرم على نفسه النوم والراحة، وقضى وقته يفكر فيما عساه أن يفعل.

---

(١) انظر الكامل في التاريخ للعلامة ابن الأثير ٣٩٩/١٠ مراجعة وتصحيح د/ محمد يوسف الدقاق ط الأولى ١٤٠٧هـ دار الكتب العلمية.

(٢) التاريخ الاسلامي لمحمود شاكر ٣٥١/٦ ومابعدها.

(٣) تاريخ الدولة الاسلامية بآسيا وحضارتها ص ١٩٢ ومابعدها للدكتور: أحمد محمود الساداتي، ط دارالثقافة والنشر. القاهرة.

ومن تلك اللحظة أخذ يستعد لقتال السلطان علاءالدين محمد خوارزم، ووضع خطة دقيقة محكمة للإستيلاء على بلاد ماوراء النهر.

فقسم قواته إلى أربعة جيوش كلف كلا منها بفتح منطقة معينة، وكان هو على رأس القوات التي كلفت بفتح اقليم ماوراء النهر وخاصة بخارى[1].

ولما توفى جنكيزخان سنة ٦٢٤ وخلفه إبنه: أوكياي أجمع هو وقوته على ضرورة إكمال غزوهم فكونوا جيشين كبيرين، وسار أحدهما لإخضاع أقاليم الصين الشمالية، والآخر إلى إيران للقضاء التام على السلطان جلال الدين منكبرتي، ولما شعر السلطان بخطرهم وأن قدومهم يهدد العالم الاسلامي أخذ يدعو أمراء المسلمين للتحالف والوقوف ضد العدو المغولي الغاشم[2].

بيد أن جهود السلطان جلال الدين باءت بالفشل وترك وحده في مواجهة العدو، مما جعله يفر من بلد إلى آخر حتى احتمى بجبال كردستان، ولكنه لقى مصرعه هناك على يد أحد الأكراد سنة ٦٢٨هـ[3].

وبعد ذلك قسمت الجيوش المغولية إلى ثلاثة أقسام كلف كل قسم منها بفتح منطقة معينة، كان نصيب الجيش الثاني منها:

المسير إلى أذربيجان والاستيلاء على مدنها واحدة تلو الأخرى، حتى وصلوا العراق سنة ٦٣٤ وهزموا المسلمين[4] وقد كثرت فتوحات المغول فاستطاعوا أن يستولوا على بولندا، والصين، وروسيا، وأقاليم أوروبا الشرقية، وقسم من ألمانيا،

---

(1) انظر المغول في التاريخ من جنكيزخان إلى هولاكو للدكتور: فؤاد عبدالمعطي الصياد ص ٥٥-٥٦ دارالقلم.

(2) انظر المغول في التاريخ ص ١١١-١١٢ بتصرف.

(3) تاريخ جهانكشاي لعطا ملك الجويني ٩٢/٢ نقله عن الفارسية وقارنه بالنسخة الانكليزية الدكتور: محمد التونخي ط الأولى ١٤٠٥هـ دارالملاح.

(4) المغول في التاريخ ص ١١٦-١١٩

وهكذا ابتلى المغول أقاليم أوروبا بنفس الأهوال التي ابتلوا بها إيران من قبل وقد ازعجوا بأساليبهم الهمجية المتوحشة وشناعة أفعالهم العالم المسيحي[١].

إلا أن المسيحيين في عهد "كيوك خان" لقوا كثيرا من العطف والرعاية وذلــك بسبب أمه التي كانت تدين بالمسيحية، أما المسلمون فلم يرتفع لهم صــوت في عهده، لكن لم تطل الحياة بيكوك هذا حتى توفى سنة ٦٤٧هـ وعادت حيــاة المغول مرة أخرى إلى حالة الزعزعــة، والاضطــراب، فقــامت "ســرقوي" واستطاعت أن تستولي على قلوب أكثر الأمراء والجنود والمغول ونصبت ابنــها "منكو" فكانت أول أعماله: الاهتمام بالاصلاحات الداخلية، والنظم الاداريــة، وفي السنة الثانية وجه همته نحو الغزو، وتوسيع رقعة الامبراطورية فكلف أخــاه "هولاكو" بقيادة الحملة على إيران[٢] فعبر "هولاكو" بجيشه الذي اعد إعــدادا دقيقا — نهر جيحون، وتقدم نحو القلاع المنيعة، وأخذ هو وقواده يعملــون في تخريبها وتدميرها، ولكنه استدرك أن القوة وحدها ستكلفه مزيدا من التضحيــة فلجأ إلى سياسة الترغيب والترهيب وكان ذلك سنة ٦٥٣هـ حتى وصــل إلى حدود زوارة وخواف[٣] وأرسل "هولاكو" إلى السلطان خوارزم شــاه ركــن الدين يطلب اليه الخضوع والتسليم، لكنه قبل الرد شرع في الهجوم عليه، وسلم ركن الدين نفسه إلى هولاكو يطلب رضاه فعامله معاملة حسنة لكن ذلــك لم يدم طويلا، فقد أرسله "هولاكو" إلى بلاط أخيه "منكو" في منغوليا ولما رأى منه حقدا عليهم قتله[٤].

---

[١] تاريخ الدول الاسلامية لأحمد السادائي ص ١٩٢ ومابعدها.

[٢] المغول في التاريخ ص ١٤٠

[٣] خواف: قصبة كبيرة من أعمال نيسابور بخراسان ينسب إليها جماعة من أهل العلم والأدب منهم الإمام أبــو المظفر أحمد بن المظفر الخوافي الفقيه الشافعي ... معجم البلدان ٢/٤٥٥-٤٥٦ تحقيق: مزيد عبدالعزيز الجنوبي ط دارالكتب العلمية.

[٤] المغول في التاريخ ص ١٥٣

وفي منتصف شهر المحرم سنة ٦٥٦هـ وصل "هولاكو" إلى باب بغداد، وفي يوم وليلة بنى المغول سوراً بالجانب الشرقي، وسوراً بالجانب الغربي، وحفروا خندقاً عميقاً، داخل السور، ونصبوا المتاريس بإزاء سور بغداد من جميع الجهات، وكان بدء القتال يوم اثنين وعشرين من المحرم، فلما تيقن الخليفة أن المغول سيدخلون لا محالة، أرسل إلى "هولاكو" يطلب الصلح، لكنه لم يجبه إلى طلبه، بل أمر أصحابه أن يشدوا الحصار على بغداد، وأن يكتبوا على سهامهم التي يرمون بها من في بغداد هذه الجملة: "كل من ليس يقاتل فهو آمن على نفسه وأمواله وحريمه" واشتد القتال والحصار على بغداد من جميع الجوانب حتى سيطر المغول على الأسوار في اليوم السادس والعشرين، فلما عاين الخليفة العجز في نفسه، والخذلان من أصحابه وأن المغول داخلون بغداد لا محالة حينئذ استأذن "هولاكو" بأن يحضر بين يديه، فأذن له وخرج رابع صفر ومعه أهله وأولاده، ثم بدأ المغول في نهب بغداد، ودخلها "هولاكو" المجرم بنفسه، ليشاهد دار الخليفة، وأمر بإحضار الخليفة فأحضر، ومثل بين يديه، وقدم جواهر نفيسه، ولآلىء، ودرراً معبأة في أطباق فقسمها "هولاكو" على أمرائه ثم قبض على الخليفة المعتصم، وقتله، هو وأهله، وأولاده، وبقي النهب في بغداد سبعة أيام، وقتل الكثير من المسلمين حتى وصل عدد القتلى مليوناً وثلاثمائة ألف مسلم وكانت الخسارة جسيمة والمصيبة عظيمة، حيث لم يسبق لها نظير في التاريخ، واستولى المغول على مافي قصور الخلافة، والقوا كتب العلم التي كانت في خزائنهم في ماء دجلة، وعزم "هولاكو" على إضرام بيوتهم ناراً، إلا أن أهل مملكته لم يوافقوه واستولى المغول على أغلب بلاد الشام، وهابهم المسلمون في العالم أجمع، فاهتم الملك المظفر "قطز" سلطان المماليك في مصر وأعد القوة وجند الجنود، وسار من مصر بالعساكر الإسلامية لقتالهم، وصحبه الملك "منصور" صاحب حماة ولما بلغ ذلك "كتبغا" نائب "هولاكو" على الشام جمع جيوشه، وسار إلى لقاء

المسلمين، وتقارب الجيشان في الغور، وافتتلا قتالاً شديداً فانهزم التـــتر هزيمـــة نكراء، وقتل قائدهم "كتبغا" وأمر إبنه وفر من بقى منــــهم إلى رؤس الجبـــال وتبعهم المسلمون فأمنوهم وهرب من سلم منهم إلى المشرق.

وقد استطاع الظاهر "بيبرس" بعد هذا الانتصار الحاسم، أن يعيد البلاد الشـــامية التي استولى عليها المغول من قبل، وأهمها:

دمشق، وحلب، إلى حوزة المسلمين فكان ذلك أول إنكسار للمغول في الشـــرق الاسلامي[1] وفي عام ٦٤٦هـــ هلك المجرم "هولاكو" وتولى من بعــــده إبنــــه "أباقا" وكان شجاعاً باسلاً وحكماً عادلاً، جعل همه: اصلاح ما اختل في أيــــام والده وقام بتعويض الجنود الذين لحقهم ضرر إثر تلك الحروب وظلت البلاد في بحبوحة من الأمن، ولم يكدرها سوى هجوم بعض الترر، وكان أباقـــا فـــاضلاً حكيما اشتهر بحب العلم والعلماء.

أما بعد وفاته فقد تولى الحكم أخوه "تكدار" وأسلم وتسمى بـــ"أحمد" لكـــن التـــــرر حقدوا عليه لاسلامه، وخلعوه عن الحكم يوم الأربعاء الحادي عشـــر من شهر جمادى الأولى من عام ٦٨٣هـــ وتولى ابن أخيه السلطان "أرغون بـــن أباقا" الملك من بعده وكان "أرغون" هذا قد اتبع الوثنية حتى كثر في عهده، وفي بلاده سحرة الهنود وركبوا له دواء ليحفظ صحته لكنه كان سبباً لوفاته عـــــام ٦٩٠هـــ وانتخب المغول من بعده أخاه "كيماخان" لكنه لم يلبث طويلاً حيث أساء السيرة وارتكب المحرمات جهاراً وعكف عليها، فقتلوه سنة ٦٩٣هـــ.

وبايعوا بعده "بايدوخان بن طرغا بن هولاكو" وكـــان غـــازان واليـــاً علـــى خراســـان في أيام أبيه فطمع في الاستيلاء على كرسي الملك، فار ومعه الأتابك

---

[1] انظر أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تأليف: محمد راغب الطباخ الحلـــبي ٢/٢٣٦-٢٣٩ ط دار العلـــم بحلب؛ التاريخ الاسلامي لمحمود شاكر ٧/٢٨-٣٢ ط الرابعة ١٤١١ المكتب الاسلامي.

فيروز، وقاتل بيدوخان، وانتزع منه الملك فلحق بيدوخان بنواحي همذان فأدرك هناك وقتل سنة ٦٩٥هـ[١].

بعد ذلك بايع المغول "قازان خان بن أغو" وهو من الشخصيات البارزة في تاريخ الإسلام، وهو الذي جعل الاسلام دين الدولة الرسمي، وبدأ يدخل على المجتمع المغولي، اصلاحات، وتغييرات تكسب الطابع الاسلامي، فغير النقوش على العملة بما يتفق مع العهد الجديد، وأمرهم بهدم الكنائس المسيحية، والمعابد البوذية في إيران، فدبر له زعماء المغول مؤامرة انتهت بفشلهم وقتلهم[٢].

ولما توفي سنة ٧٠٤هـ تولى بعده أخوه خربندا بن أرغو وبعد جلوسه على العرش أعلن إسلامه وتسمى بـ"محمد" وتلقب بـ"غياث الدين" و لم يحدث في عهده حروب تذكر غير هجوم التتر على خراسان وردهم، وقيام أهل كيلان على عامله، وعدم تمكن جنده من كبح جماحهم[٣].

وبعد هذا العرض الذي يعتبر موجزا بالنسبة لتاريخ تلك الحقبة من الزمن، والتي سبقت ولادة الإمام: النسفي – يرحمه الله – وشملت حياته، أو العصر الذي عاش فيه، وتناولت الحالة السياسية، والحالة الاجتماعية، يمكن أن يقال: إن إمامنا – يرحمه الله – عاش بعيدا عن تلك الصراعات، وعن تحقيق المطامع الدنيوية الحقيرة، وكان همه طلب العلم ونشره، والعمل بمايرضى الله عزوجل كما يفهم ذلك من خلال سيرته، والله أعلم.

---

[١] التاريخ الاسلامي لمحمود شاكر ١٧٨/٧-١٨٩

[٢] فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية للدكتور: طه ندا ص ١٦٥ الناشر: دار الجامعة المصرية.

[٣] انظر تاريخ ابن خلدون ٥٢٨/٥ ومابعدها، تعليق: تركي فرحان مصطفى ط الأولى ١٤١٩هـ دار التراث العربي.

بلاد ماوراء النهر التي تعرف – أيضاً – باسم: التركستان، وتشتهر باسم: إقليم بخارى الكبرى، هي: تلك المنطقة التي تضم أقاليم سيحون وجيحون بآسيا الوسطى، وتشمل – أحياناً – أجزاء من خراسان. قبل دخول الإسلام كانت منشرة بين أهل هذه المنطقة الديانة: الزرادشتيه[1].

والمعروف أن الزرادشتية قد تعرضت لكبوة شديدة فجر التاريخ ببلاد ماوراء النهر، وذلك بانتشار البدهية (البوذية)[2] القادمة من الهند، وفي الغالب أن النضال بين البدهية، والزرادشتية في بلاد ماوراء النهر اتخذ صورته بين عرقين هما: عرق النورانيون والإيرانيون، والتاريخ الذي أطلق فيه الإسم التوراني بخارى على المدينة الإيرانية القديمة (جموكت) غير معروف بالضبط ذلك أن بخارى لايزال حتى اليوم علماً تورانياً على الدين أو المعبد البدهي (البوذي).

والذي يظهر أن العقائد البدهية قد وجدت لها أتباعاً عند زرفشان في القرون الميلادية الأولى، وقد ازدهرت الديانة البدهية في القرن الخامس الميلادي إزدهاراً عظيماً في تلك المنطقة إلى درجة أنه أصبح يقام في كل سنة ببخارى حتى بعد الإسلام – سوقان كبيران مرد ذلك إلى العادات السائدة أيام كان أهل بخارى

---

[1] الزرادشتية: نسبة إلى زرادشت بن بورشب الذي ظهر في زمن كشتاسب، وأبوه من أذربيجان، وأمه: من الري، ومنها صنف يقال لهم: السيسانية، والبهاخريدية، رائيسهم رجل يقال له: سيسان من رستاق نيسابور من ناحية يقال لها: خواق، والزردشتية: عقائد من عقائد المجوسى الباطلة، الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني ٢٣٦/١ ومابعدها.

[2] البوذية: نسبة إلى (بوذا) ومعناه: المستنير، والبوذية: عقيدة من عقائد الهنود الباطلة وهي منتشرة بين عدد كبير بين الشعوب الأسيوية، وهما مذهبان: المذهب الشمالي في الصين واليابان ..... ونيبال وجاوه وسومطره، والمذهب الجنوبي: وهو سائد في بورما وسيلان، وسيام .... الملل والنحل ١٣ ومابعدها ملحق مافات الشهرستاني

يعبدون الأوثان، وكانوا يشترون أوثانهم من تلك الأسواق، وكذلك كان للمسيحية بعض النشاط قبل دخول الإسلام.

وكان معتنقوها يعرفون في مناطق بلاد ماوراء النهر بالكشوشان، وقد حاول هؤلاء النصارى أيام الحكم المغولي أن يساعدوا المغولي المعتدي على مواطنيهم المسلمين[1].

ولما شاع نور الإسلام وانطلقت دعوة التوحيد خرج المسلمون منذ عهد أول الخلفاء الراشدين للفتوحات، ليعم الإسلام أرجاء المعمورة، فطرقت أقدامهم أبواب بلاد ماوراء النهر، بعد أن فتحت فارس ومالبث أن سقطت مدينة "بلخ" بأيدي المسلمين، وقضى على آخر ملوك الساسانيين لينطلقوا بعد ذلك إلى مدينة "الصغد"[2] ذات الثراء العريض، ويعودوا من هناك بكنوز وفيرة حملوها إلى دار الخلافة في دمشق، وفي منتصف القرن بعث معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – عبيدالله بن زياد إلى بخارى على الإبل، فكان بذلك أول من قطع جبال بخارى في جيش ففتح رامني ونسف، وبيكند، ذات المركز التجاري الممتاز عام ٥٤هـ وهي من بخارى[3] – أيضا – ومن ذلك الوقت صار أهلها يدينون بالإسلام وعلى الرغم من تمرد أصحابها وعصيانهم بعد ذلك واستنجاد الملكة :خاتون" بجيرانها الأتراك إلا أن ظهور القائد المسلم: قتيبة بن مسلم كان له الفضل – بعد الله عزوجل – في القضاء على الوثنية في تلك المناطق، وغرس تعاليم الإسلام في تلك الأرض التي صارت ولقرون طويلة من أخصب البقاع حمية لدين الله، ومنطلقا لعلماء المسلمين، حتى دخلت فيها الشيوعية في القرن الماضي ففرضت نظامها الماركسي وغرست الإلحاد في قلوب أهلها وغيرت

---

(1) تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ص ١٦٥ ومابعدها.

(2) الصغد: بالضم ثم السكون وآخره دال مهملة: وهي كورة عجيبة قصبتها سمرقند ... وهي من أطيب أرض الله كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار، متجاوبة الأطيار ... معجم البلدان ٣/١٩١-١٩٢

(3) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/٤٩٩ ط ١٣٨٥ دار بيروت؛ تاريخ ابن خلدون ٣/١٥ ط ١٣٩١هـ.

معالم الإسلام في تلك المناطق كلها، وقضت على كل من ينتمي للدين الإسلامي، ولم ينج من نار حماة الشيوعية ودعاتها إلا من هاجر بدينه، أو أخفى عقيدته، ولما تقوض عرش الإتحاد السوفيتي وتمزقت وحدته، أظهر الذين كانوا يخفون إسلامهم، وأخذوا يجهرون بشعارهم التعبدية، ويؤدونها بكل فخر واعتزاز، وإن كانت مبادىء الشيوعية والإلحاد قد ترسخت في قلوب كثير من أبناء تلك البلاد المسماة بالدول الإسلامية، والتي كانت تحت مظلة الإتحاد السوفيتي يدينون بالمبدأ الشيوعي الماركسي – إلى يومنا هذا – كما سمعنا من بعض الثقات الذين لهم صلة بتلك البلاد – ولكن نحن على ثقة كاملة بإذن الله سيحفظ دينه، وينصر عباده المؤمنين ويحقق وعده الذي وعدهم به حيث يقول: ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم آمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[1] نسأل الله تعالى أن يوفق القادة والشعوب في مشارق الأرض ومغاربها إلى ذلك النهر النمير الذي يسقي قلوب البشر بالخير العميم.

---

[1] سورة النور رقم الآية [٥٥].

الحالة العلمية العامة في عصر الإمام النسفي.

ازدهرت الحياة العلمية في العصر العباسي إزدهاراً لم يسبق له مثيل في العصور السابقة، بل ولا في العصور اللاحقة، فهو بحق يعد عصر النقل، والترجمة، والتأليف، والابتكارات، حيث أقيمت من أجل ذلك: الدواوين، وبيوت الحكمة، والمدارس واستقدم العلماء، وتفرغ كثير منهم، ووقف حياته عليه، وأنفق الخلفاء، والدولة — عن طيب نفس — وعظمت الترجمة، والتلخيصات عن اليونانية، والفارسية، والقبطية، والهندية، والسريانية، حتى إذا أذن الأمر بإنتهاء دور الترجمة، والتعريب، كانت الحضارة قد أثمرت وآتت أكلها، وملأت مسامع العالم المعمور آنذاك، لقد لمع المسلمون في كل الميادين العلمية، وفي الوقت الذي كان فيه الشعراء، والأدباء، والفقهاء، يقومون بأداء واجباتهم خير قيام في النهضة الروحية والنفسية، والأخلاقية، كان العلماء يقومون في كل الميادين بقسطهم من البحث، والنقل، والتحديد، لم يدعوا باباً إلا طرقوه، إن لم يكونوا قد فتحوا في العالم أبواباً جديدة ....[1]

إلا أن التتار وهم قوم قساة لم يهذبهم خلق و لم يقيدهم دين، لما اجتاحوا الملك الإسلامي الواسع من نهر جيحون إلى المحيط الهندي جنوباً، ثم إلى البحر الأبيض غرباً، وهو العصر الذي عاش فيه الامام النسفي — يرحمه الله — نسفوا بوحشيتهم تلك الحضارات كلها، وقضوا على آثار قرائح الألوف من العلماء والأدباء، فلم يبقوا على ذلك التراث الضخم من المساجد، والمكتبات، والمدارس التي كانت منتشرة في أرجاء العالم الإسلامي.

---

[1] انظر تطور الفكر العلمي عند المسلمين، الدكتور: محمد الصادق عفيفي ص ١٦ ومابعدها، مكتبة الخانجي بالقاهرة — ١٩٧٦؛ وانظر الحياة العلمية في الدولة الاسلامية لمحمد الحسيني عبدالعزيز ص ٥٨-٥٩ ط وكالة المطبوعات الكويت.

فلقد قام التتار في خراسان بأعمال وحشية تقشعر عند سماعها الأبدان، واصلوا زحفهم على العراق، فمزقوا بغداد شر ممزق كما سبق ذكره في الحالة السياسية وكانت بغداد آنذاك حاضرة الدولة العباسية، حيث كانت ملآى بالمساجد، والمكتبات، والمدارس، وعاشت حينا من الدهر مهدا للعلم، والأدب، والتقت فيها حضارات الفرس واليونان، والهند، والسند، والصين، والروم، بل وحضارات العالم القديم كله، فقد ترجمت علوم تلك الأمم ومعارفها إلى العربية في عهد المنصور، والرشيد، والمأمون، وكانت المكتبات العامة، والخاصة، ودور الوراقين والوجهاء كلها حافلة بالمخطوطات القيمة في شتى العلوم والمعارف، لكن لما دخل التتار بغداد دمروا ثروة المسلمين العظيمة، فأحرقوا الكثير من الكتب، والقوا الكثير منها في نهر دجلة، حتى اسود ماؤه من كثرة ماألقي فيه، وحتى كادت المؤلفات تؤلف في دجلة جسرا[1].

ولما دالت دولة العلم في بغداد والعراق، وأبيدت الكتب والمؤلفات، ورزحت البلاد الاسلامية زمنا طويلا تحت السيطرة المغولية، وقد كانت هذه البلاد قبل ذلك منارا للإسلام، واستشرى خطر الوثنية من ناحية، والنصرانية من ناحية أخرى، رأى العلماء أنهم إزاء مسؤلية تاريخية كبرى، تحتم عليهم القيام بواجبهم والعمل على نشر الدين، وتجديد العلم، وجمع شتات المعارف، ورأوا أنهم إذا لم يقوموا بتلك المهمة، ويعودوا إلى التدوين، والتصنيف، وحفظ تراثهم العلمي بالوسائل العلمية المعروفة، آثموا في حق الدين والعلم، وفرطوا في الأمانة الملقاة على عواتقهم، عندئذ استشعروا المسؤلية، وتحفزوا للقيام بالواجب فقاموا بذلك قياما مشكورا، وسعوا إليه سعيا حميدا وأشاعوا حركة علمية جليلة في جميع المجالات العلمية والتخصصات المختلفة – على الرغم من كل العقبات التي كانت تقف في طريقهم[2] فنسأل الله أن يجزيهم عن العلم وأهله خيرا.

---

[1] انظر الأدب وتاريخه للدكتور: محمد محمد خليفة، والأستاذ: زكي سويلم ص ١٠-١١؛ ومنهج الإمام النسفي في تفسير القرآن الكريم، ومقارنته بمنهج الزمخشري والبيضاوي، وابن السعود ص ١٦ رسالة دكتوراه للطالب/ محمود لطفي محمد جاد عام ١٤١٢هـ جامعة الأزهر، كلية أصول الدين قسم التفسير وعلومه.

[2] المرجعين السابقين.

حياة المؤلف

وفيه مباحث:

المبحث الأول: اسم المؤلف، ونسبه، ومولده، ووفاته.

المبحث الثاني: مكانته العلمية، وآراء العلماء فيه.

المبحث الثالث: طلبه للعلم، وشيوخه.

المبحث الرابع: تلاميذه.

المبحث الخامس: مذهبه وعقيدته.

ترجمة الإمام النسفي – يرحمه الله تعالى –

وتشمل: إسمه، ونسبه.

هو: الامام عبدالله بن أحمد بن محمود، حافظ الدين، أبوالبركات النسفي[١]، أحد الزهاد المتأخرين، والعلماء العاملين، صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والأصول[٢] ... وزاد فضيلة العلامة الشيخ: عبدالله مصطفى المراغي: .... الفقيه الحنفي، الأصولي، المفسر، المحدث، المتكلم ...[٣]

قلت: ولا غرابة أن يخرج من هذه البلدة – بلدة نسف – هذا العالم الجليل، فقد تخرج منها جماعة من أهل العلم والمعرفة.

منهم قاضي نسف العلامة أبو إسحاق إبراهيم ابن معقل ابن الحجاج بن خداش النسفي المتوفى سنة ٢٩٤هـ أو ٢٩٥هـ كان من جلة العلماء، واصحاب الحديث الثقات كتب الكثير وجمع السنة والتفسير[٤] وغيره – وبلاد ماوراء النهر – عموما – قد تخرج منها أئمة مخلصون ودعاة مجاهدون يدين لهم كل مسلم بماقدموا، ويعترف لهم بالفضل – بعد الله تعالى – بماقاموا به من خدمة للعلم ونشره في أنحاء المعمورة، ويأتي في مقدمة هؤلاء الأئمة الإمام/أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ والإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى المتوفى سنة٢٦١هـ والإمام الترمذي المتوفى سنة٢٧٩هـ والنسائي

---

(١) نسف: بفتح النون والسين، وفي آخرها فاء بلدة تقع على مدرج بخارى وبلخ من بلاد ماوراء النهر، وهي مدينة كبيرة كثيرة الأهل والرستاق ... معجم البلدان للحموي ٣٨٧/٤ ط ١ / ١٤١٧هـ إحياء التراث العربي.

(٢) انظر الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ١٠١-١٠٢ لمحمد أبوالفضل أحمد، والطبقات السنية في تراجم الحنفية ١٠٨/٤ للمولى تقي الدين بن عبدالقادر التميمي، الداري، المصرى الحنفي، المتوفى سنة ١٠٠٥هـ تحقيق الدكتور/ عبدالفتاح الحلو ط الأولى ١٤١٠هـ هجر للطباعة والنشر.

(٣) انظر كتابه الفتح المبين في طبقات الأصوليين ١٠٨/٢ ط الثانية ١٣٩٤ الناشر محمد أمين دمج وشركاه.

(٤) انظر معجم البلدان لياقوت الحموى ٣٨٧/٣؛ والجواهر المضيئة ١/ ١١١، لمحي الدين عبدالقادر أبي الوفاء الحنفي المتوفى سنة ٧٧٥هـ تحقيق د/ عبدالفتاح الحلو ط ١٤١٣هـ دار إحياء الكتب العربية.

المتوفى سنة٣٠٣هـ ـ وغيرهم، ممن خدموا الحديث فظهرت آثارهم عليه ونفع الله بعلمهم الغزير العباد والبلاد ونسأل الله أن يجزيهم عن الإسلام والمسلمين خيرا.

أما مولده: فلم أقف على أي من الكتب التي ترجمت له على ذكر لسنة مولده، لكن من المعروف أنه ولد في بلدة "إيذج"[(١)] وهذه البلدة تقع بين خوزستان وأصبهان، وهي أجل مدن هذه الكورة وهي وسط الجبال، وهذه البلدة عامرة بالزروع في العهود الاسلامية أيام القرون الوسطى، وقنطرة "إيذج" هذه من عجائب الدنيا المذكورة لأنها مبنية بالصخر على واد يابس بعيد القصر وهي كثيرة الزلزال وبها معادن كثيرة ... وينسب إليها كثير من العلماء منهم العلامة: أبوالقاسم الحسين بن أحمد بن الحسن الإيذجي وغيره[(٢)].

وفاته: اختلف العلماء في السنة التي توفي فيها الإمام النسفي – يرحمه الله – فقال بعضهم: توفى سنة (٧١٠هـ) وهي السنة التي دخل فيها بغداد، ومات فيها[(٣)].

وقال بعضهم: توفي سنة (٧٠١هـ)[(٤)]. وقيل غير ذلك.

والذي يظهر لي – والله أعلم – أن الإمام النسفي – يرحمه الله – توفي سنة (٧١٠هـ) ببلدته "إيذج" ودفن بها، وكانت وفاته ليلة الجمعة من شهر ربيع الأول، كما صرحت بذلك أكثر الكتب التي ترجمت له[(٥)].

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٤/١-٨؛ الفتح المبين في طبقات الأصوليين ٢/١٠٨

(٢) معجم البلدان للحموى ١/٣٤٢-٣٤٣ مادة: إيذج.

(٣) وممن قال بهذا فضيلة العلامة: عبدالله مصطفى المراغي في كتابه: الفتح المبين في طبقات الأصوليين ٢/١٠٨؛ والعلامة: محمد أبوالفضل أحمد في كتابه: الفوائد البهية ص ١٠١-١٠٢ ونقل صاحب الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٤/١٠٨ عن تاج التراجم، وانظر هدية العارفين لاسماعيل باشا بغدادي ٥/٤٦٤؛ الأعلام للزركلي ٤/٦٧ ط دار العلم الطبعة الحادية عشرة.

(٤) انظر الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٤/١٠٨

(٥) انظر الفتح المبين في طبقات الأصوليين ٢/١٠٨؛ الفوائد البهية ص ١٠١-١٠٢؛ الطبقات السنية ٤/١٠٨؛ وهدية العارفين ٥/٤٦٤

أما من قال إنه توفي سنة (٧٠١هـ) فلعله أخطأ في النقل وذلك بتقديم وتأخير، فبدل من أن يكتب (٧١٠هـ) كتب (٧٠١هـ)[1]. والله أعلم.

مكانته العلمية وآراء العلماء فيه:

لقد بلغ الإمام النسفي مكانة علمية رفيعة وبدون شك فإنه لم يبلغ هذه المنزلة إلا بالجد والاجتهاد والمثابرة وقبل ذلك الاخلاص فتحصل على علم غزير في جميع العلوم والمعارف، وتعمق في استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من ادلتها التفصيلية إضافة إلى ماوهبه الله تعالى من تقوى وزهد وورع.

ولا غرابة من توفر هذه الصفات العالية فيه، فقد نشأ في بيئة علمية خصبة، وتأثر بكثير من شيوخ عصره الذين تتلمذ على أيديهم واستقى من علومهم ومعارفهم - خصوصا - وأن البلد الذي نشأ فيه يعد من أشهر البلاد التي قدمت للعلم وأهله خدمات جليلة، فقد تخرج منها علماء أجلاء، حفظ الله بهم أغلى وأسمى ماتملكه الأمة وهو دينها وتراثها، لذا فقد كان لهذه البيئة الطيبة الأثر المباشر في نفسه، مما جعله يتضلع من علوم ومعارف من سبقه ويحذو حذوهم.

و لم يقتصر - رحمه الله - في علمه أن بلغه الناس بلسانه - فحسب - بل لقد ألف في ذلك مؤلفات كثيرة في العلوم المختلفة استفاد منها القاصي والداني وعليه فقد كانت له شهرة عظيمة في الآفاق، وحظى بمنزلة عالية بين العلماء، قال عنه الإمام الولى تقي الدين بن عبدالقادر التميمي الداري: ... أحد الزهاد المتأخرين، والعلماء العاملين، صاحب التصانيف المفيدة في الفقه، والأصول..[2]

---

(1) انظر الطبقات السنية ٤/١٠٨؛ والتفسير والمفسرون للعلامة الدكتور محمد حسين الذهبي ١/٣٠٤

(2) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٤/١٠٨

وقال عنه العلامة: محمد أبوالفضل أحمد: كان إماما كاملا عديم النظير في زمانه، رأسا في الفقه والأصول، بارعا في الحديث ومعانيه ... وهو إمام كامل، فاضل، محرر، مدقق[1].

وقال عنه فضيلة العلامة المراغي: ... الفقيه، الحنفي، الأصولي، المفسر، المحدث، المتكلم ... كان – رحمه الله – زاهدا، إماما كاملا، عديم النظير في زمانه[2].

مـؤلـفـاتـه:

ولعل ذكرنا لمؤلفاته أيضا من بيان مكانته العلمية فأهم مؤلفاته:

١ – التفسير المسمى بـ"مدارك التنزيل وحقائق التأويل" وهو الكتاب الذي نحن بصدد دراسته وتحقيق جزء منه وهو يقع في أربعة مجلدات وأحيانا في مجلدين، كل جزءين منه في مجلد، وهذا الكتاب صار معروفا بـ"تفسير النسفي"[3].

٢ – كتاب: عمدة العقائد، وهو يشتمل على أهم القواعد في علم الكلام وشرحه في كتاب سماه: الاعتماد.

ومنها: شرح المنتخب في أصول المذهب.

ومنها: شرح الهداية لشيخ الاسلام برهان الدين على بن أبي بكر المرغيناني الحنفي المتوفى سنة ٥٩٣هـ.

وشرح الفقه النافع للإمام ناصرالدين أبي القاسم محمد بن يوسف السمرقندي المتوفى سنة ٦٥٠هـ.

وله المستصفى في شرح المنظومة النسفية في الخلاف[4].

---

[1] الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ١٠١-١٠٢

[2] الفتح المبين في طبقات الأصوليين ١٠٨/٢

[3] انظر كشف الظنون ٢٠٣٢/٢؛ الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ٢٩٤/٢

[4] المراجع السابقة.

والمنظومة النسفية لأبي حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٥٣٧هـ ثم اختصر المستصفى وسماه: المصفى.

ومن مؤلفاته: الوافي في الفروع[١] شرحه الإمام النسفي وسماه: الكافي.

وصنف كذلك في أصول الفقه كتاب: منار الأنوار[٢].

وله: مختصر المنار المسمى: بلب الأصول والخطاب.

وكتاب منار الأنوار له شروح كثيرة من قبل العلماء.

وكتاب: كشف الأسرار شرح المصنف على المنار[٣] واعتنى به العلماء وشرحوه عدة شروح.

ولا شك أن هذه المصنفات تدل – أيضاً – على فقه هذا العالم وسعة علمه وتبحره في كثير من العلوم والمعارف.

طلبه للعلم وشيوخه.

من المعلوم أن الإمام النسفي – يرحمه الله – نشأ في بيئة علمية خصبة – كما ذكرنا – وتتلمذ على أيدي مشايخ عصره، وأخذ عنهم العلوم، والمعارف، والأخلاق، لكن الكتب التي ترجمت لحياته لم تذكر –حسب علمي– سوى عدد قليل من العلماء الذين تفقه على أيديهم، ومن هؤلاء الأئمة:

١ – العلامة: محمد بن عبدالستار بن محمد العمادي حافظ الدين شمس الأئمة أبوالوجد الكردري الفقيه الحنفي ولد سنة (٥٥٩هـ) ببخارى وتوفي بها سنة (٦٤٢هـ) له من الكتب:

١ – تأسيس القواعد في عصمة الأنبياء.

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) المراجع السابقة.

٢ – الرد والانتصار لأبي حنيفة امام فقهاء الأمصار.

٣ – الفوائد المنيفة في الذب عن أبي حنيفة.

٤ – كتاب في حل مشكلات القدوري[١].

تفقه بسمرقند على شيخ الإسلام برهان الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر عبدالجليل المرغيناني، صاحب الهداية، والشيخ مجد الدين الهاد السمرقندي، المعروف بإمام زاده، وسمع الحديث منهما، وتفقه ببخارى على العلامة بدرالدين عمر بن عبدالكريم الورسكي، والشيخ شرف الدين أبي محمد عمر العقيلي، والشيخ شمس الدين أبي الفضل إسماعيل بن محمد بن سليمان السلفي، والإمام فخرالدين أبي المحاسن الحسن بن منصور قاضي خان، وهو أجل شيوخه ... وغيرهم[٢].

٢ – الامام العلامة علي بن محمد بن علي الرامشين البخاري نجم العلماء الملقب بحميد الله والدين الضرير الحنفي أخذ عن شمس الأئمة الكردي، ومن تآليفه: شرح أصول البزدوي، شرح الفقيه النافع للسمرقندي وغيرهما توفى سنة (٦٦٦هـ) وصلى عليه الإمام حافظ الدين النسفي في خلق ووضعه الإمام النسفي في القبر بوصية له بالصلاة عليه[٣].

---

[١] هدية العارفين ١٢٢/٦

[٢] الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ١٢٥

[٣] هدية العارفين ٧١١/٥؛ كشف الظنون ٢٠٣٢/٢

٣ – العلامة: بدر الدين محمد بن محمود بن عبدالكريم الكردي المعروف بـ"خواطر زاده" أخذ عن خاله: شمس الأئمة الكردي، وأخذ عنه محمود صاحب الحقائق شرح المنظومة[١].

٤ – أحمد بن محمد بن عمر أبونصر العتابي، روى عنه الإمام النسفي: الزيادات[٢] وفي هذا الكلام نظر[٣].

تلامذته: أما تلامذته فمما لاشك فيه أن عالما جليلا مثل الإمام النسفي سيكون له تلاميذ كثيرون، لكن لم يذكر العلماء منهم حسب علمي – إلا تلميذين:

أحدهما: الإمام الحسين بن علي بن حجاج بن علي الملقب بـ"حسام الدين السغناقي، كان عالما فقيها نحويا جدليا[٤].

ويذكر أنه أيضا كان معطلا، حيث قرن الإمام أبوحنيفة وغيره من الأئمة باليهود، وغلاة الروافض وهو لايشعر[٥].

الثاني: محمد بن محمد الجبلي – حسب ماذكر في مقدمة دارالسعادة[٦].

---

[١] الفوائد البهية ص ٢٠٠

[٢] مفتاح دار السعادة ١٦٧/٢؛ التفسير والمفسرون للإمام محمد حسين الذهبي ٣٠٤/١

[٣] إذ كيف يروي شخص توفى سنة ٧١٠هـ عن شخص توفى سنة ٥٨٦هـ لما في ذلك من البعد بينهما، انظر هامش الجواهر المضية ٢٩٥/٢

[٤] بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٥٣٧/١ للإمام السيوطي تحقيق/ محمد أبوالفضل إبراهيم ط الأولى – الحلبي ١٩٦٤م

[٥] انظر الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات هامش ٢٩٠/١ و ٥٤٣/٢ وأصلها رسالة ماجستير اعداد: الشمس السلفي الأفغاني ط الأولى ١٤١٣هـ مكتبة الصديق.

[٦] للإمام المعروف بـ(طاش كبرى زاده) ١٦٨/٢

مذهب الإمام النسفي وعقيدته

ابتليت الدول الإسلامية – لاسيما في الفترة التي عاش فيها الإمام النسفي – يرحمه الله – بانتشار الفرق الإسلامية كالماتريدية، والمعتزلة، وغيرهما، كما ابتليت بذلك الشعوب العربية في عقر دارها – إلا من رحمه الله –.

وكانت بلاد ماوراء النهر واحدة من تلك البلاد الإسلامية التي شملها تعدد الفرق الإسلامية وانتشارها، حيث كان أغلب أهلها – إن لم يكن جميعهم – أحناف، ماتريدية، ومنهم الإمام: أبوالبركات النسفي – يرحمه الله –.

فمن المعروف أنه كان حنفي المذهب ولذا نجد ترجمته في كتب الأحناف مثل كتاب: الفوائد البهية في تراجم الحنفية لمحمد أبوالفضل أحمد.

وكتاب: الطبقات السنية في تراجم الحنفية للمولى تقي الدين بن عبدالقادر التميمي الداري.

وكتاب: الجواهر المضيئة لمحي الدين أبي محمد عبدالقادر القرشي الحنفي المتوفى سنة ٧٧٥هـ وغيرهم.

وهو من حيث الاعتقاد "ماتريدي" ويظهر ذلك جليا من خلال كلامه في كتبه المختلفة التي الفها، ومما يؤكد هذا عزوه لكثير من الأقوال الاعتقادية إلى شيخه في الاعتقاد أبي منصور الماتريدي[(١)] إمام الماتريدية المشهور وتأويله لبعض آيات الصفات أثناء تفسيره للأيات القرآنية الكريمة، وخروجه عن مذهب أهل السنة والجماعة كتأويله لليد،عند قوله تعالى:﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ...﴾[(٢)] حيث قال:...وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود، ومنه قوله تعالى:﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾[(٣)]

---

(١) هو: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، من أئمة علم الكلام توفي عام ٣٣٣هـ وله مؤلفات. الأعلام ١٩/٧

(٢) سورة المائدة رقم الآية [٦٤].

(٣) سورة الاسراء رقم الآية [٢٩].

ثم يقول: ولا يقصد المتكلم به إثبات يد، ولا غل، ولا بسط، حتى إنه يستعمله في ملك يعطي ويمنع بالاشارة من غير استعمال اليد، ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزلا لقالوا: ماأبسط يده بالنوال، وقد استعمل حيث تصح اليد، يقال: بسط البائس كفيه في صدره، فجعل للبأس الذي هو من المعاني كفان، ومن لم ينظر في علم البيان يتحير في أمثال هذه الآية[1] انتهى كلامه.

فكما ترى في كلامه أنه ذهب إلى التأويل فجعل اليد وبسطها مجازا عن البخل والجود، وليته ترك هذا التكلف وهذا التأويل، ونهج منهج السلف، فأثبت لله عزوجل ماأثبته لنفسه تعالى من الأسماء والصفات وماأثبته له رسوله – صلى الله عليه وسلم – من غير تأويل، ولاتشبيه، ولاتمثيل ولاتعطيل.

كذلك نلاحظ كلامه في الجهة عند قوله تعالى:﴿لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[2].

حيث قال: ... والإدراك هو: الوقوف على جانب المرئي وحدوده، ومايستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل إدراكه لارؤيته ... إلى أن قال في معرض رده على المعتزلة الذين يستبعدون أن يكون المرئي لا في جهة[3] على حسب قولهم – فقال: وإلا فكما يعلم موجودا بلا كيفية وجهة بخلاف كل موجود، لم لم يجز أن يرى بلا كيفية، وجهة، بخلاف كل امرئي ؟ هذا لأن الرؤية تحقق الشيء بالبصر كما هو، فإن كان المرئي في الجهة يرى فيها، وإن كان لا في جهة يرى لافيها[4].

---

(1) تفسير النسفي ٤٥٩/١ تحقيق: يوسف على بديوي ط الأولى ١٤١٩هـ ط دارالكلم الطيب.

(2) الآية [١٠٣] من سورة الأنعام.

(3) الكشاف للزمخشري ٥١/٢-٥٢ ترتيب/ محمد عبدالسلام شاهين ط الأولى ١٤١٥هـ دارالكتب العليمة.

(4) تفسير النسفي ٥٢٧/١

كذلك في إيراده لكلام الشيخ: أبي منصور الماتريدي عند قوله تعالى: ﴿... وكلمه ربه قال رب أرني انظر إليك ... ﴾[1] بدون تعليق حيث قال: وذكر الشيخ في "التأويلات" أن موسى – عليه السلام – سمع صوتا دالا على كلام الله تعالى، وكان اختصاصه باعتبار أنه سمعه صوتا تولى تخليقه، من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسبا لاحد من الخلق، وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعبد فيفهم منه كلام الله تعالى ...[2]

فقد أورد النسفي هذا الكلام بدون تعليق وذلك دليل على تأيده له.....

مع أنه يحمد له رده على المعتزلة وتعقبه لكلام الزمخشري كما في مسألة الرؤية.

كما أننا نرى تفسيره للاستواء في سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾[3] وفي سورة يونس عند قوله تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ... ﴾[4] أنه فسره بالاستيلاء، حيث قال: ﴿ثم استوى﴾ استولى ﴿على العرش﴾ أضاف الاستيلاء إلى العرش، وإن كان سبحانه وتعالى مستوليا على جميع المخلوقات،[5] لأن العرش اعظمها وأعلاها[6] وهو بذلك قد استوى مع المعتزلة في هذا الاعتقاد، حيث نقل كلام الامام الزمخشري بالحرف الواحد[7].

---

(1) سورة الأعراف رقم الآية [١٤٣].

(2) تفسير النسفي ١/٦٠١-٦٠٢

(3) سورة الأعراف رقم الآية [٥٤].

(4) سورة يونس رقم الآية [٣].

(5) الاستيلاء عند أهل السنة غير وارد لأنه لايمكن أن يقال: استولى إلا إذا كان في يد غيره أما الحق عزوجل فلم يكن الملك لغيره أبداً.

(6) تفسير النسفي ٢/٥٧٣

(7) الكشاف ٤/٢٠٦-٢٠٧

ولو نـــزه – الله تعالى – عن مشابهة المخلوقين واتبع منهج أهل السنة والجماعة وقال: أنه تعالى استوى على العرش استواء يليق بجلاله، من غير تحريف ولا تمثيل ولاتشبيه ولاتعطيل لاصاب في ذلك.

كذلك تأويله بدون دليل – أيضا – لقوله تعالى: (وهو السميع البصير) حيـــث قال: وهو السميع: لجميع المسموعات بلا أذن، (البصير) لجميع المرئيات بـــلا حدقة ....[1]

والحقيقة أننا لانعلم هذا التفصيل كونه يسمع بلا أذن ويبصر بلا حدقة، لأنـــه لاعلم لنا بالكيفية التي يسمع بها الله عزوجل أو التي يبصرها، لكن لعلـه أراد أن يبتعد عن التجسيم فوقع فيما هو أكبر منه.

وله غير ذلك من الاعتقادات الماتريدية التي تخالف الكتاب والسنة ولا تستند إلى دليل صحيح، مع أنه – كما ذكرنا – يحمد له رده على المعتزلة وبعض الفـــرق المبتدعة في بعض انحرافاتهم، وعليه فالامام النسفي – يرحمه الله – ليس ماتريديـا فحسب – بل إنه من أعيان الماتريدية ودعاتها.

قال عنه الشيخ الشمس السلفي الأفغاني بعد أن ترجم له في ضمن أشهر أعيـــان الماتريدية: وهو من كبار أئمة الحنفية، وأهـــم أعيـــان المـــاتريـــديـــة ولكتبـه أهميـــة بالغة[2] ومع ذلك فلهذا العالم الجليل جهود مشكورة في خدمة العلـــم ونشره في العقود المختلفة، في بلاد ماوراء النـــهر – خصوصـــا - وفي البـــلاد الاسلامية عموما، والكمال لله عزوجل.

---

[1] تفسير النسفي ١٤٩/٤ تحقيق الشيخ/ مروان الشقار.

[2] الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات ٢٦٣/١ و ٢٩٠/١

الـــبـــاب الـــثـــاني

دراسة الكتاب، وقد جعلت هذه الدراسة تمهيداً وفصلين.

التمهيد: فيه الحديث عن نشأة التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى.

الفصل الأول: نسبة الكتاب ونسخه وفيه مبحثان.

المبحث الأول: توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

المبحث الثاني: وصف نسخ الكتاب الموجودة.

التـــمـــهـــيـــد

ويشمل الحديث عن: نشأة التفسير بالمأثور

والتفسير بالرأي

نشأة التفسير بالمأثور

أنـــزل القرآن الكريم على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – باللغـــة الـــتي يتحدث بها قومه، وهي اللغة العربية الفصحى كما قال سبحانه: ﴿بلسان عـــربي مبين﴾[١].

وبما أن وظيفته ومهمته البيان والتبليغ، فقد كان عليه الصلاة والسلام – يبلـــغ للناس ماينـــزل عليه من ربه، ويبين لهم ماخفي عليهم أو أشكل عليهم منــــه، وبذلك خاطبه الله عزوجل بقوله قال: ﴿وأنـــزلنا إليك الذكر لتبـــين للنـــاس مانـــزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[٢].

ولهذا كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم – يرجعون إليه، كلما أشكل عليهم فهم شيء منه، - لاسيما – وقد بين صلى الله عليه وسلم – وظيفته تلك بقوله: ﴿... ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ... ﴾[٣].

ومن أمثلة مابين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: تفسير الظلم بالشرك، فقد أخرج الإمامان الجليلان البخاري ومسلم - رحمهما الله – عن عبــــدالله بـــن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: لما نـــزلت هذه الآية: ﴿الذيـــن آمنـــوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[٤] شق ذلك على النـــاس، فقالوا: وأينا لايظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ماقال العبـــد الصالح: (إن الشرك لظلم عظيم) إنما هو الشرك[٥] وغير ذلك من الأمثلة.

---

[١] سورة الشعراء رقم الآية [١٩٥].

[٢] سورة النحل رقم الآية [٤٤].

[٣] الحديث اخرجه أبوداود في السنة باب: لزوم السنة ٤/٢٠٠ برقم (٤٦٠٤) واللفظ له، والترمذي في العلـــم، باب برقم (٢٦٦٤) وقال عنه الترمذي: حديث حسن، كما أخرجه الامام أحمد في مســـنده ٤/١٣٠ – ١٣٢؛ وابن ماجه في المقدمة باب: تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم (١٢).

[٤] سورة الأنفال رقم الآية [٨٢].

[٥] الحديث متفق عليه فقد اخرجه الامام البخاري ٦/٣٩٢ كتاب: تفسير القرآن، باب: ٣٢١؛ والامام مسلم في كتاب الايمان ١/٨٠ باب: صدق الايمان والاخلاص ط دارالعربية.

ومن هنا يمكن أن يقال: إن التفسير نشأ مع نـــزول القرآن الكريم حيث كـــان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يبين لأصحابه الكرام ماخفي عليـــهم مـــن معانيه، وعلى هذا فكان يعد جزء من الحديث الشريف في عهد النبوة.

أما بعد أن انتقل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى الرفيق الأعلى، فلم يكن بد للصحابة من أن يرووا للناس ماسمعوه من نبيهم – صلى الله عليه وســـلم – امتثالا لقول المصطفى – صلى الله عليه وسلم -: (بلغوا عني ولو آيـــة ...)[1] فبلغوا كما أمرهم صلى الله عليه وسلم – خصوصا - من اشتهر منهم بحفظـــه لكتاب الله تعالى والمداومة على مجالسة الرسول صلى الله وسلم وملازمته لــــه، كعلى بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس – رضـــي الله عنهم اجمعين – وغيرهم.

وجاء بعدهم التابعون فأخذوا عن الصحابة كثيرا من تفسير القرآن الكريم بمافتح الله عليهم من فهم كتابه، أو بما انتـــزعوه من لغة العرب التي لم تهجن آنـــذاك باللغات الأجنبية الواردة من البلاد المفتوحة، وبعد هذا العصر المبـــارك، انتقـــل التفسير إلى مرحلة جديدة تسمى بـــ"مرحلة بدء التدويـــن" تدويـــن التفســـير والحديث حيث وجد من العلماء من طوف بالأمصار المختلفة ليجمع الحديـــث، فجمع بجوار ذلك ماروى في الأمصار من تفسير مرفوع إلى النبي صلى الله عليـــه وسلم أو إلى الصحابة أو إلى التابعين.

ومن هؤلاء الأئمة: يزيد بن هارون السلمي المتوفى سنة ١١٧هـــ وشعبة بـــن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠هـــ ووكيع بن الجراح المتوفى سنة ١٩٧هـــ وســـفيان ابن عيينة المتوفى سنة١٩٨هـــ وروح بن عبادة البصري المتوفى سنة ٢٠٥هـــــ

[1] أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ٦٣٦/٤؛ واخرجه الامام أحمد في مسنده مع الكنـــز ١٥٩/٢

وعبدالرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١هـ[١] وغيرهم، وهؤلاء جميعا كانوا من أئمة الحديث[٢] والذي يظهر أنه تفسير محدود وليس على غرار تفسير الإمام الطبري ومن بعده، وقد تلت هذه المرحلة مرحلة أخرى فصل فيها التفسير عن الحديث، وصار علما مستقلا قائما بذاته، حيث وضع التفسير لكل آية في القرآن العظيم، ومن أوائل من اشتهر بذلك الإمام العلامة: ابن ماجه القزويني المتوفى سنة ٢٧٣هـ[٣] والامام: محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ[٤] والعلامة: ابن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧هـ[٥] وأبو الشيخ ابن حيان المتوفى ٣٦٩هـ؛ والحاكم المتوفى سنة ٤٠٥هـ وأبوبكر بن مردويه المتوفى سنة ٤١٠هـ وغيرهم ممن عرفوا بتفسير القرآن الكريم مسندا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة والتابعين وتابع التابعين، وليس فيها شيء من التفسير أكثر من التفسير بالمأثور اللهم إلا ابن جرير فإنه ذكر الأقوال ثم وجهها ورجح بعضها على بعض وزاد على ذلك الاعراب إن دعت الحاجة إليه، واستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآيات القرآنية الكريمة .....

وهكذا تطور التفسير حتى وصل بفضل الله إلى مانراه اليوم فلله الحمد والمنة.

---

(١) وعلى حسب مايبدو أن كتب هؤلاء المؤلفة في التفسير مفقودة – فيما أعلم – سوى تفسير الامام سفيان فإنه موجود ومطبوع في جزء صغير، وكذلك تفسير الامام عبدالرزاق الصنعاني فإنه موجود ومطبوع في جزءين.

(٢) التفسير والمفسرون للدكتور/ محمد حسين الذهبي ١/١٤٣-١٤٤ مطابع المختار الإسلامية، مصر. ط ٣ – ١٤٠٥هـ.

(٣) كتابه في التفسير مفقود أيضا.

(٤) وكتابه المشهور في التفسير: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، مطبوع.

(٥) وقد قام بتحقيقه – والحمد لله ثلة من طلاب العلم في جامعة أم القرى، لنيل درجة الماجستير، والدكتوراة، عدا بعض السور القليلة فإنما لازالت مفقودة – فيما أعلم.

نشأة التفسير بالرأي

المراد بالتفسير بالرأى، عبارة عن تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجود دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر[1].

وقد كان التفسير يعتمد في العصر الأول على النقل من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاحتراز عن الضعيف والموضوع، ثم الأخذ بقول الصحابي لأنه كما قيل: بحكم المرفوع، وكذلك الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز من صرف الآيات، عن ظاهرها إلى معان خارجية محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولاتوجد غالبا إلا في الشعر ومحوه، ثم الأخذ بمايقتضيه الكلام ومايدل عليه قانون الشرع، وهذا النوع هو الذي دعا به الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله: (اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل)[2].

فمن فسر القرآن برايه معتمدا على هذه الأمور الأربع فيما يرى من معان كتاب الله عزوجل – كان تفسيره سائغا جائزا وهذا مايسمى بالتفسير المحمود، لكن جاء قوم بعد عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم اعتمدوا معان، ثم أرادوا حمل الفاظ القرآن عليها، أوفسروا القرآن بمجرد مايسوغ أن يريدوه من كان من

---

(1) التفسير والمفسرون ١/٢٥٥

(2) متفق عليه فقد أخرج نحوه الإمام البخاري ١/٣٣ في كتاب العلم بلفظ: "اللهم علمه الكتاب" والإمام مسلم في كتاب: فضائل الصحابة باب: فضائل عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – بلفظ: "اللهم فقهه" ٤/١٩٢٧ رقم الحديث ٣٨

الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى التكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به وكلاهما خاطىء، ومن ذلك أن جاءت طوائف من أهل البدع أعتمدوا مذاهب باطلة، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على رأيهم وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم، مثل: تفسير عبدالرحمن بن كيسان الأصم، والجبائي، وعبدالجبار، والزمخشري ...، وأمثالهم، ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدس البدع في كلامه وأكثر الناس لايعلمون كصاحب الكشاف ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير من أهل السنة كثير من تفاسيرهم الباطلة،[1] وهذا هو التفسير المذموم الذي لايجوز لأنه لم يستند إلى الأصول الصحيحة التي يجب أن يأخذ بها كل من أراد أن يفسر القرآن الكريم.

وهكذا ظل التفسير إلى يومنا هذا كل يفسر على حسب مايعتقده، فمنهم من ألف بالتفسير المأثور كالامام الطبري ومنهم من ألف في التفسير بالرأى الجائز كتفسير الامام النسفي، ومنهم من ألف في التفسير المذكور كالجبائي والزمخشرى وغيرهما – على مانراه اليوم من كتب التفاسير.

---

[1] انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤/١٧٨-١٧٩ تحقيق/ محمد أبوالفضل إبراهيم ط ١٤٠٨هـ المكتبة العصرية، مناهل العرفان للزرقاني ٢/٤٩ ومابعدها ط دارالفكر؛ التفسير والمفسرون ١/٢٨١ ومابعدها.

توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه

كل من ترجم للإمام النسفي – يرحمه الله – وذكر مصنفاته يذكر من جملتها أنه ألف كتابا في التفسير إسمه: مدارك التنزيل وحقائق التأويل.

قال العلامة: حاجي خليفة: مدارك التنزيل وحقائق التأويل في التفسير للإمام حافظ الدين عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي المتوفى سنة ٧٠١هـ وقيل: ٧١٠هـ أوله: الحمد لله المنزه بذاته عن إشارة الأوهام [١].... الخ.

وقال صاحب هدية العارفين بعد أن ذكر ترجمته: من تصانيفه اعتماد الاعتقاد، وشرح المنتخب في أصول المذهب .... ومدارك التنزيل وحقائق التأويل في تفسير القرآن مطبوع بمصر ...الخ[٢].

وقال عمر كحالة:[٣] ... من تصانيفه: عمدة العقائد في الكلام وشرحها وسماها الاعتماد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل في التفسير .....

وقال الدكتور: محمد حسين الذهبي[٤] بعد أن ذكر كتاب: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ... قال: مؤلف هذا التفسير هو: ابوالبركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي ... وذكره من ضمن مصنفاته، ومما يزيد من توثيق نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه: شهرته العالية في الآفاق، وذيوعه بين أهل العلم، حتى أصبح بمجرد ذكر الإمام النسفي يتبادر إلى الذهن إسم هذا الكتاب، وماذكرناه يكفي في توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

---

[١] ينظر كشف الظنون ٢/١٦٣٩-١٦٤٠

[٢] انظر هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ٥/٤٦٤ للمؤلف: إسماعيل باشا البغدادي ط دارالكتب العلمية ١٤١٣هـ

[٣] في كتاب معجم المؤلفين ٢/٢٢٨

[٤] في كتابه التفسير والمفسرون ١/٣٠٤

وصف النسخ

التي اعتمدت عليها في التحقيق

١ – النسخ الأحمدية الحلبية: وهذه النسخة تعتبر هي النسخة الأصلية التي اعتمدنا عليها في التحقيق حيث هي أقرب نسخة لحياة المؤلف من حيث الأقدمية بعد القدسية فقد ذكر في أخر المخطوطة أن الجزء الأول وهو الذي يبدأ من أول سورة الفاتحة إلى أخر سورة الكهف كتب في عام ٧٢٥هـ غير أن فيه نقصاً من آية ٣٨ من سورة الرعد إلى نهايتها، وكذلك سورة إبراهيم كاملة، وسورة الحجر إلى آية ٣٥ منها، ولذا لجأت في تحقيقه ومقارنته بنسخة "ز" والجزء الثاني يبدأ من أول سورة مريم – إلى أخر القرآن الكريم، وقد كتب عام ٧٢٧هـ وهي مخطوطة في مكتبة الأسد – حالياً – برقم [١٣٢٣٠] ورقم المصغر الفيلمي [٨٣٠٥] وهذه النسخة عثرنا عليها من المكتبة الظاهرية – بحلب – سوريا – والتي سميت فيما بعد بمكتبة: الأسد الوطنية، وهي مكتوبة بخط واضح ومقروء، والآيات مميزة باللون الأحمر – وغير ظاهر بعضها عند التصوير – وقد كتب هذه النسخة السيد/ ميكائيل حاجي محمد بن حاجي بن موسى بن عمر، ولعله استعان في بعض صفحاتها بناسخ آخر كما هو ظاهر، وقد رمزت لهذه النسخة بـ"ح".

٢ – نسخة مكتبة الملك/ عبدالعزيز – يرحمه الله – بالمدينة المنورة – مجموعة: قرة باش وهذه النسخة محفوظة بالمكتبة المذكورة تحت رقم [١٣٤] ومسجلة في ج ٢٧٧٥ وهي مكتوبة بخط الشيخ/ محمد بن محمد بن عبدالعال الحنفي وكان الفراغ من نسخها نهار الجمعة رابع عشر رجب الفرد من سنة خمس وعشرين وتسعمائة من الهجرة النبوية المباركة، على حسب ماذكر في أخر صفحة منها، وقد ذكر – أيضاً – بأن كتابة الجزء الأول منها بدأه باستنبول من العام نفسه، وعليها شروحات كثيرة، وخطها واضح وحيث أن هذه النسخة من حيث الكمال تأتي بعد النسخة الحلبية السابقة، فقد اعتبرتها النسخة الثانية ورمزت لها بـ"ق"

علماً بأنه توجد نسخة أخرى من حيث الأقدمية، وهي النسخة التي يذكر أنها كتبت في عهد المؤلف أي: في عام ٦٩٥هـ إلا أنها ليست كاملة، حيث تبدأ من أول سورة يونس وتنتهي في آخر سورة الروم. وهي النسخة المرموز إليها بـ (أ) رقم (٤).

٣ – نسخة من المكتبة المركزية بجامعة الإمام/ محمد بن سعود الاسلامية – بالرياض – محفوظة فيها برقم [٣٦٠٤] وهذه النسخة من أول القرآن إلى آخر آية [٨٢] من سورة الواقعة وهي مشتراة من السيد/ رضوان دعبولي رقم [٢٠] إلا أن بها سقطا من قوله تعالى: (... إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) الآية [٤٩] سورة المائدة إلى قوله تعالى: (... واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم) الآية [١١٦] من سورة الأعراف. وبها نقص كذلك من آخر سورة إبراهيم إلى آية [٣٥] من سورة الحجر، ويظهر أنها كتبت في القرن العاشر الهجرى وبالتحديد في عام ١٠٢٥هـ ومصدر هذه النسخة كما هو موضح في صفحة الغلاف: الاعلام ١٩٢/٤؛ الأزهرية ٢١٤/١٠؛ الكشف ١٦٤/٢ وعليها وقفيات لكل من: محمد يحيى المولى ومحمد رفيع بن عبدالرحيم وخطها: معتاد.

عدد الأوراق: ٢٧٤ ورقة، عدد الأسطر ٢٥ سطرا، المقاس: ٣٠%٢٠س

وقد رمزت لهذه النسخة بـ"ز"

٤ – النسخة القدسية وهي النسخة التي كتب في عهد المؤلف وكما هو مكتوب في آخرها كتبت عشية يوم الثلاثاء الثامن عشر من ربيع الأول من السنة السادسة والتسعين وستمائة، وهذه النسخة قارنتها مع نسخة "ز" في الجزء الناقص من النسخة الأصلية [الأحمدية] وقد رمزت لها بـ"أ" وأصلها في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى محفوظة برقم [٣٨٤]

والناسخ هو: محمد بن علي بن الصلاح الفريوقدي، وخطه: نسخي واضح جدا.

وعدد أوراقها: ١٧٦ ورقة

وعدد الأسطر من ٢٠ – ٢٢ ورقة في الغالب.

وهي من أول سورة يونس إلى أخر السجدة.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وهو حسبي لا إله إلا هو عليه توكلت وصلى الله على
سيدنا محمد وسلم الحمد لله المنزه بذاته عن إشارة الأوهام المقدس بصفاته عن إدراك
العقول والأفهام المتفرد بالألوهية قبل كل موجود الباقي بنعت السرمدية بعد كل
محدود الملك الذي طمست سبحات جلاله الأبصار المتكبر الذي أزاحت سطوات كبريائه
الأفكار القديم الذي تعالى عن مماثلة الحدثان العظيم الذي تنزه عن مماسة المكان
المتعالي عن مضاهاة الأجسام ومتابعة الأيام القادر الذي لا يشار إليه
بالتكييف القاهر الذي لا يسأل عن التحميل والتكليف العليم الذي خلق الإنسان وعلمه
البيان الحليم الذي نزل القرآن شفاء للأرواح والأبدان والصلاة والسلام على المستلم
من أرومة البلاغة والبراعة المحل في بحبوحة الفصاحة والفصاحة محمد المبعوث إلى خليقته
الداعي إلى الحق وطريقته صلى الله عليه وعلى آله وشيعته وعلى الآخذين بعهوده وشريعته
مولانا الشيخ الإمام المعظم والحبر الهمام المقدم أستاذ أهل الأرض محيي السنة
والفرض كشاف حقائق أسرار التنزيل مفتاح دقائق أسرار التأويل ترجمان كلام
الرحمن صاحب علمي المعاني والبيان الجامع بين الأصول والفروع المرجوع إليه
في المعقول والمسموع حافظ الملة والدين شيخ الإسلام والمسلمين وارث علوم
الأنبياء والمرسلين أكمل فحول المجتهدين قدوة قدوم المحققين ذو السعادات
والكرامات أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي متع الله الإسلام بطول
بقائه والمسلمين بيمن لقائه قد سألني من تتعين إجابته كتابا وسطا في التأويلات
جامعا لوجوه الإعراب والقراءات متضمنا لدقائق علم البديع والإشارات
حاليا بأقاويل أهل السنة والجماعة خاليا عن أباطيل أهل البدع والضلالة ليس
بالطويل الممل ولا بالقصير المخل وكنت أقدم فيه رجلا وأؤخر أخرى استقصارا
لقوة البشر عن درك هذا الوطر وأخذا بسبيل الحذر عن ركوب الخطر حتى
شرعت فيه بتوفيق الله تعالى والعوائق كثيرة وأتممته في مدة يسيرة
وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التأويل وهو الميسر لكل عسير وهو على ما يشاء قدير

وللإجابة

الصفحة الأولى من المخطوطة الأحمدية
المشار إليها بـ «ح»

من تنجوه الى البيت المعمور حتى ذلك النور سالكة يصلون عليه ويستغفرون
له حتى تستيقظ والداعي بالضراعة باليه الروح والممات

وقع الفراغ من جمعه بعون الله وحسن توفيقه على يد العبد الضعيف
النحيف الحقير الفقير العبد الله المتضرع الى الله ليله ونهاره الخائف
منه لسوء عمله ميكائيل بن حاجي محمد بن حاجي بن موسى بن عمر غفر الله
لهم وله ولوالديه ولمن الهم والدعاء يوم الثلاثاء وقت صلوة
الظهر من شهر الله المبارك جمادى الاولى سنة خمس وعشرين ثمانمائة

والحمد لله على التمام وللرسول افضل السلام

وقد وقع الفراغ من قراءة هذا النصف الاول من تفسير القرآن بقلعة الروم
وكان في يوم الخميس بعد اداء الظهر مع الجماعة على الشيخ الامام
الاعظم الحبر الهمام المتقدم وتاج خزنة الحقائق ودراك لطف الرقائق
ومدقق النظر مفتي البشر جامع علم الفروع والاصول والاوحدي في دركه
دقائق المصنف وشرح مصنفاته ومعول العين الثقات في الاحكام
الشرعية والينبوع العين في الاصول الملية مولانا بديع الملة والدين
حلاه الله بحلية اوليائه وجعله من علماء الشرع وانفعه [illegible]
بعد [illegible] بالرحم الراحمين

الصفحة الاخيرة من المخطوطة الحمدية
المرموز لها بـ «ح»

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بخير يا كريم

الحمد لله الذي تقدست ذاته عن اشارة الاوهام والمتقدس صفاته عن ادراك العقول والافهام المتفرد بالالوهية قبل كل موجود الباقي بنعت السرمدية بعد كل محدود الملك الذي طمست سبحات جلاله الابصار المتكبر الذي احتجب بسلطان كبريائه الافكار القديم الذي تعالى عن مماثلة الحدثان العظيم الذي تنزه عن مماسة المكان المتعالي عن مضاهات الاجسام ومشابهة الانام القادر الذي لا يشار اليه بالتكييف القاهر الذي لا يبالي عن التحميل والتكليف العليم الذي خلق الانسان وعلمه البيان الحكيم الذي نزل القرآن شفاء الارواح والابدان والصلاة والسلام على المستول لمرادمة البلاغة والبراعة الحال في بحبوحة النصاحة والفصاحة محمد المبعوث الى خليقته الداعي الى الحق بتوفيقه صلى الله عليه وعلى آله وشيعته وعلى الاخذين بعهوده وشريعته قال مولانا الشيخ الامام المعظم والحبر الهمام المقدم استاد اهل الارض محيي السنة والفرض كاشف حقائق اسرار التنزيل مفتاح اشارات دقائق التاويل ترجمان كلام الرحمن صاحب علم المعاني والبيان الجامع بين الاصول والفروع المرجوع اليه في المعقول والمسموع حافظ الملة والدين شيخ الاسلام والمسلمين وارث علوم الانبياء والمرسلين اكمل المجتهدين قدوة المحققين ذو السعادات والكرامات ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي متع الله الاسلام بطول بقائه والمسلمين بيمن لقائه قد سالني من تتعين اجابته كتابا وسطا في التاويلات جامعا لوجوه الاعراب والقراءات متضمنا لدقائق علم البديع والاشارات حاليا باقاويل اهل السنة والجماعة خاليا عن اباطيل اهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل كنت اقدم فيه رجلا واوخر اخرى استقصارا لقوة البشر عن دركه هذا الوطر واخذا لسبيل الحذر عن ركوب متن الخطر حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة واتممته في مدة يسيرة وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التاويل وهو الميسر لكل عسير وهو على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير فاتحة الكتاب مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة الى الكعبة وتسمى ام القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن وسورة الوافية والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب كنز من كنوز العرش وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب شفاء من كل داء الا السام وسورة المثاني لانها تثنى في كل صلاة وسورة الصلاة لانها تكون واجبة او فريضة وسورة الحمد والاساس فانها اساس القرآن قال ابن عباس اذا اعتللت فعليك بالاساس وانها ...

بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والبصرة والشام على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ولذا لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه رحمهم الله ولذا يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع الامر بتجريد القرآن وعن ابن عباس رضي الله عنه من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله ولنا حديث ابي هريرة قال سمعت النبي عليه السلام يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة اي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال فالابتداء بقوله الحمد لله دليل على ان التسمية ليست من الفاتحة واذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها اجماعا والحديث مذكور في صحاح المصابيح وما ذكروا الاصح انها لان التسمية اية من القرآن انزلت للفصل بين السور عندنا ذكره فخر الاسلام في المبسوط وانما يراد انه لم يجعلها اية من الفاتحة ومن تمام تقريره في الكافي وتعلق الباء بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له وانما قدر المحذوف متاخرا لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به وكانوا يبداون باسماء الهتهم فيقولون بسم اللات وباسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذا بتقديمه وتاخير الفعل وانما قدم الفعل في اقرأ باسم ربك لانها اول سورة نزلت في قوله وكان الامر بالقراءة اهم فكان تقديم الفعل اوقع ويجوز ان يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة وحققها كقولهم فلان يعطي ويمنع غير متعد الى المقروء به وان يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذي بعده واسم الله تعالى يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وفيه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وبنيت الباء على الكسرة لانها تلازم الحرفية والجر فكسرت لتشابه حركتها عملها والاسم من الاسماء التي بنوا اوايلها على السكون كالابن والابنة وغيرهما فاذا انطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفاديا عن الابتداء ...

[illegible] واكثر الاعراب والاقرب اوجب وقد حاربت النبي عليه السلام قومه ثم غزا بعدهم عرب الحجاز [illegible]

[illegible] البلاد والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا الفرض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من يليهم [illegible]

[illegible] شدة وعنفا في القتال قبل القتال [illegible] ان الله مع المتقين بالنصر والغلبة

[illegible] سورة ماصلة مؤكدة [illegible] من المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة

[illegible] انكارا واستهزاء بالمؤمنين وايكم مرفوع بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه [illegible]

[illegible] يقينا وثباتا او خشية او ايمانا بالسورة لانهم لم يكونوا امنوا بها تفصيلا [illegible]

[illegible] زيادة التشكيك لزيادة التشريف [illegible] من شك ونفاق فهو فساد [illegible]

[illegible] علاج كالعادي في البدن [illegible] كفر اصموا الى كفرهم [illegible]

[illegible] عن اصرارهم عليه الى الاول [illegible] يعني المنافقين وبالتاء خطاب للمؤمنين [illegible] يبتلون بالقحط والمرض

[illegible] عن نفاقهم ولا يعتبرون او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه

[illegible] وسلم [illegible] بما يرون من دولة الاسلام [illegible] بما يقع بهم من الادبار [illegible]

[illegible] تغامزوا بالعيون انكار الوحي وسخرية به قائلين [illegible]

[illegible] المجلس لينصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او اذا ما انزلت

[illegible] سورة في عيب المنافقين اشار بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ان تسللتم من حضرته عليه السلام [illegible]

[illegible] عن حضرة النبي عليه السلام مخافة الفضيحة صرف [illegible] عن فهم القرآن [illegible] بسبب انهم

[illegible] لا يتدبرون حتى يفقهوا [illegible] محمد عليه السلام [illegible]

[illegible] عزيز عليه [illegible] شديد عليه شاق [illegible] عنتكم ولقاؤكم المكروه [illegible]

[illegible] خائف عليكم الوقوع في العذاب حريص [illegible] على ايمانكم [illegible] منكم ومن غيركم [illegible]

[illegible] لا يفتر رسول الله صلى الله عليه [illegible] وان اعرضوا عن الايمان [illegible]

[illegible] فاستعن بالله وتوكل اليه فهو كافيك [illegible]

[illegible] اعظم خلق الله [illegible]

[illegible]

وقري بالرفع على نعت الرب جل وعز عن ابي اخر اية نزلت لقد جاكم رسول من انفسكم

والحمد لله وحده والصلاة والسلام الاكملان الاتمان على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى جميع
الانبيا والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ورضي الله عن اصحاب رسول الله اجمعين
وعن آل كل وصحب كل وعن التابعين وتابع التابعين وغفر الله لوالدينا ولشايخنا
ولاصحابنا ولمن احبنا ولمن دعا لنا بالمغفرة ولجميع المسلمين امين
والحمد لله رب العالمين

تم الجزء الاول وكمل بحمد الله ومعونته وحسن توفيقه [illegible] كتبه لنفسه العبد الراجي
عفو ربه المفتقر الى رحمة ربه محمد بن محمد بن عبد العال الحنفي المعترف
بالتقصير واتفق الفراغ من نسخه نهار الجمعة رابع شهر رجب
الفرد من شهور سنة خمس وعشرين وتسعمائة
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره
الغافلون وحسبنا الله ونعم
الوكيل والحمد لله رب
العالمين

٧	٣
	٢
	١

وكان مبتدا الكتابة بهذا الجزء اول شهر ربيع الاول سنة تاريخه [illegible] بمدينة اسطنبول

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله المنزه بذاته عن اشارة الاوهام
المقدس بصفاته عن ادراك العقول والافهام المنصف بالوحدانية قبل كل موجود الباقي بنعت السرمدية بعد
كل محدود الملك الذي لبست سبحات جلاله الابصار المتكبر الذي ازاحت سطوات كبريائه الافكار القديم الذي
تعالى عن مماثلة الحدثان العظيم الذي تنزه عن مماسة المكان المتعالي عن مضاهاة الاجسام ومشابهة الانام
القادر الذي لا يشار اليه بالتكييف القاهر الذي لا يسأل عن التحميل والتكليف العليم الذي خلق الانسان و
علمه البيان الحكيم الذي نزل القرآن شفاء للارواح والابدان والصلوة والسلام على المرسل من ارومة البلاغة
والبراعة المحلى بحبوحة الفصاحة والفصاحة محمد المبعوث الى الخليقة الداعي الى الحق وطريقته صلى الله عليه وعلى
آله وشيعته وعلى الآخذين بعهوده وشريعته قال مولانا الشيخ المعظم والحبر الهمام المقدم استاذ اهل الارض في النهج
والفرض كشاف حقائق اسرار التنزيل مفتاح اسرار دقائق التأويل ترجمان كلام الرحمن صاحب علم المعاني والبيان
الجامع بين الاصول والفروع المرجوع اليه في المعقول والمسموع حافظ الملة والدين شيخ الاسلام والمسلمين وارث
علوم الانبياء والمرسلين خاتمة المجتهدين قدوة قروم المحققين ذو السعادات والكرامات ابو البركات عبد الله بن
احمد بن محمود النسفي متع الله الاسلام بطول بقائه والمسلمين بيمن لقائه قد سألني من تتعين اجابته كتابا وسطا
في التأويلات جامعا لوجوه الاعراب والقراءات متضمنا لدقائق علم البديع والاشارات حاليا باقاويل اهل السنة والجماعة
خاليا عن اباطيل اهل البدع والضلالة ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل وكنت اقدم فيه رجلا واؤخر اخرى استقصارا
لقوة البشر عن ادراك هذا الوطر واخذا سبيل الحذر عن ركوب متن الخطر حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة و
اتممته في مدة يسيرة وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التأويل وهو الميسر لكل عسير وهو على ما يشاء قدير و
بالاجابة جدير سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مدنية والاصح انها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلوة ثم
نزلت بالمدينة حين حولت القبلة الى الكعبة وتسمى ام القرآن للحديث ولاشتمالها على المعاني التي في القرآن وسورة الوافية
والكافية لذلك وسورة الكنز لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشي وسورة الشفاء لقوله عليه السلام فاتحة الكتاب شفاء
من كل داء الا السام وسورة المثاني لانها تثنى في كل صلاة وسورة الصلاة لانها لا تجزئ ولانها تكون واجبة او فريضة وسورة
الحمد وسورة الاساس لانها اساس القرآن قال ابن عباس اذا اعتللت او اشتكيت فعليك بالاساس وآيها سبع بالاتفاق
بسم الله الرحمن الرحيم قراء المدينة والبصرة والشام على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور
وانما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه ولذا لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة
والكوفة على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه ولذا يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف
في المصحف مع الامر بتجريد القرآن وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله ولنا حديث ابي هريرة قال سمعت النبي

وقد

الورقة الأولى من المخطوطة

٤٢

وكلما قرأ جبريل عليه السلام آية انحلت عقدة حتى قام عليه السلام عند انحلال العقدة ناشطة
كأنما انشط من عقال ... جبريل عليه السلام يعوذه بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء
يؤذيك ... [illegible] ... كان من كتاب الله وكلام رسول الله عليه السلام لا بأس
كان بالعربية والعجمية والتعويذ ... [illegible] ... عليم ونعوذ بالله من
شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ومن شر ما علمنا وما لم نعلم ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه أرسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وعلى آله مصابيح ... وصحبه
... [illegible] ... والسلام
والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

تمت الرسالة ... [illegible] ... اللطيف والسفينة ...
... [illegible] ... وحقائق الماوى للصفوة في ...
... [illegible] ... الآيات والتعاويذ وحرسها
... [illegible] ... سائر بلاد المسلمين على يدي العبد
الضعيف النحيف الحقير الفقير المحتاج إلى رحمة الله المتضرع إلى
الله في ليله ونهاره الخائف منه من سوء عمله سكاسل بن حاجي
محمد بن حاجي غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه في يوم
الجمعة وقت الضحوة الكبرى من شهر الله المبارك ربيع ...
في تاريخ سنة سبع وعشرين وسبعمائة الهجرية والسلام

سيبقى خطوطي في الأوراق برهة وأبلى تحت التراب رميم

الداعي المخلص
محمد ... [illegible]

الورقة الأخيرة من المخطوط

سورة يونس مكية وكذا ما بعدها الى سورة النور وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر ونحوه ممال حمزة وعلي وابو عمرو
من تعديد الحروف على طريق التحدي تلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة
من آيات والكتاب السورة الحكيم ذي الحكمة لاشتمالها عليها او المحكم عن الكذب
او الاختلاف الهمزة في اكان للناس عجبا لانكار التعجب والتعجيب منه ان اوحينا
اسم كان وعجبا خبره واللام في للناس متعلق بمحذوف هو صفة لعجبا فلما تقدم صار حالا
الى رجل منهم ان انذر الناس بأن انذر او هي مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول
وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم بأن لهم ومعنى اللام في للناس انهم
جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من
ابناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا
يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر
بالجنان وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا
بشرا مثلهم وارسال اليتيم او الفقير ليس بعجب ايضا لان الله تعالى انما يختار
للنبوة من جمع اسبابها والغنى والتقدم في الدنيا ليس من اسبابها والبعث للجزاء على
الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء
قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعي والسبق
بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد
وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة
على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة او مقام صدق او سبق السعادة قال الكافرون
ان هذا لسحر مبين مدني وبصري وشامي ومن قرأ لساحر جعله اشارة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا ان

الصفحة الأولى من النسخة المدنية

الفصل الثاني

أهمية الكتاب ومنهج المؤلف فيه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أهمية الكتاب العلمية.

المبحث الثاني: منهج المؤلف في الجزء المحقق.

أهمية الكتاب العلمية، ومنهج المؤلف فيه.

أهميته: للكتاب أهمية علمية بالغة، فقد طارت شهرته بالأفاق، واستفاد منه طلاب العلم قديماً وحديثاً، وصار يدرس في كثير من دول العالم الاسلامي، كالأزهر الشريف – بمصر – ومعهد الحرم المكي الشريف – بمكة المكرمة – وغيرهما، إضافة إلى ذلك فهو مرجع هام لطلاب العلم والمعرفة ينهل كل واحد منه على حسب قدرته واستطاعته.

أما منهجه فيه: فقد اتبع الإمام النسفي في تأليف كتابه: مدارك التنزيل وحقائق.التأويل منهجاً معينا بينه بنفسه في مقدمة كتابه المذكور حيث قال: ... قد سألني من تتعين إجابته كتاباً وسطاً في التأويلات، جامعاً لوجوه الاعراب والقراءات، متضمناً لدقائق علمي البديع والإشارات، حافلاً بأقاويل أهل السنة والجماعة، خالياً عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل ...

وفعلاً كما ذكر – يرحمه الله – جاء كتابه هذا وسطاً من حيث الحجم بين كتب التفسير فليس بالطويل كتفسير الإمام الطبري أو تفسير الإمام الرازي – يرحمهما الله – وليس بالقصير كتفسير الامام الثوري – يرحمه الله – وغيره.

وهو بحق كما قال: جامعاً لوجوه الاعراب والقراءات حيث يهتم بأوجه الإعراب فيذكر أكثر من وجه في اللفظة الواحدة إن كان هناك اختلاف وتباين في أفهام اللغويين.

ويعتني بالنكت البلاغية، والمعاني العقلية الدقيقة وغالباً مايستخلص هذه المعاني من تفسير الزمخشري، أضف إلى ذلك اهتمامه بالمحسنات اللفظية، وإيراده لأوجه القراءات وإسنادها إلى أصحابها، غير أنه أحياناً يذكر القراءات المتواترة دون أن

يعلق عليها، مثل قوله – يرحمه الله – عند تفسيره لقول الله تعالى:﴿... قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾[1].

قال: لئن لم يرحمنا ربنا وتغفر لنا، حمزة وعلي،[2] فترى كيف أنه ذكر في كلمة: يرحمنا ويغفر لنا، قراءتين.

الأولى: بالياء وقد نسبها ابن مجاهد لابن كثير ونافع وابوعمرو، وابن عامر، وعاصم.

الثانية: بالتاء ونسبها لحمزة، والكسائي[3].

علماً بأنه كان مقتصراً على القراءات السبع إلا ماندر، وهو يسير في تفسيره على طريقة الأسئلة والأجوبة وإن لم يكن ذلك ظاهراً، كما أنه لم يقع فيما وقع فيه صاحب الكشاف من ذكره للأحاديث الموضوعة في فضائل السور[4].

هذا ماتيسر لي بيانه من خلال التتبع والاستقراء. والله أعلم.

---

[1] سورة الأعراف رقم الآية [١٤٩].

[2] تفسير الامام النسفي

[3] السبعة لابن مجاهد ص ٢٩٤ تحقيق الدكتور/ شوقي ضيق ط الثانية دارالمعارف.

[4] انظر التفسير والمفسرون ٣٠٥/١

تراجم القراء السبعة

لما كان الإمام النسفي – يرحمه الله – يهتم كثيرا بالقراءات، حيث لاتكاد تخلو صفحة من صفحات تفسيره، إلا وفيها عزو لبعض علماء القراءات، الذين قد يكون لهم أوجه مختلفة في اللفظة الواحدة، فينسب القارىء إلى بلدته كأن يقول مثلا: مدني، بصري، شامي، وقد يذكره باسمه – أحيانا أخرى، فيقول: حمزة وعلي وأبوعمرو ... وهكذا، لذا رأيت أن أترجم للقراء السبعة لأنهم كثيرا ماينسب إليهم بعض أوجه القراءات أثناء التفسير، وذلك لمزيد من الإيضاح والبيان فأقول:

١ – **المدني**: هو نافع بن أبي نعيم الليثي، مولاهم، أبو رويم، المقريء، أحد القراء السبعة المشهورين، – بل يأتي في مقدمتهم – يكنى: أباالحسن، وقيل: أبا عبدالرحمن، وقيل: غيرذلك، من الطبقة الثالثة بعد الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – كان إمام أهل المدينة في القراءات، وقرأ القرآن على سبعين رجلا من التابعين، وله راويان: ورش وقالون، توفي – عليه رحمة الله – سنة (١٦٩هـ)[١].

٢ – **المكي**: هو عبدالله بن كثير بن عبدالمطلب الداري، المكي، إمام المكيين في القراءة، كان داريا بمكة – أي: عطارا – كنيته: أبومعبد على الصحيح، أخذ القراءة عن عبدالله بن السائب المخزومي، وقرأ على مجاهد بن جبر، وقرأ عليه: أبوعمرو بن العلاء، وشبل بن عباد، وغيرهما، وله راويان: قنبل، والبزي. توفي – يرحمه الله – سنة (١٢٠هـ)[٢].

٣ – **أبوعمرو بن العلاء المازني**، المقريء، النحوي، البصري، الإمام، مقريء أهل البصرة، إسمه: زبان على الصحيح، قيل: ليس في القراءة أكثر شيوخا منه، وكان أعلم الناس بالقرآن، والعربية، مع الصدق، والثقة، والزهد، ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة سنة (١٥٤هـ) على الأصح، وله راويان: الدوري، والسوسي[٣].

---

[١] كتاب التبصرة في القراءات السبع لمكي أبي طالب ص ١١٧ ومابعدها؛ معرفة القراء الكبار ١/ رقم الترجمة [٤١].

[٢] كتاب التبصرة في القراءات السبع لمكي أبي طالب ص ١١٨-١١٩؛ معرفة القراء الكبار ١/ رقم الترجمة [٣٤].

[٣] التبصرة ص ٢٢٩-١٢٠؛ معرفة القراء الكبار ١/رقم الترجمة [٣٩].

٤ – ابن عامر: هو عبدالله بن عامر اليحصبي، إمام أهل الشام في القراءة، أخذ القـــراءة عرضا عن أبي الدرداء، وعن المغيرة بن شهاب، وروى عنه القراءة عرضا جماعة كثـــيرة منهم: يحيى بن الحارث الذماري، اليمني، وله راويان: هشام وابن ذكوان، توفي – يرحمه الله – سنة ١١٨هـ بدمشق[١].

٥ – عاصم بن بهدلة بن أبي النجود، الأسدي، مولاهم، الكوفي، أبوبكر، أحد القـــراء السبعة، إنتهت إليه رئاسة القراء بالكوفي، جمع بـــين الفصاحـــة والاتقـــان والتحريـــر، والتجويد، وكان أحسن الناس صوتا بالقرآن، أخذ القراءة عرضا عـــن أبي عبدالرحمـــن السلمي، وعن زر بن حبيش، توفي – يرحمه الله – سنة ١٢٧هـ وله راويان: حفـــص وشعبة[٢].

٦ – حمزة بن أبي حبيب ابن عمارة بن إسماعيل، الكوفي آل عكرمة بن ربعي، التيمـــي، الزيات، أحد القراء السبعة، أخذ القراءة عرضا عن الأعمش وعن الإمام جعفر الصـــادق، وروى القراءة عنه: إبراهيم بن أدهم، والكسائي، والثوري، وغيرهم، وكان إماما حجـــة، توفي بحلوان سنة ١٥٤هـ على الأصح، وله راويان: خلاد وخلف[٣].

٧ – علي بن حمزة الكوفي، الكسائي، المقريء، النحوي، إنتهت إليه رئاســـة الاقـــراء بالكوفة بعد حمزة الزيات، وقد أخذ القراءة عن حمزة أربع مرات وعليه اعتمـــاده، وروى عنه كثير من الأئمة منهم: الإمام: أحمد بن حنبل – يرحمه الله – وكان إمام النـــاس في القراءة في عصره توفي سنة ١٨٩هـ على الأصح، وله راويـــان: حفـــص الـــدوري، والليث[٤].

---

[١] التبصرة ص ١٢١؛ معرفة القراء الكبار ١/رقم الترجمة [٣٣].

[٢] التبصرة ص ١٢٢؛ معرفة القراء الكبار ١/رقم الترجمة [٣٥].

[٣] التبصرة ص ١٢٣؛ معرفة القراء الكبار ١/رقم الترجمة [٤٣].

[٤] التبصرة ص ١٢٤-١٢٥؛ معرفة القراء الكبار ١/ رقم الترجمة [٤٥].

القسم الثاني

النص المحقق

[سورة المائدة[1] وهي مائة وعشرون آية كوفي]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾(١)

﴿ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ يقال: وفى بالعهد، وأوفى به، والعقد: العهد الموثق، شبه بعقد الحبل، ونحوه[2] وهي عقود الله [التي][3] عقدها على عباده، وألزمها إياهم من مواجب/ التكليف، أو ما عقد الله عليكم، وما تعاقدتم بينكم، ١٤٣/ب
والظاهر: أنها عقود الله عليهم في دينه، من تحليل حلاله، وتحريم حرامه، وأنه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل، وهو قوله: ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ البهيمة: كل ذات أربع قوائم في البر، والبحر، وإضافتها إلى الأنعام للبيان، وهي بمعنى من، كخاتم فضة ومعناه: البهيمة من الأنعام، وهي الأزواج الثمانية، وقيل: بهيمة الأنعام: الظباء، وبقر الوحش، [ونحوهما][4] ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ آية تحريمه، وهو قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾[5] الآية، ﴿غير محلي الصيد﴾ حال من الضمير في: لكم، أي: أحلت لكم هذه الأشياء، لا محلين الصيد ﴿وأنتم حرم﴾ حال[6] من محلي الصيد، كأنه قيل: أحللنا لكم بعض الأنعام في حال

---

(١) هذه السورة مدنية ويؤيد ذلك ذكر كلمة (مدنية) في نسخة (ق) لكن فيها من المكي قوله تعالى: (اليوم اكملت لكم دينكم ...) فإنها نزلت بعرفات فلهذا نسب إلى مكة ... زاد المسير ٢/٢٦٧

(٢) قال ابن منظور: والقصد: العهد، والجمع عقود، وهي أوكد العهود، ويقال: عهدت إلى فلان في كذا وكذا، وتأويله: ألزمته ذلك ..... انظر لسان العرب ٣/٢٩٧ مادة: عقد.

(٣) ساقطة من [ق].

(٤) ساقطة من [ز]

(٥) الآية رقم [٣] من سورة المائدة نفسها.

(٦) انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٠٥

امتناعكم من الصيد، وأنتم محرمون، لئلا [نضيق][(١)] عليكم، والحرم: جمع حرام، وهو المحرمّ ﴿إن الله يحكم ما يريد﴾ من الأحكام، أو من التحليل، والتحـــريم، ونزل نهياً عن تحليل ما حرم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٢)

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ جمع شعيرة، وهي اسم ما أشـعر، أي: جعل شعارا، وعلما للنسك به،[(٢)]من مواقف الحج، ومرامي الجمار،والمطـــاف والمسعى والافعال التى هى علامات الحاج، يعرف بها من الاحرام، والطـــواف، والسعي، والحلق، والنحر،﴿ولا الشهر الحرام﴾ أي: أشهر الحج ﴿ولا الهـــدي﴾ وهو: ما أهدى إلى البيت، فتقرب به إلى الله تعالى- من النسائك، وهو جمـــع هدية ﴿ولا القلائد﴾ جمع قلادة، وهي: ما قلد به الهدي، من نعل، أو عـــروة [مـــزادة][(٣)]أولحاء شجر، أو غيره[(٤)]﴿ولا آمين البت الحرام﴾ ولا تحـــلوا قوما قاصدين المسجد الحرام، وهم الحجاج، والعمار، وإحلال هـــذه الأشـياء: أن يتهاون بحرمة الشعائر، وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها، وأن يحدثوا في أشـــهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج، وأن يتعرض للهدي، بالغضب، أو بالمنع من بلوغ محله، وأما القلائد: فجاز أن يراد بها ذوات القلائد، وهي: البدن، وتعطف

---

(١) في [ق] و [ز] يضيق.

(٢) قال صاحب اللسان: والشعيرة: البدنة المهداة، سميت بذلك لأنه يؤثر فيها بالعلامات، والجمع شعائر، وشـعائر الحج: مناسكه وعلاماته، وآثاره، واعماله ... لسان العرب ٤/٤١٤ مادة: شعر.

(٣) في [ز] أو مزاده.

(٤) انظر اللسان ٣/٣٦٧ مادة قلد.

على الهدي للاختصاص، لأنها أشرف اهدي،كقوله:(.. وجبريل وميكال ..)[1] [كأنه قيل][2] والقلائد منها خصوصا، وجاز أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدي، مبالغة في النهي، عن التعرض للهدي، أي: ولا تحلوا قلائدها فضلا أن تحلوها،[3]كما قال ﴿ولا يبدين زينتهن﴾[4] فنهي عن إبداء الزينة، مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها ﴿يبتغون﴾ حال من الضمير في آمين[5] ﴿فضلا من ربهم﴾ أي: ثوابا ﴿ورضوانا﴾ وأن يرضى عنهم، أي: لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم، تعظيما لهم ﴿وإذا حللتم﴾[6]...خرجتم من الإحرام ﴿فاصطادوا﴾ إباحة للاصطياد بعد خطره عليهم بقوله: ﴿غير محلي الصيد وأنتم حرم﴾ ﴿ولا يجرمنكم شنئآن قوم أن/ صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ جرم، مثل ١٤٤/أ
كسب، في تعديته إلى مفعول واحد، واثنين تقول: جرم ذنبا، نحو: كسبه، وجرمته ذنبا، نحو:كسبته إياه، وأول المفعولين ضمير المخاطبين[7] والثاني:﴿أن تعتدوا﴾ و﴿أن صدوكم﴾ متعلق بالشنآن، بمعنى العلة، وهو: شدة البغض، وبسكون النون شامي، وأبو بكر،[8] والمعنى: ولايكسبنكم بغض قوم، لأن (صدوكم) الاعتداء، ولا يحملنكم عليه، إن صدوكم على الشرط

---

[1] انظر اللسان ٣٦٧/٣ مادة قلد.

[2] في [ز] وقيل.

[3] انظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٤٨١/٢

[4] انظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٤٨١/٢

[5] انظر اعراب القرآن للنحاس ٤/٢ ؛ والدر المصون ٤٨١/٢

[6] في [ز] زيادة: وإذا

[7] اعراب القرآن للنحاس ٤/٢ ؛ الدر المصون ٤٨١/٢

[8] انظر كتاب الاقناع في القراءات السبع لابن الباذش، تحقيق د/ عبدالمجيد قطلمش ٦٣٤/٢ ط جامعة ام القرى ١٤٠٣، وانظر الدر المصون ٤٨٣/٢

[مكي][1] وأبو عمرو، ومعنى صدهم إياهم عن المسجد الحرام: منع أهل مكة رسول الله- ﷺ -والمؤمنين، يوم الحديبية عن العمرة، ومعنى الاعتداء: الانتقام منهم، بإلحاق مكروه بهم ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ على العفو، والإغضاء ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ على الانتقام، والتشفي، أو البر: فعل المأمور، والتقوى: ترك المحظور، والإثم: ترك المأمور، والعدوان: فعل المحظور، ويجوز أن يراد العموم لكل بر، وتقوى، ولكل إثم، وعدوان، فيتناول بعمومه، العفو والانتصار، ﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ لمن عصاه، وما اتقاه، ثم بين ما كان أهل الجاهلية يأكلونه، فقال:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣)

﴿حرمت عليكم الميتة﴾ أي: البهيمة التي تموت حتف أنفها ﴿والدم﴾ أي: المسفوح، وهو السائل ﴿ولحم الختزير﴾ وكله نجس، وإنما خص اللحم، لأنه معظم المقصود ﴿وما أهل لغير الله به﴾ أي: رفع الصوت به لغير الله، وهو قولهم: باسم اللات، والعزى، عند ذبحه ﴿والمنخنقة﴾ التي خنقوها حتى ماتت، أو انخنقت بالشبكة، أو غيرها ﴿والموقوذة﴾ التي أثخنوها ضربا بعصا،

[1] ساقطة من [ز]

[أو حجر][1] حتى ماتت ﴿والمتردية﴾ التي تردت من جبل، أو في بئر فماتت ﴿والنطيحة﴾المنطوحة وهي التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح ﴿وما أكل السبع﴾ بعضه، [ومات][2] بجرحه ﴿إلا ما ذكيتم﴾ إلا ما أدركتم ذكاته، وهو يضطرب اضطراب المذبوح، والاستثناء يرجع إلى المنخنقة، وما بعدها، فإنه إذا أدركها وبها حياة فذبحها، وسمي عليها حلت ﴿وما ذبح على النصب﴾ كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها، يعظموها بذلك، ويتقربون به إليها، تسمى الأنصاب، واحدها: نصب، أو هو: جمع، والواحد نصاب[3] ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ في موضع الرفع، بالعطف على الميتة، أي: حرمت عليكم الميتة، وكذا وكذا، والاستقسام بالأزلام، وهي: القداح المعلمة، واحدها زلم وزلم،[4] كان أحدهم إذا أراد سفرا، أو غزوا،أو تجارة، أو نكاحا، أو غير ذلك، يعمد إلى قداح ثلاثة، على واحد منها مكتوب: أمرني ربي، وعلى الآخر نهاني
ربي، والثالث: غفل/ فإن خرج الآمر، مضى لحاجته، وإن خرج الناهي، أمسك، ١٤٤/ب
وإن خرج الغفل أعاده، فمعنى الاستقسام بالأزلام: طلب معرفة ما قسم له، مما لم يقسم له بالأزلام، قال الزجاج:[5] لا فرق بين هذا وبين قول المنجمين: لا تخرج من أجل نجم كذا، أو اخرج لطلوع نجم كذا، وفي شرح

---

[1] في [ز] أو بحجر.

[2] في [ز] وماتت

[3] انظر لسان العرب ٧٥٨/١ مادة : نصب.

[4] انظر لسان العرب ٢٧٠/١٢ مادة: زلم.

[5] هو: ابراهيم بن السري بن سهل بن إسحاق، الزجاج النحوي، صاحب كتاب: معاني القرآن، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد له مؤلفات حسان في الأدب توفى سنة ٣١١هـ وقيل: غير ذلك. انظر أنباء الرواة على أنباء النحاة للوزير جمال الدين القفطي المتوفى سنة ٦٢٤، ١٩٤/١ – ٢٠١ رقم الترجمة [٩٦] تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ط. دار الفكر العربي . مصر.

التأويلات:[1] رد هذا، وقال: لا يقول المنجم، إن نجم كذا يأمر بكذا، ونجم كـذا ينهى عن كذا، كما كان فعل أولـــئـك، [لكن][2] المنجــــم جعــل النجـــوم دلالات،وعلامات على أحكام الله تعالى، ويجوز أن يجعل الله -تعالى- في النجــوم معاني، وأعلاما يدرك بها الأحكام، ويستخرج بها الأشياء، ولا لائمة في ذلك، إنما اللائمة، عليه فيما يحكم على الله، ويشهد عليه وقيل: هو الميســـر، وقسـمتهم: الجزور على الأنصباء المعلومة ﴿ذلكم فسق﴾ أي: الاستقسام بالأزلام، خروج عن الطاعة، ويحتمل: أن يعود إلى كل محرم في الآية ﴿اليوم﴾ ظرف ليئس، ولم يرد بـه يوم بعينه، وإنما معناه: الآن، وهذا كما تقول: أنا اليوم قد كـــبرت، تريـد الآن، وقيل: أريد يوم نزولها، وقد نزلت يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصــــر، في حجة الوداع[3] ﴿يئس الذين كفروا من دينكم﴾ يئسوا منه، أن يبطلوه أو يئســوا من دينكم، أن يغلبوه، لأن الله – تعالى - وفى [بعهده][4] من إظهاره على الديـن كله ﴿فلا تخشوهم﴾ بعد إظهار الدين، وزوال الخوف من الكفار وانقـــلا بهـم مغلوبين بعدما كانوا غالبين ﴿واخشونِ﴾ بغير ياء في الوصــــل، والوقــف أي: أخلصوا لي الخشية ﴿اليوم﴾ ظرف[5] لقوله ﴿أكملت لكم دينكم﴾ بأن كفيتــكم

---

(1) كتاب: شرح تأويلات أهل السنة للشيخ: أبي منصور الماتريدى المتوفى سنة ٣٣٣هـ وقد طبع عدة طبعـــات منها: الطبعة المصرية سنة ١٣٩١هـ المجلس الأعلى للشـئون الإسـلامية – لجنــة القــرآن والسـنة تحقيـق وتــعــلـيـق د/ ابراهيم عوضين، السيد عوضين.

(2) في [ب] و [ق] ولكن.

(3) ذكر نحوه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ٢٠/١ وفي المغازي، باب: حجة الوداع ١٥٠/٥ وفي التفسير، باب تفسير سورة المائدة ٢٢٤/٥ وفي الاعتصام ٤٨٧/٨، ومسلم في كتاب التفسير ٢٣١٢/٤ وكلاهما عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال الواحدي – يرحمه الله – نزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته القصواء، أسباب النزول للواحدي ص ١٩٢ تحقيق ودراسة كمال بسيوني زغلول ط١/ ١٤١١ دارالكتب العلمية.

(4) في [ق] بوعده.

(5) انظر اعراب القرآن للنحاس ٧/٢ ؛ والدر المصون ٤٨٦/٢ – ٤٨٧

خوف عدوكم، وأظهرتكم عليهم، كما يقول الملوك: اليوم كمل لنا الملك، أي: كفينا من كنا نخافه، أو أكملت لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم، من تعليم الحلال، والحرام، والتوقيف على شرائع الإسلام، وقوانين القياس ﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾ بفتح مكة ودخولها، آمنين، ظاهرين، وهدم منار الجاهلية [ومناسكهم][1] ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ حال، [أي][2] اخترته لكم من بين الأديان، وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده. ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾[3] ﴿فمن اضطر﴾ متصل بذكر المحرمات، وقوله: ﴿ذلكم فسق﴾ اعتراض، أكد به معنى التحريم، وكذا ما بعده، لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل، والنعمة التامة، والإسلام المرضى، دون غيره من الملل، ومعناه: فمن اضطر إلى الميتة، أو إلى غيرها ﴿في مخمصة﴾ مجاعة ﴿غير﴾ حال[4] ﴿متجانف لإثم﴾ مائل إلى إثم، أي غير متجاوز سد الرمق ﴿فإن الله غفور﴾ لا يؤاخذ بذلك ﴿رحيم﴾ بإباحة المحظور للمعذور.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾(٤)

﴿يسئلونك﴾ في السؤال [معنى القول][5] فلذا وقع بعده ﴿ماذا أحل لهم﴾ كأنه/ ١٤٥/أ
قيل: يقولون لك ماذا أحل لهم، وإنما لم يقل ماذا أحل لنا، حكاية لما قالوا، لأن "يسألونك" بلفظ الغيبة، كقولك: أقسم زيد ليفعلن، ولو قيل: لأفعلن، وأحل لنا،

---

(١) ساقطة من [ز]

(٢) في [ق] بدوت أي.

(٣) الآية رقم [٨٥] من سورة آل عمران.

(٤) اعراب القرآن المسمى (إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب، والقرآن في جميع القرآن) لأبي البقاء العكبري ٢٠٧/١ ط١٣٩٩/١ دار الكتب العلمية.

(٥) ساقطة من [ق].

لكان صوابا، ﴿وماذا﴾ مبتدأ، ﴿وأحل لهم﴾ خبره[1] كقولك: أي شـــيء أحـــل لهـــم؟ ومعناه: ماذا أحل لهم من المطاعم، كأنهم حين تلي عليهم ما حرم عليـــهم من خبيثات المآكل، سألوا عما أحل لهم منها فقال: ﴿قل أحل لكم الطيبـــات﴾ أي: ما ليس بخبيث منها، أو هو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب الله، أو سنة، [أو إجماع، أو قياس][2] ﴿وماعلمتم﴾ عطف على ﴿الطيبـــات﴾ أي: أحـــل لكـــم الطيبات، وصيد ما علمتم، فحذف المضاف، أو تجعل مـــا شـــرطية، وجوابهـــا، فكلوا[3] ﴿من الجوارح﴾ أي: الكواسب للصيد، من ســـباع البـــهائم، والطـــير كالكلب، والفهد، والعقاب، والصقر، والبازي، والشاهين، وقيـــل: هـــي مـــن الجراحة، فيشترط للحل: الجرح ﴿مكلبين﴾ حال، من "علمتم" وفائدة هذه الحال، مع أنه استغنى عنها بعلمتم، أن يكون من يعلم[4] الجوارح موصوفـــا بـــالتكليب، والمكلب: مؤدب الجوارح، ومعلمها، مشتق من الكلب، لأن التأديب في الكـــلاب أكثر، فاشتق من لفظه لكثرته، في جنسه، أو لأن السبع يسمى كلبا ومنه الحديث: (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك)[5] فأكله الأسد، ﴿تعلمونهـــــن﴾ حـــال، أو استئناف[6] ولا موضع له،[7] وفيه دليل على أن كل آخذ علما أن لا يـــأخذه الا من انحرهم دراية، فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه، وعض عنـــد لقـــاء

---

[1] اعراب القرآن للنحاس ٢/٨ ؛ وتفسير البحر المحيط لأبي حيان ٣/٤٤٣ تحقيق، ط١/١٤١٣ دار الكتب العلمية.

[2] في [ب] تقديم قياس على إجماع.

[3] انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٠٧ ؛ الدرالمصون ٢/٤٨٨ — ٤٨٩

[4] المرجعين السابقين.

[5] اخرج نحوه الامام الطبراني في المعجم الكبير ٢٢/٤٣٥ برقم [١٠٦٠] ومابعدها، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي ؛ والامام البيهقي في الدلائل ٢/٣٣٨، تخريج د/ عبدالمعطي قلعجي، في باب: دعاء النبي – ﷺ – على سبعة من قريش يؤذونه، ثم على ابن أبي لهب وماظهر في ذلك من الآيات، وكلاهما من طريق سعيد عـــن قتـــادة، ط ١/١٤٠٥، دار الكتب العلمية، كما اخرج الحاكم في المستدرك بنحوه ٢/٥٣٩ عند تفسير سورة المسد وصححه الذهبي.

[6] انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٠٧ — ٢٠٨ ؛ الدرالمصون ٢/٤٨٩ — ٤٩٠

[7] انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٠٧-٢٠٨؛ الدرالمصون ٢/٤٨٩-٤٩٠

النحارير[1] أنامله ﴿مما علمكم الله﴾ من علم التكليب ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ الإمساك على صاحبه: أن لا يأكل منه، فإن أكل منه، لم يؤكل إذا كان صيد كلب، ونحوه، فأما صيد البازي، ونحوه، فأكله لا يحرمه، وقد عرف في موضعه، والضمير في ﴿واذكروا اسم الله عليه﴾ يرجع إلى ﴿ما أمسكن﴾ على معنى: وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته، أو إلى ﴿ما علمتم من الجوارح﴾ أي: سموا عليه عند إرساله ﴿واتقوا الله﴾ واحذروا مخالفة أمره في هذا كله ﴿إن الله سريع الحساب﴾ إنه محاسبكم على أفعالكم ولا يلحقه فيه لبث.

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ(٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٦)

[1] النحرهم: اتقنهم علما، والنحارير: جمع نحرير، وهو الرجل الحاذق، الماهر، العاقل، المجرب، وقيل: النحرير: الرجل الطبن، الفطن، المتقن، البصير في كل شيء ... انظر اللسان ٥/١٩٧ مادة: نحر.

﴿اليوم﴾ الآن ﴿أحل لكم الطيبات﴾ كرره تأكيدا للمنة ﴿وطعام الذيـــن أوتـــوا الكتاب حل لكم﴾ أي: ذبائحهم، لأن سائر الأطعمة لا يختـــص حلـــها بالملـــة ﴿وطعامكم حل لهم﴾ فلا جناح عليكم، أن تطعموهم لأنه لو كان حراما عليـــهم طعام المؤمنين، لما ساغ لهم إطعامهم ﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ هي الحرائـــر، أو العفائف، وليس هذا بشرط لصحة النكاح، بل هو للاستحباب، لأنه يصح نكـــاح الإماء من المسلمات، ونكاح غير العفائف تخصيصهن/ بعث على تخـــير المؤمنـــين ١٤٥/ب لنطفهم،[١] وهو معطوف على الطيبات، أو مبتـــدأ، والخـــبر محـــذوف،[٢] أي: والمحصنات من المؤمنات حل لكم، ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتـــاب مـــن قبلكم﴾ هن الحرائر الكتابيات، أو العفائف الكتابيات، ﴿إذا آتيتموهن أجورهـــن﴾ أعطيتموهن مهورهن ﴿محصنين غير مسافحين﴾ متزوجين غير زانين ﴿ولا متخذي أخدان﴾ صدائق، والخدن: يقع على الذكر، والأنثى ﴿ومـــن يكفـــر بالإيمـــان﴾ بشرائع الإسلام، وما أحل الله، وحرم، ﴿فقد حبط﴾ بطل ﴿عمله وهو في الآخرة من الخاسرين، يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكـــم﴾ أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة كقوله: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾[٣] أي: إذا أردت أن تقرأ القرآن، فعبر عن إرادة الفعل، بالفعل، لأن الفعل مســـبب عـــن الإرادة، فـــأقيم المسبب، مقام السبب، لملابسة بينهما، طلبا للإيجاز، ونحوه؛ كما تدين تدان، عـــبر عن الفعل المبتدأ، الذي هو سبب الجزاء، بلفظ الجزاء الذي هـــو مســـبب عنـــه وتقديره: وأنتم محدثون، عن ابن عباس –رضي الله عنهما – أو من النوم[٤] لأنـــه دليل الحدث، وكان رسول الله – ﷺ –والصحابة، والخلفاء، يتوضئـــون لكـــل

---

[١] انظر الجامع لأحكام القرآن للامام القرطبي ٦٩/٢ و جـــ٦/٧٩ ط دار الكتب المصرية، وانظر تفسير آيات الأحكام للشيخ السايس ١٦٨/١ مطبعة محمد على صبيح وأولاده بمصر سنة ١٣٧٢

[٢] انظر اعراب القرآن للعكبري ٢٠٨/١؛ الدرالمصون ٤٩١/٢

[٣] سورة النحل رقم الآية [٩٨].

[٤] انظر تفسير البحر المحيط ٤٩٩/٣ - ٤٥٠

صلاة[1] وقيل: كان الوضوء لكل صلاة واجبـــاً أول مـــا فـــرض، ثم نســـخ ﴿وأيديكم إلى المرافق﴾ إلى: تفيد معنى الغايـــــة، فأمـــا دخولهـــا في الحكـــم، وخروجها، فأمر يدور مع الدليل، فما فيه دليل علـــى الخـــروج ﴿فنظـــرة إلى ميسرة﴾ [2] لأن الإعسار علة الإنظار، وبوجود الميسرة تـــزول العلـــــة، ولـــو دخلت الميسرة فيه لكان منظراً في الحالتين، معسراً، وموسراً، وكذلك: ﴿أتموا الصيام إلى الليل﴾[3] لو دخل الليل لوجب الوصال، ومما فيه دليل على الدخـــول قولـــك: حفظت القرآن، من أوله، إلى آخره، لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله، ومنـــــه قوله تعالى: ﴿من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾[4] لوقوع العلم بأنه – عليـــه السلام:- لا يسري به إلى بيت المقدس من غير أن يدخله، وقوله: ﴿إلى المرافـــق﴾لا دليل فيه على أحد الأمرين، فأخذ الجمهور بالاحتياط، فحكموا بدخولها في الغســـل، وأخذ زفر،[5] وداود،[6] بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي – ﷺ -أنه كان يدير الماء على مرفقيه)[7] ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ المراد: إلصاق المسح بالرأس، وماســـح

---

[1] اخرجه الامام البخاري في كتاب الوضوء باب: الوضوء من غير حدث ١/١٦٢، ومسلم ١/٢٣٢ كتـــاب الطهارة، وانظر جامع البيان ٦/٨١

[2] سورة البقرة رقم الآية [٢٨٠].

[3] سورة البقرة رقم الآية [١٨٧].

[4] سورة الاسراء رقم الآية [١].

[5] هو: العلامة زفر بن الهذيل العنبري، الفقيه، المجتهد الرباني في دولة يزيد بن الوليد، ولد سنة ١١٠هـــ تفقـه بأبي حنيفة، وهو من اكبر تلامذته، وهو ممن جمع بين العلم والعمل مات سنة (١٥٨) ســـير اعـــلام النبـــلاء ٧/٣٧٦-٣٧٨

[6] هو: داود بن علي الأصبهاني الفقيه الظاهري، ابوسليمان، ولد سنة ٢٠٠هـــ قال الخطيب: كان إماما ورعـــا زاهدا ناسكا وفي كتبه حديث كثير لكن الرواية عنه عزيزة جدا، ومنعه الامام أحمد من الدخول عليه وبدعه لكونه قال: القرآن محدث، ... توفي سنة [٢٧٠هـــ] لسان الميزان (٢/٤٢٢ ومابعدها، تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/٥٧٢ ط دار الفكر.

[7] رواه الدارقطني في السنن١/٨٦ كتاب: الطهارة، باب: وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم – وقال عنه الدارقطني: ابن عقيل: ليس بالقوى، لذا فهو ضعيف، وانظر ترجمته في الميزان ٣/٣٧٩ تحقيـــق علـــى محمـــد البجاوي ط دارالفكر.

بعضه ومستوعبه بالمسح، كلاهما ملصق للمسح برأسه، فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب،(١) والشافعي باليقين، فأوجب أقلّ ما يقع عليه اسم المسح(٢) وأخذنا ببيان النبي – عليه السلام – وهو ما روى (أنه مسح على ناصيته)(٣)وقدرت الناصية: بربع الرأس ﴿وأرجلكم إلى الكعبين﴾ بالنصب شامي، ونافع، وعلى، وحفص،(٤) والمعنى/ فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى ١٤٦/أ
المرافق وأرجلكم إلى الكعبين، وامسحوا برؤوسكم على التقديم، والتأخير. غيرهم بالجر بالعطف على الرؤوس، لأن الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة، تغسل بصب الماء عليها، فكانت مظنة للإسراف المنهي عنه، فعطفت على الممسوح، لا لتمسح، ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها، وقيل: إلى الكعبين، فجيء بالغاية إماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة، لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة، وقال [في](٥) جامع العلوم(٦) إنها مجرورة للجوار، وقد صح أن النبي عليه السلام:رأى قوماً يمسحون على أرجلهم فقال:"ويل للأعقاب من النار"(٧)

---

(١) انظر المدونة الكبرى ١/١٦ ط دار الفكر؛ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدسوقي١/١٤٧ تخريج/ محمد عبدالله شاهين ط١/١٤١٧هـ دار الفكر العلمية.

(٢) انظر كتاب: الأم للامام الشافعي يرحمه الله ١/٤١-٤٢ ط دار الفكر ١٤١٠هـ وتفسير الخازن ٢/٢٢٧-٢٢٨ مع تفسير البغوي، ط ١ / ١٤١٥ دار الكتب العلمية.

(٣) انظر مسند الامام أحمد ٣/٤٠٨؛ سنن الترمذي ١/٦٨ كتاب الطهارة باب: ماجاء في المسح على العمامة، تحقيق/ عبدالوهاب عبداللطيف ط٢/١٤٠٣ دارالفكر، ومختصر سنن أبي داود للمنذري مع معالم السنن للخطابي ط الملك خالد يرحمه الله ١/١٤٤؛ كتاب الطهارة باب: المسح على الخفين.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٥٤، اشراف ومراجعة الشيخ: على محمد الصنباع ط: دار الكتاب العربي.

(٥) ساقطة من الأصل.

(٦) لم أعثر عليه.

(٧) اخرج الامام البخاري في كتاب العلم ١/٩٥ باب: من رفع صوته بالعلم، وفي كتاب الوضوء ١/١٤٢ باب: غسل الاعقاب شرح وتحقيق الشيخ/ قاسم الرفاعي ط١ / ١٤٠٧ دارالقلم؛ واخرجه الامام مسلم في

وعن عطاء:[1] والله ما علمت أن أحداً من أصحاب رسول الله - ﷺ - مسح على القدمين،[2] وإنما أمر بغسل هذه الأعضاء، ليطهرها من الأوساخ التي تتصل بها، لأنها تبدو كثيراً والصلاة خدمة الله -تعالى- والقيام بين يديه متطهراً، من الأوساخ أقرب إلى التعظيم، فكان أكمل في الخدمة،كما في الشاهد إذا أراد أن يقوم بين يدي الملك، ولهذا قيل: إن الأولى أن يصلي الرجل في أحسن ثيابه، وأن الصلاة متعمماً أفضل من الصلاة مكشوف الرأس كما أن ذلك أبلغ في التعظيم، ﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾ فاغسلوا أبدانكم ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحد منكم﴾ قال الرازي[3] معناه: وجاء حتى لا يلزم المريض والمسافر التيمم بلا حدث[4] ﴿من الغائط﴾ المكان المطمئنّ، وهو كناية عن قضاء الحاجة ﴿أولامستم النساء﴾ جامعتم ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ في باب الطهارة، حتى لا يرخص لكم [في][5] التيمم ﴿ولكن يريد ليطهركم﴾ بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء ﴿وليُتِمَّ نعمته عليكم﴾ وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمته فيثيبكم.

كتاب الطهارة، باب: وجوب غسل الرجلين بكمالهما ٢١٣/١-٢١٥، تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي ط: دار احياء التراث العربي. من حديث يوسف بن ماهك عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنه –.

[1] ابن أبي رباح المكى، ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الارسال،من الثالثة مات سنة أربع عشرة على المشهور، وقيل: إنه تغير بأخره، التقريب ٣٩١ ترجمة رقم [٤٥٩١].

[2] انظر روح المعاني للألوسي ٧٩/٦. ط ٤/١٤٠٥ دار احياء التراث العربي.

[3] هو: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، سلطان المتكلمين في زمانه، فخرالدين، أبوعبدالله، القرشي، البكري، التيمي، الطبرستاني الأصل، ثم الرازي، المفسر، المتكلم إمام وقته في العلوم العقلية، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية ... توفي سنة ٦٠٦هـ طبقات المفسرين ٢١٥/٢-٢١٩ للإمام شمس الدين محمد بن علي الداوودي المتوفى سنة ٩٤٥هـ ط. الأولى. دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.

[4] انظر أحكام القرآن لابن العربي ٤٦٢/٢ ط تخريج عبدالسلام شاهين ط١ دارالكتب ١٤١٥هـ

[5] ساقطة من [ز].

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(٧).

﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالإسلام ﴿وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا﴾ أي: عاقدكم به عقداً وثيقاً، وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين، حين بايعهم رسول الله - ﷺ - على السمع، والطاعة، في حال اليسر، والعسر، والمنشط، والمكره، فقبلوا وقالوا: سمعنا وأطعنا، وقيل: هو الميثاق ليلة العقبة، وفي بيعة الرضوان ﴿واتقوا الله﴾ في نقض الميثاق ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ بسرائر الصدور من الخير، والشر، وهو وعد ووعيد.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ (١٠) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١١).

﴿يا أيها الذين أمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط﴾ بالعدل ﴿ولا يجرمنكم
شنآن/ قوم على ألا تعدلوا﴾ عدي ﴿يجرمنكم﴾ بحرف الاستعلاء مضمنا معنى ١٤٦/ب
فعل يتعدى به، كأنه قيل: ولا يحملنكم بغض قوم، على ترك العدل فيهم[1] ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ أي: العدل أقرب إلى التقوى. نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل، ثم استأنف، فصرح لهم بالأمر بالعدل، تأكيدا، وتشديدا، ثم

---

(١) انظر اعراب القرآن للعكبري ٢٠٦/١؛ الدر المصون ٤٨١/٢

استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل، وهو قوله تعالى: ﴿هو أقرب للتقـــوى﴾ وإذا كان وجوب العدل مع الكفار، بهذه الصفة من القوة، فما الظن بوجوبه مع المؤمنـين الذين هم أولياؤه ﴿واتقوا الله﴾ فيما أمر، ونهى ﴿إن الله خبير بما تعملـــون﴾ وعـــد ووعيد، ولذا ذكر بعدها آية الوعد، وهو قوله تعالى:﴿وعد الله الذين آمنوا وعملـــوا الصالحات﴾ وعد يتعدى إلى مفعولين، فالأول: الذين آمنوا، والثاني: محذوف استغني عنه بالجملة التي هي قوله: ﴿لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ والوعيد وهو قوله: ﴿والذيـــن كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾[1] أي [لا يفارقونها][2] ﴿يـــا أيـــها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ همّ قوم﴾ روي أن رسول الله - ﷺ - أتـــى بني قريظة، ومعه الشيخان: أبوبكر، وعمر، والختنان،[3] يستقرضهم دية مســـلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين، فقالوا: نعـــم ياأباالقاســـم، اجلس حتى نطعمك، ونقرضك فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به، وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة، يطرحها عليه، فأمسك الله يـــده، ونـــزل جـــبريـــل فأخـــبره بـــذلـــك، فخـــرج النبي-ﷺ- ونزلت الآية[4] ، إذ ظرف للنعمـــة ﴿أن يبسطوا﴾ بأن يبسطوا ﴿إليكم أيديهم﴾ بالقتل، يقال: بسط لسانه إليه، إذا شـــتمه،

---

[1] انظر اعراب القرآن للعكبرى ٢٠٦/١؛ الدرالمصون ٤٨١/٢

[2] في [ز] لايفارقوها.

[3] الختنان: عثمان وعلى – رضي الله عنهما- لأنهما تزوجا ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانظر اللســـان ١٣٧/١٣-١٣٩ مادة: ختن.

[4] هذه القصة وقعت في بني النظير – وليست في بني قريظة كما ذكر المؤلف – فقد ذكرها الإمام البيـــهقي في دلائل النبوة ٣٩٨/٣ ومابعدها – في باب: غزوة بئر معونة عن أبي عبدالله الحاكم بسنده إلى ابن اسحاق .. الخ. وذكرها الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره المحقق ١٠١/١٠-١٠٣ عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبدالله بن أبي بكر وغيرهما، كما ذكر الحافظ جمال الدين الزيلعي في كتابه: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشـاف للزمخشري ٣٨٩/١ ومابعدها أن هذه القصة في بني النظير وعزا روايتها إلى ابن هشام في السيرة، وإلى أبي نعيـم في دلائل النبوة في الباب الثامن والعشرين، وهو باب: المغازي، وإلى الواقدي في المغازي، والحاصل: أن هذه القصـــة كانت في بني النظير كما أسلفت – ولعل المؤلف يرحمه الله – أخطأ في إيرادها في بني قريظة والله أعلم.

وبسط إليه يده، إذا بطش به، ﴿ويبسطوا إليكم أيديهم وألســـنتهم بالســـوء ﴾[1]
ومعنى: بسط اليد: مدها إلى المبطوش به ﴿فكفّ أيديهم عنكم﴾ فمنعـــها أن تمـــدّ
إليكم ﴿واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ فإنه الكافي، والدافع، والمانع.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾(١٢).

﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾ هو الذي ينقب
عن أحوال القوم، ويفتش عنها، ولما استقر بنو إسرائيل بمصـــر، بعـــد هـــلاك
فرعون، أمرهم الله بالمسير إلى أريحاء، أرض الشام، وكان يسكنها الكنعـــانيون،
الجبابرة، وقال لهم: إني كتبتها لكم داراً، وقراراً، فاخرجوا إليها، وجاهدوا مـــن
فيها، وإني ناصركم، وأمر موسى -عليه السلام- أن يأخذ من كل سبط نقيبـــاً
يكون كفيلاً على قومه، بالوفاء بما أمروا به، فاختار النقباء، وأخذ الميثاق علـــى
بني إسرائيل، وتكفل لهم به النقباء، وسار بهم، فلما دنا من أرض كنعان، بعث/ ١٤٧/أ
النقباء يتجسسون، فرأوا أجراماً عظيمة، وقوة، وشوكة، فـــهابوا، ورجعـــوا،
فحدثوا قومهم، وقد نهاهم أن يحدثوهم، فنكثوا الميثاق، إلا كالب بن يوقنـــا،
ويوشع بن نون، وكانا من النقباء[2] ﴿وقال الله إني معكـــم﴾ أي: نـــاصركم،
ومعينكم، وتقف هنا لابتدائك بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهـــو
﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة﴾ وكانتا فريضتين عليهم ﴿وآمنتم برسلي﴾ من

---

[1] سورة الممتحنة رقم الآية [٢]

[2] انظر تفسير الخازن ٢/٢٣٦

غير تفريق بين أحد منهم ﴿وعزّرتموهم﴾ وعظمتموهم، أو نصرتموهم، بأن تردوا عنهم أعداءهم، والعزر في اللغة [الردّ][١] ويقال عزرت فلاناً أي أدبته يعني فعلت به ما يردعه عن القبيح[٢] كذا قاله الزجاج.[٣] ﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾ بلا منٍ [وقيل][٤]: هو كل خير واللام في ﴿لأكفرن عنكم سيئاتكم﴾ جواب للقسم وهذا الجواب سادّ مسدّ جواب القسم والشرط جميعا[٥]﴿ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم﴾ أي: بعد ذلك الشرط المؤكدّ، المعلق بالوعد العظيم ﴿فقد ضلّ سواء السبيل﴾ أخطأ طريق الحق، نعم من كفر قبل ذلك، فقد ضل سواء السبيل -أيضا- ولكن الضلال بعده أظهر، وأعظم.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٣) وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾(١٤).

﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ ما [زائدة][٦]لإفادة تفخيم الأمر[٧] ﴿لعناهم﴾ طردناهم، وأخرجناهم من رحمتنا، أو مسخناهم، أوضربنا عليهم الجزية ﴿وجعلنا قلوبهم

---

[١] في [ز] الردع. ولعله الأصوب.

[٢] انظر لسان العرب ٥٦١/٤ ومابعدها. مادة عزر.

[٣] تقدم ترجمته في ص: ٥

[٤] الواو ساقطة من جميع النسخ، وفي المطبوع بالواو ولعله الصواب.

[٥] انظر اعراب القرآن للعكبرى ٢١١/١؛ الدر المصون

[٦] في [ز، ق] مزيدة.

[٧] اعراب القرآن للعكبرى ٢١١/١؛ الدرالمصون ٤٥٥/٢-٤٥٦

قاسيةً﴾ يابسة لا رحمةً فيها، ولا لين، قسية حمزة، وعلي[1] أي: رديئة من قولهم: درهم قسي أي: رديء ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ يفسرونه على غير ما أنزل، وهو بيان لقسوة قلوبهم، لأنه لا قسوة أشدّ من الافتراء على الله، وتغيير وحيه ﴿ونسوا حظاً﴾ وتركوا نصيباً جزيلاً، وقسطاً وافياً ﴿مما ذكروا به﴾ من التوراة، يعني: أن تركهم، وإعراضهم عن التوراة، إغفال حظ عظيم، أو قست قلوبهم، وفسدت فخرجوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم، عن ابن مسعود -رضي الله عنه-: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية[2] وتلا هذه الآية، وقيل: تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد - ﷺ - وبيان نعته ﴿ولا تزال﴾ يا محمد ﴿تطلع على خائنة منهم﴾ أي: هذه عادتهم، وكان عليها أسلافهم، كانوا يخونون الرسل، وهؤلاء يخونونك، ويهمون بالفتك بك، وقوله: ﴿على خائنة﴾ أي: على خيانة، أو على فعلة ذات خيانة، أو على نفس، أو فرقة خائنة ويقال: رجل خائنة، كقولهم: رجل راوية للشعر للمبالغة ﴿إلا قليلاً منهم﴾ وهم الذين آمنوا منهم ﴿فاعف عنهم﴾ بعث على مخالفتهم، أو فاعف عن مؤمنيهم، ولا تؤاخذهم بما سلف منهم ﴿واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ ﴿ومن﴾ في قوله:
﴿ومن الذين/ قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾ وهو الإيمان بالله، والرسل، وأفعال ١٤٧/ب
الخير، يتعلق بأخذنا، أي وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم، فقدم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور، وإنما لم يقل من النصارى لأنهم إنما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله، وهم الذين قالوا لعيسى:

---

[1] قرأ حمزة والكسائي بتشديد الياء من غير ألف، وقرأ الباقون بالألف وتخفيف الياء، النشر في القراءات العشر ٢٥٤/٢

[2] انظر الدرالمنثور في التفسير بالمأثور للامام السيوطي ٤١/٣ وعزاه لابن المبارك واحمد في الزهد ط١/١٤٠٣هـ دارالفكر.

نحن أنصار الله، ثم اختلفوا بعد: نسطورية،[1] ويعقوبية،[2] وملكانية[3] أنصاراً للشيطان ﴿فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا﴾ فألصقنا، وألزمنا من غرى بالشيء، إذا لزمه، ولصق به، ومنه الغراء الذي يلصق به ﴿بينهم﴾ بين فرق النصارى المختلفين ﴿العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ بالأهواء المختلفة ﴿وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ أي: في القيامة بالجزاء، والعقاب.

﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَـٰبٞ مُّبِينٞ (١٥) يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (١٦) لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (١٧) وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (١٨).

---

[1] وهم اصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، قال: إن الله واحد، ذو أقانيم ثلاثة: الوجود والعلم والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى – عليه السلام – لا على طريق الامتزاج – كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة .... الملل والنحل للشهرستاني ٢٢٤/١

[2] وهم أصحاب يعقوب قالوا بالأقانيم الثلاثة إلا الهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم بقوله: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) سورة المائدة [٧٢] انظر الملل والنحل ٢٢٥/١

[3] وهم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية، قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته .... الملل والنحل ٢٢٢/١ وهذه الفرق الثلاثة هي أكبر فرق النصارى، ومنها تشعبت الفرق الأخرى حتى وصلت إلى اثنتين وسبعين فرقة – نسأل الهداية والرشاد.

في [ق] ملكانية.

﴿يا أهل الكتاب﴾ خطاب لليهود، والنصاري، والكتاب: للجنس ﴿قــد جــاءكم رسولنا﴾ محمد-عليه السلام-﴿يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ من نحو صفة رسول الله -ﷺ- ومن نحو الرجم ﴿ويعفو عن كثير﴾ مما تخفونه لا يبينــه، أو يعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك، والشك، ولإبانته ما كان خافيا على الناس من الحق، أو لأنه ظاهر الإعجاز، أو النور، محمد – عليه السلام – لأنه يهتدى به كما سمي ســراجا ﴿يهدى به الله﴾ أي: بالقرآن ﴿من اتبع رضوانه﴾ من آمن منهم ﴿سبل الســلام﴾ طرق السلامة، والنجاة من عذاب الله، أو سبل الله، فالســلام: السـلامة أو الله ﴿ويخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ من ظلمات الكفر، إلى نور الإسلام ﴿بإذنــه﴾ ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم، لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مــريم﴾ معناه: بت القول: على أن[1] الله هو المسيح لا غير، قيل: كان في النصــارى قــوم يقولون بذلك، أو لأن مذهبهم يؤدي إليه، حيث أهم اعتقدوا أنه يخلــق، ويحـيى، ويميت ﴿قل فمن يملك من الله شيئا﴾ فمن يمنع من قدرته، ومشيئته شـيئا ﴿إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا﴾ أي: إن أراد أن يهلك مــن دعوه إلها من المسيح وأمه، يعني: أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد، وعطف ﴿مـن في الأرض﴾ على المسيح وأمه، إبانة أهما من جنسهم لا تفاوت بينهما، وبينــهم، والمعنى: أن من اشتمل عليه رحم الأمومية متى يفارقه نقص البشرية، ومن لاحــت عليه شواهد الحديثية أنى يليق به نعت الربوبية، ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجـد لم يعد نقص إلى الصمدية ﴿ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشــاء﴾ أي: يخلق من ذكر وأنثى، ويخلق من أنثى بلا ذكر، كما خلق عيسى، ويخلق من غير ذكر/ وأنثى، كما خلق آدم، أو يخلق ما يشاء، كخلق الطير على يد عيسى معجـزة له، فلا اعتراض عليه لأنه الفعال لما يريد، ﴿والله على كل شيء قدير، وقالت اليهود ١٤٨/أ

[1] في [ز] أن حقيقة الله.

والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ أي: أعزة عليه كالابن على الأب، أو أشياع ابـني الله عزير، والمسيح، كما قيل لأشياع أبي خبيب، وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيـــون، وكما كان يقول رهط مسيلمة: نحن أبناء الله، ويقول أقرباء الملك وحشمه: نحـــن أبناء الملوك، أو نحن أبناء رسل الله ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ أي: فإن صح أنكم أبناء الله، وأحباؤه، فلم تعذبون بذنوبكم بالمسخ، والنار،[1] أياما معـــدودة ؟ علـــى زعمكم، وهل يمسخ الأب ولده ؟ وهل يعذب الوالد ولده بالنـــار ؟ [ثم قـــال ردا عليهم][2] ﴿بل أنتم بشر ممن خلق﴾ أي: أنتم خلق من خلقه فلا بنوة ﴿يغفر لمـــن يشاء﴾ لمن تاب عن الكفر فضلاً ﴿ويعذبُ من يشاء﴾ من مات عليه عـــدلاً ﴿ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾ فيه تنبيه على عبودية المســيح لأن الملك والبنوة متنافيان.

﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ(١٩) وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَـٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾(٢٠).

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ محمد - عليه السلام - ﴿يبين لكـــم﴾ أي: الشرائع وحذف لظهوره أو ﴿ماكنتم تخفون﴾وحذف لتقدم ذكره أولا يقدر المبـين، ويكون المعنى: يبذل لكم البيان، وهو حال أي: مبيناً لكم[3] ﴿علـــى فـــترةٍ مـــن الرسل﴾ متعلق بجاءكم أي: جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع مـــن

---

[1] في [ز] ثم قال رداً عليهم: اياماً معدودة.

[2] ساقطة من [ز].

[3] انظر اعراب القرآن للعكبرى ١/٢١٢؛ الدرالمصون ٢/٥٠٥-٥٠٦

الوحي، وكان بين عيسى، ومحمد- عليهما السلام- ستمائة سنة أو خمسمائة سنة وستون سنة ﴿أن تقولوا﴾ كراهة أن تقولوا ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾ والفاء في ﴿ فقد جاءكم﴾ متعلق بمحذوف[1] أي: لا تعتذروا فقد جاءكم ﴿بشير﴾ للمؤمنين ﴿ونذير﴾ للكافرين، والمعنى: الامتنان عليهم بأن الرسول بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي أحوج [مايكونون][2] إليه ليهشوا إليه، ويعدوه أعظم نعمة من الله، وتلزمهم الحجة، فلا يعتلوا غدا بأنه لم يرسل إليهم من ينبئهم من غفلتهم ﴿والله على كل شيء كل قدير﴾ فكان قادرا على إرسال محمد- عليه السلام- ضرورة ﴿وإذ قال موسى لقومه يقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء﴾ لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء ﴿وجعلكم ملوكا﴾ لأنه ملكهم بعد فرعون ملكه، وبعد الجبابرة ملكهم، ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء، وقيل: الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار، وكانت منازلهم واسعة، فيها مياه جارية، وقيل: من له بيت، وخدم، ولأنهم كانوا مملوكين في أيدي القبط، فأنقذهم الله، فسمى إنقاذهم ملكا/ ﴿وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين﴾ من فلق ١٤٨/ب
البحر، وإغراق العدو، وإنزال المن، والسلوى، وتظليل الغمام، ونحو ذلك من الأمور العظام، أو أراد عالمي زمانهم.

﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ(٢١) قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ(٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(٢٣) قَالُوا۟

[1] المصدرين السابقين
[2] في [ز] مايكون.

﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾(٢٤).

﴿ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾ أي: المطهرة، أو المباركة، وهي أرض بيت المقدس، أو الشام ﴿التي كتب الله لكم﴾ قسمها لكم، وسماها، أو كتب في اللوح المحفوظ: أنها مساكن لكم ﴿ولا ترتدوا على أدباركم﴾ ولا ترجعوا على أعقابكم مدبرين منهزمين، من خوف الجبابرة جبنا، أولا ترتدوا على أدباركم في دينكم ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ فترجعوا خاسرين[1] ثواب الدنيا والآخرة ﴿قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين﴾ الجبار: فعال من جبره على الأمر، بمعنى: أجبره عليه، وهو العاتي الذي يجبر الناس على مايريد[2] ﴿وإنا لن ندخلها﴾ بالقتال ﴿حتى يخرجوا منها﴾ [بغير][3] قتال [﴿فإن يخرجوا منها﴾ بلا قتال][4] ﴿فإنا داخلون﴾ بلادهم حينئذ ﴿قال رجلان﴾ كالب، ويوشع ﴿من الذين يخافون﴾ الله، ويخشونه، كأنه قيل: رجلان من المتقين، وهو في محل الرفع صفة لرجلان[5] وكذا ﴿أنعم الله عليهما﴾ بالخوف منه ﴿ادخلوا عليهم الباب﴾ أي: باب المدينة ﴿فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾ أي: انهزموا وكانت الغلبة لكم، وإنما علما ذلك بإخبار موسى -عليه السلام- ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ إذ الإيمان به يقتضي التوكل عليه، وهو قطع العلائق، وترك التملق للخلائق ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها﴾ هذا نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التوكيد ﴿أبدا﴾ تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول[6] ﴿ما داموا فيها﴾ بيان للأبد

---

(١) في [ز و ق] من ثواب الدنيا والآخرة.

(٢) انظر اللسان / مادة جبر.

(٣) في [ز] بلا قتال.

(٤) ساقطة من [ز].

(٥) اعراب القرآن للعكبري ١/٢١٢-٢١٣؛ التبيان في اعراب القرآن للعكبري ايضا ١/٣٢٣ ط ١/١٤١٨ دارالفكر.

(٦) اعراب القرآن للنحاس ٢/١٤ – ١٥

﴿فاذهب أنت وربك﴾ من العلماء من حمله على الظاهر، وقال: إنه كفر منهم، وليس كذلك، إذ لو قالوا ذلك اعتقادا، وكفروا به لحاربهم موسى، و لم تكن مقاتلة الجبارين أولى من مقاتلة هؤلاء، ولكن الوجه فيه أن يقال: فاذهب أنت وربك يعينك على قتالك أو: وربك أي: وسيدك، وهو أخوك الأكبر هارون، أو لم يرد به حقيقة الذهاب، ولكن كما تقول: كلمته فذهب يجيبني، تريد معنى الإرادة، كأنهم قالوا: أريدا قتالهم ﴿فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ ماكثون لا نقاتلهم [لنصرة دينك][1] فلما عصوه وخالفوه،

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ(٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ(٢٦)وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ(٢٧)لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ(٢٨)إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ(٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ(٣٠) فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ (٣١).

[1] ساقطة من [ق].

﴿قال رب إني لا أملك﴾ [لنصرة دينك][1] ﴿إلا نفسي وأخي﴾ هـــو منصـوب بالعطف على نفسي، أو على اسم إن، أي[2] لا أملك إلا نفسي، وإن أخي لا يملك إلا نفسه، أو مرفوع بالعطف على محل إن واسمها، أو على الضمير في (لا أملـك) وجاز للفصل، أي: ولا يملك أخي إلا نفسه، أو هو مبتدأ، والخبر محـذوف[3] أي: وأخي كذلك، وهذا من البث والشكوى إلى الله، ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة، وتستنزل النصرة، [أوكأنه][4] لم يثق بالرجلين المذكورين كل الوثوق، فلم يذكر إلا النبي المعصوم، أو أراد: ومن يؤاخيني على ديني ﴿فافرق/ بيننا[5] وبين القوم الفاسقين﴾ ففصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما وعدتنا وتحكم عليهم [بما هم] أهله وهو في معنى الدعاء عليهم أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم، كقوله: ﴿ونجني من القوم الظالمين﴾[6] ﴿قال فإنها﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿محرمة عليهم﴾ [لايدخلونها، وهو تحريم منع، لا تحريم تعبد، كقوله: ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾[7] والمراد: بقوله ﴿كتب الله لكم﴾[8] أي: بشرط أن تجاهدوا أهلها، فلما أبوا الجهاد، قيل: [فإنها][9] محرمة عليهم، أو المراد: فإنها محرمة عليهم][10] ﴿أربعين سنة﴾ فإذا مضى الأربعون كان ما كتب، فقد سار موسى – عليه السلام – بمن بقي من بني إسرائيل، وكان يوشع على مقدمته ففتحها، وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض، وأربعين 149/أ

---

[1] ساقطة من [ز].

[2] في [ز] إني.

[3] انظر اعراب القرآن للعكبرى ٢١٣/١ ؛ اعراب القرآن للنحاس ١٥/٢

[4] في [ز و ق] وكأنه.

[5] في [ز] بماهو أهله.

[6] سورة التحريم رقم الآية [١١].

[7] سورة القصص رقم الآية [١٢].

[8] يقصد قوله تعالى: ﴿ التي كتب الله لكم ﴾.

[9] في [ز] إنها.

[10] هذه الأسطر ساقطة من [ق].

ظرف التحريم والوقف على سنة، أو ظرف[1]﴿يتيهون في الأرض﴾ أي: يسيرون فيها متحيرين، لا يهتدون طريقا أربعين سنة، والوقف على (عليهم)؛ وإنما عوقبوا بالحبس لاختيارهم المكث، فكانوا مع شدة سيرهم يصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا، في ستة فراسخ، ولما ندم على الدعاء عليهم قيل له: ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ فلا تحزن عليهم، لأنهم فاسقون، قيل: لم يكن موسى وهارون معهم في التيه، لأنه كان عقابا، وقد سأل موسى ربه أن يفرق بينهما وبينهم، وقيل: كانا معهم، إلا أنه كان ذلك روحا لهما، وسلاما، لا عقوبة، ومات هارون في التيه، وموسى فيه بعده بسنة ومات النقباء في التيه، إلا كالب، ويوشع، ثم أمر [الله تعالى][2]محمدا - ﷺ - أن يقص على حاسديه ما جرى بسبب الحسد ليتركوه، ويؤمنوا،[3]بقوله:﴿واتل عليهم﴾ على أهل الكتاب ﴿نبأ ابني آدم﴾ من صلبه، هابيل، وقابيل، أو: هما رجلان من بني إسرائيل، ﴿بالحق﴾ نبأ ملتبسا بالصدق، موافقا لما في كتب الأولين، أو تلاوة ملتبسة بالحق، والصحة، أو: ﴿واتل عليهم﴾ وأنت محق صادق ﴿إذ قربا﴾ نصب بالنبأ أي: [قصتهما، وحديثهما][4]في ذلك الوقت، أو بدل من النبأ، أي: اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف[5]﴿قربانا﴾ ما يتقرب به إلى الله تعالى من نسيكة، أو صدقة، يقال: قرب صدقة، وتقرب بها، لأن تقرب مطاوع قرب والمعنى: إذ قرب كل واحد منهما قربانا، دليله (فتقبل من أحدهما) أي قربان وهو هابيل، ولم يتقبل من الآخر قربان وهو: قابيل، روي أنه أوحى الله – تعالى- إلى آدم – عليه السلام –أن يزوج كل

---

[1] ينظر البيان في إعراب القرآن للعكبرى ٣٢٤/١ ؛ إعراب القرآن للنحاس ١٥/٢

[2] ساقطة من [ز].

[3] في [ز و ق] زيادة: به.

[4] في [ز] قصتهم، وحديثهما ساقطة.

[5] إعراب القرآن للعكبرى ٢١٣/١ ؛ البيان في إعراب القرآن للعكبري ٣٢٤/١

واحد منهما توأم[1] الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد عليها أخاه فقال لهما آدم: قربا قربانا فمن أيكما قبل يتزوجها، فقبل قربان هابيل، بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا، وسخطا، وتوعده بالقتل،[2] وهو قوله ﴿قال لأقتلنك قال﴾ : أي: هابيل ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ / وتقديره: قال: لم تقتلني ؟ قال: لأن الله قبل قربانك، ولم يقبل قرباني، [فقال][3] ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ وأنت غير متق، فإنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي، وعن علمر بن عبد الله[4]: أنه بكى حين حضرته الوفاة [فقيل له: ما يبكيك][5] وقد كنت، وكنت؟ [قال][6] إني أسمع الله يقول: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [7] ﴿لئن بسطت﴾ مددت ﴿إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط﴾ بماد ﴿يدي﴾ مدني، وأبو عمرو وحفص[8] ﴿إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين﴾ قيل: كان أقوى من [القاتل][9] وأبطش منه، ولكن تحرج عن قتل أخيه، واستسلم له خوفا من الله -تعالى- لأن الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت، وقيل: بل كان ذلك واجبا، فإن فيه إهلاك نفسه ومشاركة للقاتل في إثمه، وإنما معناه: ما أنا بباسط يدي إليك مبتدئا

١٤٩/ب

---

[1] في [ز و ق] توأمه.

[2] انظر التفسير الكبير للرازي ١١/١٦٠ – ١٦٢؛ تفسير الخازن ٢/٢٥٢ – ٢٥٣

[3] ساقطة من [ز].

[4] المعروف بـ (عامر بن قيس، القدوة، الولي، الزاهد، أبوعبدالله، ويقال: أبوعمرو التميمي، العنبرى، البصري، روى أن قبره في بيت المقدس، قيل: توفى: زمن معاوية، انظر طبقات ابن سعد ٥/٧٢-٧٩، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ط٢/١٤١٨ دار الكتب العلمية، وسير أعلام النبلاء ٥/٦٦ – ٦٩ تحقيق: محب الدين العمروى ط١/١٤١٧ دارالفكر.

[5] في [ز] فقيل له فقيل مايبكيك.

[6] في [ز] فقال.

[7] ذكره الامام الطبرى ٦/٥٣٢

[8] السبعة لابن مجاهد، النشر في القراءات العشر ٢/٢٥٦

[9] في ز من القابيل وفي ق من القابل.

[كقصدك][1] ذلك مني، وكان عازما على مدافعته إذا قصد قتله، وإنما قتله فتكـــا على غفلة منه ﴿إني أخاف﴾ حجازي، وأبو عمرو[2] ﴿إني أريد﴾ إني مـدني[3] ﴿أن تبوء﴾ أن تحتمل، أو ترجع ﴿بإثمي﴾ بإثم قتلي، إذا قتلتني ﴿وإثمك﴾ الذي لأجلـه لم يتقبل قربانك، وهو عقوق الأب، والحسد، والحقد، وإنما أراد ذلك لكفره [برده][4] قضية الله -تعالى- أو كان ظالما، وجزاء الظالم جائز أن يراد ﴿فتكون من أصحـاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ فوسعته، ويسرته، من طاع له المرتع إذا اتسع ﴿فقتله﴾ عند عقبة حراء، أو بالبصرة، والمقتول ابن عشـــرين سـنة ﴿فأصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه﴾ أي: الله، أو الغراب ﴿كيف يواري سوءة أخيه﴾ [عورة أخيه][5]وما لا يجوز أن ينكشف من جســده. وروي: أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بني آدم، ولما قتله تركه بـــالعراء لا يدري ما يصنع به[6] فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سـنة حـتى أروح [وعكفت][7]عليه السباع، فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر، فحفر له بمنقاره [ورجليه] [ثم][8] ألقاه في الحفرة[9] فحينئذ ﴿قال يا ويلـتى أعجـزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري﴾ عطف على أكون[10] ﴿سوءة أخي فأصبح مـــن النادمين﴾ على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في أمره، ولم يندم ندم التـــائبين، أو

---

(1) في [ز و ق] لقصدك.

(2) انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٠ تحقيق د/ شوقي ضيف ط٣/ دارالمعارف، النشر في القراءات العشر ٢/٢٥٦

(3) ذكره ابن حبان في تفسيره البحر المحيط ٣/٤٨٠ ؛ وانظر الدرالمنثور ٣/٦٢

(4) في [ق] بريه.

(5) ساقطة من [ق].

(6) ساقطة من [ز].

(7) في [ق] وعلفت.

(8) في [ز] والقاه.

(9) ذكره ابن حبان في تفسيرالبحر المحيط ٣/٤٨٠؛ وانظر الدرالمنثور ٣/٦٢

(10) اعراب القرآن للعكبري ١/٢١٤ ؛ الدرالمصون ٢/٥١٤

كان الندم توبة لنا خاصة، أو على حمله لا على قتله،[1] وروي: أنه لما قتلــه اســود جسده، فسأله أدم عن أخيه، فقال: ماكنت عليه وكيلا، فقال بل قتلته، ولذا اسـود جسدك.[2] فالسودان من ولده وما روي أن آدم رثاه بشعر فلا يصح، لأن الأنبيـاء عليهم السلام معصومون من الشعر[3].

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢) إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦).

---

(1) انظر تفسيرالبحر المحيط ٣/٤٨١،

(2) انظر تفسير البيضاوي ١/٢٦٤، ط ١/١٤٠٨ دارالكتب العلمية.

(3) انظر الرثاء المروى عن آدم في هذا الصدد: الدرالمنثور ٣/٦٣ قال أبوحيان: ..... وأنه رثاه بشعر، وهو كذب بحت، وماالشعر إلا منحول ملحون، وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر... البحر المحيط ٣/٤٨٢

﴿من أجل ذلك﴾ بسبب ذلك وبعلته، وذلك إشارة إلى القتل المذكور، قيل: هو متصل بالآية الأولى، فيوقف على ذلك، أي فأصبح / من النادمين لأجل حمله أو لأجل قتله، وقيل: وهو مستأنف والوقف على النادمين و(من) يتعلق بـ(كتبنا لا بالنادمين. ﴿كتبنا على بني إسرائيل﴾ خصهم بالذكر، وإن اشترك الكل في ذلك، لأن التوراة أول كتاب فيه الأحكام ﴿أنه من قتل نفسا﴾ الضمير للشأن، ومن شرطية[1] ﴿بغير نفس﴾ بغير قتل نفس ﴿أو فساد في الأرض﴾ عطف[2] على نفس، أي: بغير فساد في الأرض، وهو الشرك، أو قطع الطريق، [وكل][3] فساد يوجب القتل، ﴿فكأنما قتل الناس جميعا﴾ أي: في الذنب، عن الحسن،[4] لأن قاتل النفس جزاؤه جهنم، وغضب الله والعذاب العظيم، ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك[5] ﴿ومن أحياها﴾ ومن استنفذها من بعض أسباب الهلكة، من قتل، أو غرق، أو حرق، أو هدم، أو غير ذلك ﴿فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ جعل قتل الواحد كقتل الجميع، وكذلك الإحياء ترغيبا، وترهيبا، لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصور أن قتلها كقتل جميع الناس جميعا عظم ذلك عليه، فثبطه وكذا الذي أراد إحياءها إذا تصور أن حكمه: حكم إحياء جميع الناس رغب في إحيائها ﴿ولقد جاءتهم﴾ أي: بني إسرائيل ١٥٠/أ

---

[1] اعراب القرآن للعكبري ٢١٤/١؛ الدرالمصون ٥١٥/٢

[2] اعراب القرآن للعكبري ٢١٤/١؛ الدرالمصون ٥١٥/٢

[3] في [ز و ق] أوكل. .

[4] ابن أبي الحسن بن يسار، الأنصاري، مولاهم، ثقة، فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرا أو يدلس ... وهو رأس الطبقة الثالثة، مات سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين. التقريب ١٦٠ رقم الترجمة [١٢٢٧].

[5] أختلف العلماء في عقوبة من قتل جميعا أكثر من عقاب من قتل واحداً، فمجاهد يرحمه الله مع الحسن في قوله: أن العقوبة واحدة ولو قتل الناس جميعا، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما – المعنى: أن من قتل نبياً أو إمام عدل فكأنما قتل الناس جميعا... وقال أيضا: أن من قتل نفساً واحدة وانتهك حرمتها فهو مثل من قتل الناس جميعا، الجامع لأحكام القرآن ١٦/٦

﴿رسلنا﴾ أبو عمرو[١] ﴿بالبينات﴾ بالآيات الواضحات ﴿ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك﴾ بعد ماكتبنا عليهم، وبعد مجيء الرسل بالآيات، ﴿في الأرض لمسرفون﴾ في القتل، لايبالون بعظمته ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ أي أولياء الله، في الحديث يقول الله تعالى: (من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة)[٢]﴿يسعون في الأرض فسادا﴾ مفسدين، ويجوز أن يكون مفعولا له، أي للفساد، وخبر جزاء ﴿أن يقتلوا﴾ وما عطف عليه، وأفاد التشديد الواحد بعد الواحد[٣] ومعناه: أن يقتلوا من غير صلب، إن أفردوا القتل ﴿أو يصلبوا﴾ مع القتل، إن جمعوا بين القتل وأخذ المال ﴿أو تقطع أيديهم وأرجلهم﴾ إن أخذوا المال ﴿من خلاف﴾ حال من الأيدي، والأرجل، أي: مختلفة ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ بالحبس إذا لم يزيدوا على الإخافة ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿لهم خزي في الدنيا﴾ ذل، وفضيحة ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾ فتسقط عنهم هذه الحدود، لا ماهو حق العباد ﴿فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ يغفر لهم بالتوبة، ويرحمهم فلا يعذبهم، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ فلا تؤذوا عباد الله ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ هي: كل ما يتوسل به، أي: يتقرب من قرابة أو صنيعة، أو غير ذلك، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله — تعالى- من فعل الطاعات، وترك/ السيئات ﴿وجاهدوا في سبيله لعلكم ١٥٠/ب
تفلحون إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا﴾ من صنوف الأموال ﴿ومثله معه﴾ وأنفقوها ﴿ليفتدوا به﴾ ليجعلوه فدية لأنفسهم، ولو مع ما في حيزه

---

[١] النشر في القراءات العشر ٢/٢١٤ و ٢١٦

[٢] حديث قدسي اخرجه الامام البخاري ٨/٤٨٢ كتاب الرقاق، باب: التواضع عن أبي هريرة — رضي الله عنه — بلفظ: (من عادى لي وليا ....) ط١/١٤٠٧هـ دار القلم. أما اللفظ (من أهان لي ...) فقد ذكره الزبيدى في اتحاف السادة ٨/١٠٢/٤٧٧ العلل المتناهية لابن الجوزي ١/٣٢؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة ١٦٤٠

[٣] انظر اعراب القرآن للعكبرى ١/١٤ ؛ الدرالمصون ٢/٥١٦

خبر (إن) ووحد الراجع في ﴿ليفتدوا به﴾ وقد ذكر شيئان لأنه أجري الضمير مجرى اسم الإشارة،كأنه قيل: ليفتدوا بذلك[1] ﴿من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم﴾ فلا سبيل لهم إلى النجاة [بوجه][2].

﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ(٣٧) وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٣٨) فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٣٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٤٠).

﴿يريدون﴾ يطلبون أو يتمنون ﴿أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾ دائم ﴿والسارق والسارقة﴾ ارتفعا بالابتداء، والخبر محذوف، تقديره: وفيما يتلى عليكم السارق، والسارقة، [أو الخبر][3] ﴿فاقطعوا أيديهما﴾ أي: يديهما، والمراد: اليمينان بدليل قراءة عبد الله[4] ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لأن المعنى: والذي سرق، والتي سرقت فاقطعوا أيديهما، والاسم الموصول يضمن معنى الشرط، وبدأ بالرجل لأن السرقة من الجرأة، وهي في الرجال أكثر، وأخر الزاني لأن الزنا ينبعث من الشهوة، وهي في النساء أوفر، وقطعت اليد لأنها آلة السرقة، و لم تقطع آلة الزنا، تفادياً عن قطع النسل ﴿جزاء بما كسبا﴾ مفعول له

---

(١) انظر التفسير الكبير ١٧٤/١١ ؛ الدرالمصون ٥١٩/٢

(٢) ساقطة من [ز].

(٣) اعراب القرآن للعكبري ٢١٥/١؛ الدرالمصون ٥٢٠/٢ – ٥٢١، ومابين المعقوفتين محذوف من [ز].

(٤) انظر تفسير الخازن ٢٦٤/٢؛ الدرالمصون ٥٢٣/٢

﴿نكالا من الله﴾ أي: عقوبة منه، وهو بدل من جزاء[1]﴿والله عزيـــز﴾ غـــالب لا يعارض في حكمه ﴿حكيم﴾ فيما حكم من قطع يد السارق، والســـارقة ﴿فمـــن تاب﴾ من السراق ﴿من بعد ظلمه﴾ سرقته ﴿وأصلح﴾ برد المســـروق ﴿فـــإن الله يتوب عليه﴾ يقبل توبته ﴿إن الله غفور رحيم﴾ يغفر ذنبه، ويرحمه ﴿ألم تعلم﴾ يـــا محمد، أو يا مخاطب ﴿أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشـــاء﴾ مـــن مات على الكفر ﴿ويغفر لمن يشاء﴾ [لمن][2]تاب عن الكفر ﴿والله على كل شيء﴾ [من التعذيب][3]والمغفرة، وغيرهما ﴿قدير﴾ قادر، وقدم التعذيب على المغفرة هنـــا لتقدم السرقة على التوبة.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّـٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٌۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ سَمَّـٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـًٔاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ

---

[1] التبيان في اعراب القرآن للعكبرى ١/٣٢٧ ؛ الدرالمصون ٢/٥٢٤ – ٥٢٥

[2] في [ز] من.

[3] في [ز] من العذاب.

فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٤٣).

﴿يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ أي: لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر، أي: في إظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام، ومن موالاة المشركين، فإني ناصرك عليهم، وكافيك شرهم يقال: أسرع فيه الشيب، أي: وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر، وقوعهم فيه أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها﴿من الذين قالوا﴾ تبيين لقوله: ﴿الذين يسارعون في الكفر﴾ ﴿آمنا﴾ مفعول قالوا ﴿بأفواههم﴾ متعلق بقالوا أي: قالوا بأفواههم آمنا ﴿ولم تؤمن قلوبهم﴾ في محل النصب على الحال ﴿ومن الذين هادو﴾ معطوف على "من الذين قالوا" / أي: من المنافقين، واليهود، ويرتفع ﴿سماعون للكذب﴾ على أنه خبر مبتدأ ١٥١/أ
[مضمر،][1] أي: هم سماعون، والضمير للفريقين أو: سماعون مبتدأ، وخبره ﴿من الذين هادوا﴾ وعلى هذا يوقف على ﴿قلوبهم﴾، وعلى الأول على ﴿هادوا﴾ ومعنى: ﴿سماعون للكذب﴾يسمعون منك ليكذبوا عليك بأن يمسخوا ما سمعوا منك بالزيادة، والنقصان، والتبديل، والتغيير ﴿سماعون لقوم آخرين لم يأتوك﴾ أي: سماعون منك، لأجل قوم آخرين من اليهود، وجههم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منك ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ أي: يزيلونه، ويميلونه، عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع، بعد أن كان ذا مواضع، "يحرفون" صفة لقوم، كقوله "لم يأتوك،" أو خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم يحرفون، والضمير مردود على لفظ الكلمة "يقولون إن اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه و "يقولون" مثل "يحرفون" وجاز أن يكون حالا من الضمير[2] في ﴿يحرفون ﴾ ﴿فخذوه﴾ واعلموا أنه الحق، واعملوا به ﴿وإن لم تؤتوه﴾ وأفتاكم محمد بخلافه ﴿فاحذروا﴾ فإياكم وإياه فهو الباطل.

---

(1) في [ز] محذوف.

(2) انظر التبيان في اعراب القرآن للعكبري ١/٢١٥؛ الدرالمصون ٢/٥٢٠-٥٢١

روي أن شريفا زنى بشريفة بخيبر وهما محصنان، وحدهما: الرجــم في التــوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما، فبعثوا رهطا منهم ليسألوا رسول الله عــن ذلــك، وقالوا: إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا، وإن أمركم بالرجم فــلا تقبلــوا، فأمرهم بالرجم، فأبوا أن يأخذوا به[1]﴿ومن يرد الله فتنة﴾ ضلاله، وهو حجــة على من يقول يريد الله الإيمان، ولا يريد الكفر[2] ﴿فلن تملك له من الله شيئـا﴾ قطع رجاء محمد - ﷺ - عن إيمان هؤلاء ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطـهر قلوبهم﴾ عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر، وهو حجة لنا عليهم -أيضا-﴿لهم في الدنيا خزي﴾ للمنافق فضيحة، ولليهود جزية ﴿ولهم في الآخــرة عــذاب عظيم﴾ أي: التخليد في النار ﴿سماعون للكذب﴾ كــرر للتــأكيد، أي: هــم سماعون، ومثله ﴿أكالون للسحت﴾ وهو كل ما لايحل كسـبه، وهــو مــن سحته إذا استأصله، لأنه مسحوت الــبركة،[3]وفي الحديث: "هو الرشــوة في الحكم"[4] وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام، وتحليل الحرام. وبالتثقيل مكـي،

---

(1) اخرجه الامام مسلم في صحيحه ١٣٢٧/٣ كتاب الحدود، باب: رجم اليهود، أهل الذمة في الزنا، عن البراء – رضي الله عنه – رقم الحديث [١٧٠٠] ط دار احياء الكتب العربية تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي رقــم [١٨٦] وانظر أسباب النــزول للواحدي ص ١٩٧ – ١٩٨، تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ٣٩٦/١-٣٩٨

(2) القدرية يقولون: إن الله تعالى أراد الايمان من الناس كلهم، والكافر أراد الكفر، ولا شك أن زعمهم هذا مردود لمخالفته الكتاب والسنة والعقل، فهو سبحانه وتعالى قدر المعاصي ولكنه لايحبها ولايرضاها لهم، كما قال تعـالى: (ولا يرضى لعباده الكفر) الزمر رقم الآية [٧].

والمحققون من أهل السنة والجماعة يقولون: إن الارادة في كتاب الله عزوجل نوعان: ١- إرادة قدرية كونية و ٢- إرادة دينية شرعية، فالكونية: هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات كقوله تعالى: (فمن يرد الله أن يهديه يشــرح صدره للاسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ...) الأنعام رقــم الآيــة [١٢٥] وكما قال الله تعالى حكاية عن نبيه نوح – عليه السلام – في هذه الآية الكريمة، والله المســتعان، انظــر شرح العقيدة الطحاوية من ص ٥٥ – ٥٩

(3) انظر اعراب القرآن للعكبرى ٢١٦/١؛ الدرالمصون ٥٢٧/٢؛ تفسير ابن عطية ٤٤٧/٤ ومابعدها.

(4) هذا الأثر ذكره ابن جرير في تفسيره ٣٢٣/١٠، تحقيق/ محمود شاكر وأحمد شاكر بلفظ: (كل لحــم أنبتــه السحت فالنار أولى به، قيل يارسول الله وما السحت ؟ قال: الرشوة في الحكم). وهو مروى عن عمر بن حمزة بن

وبصرى،[1]﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ قيل: كان رسول الله - ﷺ - مخيرا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم، وبين أن لايحكم، وقيل: نسخ التخيير[2]بقوله:﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ ﴿وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا﴾ / فلن يقدروا على الإضرار بك، لأن الله تعالى يعصمك من الناس ١٥١/ب
﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾ بالعدل ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ العادلين ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾ تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به، وبكتابه، مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الإيمان به. ﴿فيها حكم الله﴾حال من التوراة، وهي مبتدأ وخبره: عندهم [﴿ثم يتولون من بعد ذلك﴾ عطف على "يحكمونك"[3]أي: ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به][4]﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ بك [أو بكتابهم][5] كما يدعون.

عبدالله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهم – لذا فهو مرسل – إلا أن الامام السيوطي – يرحمه الله – حكاه في الدرالمنثور ٨١/٣ ط١٤٠٣/١ دارالفكر، وعزاه لعبد بن حميد وابن مردويه مرفوعا من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما.

[1] انظر السبعة ص ٢٤٣؛ وفي [ز و ق] وعلى.

[2] هل الآية منسوخة أم محكمة ؟ رجح أكثر العلماء أن الآية محكمة وليست منسوخة

قال الامام الطبرى – يرحمه الله – وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: إن حكم هذه الآية ثابت لم ينسخ، وأن للحكام من الخيار .... مثل الذي جعله الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – تفسير الطبري ٣٣٣/١٠ تحقيق.

وقال ابن عطية: وقال كثير من العلماء: هي محكمة، وتخيير الحكام باق، وهو الأظهر إن شاء الله، تفسير ابن عطية ٤٥١/٤ وبذلك قال ابن الجوزي ثم قال: وهو الصحيح .... انظر تفسير زاد المسير ٣٦١/٢ - ٣٦٢

[3] انظر اعراب القرآن للنحاس ٢١/٢-٢٢؛ اعراب القرآن للعكبري ٢١٦/١؛ الدرالمصون ٥٢٧/٢-٥٢٩

[4] ساقطة من [ق].

[5] في [ز و ق] أو بكتابك.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ (٤٤) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٤٥) ﴾.

﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى﴾ يهدى للحق ونور يبين مااستبهم من الأحكام، ﴿يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾ انقادوا لحكم الله في التوراة، وهو صفة أجريت للنبيين على سبيل المدح، وأريد بإجرائها التعريض باليهود، لأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم ﴿للذين هادوا﴾ تابوا من الكفر، واللام [معلق][1] بيحكم ﴿والربانيون والأحبار﴾ معطوفان على[2] ﴿النبيون﴾ أي: الزهاد، والعلماء ﴿بما استحفظوا﴾ استودعوا، قيل: ويجوز: أن يكون بدلا من بها في ﴿يحكم بها﴾ ﴿من كتاب الله﴾ ﴿من﴾ للتبيين والضمير[3] في ﴿استحفظوا﴾ للأنبياء، والربانيين، والأحبار، جميعا والاستحفاظ من الله: أي كلفهم الله حفظه أو للربانيين، والأحبار، والاستحفاظ من الأنبياء ﴿وكانوا عليه شهداء﴾ رقباء لئلا يبدل

---

(١) في [ز و ق] تتعلق.

(٢) انظر اعراب القرآن للنحاس ٢/٢١-٢٢؛ اعراب القرآن للعكبري ١/٢١٦؛ الدرالمصون ٢/٥٢٧-٥٢٩

(٣) انظر اعراب القرآن للنحاس ٢/٢١-٢٢؛ اعراب القرآن للعكبري ١/٢١٦؛ الدرالمصون ٢/٥٢٧-٥٢٩

﴿فلا تخشوا الناس﴾ نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم، [وإمضائها][(1)] على خلاف ما أمروا به من العدل، لخشية سلطان ظـــالم أو خيفـــة أذيـــة أحـــد ﴿واخشون﴾ في مخالفة أمري، وبالياء فيهما[(2)] سهل، وافقه أبو عمرو، في الوصـــل ﴿ولا تشتروا بآياتي﴾ ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه ﴿ثمنا قليلا﴾ وهو الرشـــوة، وابتغاء الجاه، ورضا الناس ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ [مستهينابه][(3)] ﴿فـــأولئك هم الكافرون﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - من لم يحكم جاحدا فهو كافر، وإن لم يكن جاحدا فهو فاسق ظالم[(4)]وقال ابن مسعود:- رضي الله عنه- هو عـــام في اليهود وغيرهم.[(5)]﴿وكتبنا عليهم فيها﴾ وفرضنا على ا ليـــهود في التـــوراة ﴿أن النفس﴾ مأخوذة ﴿بالنفس﴾ مقتولة بها إذا قتلتها بغير حـــق ﴿والعـــين﴾ مفقـــوأة ﴿بالعين والأنف﴾ مجدوع ﴿بالأنف والأذن﴾ مقطوعة ﴿بالأذن والسن﴾ مقلوعـــة ﴿بالسن والجروح قصاص﴾ أي: ذات قصاص وهو المقاصة، ومعناه: ما يمكن فيـــه القصاص، وإلا فحكومة عدل، وعن ابن عبـــاس رضي الله عنهما/ [كـــانوا][(6)]لا ١٥٢/أ
يقتلون الرجل بالمرأة، فنـــزلت،[(7)]وقوله:﴿أن النفس بالنفس﴾ يدل على أن المســـلم

---

(1) في [ز] وإمضائهم.

(2) أي: في حال الوقف والوصل، انظر السبعة ص ٢٤٣ – ٢٤٤، والنشر في القراءات العشر ٢/٢٥٦

(3) في [ز] مستهزئا به.

(4) تفسير الطبرى ١٠/٣٥٧ تحقيق.

(5) المراجع السابقة.

(6) ساقطة من [ز].

(7) تفسير البحر المحيط ٣/٥٠٧

يقتل بالذمي، والرجل بالمرأة، والحر بالعبد، نصب نافع، وعاصم، وحمزة المعطوفـات كلها للعطف على ما عملت فيه أن. ورفعها علي للعطف[١] على محل ﴿أن النفس﴾ لأن المعنى: وكتبنا عليهم النفس بالنفس إجراء لكتبنا مجرى قلنا، ونصب البـــاقون: الكل ورفعوا الجروح. والأذن بسكون الذال حيث كان، نافع، والباقون بضمـــها[٢] وهما لغتان كالسحت والسحت ﴿فمن تصدق﴾ من أصحاب الحق ﴿به﴾ بالقصاص وعفا عنه ﴿فهو كفارة له﴾ فالتصدق به كفارة للمتصدق بإحســانه، قـــال عليــه السلام: (من تصدق بدم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أمه)[٣]﴿ومـــــن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ بالامتناع عن ذلك.

---

[١] اعراب القرآن للعكبرى ١/٢١٦؛ الدرالمصون ٢/ ٥٢٩ ومابعدها.

[٢] اعراب القرآن للعكبرى ١/٢١٦؛ الدرالمصون ٢/ ٥٢٩ ومابعدها.

[٣] ذكر نحوه الامام الطبرى في تفسيره ١٠/٣٦٨ تحقيق؛ وحكاه الامام السيوطي في الدرالمنثـــور ٣/٩٢ وعـــزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن مردويه عن عدى بن ثابت: أن رجلا هتم فم رجل على عهد معاوية فأعطـــاه دية فأبى إلا أن يقتص، فأعطاه ديتين فأبى، فأعطى ثلاثا، فحدث رجل من أصحاب رسول الله صلـــى الله عليـــه وسلم – قال: (من تصدق بدم فما دونه فهو كفارة له من يوم ولد إلى يوم يموت) ولفظ ابن جرير: (.... مـــن يوم تصدق إلى يوم ولد) وزاد: قال: فتصدق الرجل. ولعل الصواب: (من يوم ولد إلى يوم تصدق) لأن ذلك هو الأصح لفظا ومعنى، والأثر ضعيف بهذا الاسناد لأن فيه: عمر بن ظبيان الحنفي، وقد ضعفه أهل العلـــم، انظـــر حاشية تفسير الطبرى المحقق ١٠/٣٦٨

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (٤٧)

﴿وقفينا﴾ [معنى][1] قفيت الشيء بالشيء، جعلته في أثره، كأنه جعل في قفاه يقال: قفاه يقفوه إذا تبعه[2] ﴿على آثارهم﴾ على آثار النبيين الذين أسلموا ﴿بعيسى ابن مريم مصدقا﴾ هو حال[3] من عيسى ﴿لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لمابين يديه من التوراة﴾ أي: وآتيناه الإنجيل ثابتا فيه هدى ونور ومصدقا، فنصب مصدقا [بالعطف على ثابتا الذى تعلق به][4] فيه، وقام مقامه فيه، وارتفع هدى ونور، بثابتا الذين قام مقامه فيه ﴿وهدى وموعظة﴾ انتصبا على الحال،[5] أي: هاديا وواعظا ﴿للمتقين﴾ لأنهم ينتفعون به، ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ وقلنا لهم: احكموا بموجبه فاللام لام الأمر، وأصله: الكسر وإنما سكن استثقالا لفتحة وكسرة وفتحة. وليحكم بكسر اللام، وفتح الميم حمزة، على أنها لام كي، أي: وقفينا ليؤمنوا وليحكم[6] ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن الطاعة، قال

---

(1) في [ز] من.

(2) اللسان ١٥/١٩٤ مادة: قفف ؛ وانظر الدرالمصون ١/٤٦٤ و ٢/٥٣٣

(3) انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢١٧ ؛ الدرالمصون ٢/٥٣٤-٥٣٦

(4) في [ز] مصدقا على الثابت الذي تعلق فيه.

(5) انظر اعراب القرآن للغكبري ١/٢١٧ ؛ الدرالمصون ٢/٥٣٤-٥٣٦

(6) انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢١٧ ؛ الدرالمصون ٢/٥٣٤-٥٣٦

الشيـــخ أبو منصور[1] -رحمه الله – يجوز: أن يحمل على الجحود في الثلاث، فيكون كافرا ظالما فاسقا، لأن الفاسق المطلق، والظالم المطلق، هو الكافر، وقيل: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ فهو كافر بنعمة الله، ظالم في حكمه، فاســـق في فعله.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(٤٨) وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ(٤٩) أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٥٠).

﴿وأنزلنا إليك الكتاب﴾ أي: القرآن فحرف التعريف فيه للعـــــهد ﴿بـــالحق﴾ بسبب الحق وإثباته، وتبيين الصواب من الخطأ (مصدقاً) حال مــــن الكتـــاب لمـــابين يديه لما يقدمه نزولاً وإنما قيل لماقبل الشيء هو بين يديه لأن ما تـــأخر عنه يكون وراءه، وخلفه، فما تقدم عليه يكون قدامه، وبـــين يديـــه ﴿مـــن الكتاب﴾المراد به: جنس الكتب المنـــزلة لأن القرآن مصدق لجميع كتب الله، فكان حرف التعريف فيه للجنس، ومعنى تصديقه الكتب: موافقتها في التوحيد / والعبادة، ١٥٢/ب

---

[1] هو الماتريدي وقد تقدمت ترجمته ص ٣٠

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحـــي إليــه أنــه لا إلــه إلا أنـــا فاعبدون﴾[1] ﴿ومهيمنا عليه﴾ وشاهدا، لأنه يشهد لـــه بالصحـــة، والثبـات ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾ أي: بما في القرآن ﴿ولا تتبع أهواءهم عما جـاءك من الحق﴾ نهى أن يحكم بما حرفوه، وبدلوه، اعتمادا على قولهم، ضمن ولا تتبع معنى، ولا تنحرف فلذا عدي بعن، فكأنه قيل: ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا أهواءهم أو التقدير: عادلا عما جاءك ﴿لكل جعلنا منكم﴾ أيها النـــاس ﴿شرعة﴾ شريعة ﴿ومنهاجا﴾ وطريقا واضحا، واستدل به من قال: إن شـريعة من قبلنا لا تلزمنا[2] ذكر الله إنزال التوراة على موسى عليه الســـلام ثم إنـزال الإنجيل على عيسى – عليه السلام – ثم إنزال القرآن على محمد- ﷺ - وبـين أنه ليس للسماع فحسب، بل للحكم به، فقال في الأول :﴿يحكم به النبيـــون﴾ وفي ا لثاني: ﴿وليحكم أهل الإنجيل﴾ وفي الثالث ﴿فاحكم بينهم بما أنــزل الله﴾

---

[1] سورة الأنبياء رقم الآية [٢٥].

[2] وفي هذا كلام طويل لأهل الأصول حول: هل شرع من قبلنا شرع لنا أم لا ؟

فقال بعضهم: شرع من قبلنا لا يلزمنا، إذ لكل نبي شريعة على حدة تنتهى بوفاته.

وقال بعضهم: كل شريعة ثبت لنبي فهي باقية في حق كل نبي إلى قيام الساعة مالم يثبت الانتساخ، فعلى هذا يلزمنا شريعة من قبلنا إلا ماثبت نسخه بكتابنا، وبوحي ثبت في حق رسولنا – صلى الله عليه وسلم –

وقال بعضهم: لا يلزمه إلا اتباع شريعة ابراهيم – عليه السلام –.

وقال الشيخ أبومنصور الماتريدي واصحابه: إن ماعرف بقاؤه من شريعة من قبلنا بكتابنا أو بقول رسولنا – صلى الله عليه وسلم – ولم يثبت انتساخه يصير شريعة لرسولنا – صلى الله عليه وسلم – فيلزمه ويلزمنا .... انظـــر ميزان الأصول في نتائج العقول (المختصر) ص ٤٦٨ ومابعدها للامام أبي بكر السمرقندى، تحقيق د/ محمد زكـى ط ١ / ١٤٠٤ – قطر.

والقول المتفق عليه في هذه المسألة: هو أن شرع من قبلنا إن ورد مايدل على إقراره فهو شرع لنا، وإن ورد مايدل على نسخه فليس شرعا لنا بالاتفاق. أما إن سكت شرعنا عن اقراره ونسخه، فقد اختلف الفقـــهاء في ذلـك، فذهب الحنفية والمالكية والحنابلة إلى أنه شرع لنا، وقال الشافعية في القول الأصح عندهم: إن شرع من قبلنا ليس شرعنا وإن ورد في شرعنا مايقرره ... انظر الموسوعة الفقهية ١٧/٢٦ – ١٩ اصدار وزارة الأوقاف... الكويت ط١/١٤١٢

﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ جماعة متفقة على شريعة واحدة ﴿ولكـن﴾ أراد ﴿ليبلوكم﴾ ليعاملكم معاملة المختبر ﴿فيماآتاكم﴾ من الشرائع المختلفـة فتعبد كل أمة بما اقتضته الحكمة ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ فابتدروها وتسابقوا نحوها قبل الفوات بالوفاة. والمراد بالخيرات: كل مـا أمـر الله تعـالى بـه ﴿إلى الله مرجعكم﴾ استئناف في معنى التعليل [لاستباق][1]الخيرات ﴿جميعا﴾ حال مـن الضمير المجرور، والعامل المصدر المضاف لأنه في تقدير: إليه ترجعون[2]﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم، وعاملكم ومفرطكم، في العمل ﴿وأن احكـم﴾ معطـوف علـى ﴿بالحق﴾ أي: وأنزلنا إليك الكتاب بالحق، وبأن احكم ﴿بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك﴾ أن يصرفوك، وهو مفعول له[3]أي: مخافـة أن يفتنوك، وإنما حذره وهو مأمون لقطع أطماع القوم ﴿عن بعض ما أنـزل الله إليك فإن تولوا﴾ عن الحكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره ﴿فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾ أي: بذنب التولي عن حكـم الله، وإرادة خلافـه، فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك، وهذا الإبهام لتعظيم التولي، وفيـه تعظيـم الذنوب، فإن بعضها مهلك فكيف بكلها ﴿وإن كثيراً من الناس لفاسـقون﴾ لخارجون عن أمـر الله ﴿أفحـكم الجاهليـة يبغـون﴾ يطلبـون، وبالتـاء شامي[4]،يخاطب بني النضير في تفاضلهم على بني قريظة، وقد قال لهم رسـول الله- ﷺ-: القتلى بَـواء[5] فقـال بنـو النضـير: نحـن لا نرضـى بذلـك

---

[1] في [ز و ق] لاستئناف.

[2] انظر اعراب القرآن ٢١٧/١ ؛ تفسير البحر المحيط ٥١٠/٣ ومابعده ؛ الدرالمصون ٥٣٦/٢ ومابعدها.

[3] انظر اعراب القرآن ٢١٧/١ ؛ تفسير البحر المحيط ٥١٠/٣ ومابعده ؛ الدرالمصون ٥٣٦/٢ ومابعدها.

[4] انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٤؛ وتفسير البحر المحيط ٥١٦/٣

[5] بواء: يعنى سواء، انظر القاموس المحيط باب: الهمزة فصل الباء.

فنـزلت[١]. وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هـذه الآية[٢] وناصب أفحكم: يبغون، ﴿ومن أحسن﴾ مبتدأ[٣] وخبر، وهو استفهام في معنى النفي، أي: لا أحد أحسن / ﴿من الله حكما﴾ هو تمييز، واللام في: ﴿لقوم يوقنون﴾ للبيان[٤] كاللام في "هيت لك" أي: هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون، فإنهم هم الذين [يتبينون][٥] أن لا أعدل من الله، ولا أحسن حكما منه، وقال أبو علي[٦] معنى لقوم عند قوم لأن اللام، وعند يتقاربان في المعنى،[٧] ونزل نهيا عن موالاة أعداء [الدين][٨]. ١٥٣/أ

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَـآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَـآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٥١) فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

---

(١) انظر التفسير الكبير ١٢/١٤؛ الدرالمنثور ٣/٩٧، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد، وتفسير الخـازن ٢/٢٨٢؛ وروح المعاني للألوسي ٦/١٥٦، ط ٤/١٤٠٥ إدارة الطباعة المنبرية.

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ بن كثير ٢/٦٣، ط١/١٤١٧ دار إحياء التراث العربي.

(٣) انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢١٨؛ اعراب القرآن للنحاس ٢/٢٥؛ الدرالمصون ٢/٥٤٠ - ٥٤٣

(٤) انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢١٨؛ اعراب القرآن للنحاس ٢/٢٥؛ الدرالمصون ٢/٥٤٠ – ٥٤٣

(٥) في [ق] يتقينون.

(٦) لعله أبو علي الفارسي واسمه: عبدالملك بن محمد بن عبدالله بن محمد الفارسي مات سنة ٣٩١هـ السير ١١/١٣٥

(٧) انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢١٨؛ اعراب القرآن للنحاس ٢/٢٥؛ الدرالمصون ٢/٥٤٠ – ٥٤٣

(٨) في [ق] أعداء الله.

أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَـٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَـٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَـٰسِرِينَ ﴾(٥٣).

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ أي: لا تتخذوهم أولياء تنصروهم، وتستنصروهم، وتؤاخوهم، وتعاشروهم، معاشرة المؤمنين، ثم علل النهي بقوله: ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ وكلهم أعداء للمؤمنين، وفيه دليل على أن الكفر كله ملة واحدة ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ من جملتهم، وحكمه [حكمهم][1] وهذا تغليظ من الله، وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ نفاق ﴿يسارعون﴾ حال، أو مفعول ثان[2] لاحتمال أن يكون ﴿فترى﴾ من رؤية العين، أو القلب، ﴿فيهم﴾ في معاونتهم على المسلمين، وموالاتهم ﴿يقولون﴾ أي: في أنفسهم لقوله: ﴿على ما أسروا﴾ ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ أي: حادثة تدور بالحال التي يكونون عليها ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ لرسول الله- ﷺ - على أعدائه وإظهار المسلمين ﴿أو أمر من عنده﴾ أي: يؤمر النبي – عليه السلام –بإظهار إسرار المنافقين وقتلهم ﴿فيصبحوا﴾ أي: المنافقون ﴿على ما أسروا في أنفسهم﴾ من النفاق ﴿نادمين﴾ خبر[3] فيصبحوا، ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ أي: يقول بعضهم لبعض عند ذلك، ويقول: بصري عطفا على أن يأتي يقول بغير واو شامي، وحجازي،[4] على أنه جواب قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ ؟ فقيل:

---

[1] في [ق] وحكمه كحكمهم

[2] انظر اعراب القرآن للعكبري ٢١٨/١؛ اعراب القرآن للنحاس ٢٥/٢؛ الدرالمصون ٥٤٠/٢ - ٥٤٣

[3] المراجع السابقة.

[4] السبعة ص ٢٤٥ ؛ النشر ٢٥٤/٢ – ٢٥٥

يقول الذين آمنوا:﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكـــــم﴾ أي: أقسموا لكم بإغلاظ الأيمان أنهم أولياؤكم، ومعاضدوكم، على الكفار، وجـهد أيمانهم مصدر في تقدير الحال[1] أي: مجتهدين في توكيـــد أيمـانهم ﴿حبطـت أعمالهم﴾ ضاعت أعمالهم التي عملوها رياء، وسمعة، لا إيمانا، وعقيدة، وهذا من قول الله عز وجل، شهادة لهم بحبوط الأعمال، وتعجيبا مـــن ســوء حـالهم، ﴿فأصبحوا خاسرين﴾ في الدنيا، والعقبى، لفوات المعونة، ودوام العقوبة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ (٥٦) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (٥٧).

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ من يرجع منكـــم عـــن ديـــن الإســـلام م إلى ما كان عليه من الكفر، يرتدد مدني، وشامي[2] ﴿فسوف يـأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ يرضى عنهم أعمالهم، ويثني عليهم بهـــا، ويطيعونـــه، ويؤثرون رضاه، وفيه دليل نبوته – عليه السلام – حيث أخبر بما لم يكن فكـان. وإثبات خلافة الصديق، لأنه/ جاهد المرتدين، وفي صحة خلافته، خلافة عمر – ١٥٣/ب

[1] اعراب القرآن للعكبري ٢١٩/١ -؛ الدرالمصون ٥٤٦/٢

[2] انظر السبعة ص ٢٤٥؛ النشر ٢٥٥/٢

رضي الله عنهما- وسئل النبي - ﷺ - عنهم: فضرب على عاتق سلمان وقـال "هذا وذووه لو كان الإيمان معلقا بالثريا لنا له رجال من أبناء فارس"[١] والراجع من الجزاء إلى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف، معناه: فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ﴿أذلة﴾ جمع ذليل، وأما ذلول فجمعه ذلل، ومن زعم أنه من الذل الذي هو ضد الصعوبة فقد سهى، لأن ذلولا لا يجمع على أذلة قال الجوهري:[٢] الذل ضد العز ورجل ذليل بين الذل، وقوم أذلاء، وأذلة، والذل بالكسر:اللين وهـو ضد الصعوبة، يقال: دابة ذلول ودواب ذلل[٣]﴿علـى المؤمنـين﴾ ولم يقـل للمؤمنين لتضمن الذل معنى الحنو، والعطف، كأنه قيل: عاطفين عليهم علـى وجه التذلل، والتواضع ﴿أعزة على الكافرين﴾ أشداء عليهم، والعـزاز الأرض الصلبة، فهم مع المؤمنين كالولد لوالده، والعبد لسيده، ومع الكافرين، كالسـبع على فريسته، ﴿يجاهدون في سبيل الله﴾ يقاتلون الكفار وهو صفـة[٤] لقـوم كيحبهم، وأعزة، وأذلة ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ الواو يحتمل، أن تكون للحال،

---

(١) أخرجه الامام الترمذي في سننه ٦٠/٥ كتاب التفسير في تفسير سورة محمد — عليه الصلاة والسلام — عن أبي هريرة بلفظ: (قال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — يارسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله إن تولينا استبدلوا بنا، ثم لايكونوا أمثالنا ؟ قال: وكان سلمان بجنب رسول الله — صلى الله عليه وسـلم — قـال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان وقال: (هذا واصحابه، والذي نفسي بيده لو كان الإيمـان بالثريا لتناوله رجال من فارس) والحديث ... بهذا الاسناد. ضعيف لأن فيه عبدالله بن جعفر بن نجيح السـعدي، قال عنه الحافظ بن حجر: ضعيف، من الثامنة، يقال تغير حفظه بأخره، التقريب ص ٢٩٨ رقم الترجمة [٣٢٥٥].

(٢) هو: إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، أول من حاول الطيران، ومات في سبيله، لغوى من الأئمة، وخطه يذكر مع خط ابن مقلة، أشهر كتبه: الصحاح، وله كتاب في العروض، ومقدمة في النحو، أصله مـن فـاراب، ودخل العراق صغيرا وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان ثم أقام بنيسابور ...... صنع جنـاحين من خشب ثم ربطهما بحبل وطار، فسقط قتيلا، سنة ٣٩٣ أنباء الرواة ٢٢٩/١ — ٣٣ ترجمة رقم [١٢٢] الاعلام ٣١٣/١

(٣) انظر الصحاح للجوهرى ١٧٠١/٤ باب: اللام فصل الذال ط٢ القاهرة ١٤٠٢هـ على نفقة السيد الشربتلي.

(٤) انظر إعراب القرآن للعكبري ٢١٩/١ ؛ الدرالمصون ٥٤٩/٢

أي: يجاهدون، وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين، فإنهم كانوا موالين لليهود، فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود، فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم، وأما المؤمنون فمجاهدتهم، لله لا يخافون لومة لائم، وأن تكون للعطف، أي: من صفتهم المجاهدة في سبيل الله، وهم صلاب في دينهم، إذا شرعوا في أمر من أمور الدين، لا يزعهم لومة لائم، واللومة المرة من اللوم، وفيها وفي التنكير مبالغتان، كأنه قيل: لا يخافون شيئا قط، من لوم احد من اللوام[1]﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة، والذلة، والعزة، والمجاهدة، وانتفاء خوف اللومة، ﴿فضل ا لله يؤتيه من يشاء والله واسع﴾ كثير الفواضل ﴿عليم﴾ بمن هو من أهلها، عقب النهي عن موالاة من يجب معاداتهم، ذكر من يجب موالاتهم بقوله: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ وإنما يفيد اختصاصهم بالموالاة، ولم يجمع الولي، وإن كان المذكور جماعة، تنبيها على أن الولاية لله أصل، ولغيره تبع، ولو قيل: إنما أولياؤكم الله، ورسوله، والذين أمنوا، لم يكن في الكلام أصل وتبع. ومحل ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ الرفع على البدل من الذين آمنوا، أو على هم الذين، أو النصب على المدح[2]﴿ويؤتون الزكاة﴾ والواو في ﴿وهم راكعون﴾ للحال[3] أي: يؤتونها في حال ركوعهم، في الصلاة، قيل: إنها نزلت في علي – رضي الله عنه –حين سأله سائل وهو راكع في صلاته، فطرح له خاتمه، كأنه كان [مرجا][4] في خنصره،/ فلم يتكلف لخلعه كثير عمل ١٥٤/أ

(١) انظر اللسان ٥٥٢/١٢ ومابعدها. مادة: لوم ؛ الدرالمصون ٥٤٩/٢ – ٥٥٠ وفي [ق] من اللوم.

(٢) انظر اعراب القرآن للعكبري ٢١٩/١ ؛ اعراب القرآن للنحاس ٢٨/٢ ؛ الدرالمصون ٥٥٠/٢ – ٥٥١

(٣) المراجع السابقة.

(٤) فسرت في هامش الأصل: بقوله: متحركاً. قال ابن منظور: .... والمرج بالتحريك: مصدر قولك مرج الخاتم في إصبعي ... اللسان، مادة: مرج ٣٦٤/٢-٣٦٥

يفسد صلاته،[1]وورد بلفظ الجمع، وإن كان السبب فيه واحدا ترغيبا للناس في مثل فعله، لينالوا مثل ثوابه، والآية تدل على جواز الصدقة في الصلاة، وعلى أن الفعل القليل لا يفسد الصلاة ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا﴾ يتخذه وليا، أو يكن وليا ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾ من إقامة الظاهر مقام الضمير، أي: فإنهم هم الغالبون، أو المراد: بحزب الله، والرسول، والمؤمنون، أي: ومن يتولهم فقد تولى حزب الله، واعتضد بمن لا يغالب، وأصل الحزب: القوم يجتمعون لأمر حزبهم، أي: أصابهم[2]وروي أن رفاعة بن زيد، وسويد بن الحارث، قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً﴾ [3]يعني: اتخاذهم دينكم هزواً، ولعباً لا يصح، أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء، بل يقابل ذلك، بالبغضاء، والمنابذة ﴿من الذين أوتوا الكتاب﴾ من للبيان ﴿من قبلكم والكفار﴾ أي: المشركين، وهو عطف على الذين المنصوبة.[4]والكفار بصري،[5]وعلى، عطف الذين المجرورة، أي: من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم،

---

(1) ذكر الحافظ الزيلعي أن الحاكم أبوعبدالله رواه في كتابه: علوم الحديث من حديث عيسى بن عبدالله بن عبيدالله بن عمر بن علي بن أبي طالب، ثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ثم ذكر أن أبي حاتم ذكره في تفسيره عن سلمة بن كهيل ... ينظر تخريج الأحاديث والآثار ١/٤٠٩- ٤١٠ وانظر اسباب النزول للواحدي ص ٢٠١ – ٢٠٢ رقم [١٩٠].

(2) انظر اللسان ١/٣٠٨ مادة: حزب.

(3) ذكره ابن جرير ١٠/٤٢٩-٤٣٠ عن ابن عباس تحقيق، وحكاه السيوطي في الدر ٣/١٠٧ وعزاه لابن اسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وهو ضعيف الاسناد لأن فيه محمد بن أبي محمد مجهول. كما ذكر محقق الطبري في الهامش.

(4) إعراب القرآن للعكبري ١/٢٢٠ ؛ الدرالمصون ٢/٥٥٢

(5) السبعة ص ٢٤٥ ؛ تفسير البحر المحيط ٣/٥٢٦

ومن الكفار، ﴿أولياء واتقوا الله﴾ في موالاة الكفار ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ حقـــا، لأن الإيمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين.

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ﴿٦٠﴾.

﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها﴾ أي: الصلاة، أو المناداة ﴿هزوا ولعبا ذلـــك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ لأن لعبهم، وهزؤهم من أفعال السفهاء، والجهلة، فكأنـــه لا عقل لهم، وفيه دليل على ثبـــوت الأذان بنـــص الكتـــاب، لا بالمنـــام وحده[1] ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا ومـا أنزل من قبل﴾ يعني: هل تعيبون منا، وتنكرون إلا الإيمـــان بـــالله، وبـــالكتب المنـــزلة كلها ﴿وأن أكثركم فاسقون﴾ وهو معطوف على المجرور، أي: ومـــا تنقمون منا إلا الإيمان بالله، وبما أنزل، وبـــأن أكـــثركم فاســـقون، والمعـــنى: أعاديتمونا، لأنا اعتقدنا توحيد الله، وصدق أنبيائه، وفسقكم لمخالفتكم لنـــا في ذلك، ويجوز أن يكون الواو بمعنى: مع[2] أي: وما تنقمون [منا][3] إلا الإيمـــان بالله مع أنكم فاسقون، ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبـــة عنـــد الله﴾ أي: ثوابا، وهو نصب على التمييز[4] والمثوبة، وإن كانت مختصة بالإحسان، ولكنـــها

---

[1] وقد فصل فى هذا الموضوع الامام القرطبي—يرحمه الله—وذكر الأدلة، انظر الجامع لأحكام القرآن٦/٢٢٤-٢٣٣

[2] انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٢٠ ؛ اعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩

[3] في [ق] وهي ساقطة من الأصل.

[4] اعراب القرآن للعكبرى ١/٢٢٠؛ اعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩.

وضعت موضع العقوبة، كقوله: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ [1]وكـــان اليـــهود يزعمون أن المسلمين مستوجبون للعقوبة فقيل لهم ﴿من لعنه الله﴾ شر عقوبة في الحقيقة من أهل الإسلام في زعمكم، وذلك اشارة إلى المنقوم، أي: الايمان، أي: بشر مما نقمتم من ايماننا ثوابا، أي جزاء، ولابد من حذف مضاف قبله أو قبـــل
من / تقديره: بشر من أهل ذلك، أو دين،﴿من لعنه الله وغضب عليه وجعـــل ١٥٤/ب
منهم القردة﴾ يعني: أصحاب السبت،﴿والخنازير﴾ أي: كفار أهل مائدة عيسى – عليه السلام- أو كلا المسخين من أصحاب السبت فشبالهم مسخوا قـــردة، ومشايخهم مسخوا خنازير ﴿وعبد الطاغوت﴾ أي: العجل أو الشـــيطان، لأن عبادتهم العجل بتزيين الشيطان، وهو عطف على صلة (من)كأنه قيل: ومن عبد الطاغوت. وعبد الطاغوت حمزة، جعله اسما موضوعا للمبالغة، كقولهم: رجـــل حذر، وفطن، للبليغ في الحذر، والفطنة، وهو معطوف على القردة والخنـــازير[2] أي: جعل الله منهم عبد الطاغوت ﴿أولئك﴾ المسوخون الملعونـــون ﴿شـــر مكانا﴾ جعلت الشرارة للمكان، وهي لأهله للمبالغة ﴿وأضـــل عـــن ســـواء السبيل﴾ عن قصد الطريق الموصل إلى الجنة، ونزل في ناس من اليـــهود كـــانوا يدخلون على النبي – ﷺ – ويظهرون له الإيمان، نفاقا[3].

﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ(٦١)وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ(٦٢)لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ

[1] سورة التوبة رقم الآية [٣٤].

[2] انظر السبعة ص ٢٤٦ ؛ اعراب القرآن للعكبري ٢٢٠/١ ؛ تفسير البحر المحيط ٥٢٩/٣ – ٥٣٠

[3] منهم رفاعة بن زيد بن التابوت، وسويد بن الحارث ... ينظر فتح القدير ٥٩/٢ للإمام محمـــد بـــن علـــي الشوكاني المتوفى بصنعاء ١٢٥٠هـــ تحقيق وتخريج د/ عبدالرحمن عميرة. ط ظ الأولى ١٤١٥هـــ دارالوفاء.

﴿ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَصْنَعُونَ(٦٣)وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ
بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ
مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ
وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(٦٤).

﴿وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾ الباء للحال،[١] أي: دخلوا كافرين، وخرجوا كافرين، وتقديره: ملتبسين بالكفر، وكذلك قد دخلوا، وهم قد خرجوا، ولذا دخلت (قد) تقريبا للماضي من الحال، [وهو][٢] متعلق بـ(قالوا آمنا) أي: قالوا ذلك وهذه حالهم ﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ من النفاق ﴿وترى كثيرا منهم﴾ من اليهود ﴿يسارعون في الإثم﴾ الكذب ﴿والعدوان﴾ الظلم أو الاثم: مايختص بهم، والعدوان: مايتعداهم إلى غيرهم والمسارعة في الشيء: الشروع فيه بسرعة ﴿وأكلهم السحت﴾ الحرام ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾ لبئس شيئا عملوه ﴿لولا﴾ هلا، وهو [تحضيض][٣] ﴿ينهاهم الربانيون، والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾ [هذا][٤] ذم للعلماء، والأول للعامة، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما– هي أشد آية في القرآن،[٥] حيث أنزل تارك النهي عن المنكر منزلة

---

[١] انظر اعراب القرآن للعكبري ٢٢١/١ ؛ الدرالمصون ٥٦٤/٢

[٢] في [ق] أوهو.

[٣] في [ق] وهو تخصيص.

[٤] في [ق] وهذا.

[٥] انظر تفسير الطبري ٤٤٩/١٠ تحقيق، تفسير البحر المحيط ٥٣٢/٣

مرتكب المنكر في الوعيد ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بمـا قالوا بل يداه مبسوطتان﴾ روي أن اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمدا – عليـه السلام –كف الله ما بسط عليهم من السعة، وكانوا من أكثر الناس مالا فعنـد ذلك قال فنحاص: يد الله مغلولة، ورضي بقوله الآخرون، فأشركوا فيه،[٦] وغل اليد، وبسطها مجاز عن البخل، والجود، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ [٧] ولا يقصد المتكلم به إثبات يـد، ولا غل، ولا بسط، حتى إنه [يستعمله][١] في ملك يعطي، ويمنع، بالإشارة من غير استعمال اليد، ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء، جزلا، لقالوا: ما أبسط يده بالنوال/ وقد استعمل حيث لا تصح اليد، يقال: بسط اليأس كفيه في صـدري، ١٥٥/أ
فجعل لليأس الذي هو من المعاني كفان،[٢] ومن لم ينظر في علم البيان يتحير في تأويل أمثال هذه الآية، وقوله: ﴿غلت أيديهم﴾ دعاء عليهم بالبخل، ومـن ثم كانوا أبخل خلق الله، أو تغل في جهنم، فهب كأنها غلت وإنما ثنيت اليد في ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ وهي مفردة في يد الله مغلولة، ليكون رد قولهم، وإنكـاره، أبلغ، وأدل على إثبات غاية السـخاء له، ونفي البخل عنه، [فغاية][٣] مايبذلـه السخي، أن يعطيه بيديه ﴿ينفق كيف يشاء﴾ تأكيد للوصف بالسخاء، ودلالـة على أنه لا ينفق إلا على مقتضى الحكمة ﴿وليزيدن كثيرا منهم﴾ من اليـهود ﴿ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا﴾ أي: يزدادون عنـد نـزول القـرآن

---

[٦] انظر تفسير البغوى ٢٧٧/٢ ط دار الفكر ١٤٠٥هـ ؛ تفسير البحرالمحيط ٥٣٣/٣؛ تفسير زاد المسير ٣٩٢/٢

[٧] سورة الاسراء رقم الآية [٢٩].

[١] في [ق] يستعمل.

[٢] انظر ذلك في تفسير الطبرى ٤٥٠/١٠ ومابعدها، تحقيق ، تفسير البحر المحيط ٥٣٥/٣ ومابعدها ؛ زاد المسير ٣٩٢/٢ ومن هذه التأويلات التي زل فيها لسان الإمام النسفي – يرحمه الله – ولو أبقى الآية كما هـي بـدون تأويل لكان أصوب. وقد سبق بيان هذا ص ٣٠-٣٤ عند الكلام على عقيدة الإمام النسفي – يرحمه الله –

[٣] في [ق] وغاية.

لحسدهم تماديا في الجحود، وكفرا بآيات الله، وهذا مـــن إضافـــة الفعـــل إلى السبب، كما قال: ﴿فزادهم رجسا إلى رجسهم﴾ [1] ﴿وألقينا بينـــهم العـــداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ فكلمهم أبدا مختلف، وقلوبهم شتى، لا يقـــع بينـــهم اتفاق، ولا تعاضد ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله﴾ كلما أرادوا محاربـــة أحد، غلبوا وقهروا، لم يقم لهم نصر من الله على أحد قط، وقد أتاهم الإســـلام وهم في ملك المجوس، وقيل: كلما حاربوا رسول الله - ﷺ - نصر عليهم، عـــن قتادة: [2] لاتلقى يهوديا في بلد إلا وقد وجدته من أذل النـــاس [3] ﴿ويســـعون في الأرض فسادا﴾ ويجتهدون في دفع الإســـلام، ومحو ذكر النبي - عليه السلام - من كتبهم، ﴿والله لا يحب المفسدين﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (٦٧).

﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا﴾ برسول الله -عليه السلام - وبما جاء به مع مـــا عددنا من سيئاتهم ﴿واتقوا﴾ أي: وقرنوا إيمانهم بـــالتقوي ﴿لكفرنـــا عنـــهم

---

[1] سورة التوبة رقم الآية [١٢٥].

[2] ابن دعامة السدوسي، ابوالخطاب، ثقة، ثبت، يقال: ولد أكمه، وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة مائة وبضع عشرة. التقريب [٤٥٣] ترجمة [٥٥١٨].

[3] انظر تفسير الطبري ١٠/٤٦٠ تحقيق ؛ تفسير البغوي ٢/٢٧٨

سيئاتهم﴾ و لم نؤاخذهم بها ﴿ولأدخلناهم جنات النعيم﴾ مع المسلمين ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل﴾ أي: أقاموا أحكامهما، وحدودهما، وما فيها من نعت رسول الله - ﷺ - ﴿وما أنزل إليهم من ربهم﴾ من سائر كتب الله، لأنهم مكلفون الإيمان بجميعها، فكأنها أنزلت إليهم، وقيل: هو القرآن، ﴿لأكلوا من فوقهم﴾ يعني: الثمار من فوق رءوسهم ﴿ومن تحت أرجلهم﴾ يعني: الزورع، أوهذه عبارة عن التوسعة، كقولهم: فلان في النعمة من قرنه إلى قدمه، ودلت الآية على أن العمل بطاعة الله سبب لسعة الرزق، وهو كقوله: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾[1]﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[2] ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾[3]الآيات ﴿والو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾[4]/﴿منهم أمة مقتصدة﴾ طائفة حالها أمم في عداوة رسول الله - عليه السلام — وقيل: هي الطائفة المؤمنة، عبد الله بن سلام، وأصحابه، وثمانية وأربعون من النصارى ﴿وكثير منهم ساء مايعملون﴾ فيه معنى التعجب، كأنه قيل: وكثير منهم ما أسوأ عملهم، وقيل: هم كعب بن الأشرف وأصحابه، وغيرهم ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ جميع ما أنزل إليك، وأي شيء أنزل إليك، غير مراقب في تبليغه أحدا، ولا خائف أن ينالك مكروه ﴿وإن ١٥٥/ب

(١) سورة الأعراف رقم الآية [٩٦].

(٢) سورة الطلاق رقم الآية [٢ – ٣].

(٣) سورة نوح عليه السلام رقم الآية [١٠].

(٤) سورة الجن رقم الآية [١٦].

لم تفعل﴾ وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك ﴿فما بلغت رسالتك﴾ رسالاته، مدني وشامي وأبو بكر[1] أي: فلم تبلغ إذا ما كلفت من أداء الرسالة، ولم تؤد منها شيئا قط، وذلك أن بعضها ليس بأولى بالأداء من بعض، فإذا لم تؤد بعضها [فكأنك][2] أغفلت أداءها جميعا، كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها، لكونها في حكم شيء واحد لدخولها تحت خطاب واحد، والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ، مؤمنا به غير مؤمن، قالت الملحدة: لعنهم الله - هذا كلام لا يفيد، وهو كقولك لغلامك: كل هذا الطعام، فإن لم تأكله فإنك ما أكلته، قلنا هذا أمر بتبليغ الرسالة في المستقبل أي: بلغ ما انزل إليك من ربك في المستقبل، وإن لم تفعل أي: إن لم تبلغ الرسالة في المستقبل فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا، أو بلغ ما أنزل إليك من ربك الآن، ولا تنتظر به كثرة الشوكة، والعدة، فإن لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ أصلا، أو بلغ ذلك غير خائف أحدا فإن لم تبلغ على هذا الوصف فكأنك لم تبلغ الرسالة أصلا ثم قال مشجعا له في التبليغ ﴿والله يعصمك من الناس﴾ يحفظك منهم قتلا، فلم يقدر عليه، وإن شج في وجهه يوم أحد، وكسرت رباعيته، أو أنزلت بعد ما أصابه ما أصابه، والناس: الكفار، بدليل قوله ﴿إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك.

---

[1] السبعة ص ٢٤٦؛ النشر ٢/٢٥٥

[2] ساقطة من [ق].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ (٦٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩) لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠) وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١) لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣).

﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء﴾ على دين يعتد به، حتى يسمي شيئا لبطلانه ﴿حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ يعني: القرآن، ﴿وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا﴾ إضافة زيادة الكفر، والطغيان إلى القرآن بطريق التسبيب ﴿فلا تأس على القوم الكافرين﴾ فلا تتأسف عليهم، فإن ضرر ذلك يعود إليهم لا إليك ﴿إن الذين آمنوا﴾ بألسنتهم، وهم المنافقون، ودل عليه قوله:/ ﴿لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم﴾ ﴿والذين هادوا ١٥٦/أ

والصابئون والنصارى﴾ قال سيبويه:[1] وجميع البصريين: ارتفع الصابئون بالابتداء، وخبره محذوف، والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها، وخبرها،[2] كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ﴿من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ والصابئون كذلك، أي: من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم، فقدمه وحذف الخبر كقوله:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب[3][4]

أي: فإني لغريب وقيار، كذلك ودلّ اللام على أنه خبر إن، ولا يرتفع بالعطف على محل إن، واسمها، لأن ذا لا يصح قبل الفراغ من الخبر، لا تقول: إن زيداً وعمرو منطلقان، وإنما يجوز: إن زيداً منطلق وعمرو، والصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ﴿إن الذين آمنوا﴾ إلى آخره، ولا محل لها كما لا محلّ للتي عطفت عليها،[5] وفائدة التقديم: التنبيه على أن الصابئين، وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالاً، وأشدهم غياً، يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان، فما الظن بغيرهم. ومحل من آمن الرفع على الابتداء، وخبره ﴿فلا خوف عليهم﴾ والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط، ثم الجملة، كما هي خبر إن والراجع إلى اسم إن محذوف تقديره: من آمن منهم[6] ﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ بالتوحيد ﴿وأرسلنا إليهم رسلاً﴾ ليقفوهم على ما يأتون، ويذرون في دينهم

---

[1] واسمه: عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ"سيبويه" يكنى أبا البشر وأبا الحسن، إمام النحاة وأول من بسط علم النحو توفي سنة ١٨٠هـ أنباء الرواه على أنباء النحاة تأليف: جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم ط . الأولى ١٤٠٦هـ ط دارالفكر.

[2] انظر اعراب القرآن للعكبري ٢٢١/١ ؛ الدر المصون ٥٧٢/٢ – ٥٧٣

[3] القائل هو: ضابىء بن الحارث البرجمي [٣٠هـ] مات في سجن أمير المؤمنين – عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وسجن لقتله صبيا بدابته ثم لمحاولته لقتل أمير المؤمنين. الأعلام ٣/ ٢١٢/٣

[4] قيّار: اسم رجل، وهو أيضاً اسم فرس. اللسان ١٢٥/٥ مادة: قير.

[5] المراجع السابقة.

[6] المراجع السابقة.

﴿كلما جاءهم رسول﴾ جملة شرطية[1] وقعت صفة ﴿لرسلا﴾ والراجع محذوف أي: رسول منهم ﴿بما لا تهوى أنفسهم﴾ بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق، لا التكليف، والعمل بالشرائع، وجواب الشرط محذوف دل عليه ﴿فريقا كذبوا وفريقا يقتلون﴾ كأنه قيل: كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه، وقوله ﴿فريقا كذبوا﴾ جواب مستأنف لقائل يقول: كيف فعلوا برسلهم ؟ وقال: يقتلون بلفظ المضارع، على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل، وتنبيها على أن القتل من شأنهم، وانتصب فريقا وفريقا على أنه مفعول ﴿كذبوا﴾ و﴿يقتلون﴾ وقيل: التكذيب مشترك بين اليهود، والنصارى، والقتل مختص باليهود، فهم قتلوا زكريا، ويحيى –عليهما السلام- ﴿وحسبوا ألا تكون﴾ ألا تكون حمزة، وعلي، وأبو عمرو،[2] على أن ان مخففة من الثقيلة، أصله: أنه لا تكون فخففت أن، وحذف ضمير/ الشأن، ونزل حسبانهم لقوته في صدورهم ١٥٦/ب منزلة العلم، فلذا دخل فعل الحسبان، على أن التي هي للتحقيق[3] ﴿فتنة﴾ بلاء وعذاب أي: وحسب بنو إسرائيل، أنهم لا يصيبهم من الله بقتل الأنبياء، وتكذيب الرسل، وسد مايشتمل عليه صلة أن، وأن من المسند والمسند إليه مسد مفعولي،[...][4] حسب ﴿فعموا وصموا﴾ فلم يعلموا بما رأوا، ولا بما سمعوا، أو فعموا عن الرشد، وصموا عن الوعظ ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ رزقهم التوبة ﴿ثم عموا وصموا كثير منهم﴾ هو بدل من الضمير، أي: الواو: وهو بدل البعض من الكل، أو هو خبر مبتدأ محذوف[5] أي: أولئك كثير منهم ﴿والله بصير

(1) انظر اعراب القرآن للعكبرى ٢٢٢/١ ؛ اعراب القرآن للنحاس ٣١/٢ – ٣٢؛ الدرالمصون ٥٧٥/٢ ومابعدها.

(2) قرأ البصريان وحمزة والكسائي وخلف برفع النون والباقون بنصبها، السبعة ٢٤٧؛ النشر ٢٥٥/٢

(3) انظر اعراب القرآن للعكبرى ٢٢٢/١ ؛ الدرالمصون ٥٧٨/٢ ومابعدها.

(4) في [ق] مفعولي علم حسب.

(5) انظر اعراب القرآن للعكبرى ٢٢٢/١ ؛ الدرالمصون ٥٧٨/٢ ومابعدها.

بمايعملون﴾ فيجازيهم بحسب أعمالهم. ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم﴾ لم يفرق عيسى — عليه السلام — بينه وبينهم، في أنه عبد مربوب، فيكون حجة على النصارى ﴿إنه من يشرك بالله﴾ في عبادته غير الله، ﴿فقد حرم الله عليه الجنة﴾ التي هي دار الموحدين، أي: حرمه دخولها ومنعه منه ﴿مأواه النار﴾ أي: مرجعه ﴿وما للظالمين﴾ أي: الكافرين ﴿من أنصار﴾ وهو كلام الله تعالى، أو من كلام عيسى — عليه السلام —﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ أي: ثالث ثلاثة آلهة، والإشكال: أنه تعالى قال في الآية الأولى ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ وقال في الثانية ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ والجواب: أن بعض النصارى كانوا يقولون: كان المسيح بعينه هو الله، لأنه الله ربما تجلى في بعض الأزمان في شخص، فتجلى في ذلك الوقت في شخص عيسى، ولهذا كان يظهر من شخص عيسى أفعال لا يقدر عليها إلا الله، وبعضهم ذهبوا إلى آلهة ثلاثة: الله، ومريم، والمسيح، وأنه ولد الله من مريم، [ومن في قوله:][1] ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾ للاستغراق،[2] أي: وما إله قط في الوجود، إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له، وهو الله وحده لا شريك له، وفي قوله: ﴿وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم﴾ للبيان، كالتي في ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾[3] ولم يقل ﴿ليمسنهم﴾ لأن في إقامة الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر، أو للتبعيض[4] أي: ليمسن الذين

---

(1) في [ق] وفي قوله.

(2) انظر اعراب القرآن للعكبرى ٢٢٣/١ ؛ الدرالمصون ٥٨٢/٢ — ٥٨٣

(3) سورة الحج رقم الآية [٣٠].

(4) اعراب القرآن للعكبرى ٢٢٣/١ ؛ الدرالمصون ٥٨٣/٢

بقوا على الكفر منهم، لأن كثيرا منهم تابوا عن النصرانية ﴿عذاب أليم﴾ نوع شديد الألم من العذاب.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (٧٦).

﴿أفلا يتوبون إلى الله / ويستغفرونه﴾ ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة ١٥٧/أ
عليهم بالكفر، وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه، وفيه تعجيب من إصرارهم ﴿والله غفور رحيم﴾ يغفر لهؤلاء إن تابوا، ولغيرهم ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول﴾ فيه نفي الألوهية عنه ﴿قد خلت من قبله الرسل﴾ صفة لرسول، أي: ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله وإبراؤه الأكمه، والأبرص، وإحياؤه الموتى، لم تكن منه، لأنه إله، بل الله أبرأ الأكمه، والأبرص، وأحيا الموتى على يده، كما أحيا العصا، وجعلها حية تسعى على يد موسى-عليه السلام- وخلقه من غير ذكر، كخلق آدم من غير ذكر، [وأنثى][1] ﴿وأمه صديقة﴾ أي: وما أمه -أيضا- إلا كبعض النساء المصدقات، للأنبياء، المؤمنات بهم، ووقع اسم الصديقة عليها، لقوله تعالى: ﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه﴾[2] ثم بعدهما عما نسب إليهما بقوله: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض، لم يكن إلا جسما

(1) في [ق] من غير ذكر ولا أنثى.
(2) سورة التحريم رقم الآية [١٢].

مركبا من لحم، وعظم، وعروق، وأعصاب، وغير ذلك، مما يدل علـــى أنـــه مصنوع [تالف][1]كغيره من الأجسام ﴿انظر كيف نبين لهـــم الآيـــات﴾ أي: الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم ﴿ثم انظر أنى يؤفكـــون﴾ كيـــف يصرفون عن استماع الحق، وتأمله بعد هذه البيان، وهذا تعجيب من الله تعـــالى في ذهابهم، عن الفرق بين الرب، والمربوب ﴿قل أتعبدون مـــن دون الله مـــا لا يملك لكم ضرا ولا نفعا﴾ هو عيسى - عليه السلام — أي: شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله، من البلايا، والمصائب في الأنفس، والأموال، ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به، من صحة الأبدان، والسعة، والخصب، ولأن كل ما يستطيعه البشر من المضار، والمنافع، فبتخليقه تعالى، فكأنه لا يملك منه شـــيئا وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية، حيث جعله لا يستطيع ضـــرا، ولا نفعا، وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شيء، لا يخرج مقدوره عن قدرتـــه ﴿والله هو السميع العليم﴾ متعلق بـــ(أتعبدون)[2] أي: أتشـــركون بـــالله، ولا تخشونه، وهو الذي يسمع ما تقولونه، ويعلم ما تعتقدونه.

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ(٧٧) لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ(٧٨) كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ(٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ

---

(١) في [ق] مؤلف.

(٢) انظر اعراب القرآن للعكبري ٢٢٣/١ ؛ اعراب القرآن للنحاس ٣٤/٢ ؛ الدرالمصون ٥٨٥/٢ - ٥٨٦

خَٰلِدُونَ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾﴿٨٣﴾.

﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ الغلو مجاوزة الحد، فغلو النصارى: رفعه فوق قدره، باستحقاق الألوهية، وغلو اليهود: وضعه عن استحقاق النبوة ﴿غير الحق﴾ صفة لمصدر محذوف،[1] أي: غلواً غير الحق يعني: غلوا باطلاً ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ أي: أسلافكم وأئمتكم الذين كانوا
١٥٧/ب على الضلال، قبل مبعث النبي ﷺ ﴿وأضلوا كثيراً﴾ ممن شايعهم ﴿وضلوا﴾ /لما بعث رسول الله ﷺ ﴿عن سواء السبيل﴾ حين كذبوه، وحسدوه، وبغوا عليه،﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم﴾ قيل: إن أهل أيلة[2] لما اعتدوا في السبت، قال داود: اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة، ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة، قال عيسى: اللهم عذب من كفر، بعدما أكل من المائدة، عذاباً لم تعذبه أحداً من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السبت، فأصبحوا خنازير، وكانوا خمسة آلاف رجل[3] ﴿ ذلك

(١) انظر اعراب القرآن للعكبري ٢٢٣/١ ؛ اعراب القرآن للنحاس ٣٤/٢ ؛ الدرالمصون ٥٨٥/٢ — ٥٨٦

(٢) هي: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام ... معجم البلدان للحموي ٢٣٢/١ .

(٣) انظر تفسير الطبرى ٤٩٠/١٠، تحقيق ؛ تفسير البغوي ٢٨٦/٢ ؛ تفسير البحر المحيط ٥٤٧/٣ — ٥٤٨

بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ ذلك اللعن بعصيانهم، واعتدائهم، [ثم][1]فسر المعصية، والاعتداء، بقوله: ﴿كانوا لا يتناهون﴾ لاينهى بعضهم بعضا ﴿عن منكر فعلوه﴾ عن قبيح فعلوه، ومعنى: وصف المنكر بفعلوه، ولا يكون النهي بعد الفعل، انهم لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه، [أو][2]عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر أرادوا فعله، أو المراد: لا ينتهون عن منكر فعلوه، بل يصرون عليه، يقال: تناهى عن الأمر، وانتهى عنه، إذا امتنع منه وتركه، ثم عجب من سوء فعلهم، مؤكدا لذلك بالقسم بقوله: ﴿لبئس ما كانوا يفعلون﴾ وفيه دليل على [أن ترك][3]النهي عن المنكر من العظائم، فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عنه ﴿ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا﴾ هم منافقو أهل الكتاب، كانوا يوالون المشركين، ويصافونهم ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم﴾ لبئس شيئا قدموه لأنفسهم، سخط الله عليهم، أي: موجب سخط الله ﴿وفي العذاب هم خالدون﴾ أي: في جهنم ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله﴾ إيمانا خالصا بلا نفاق ﴿والنبي﴾ أي: محمد ﷺ ﴿وما أنزل إليه﴾ يعني: القرآن ﴿ما اتخذوهم أولياء﴾ ما تخذوا المشركين أولياء يعني: أن موالاة المشركين تدل على نفاقهم ﴿ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾ متمردون في كفرهم، ونفاقهم، أو معناه: ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله، وبموسى، وما أنزل إليه، يعني: التوراة ما اتخذوا المشركين أولياء، كما لم يوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم خارجون عن دينهم، فلا دين لهم أصلا ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين أمنوا اليهود﴾ هو مفعول ثان[4]لتجدن. وعداوة تمييز ﴿والذين أشركوا﴾ عطف عليهم ﴿ولتجدن

---

[1] ساقطة من [ق].

[2] في [ق] وعن.

[3] في [ق] على ترك.

[4] انظر إعراب القرآن ١/٢٢٣ ؛ إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٦ ؛ الدرالمصون ٢/٥٩٠

أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ اللام تتعلق بعداوة، ومـودة.[1] وصف اليهود: بشبدة الشكيمة، والنصارى: بلين العريكة، وجعل اليهود قرنـاء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين، ونبه على تقدم قدمهم فيها، بتقديمهم علـى المشركين ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا﴾ أي: علماء / وعبـادا ﴿وأنهـم 158/أ
لايستكبرون﴾ علل سهولة مأخذ النصارى، وقرب مودتهم للمؤمنين، بأن منـهم قسيسين، ورهبانا، وأن فيهم تواضعا، واستكانة، واليهود على خلاف ذلـك، وفيه دليل على أن العلم أنفع شيء وأهداه إلى الخير، وإن كان علم القسيسـين، وكذا علم الآخرة، وإن كان في راهب، والبراءة من الكـبر، وإن كـانت في نصراني ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ وصفهم برقة القلوب، وأنهم يبكون عند استماع القرآن، كما روي عن النجاشي أنه قال لجعفر بن أبي طالب –رضي الله عنه – حين اجتمـع في مجلسه، المهاجرون إلى الحبشة، والمشركون، وهم يقرؤونه عليهم هل في كتابكم ذكر مريم، قال جعفر: فيه سورة تنسب إلى مريم، فقرأها إلى قوله ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾ وقرأ سورة طه، إلى قوله: ﴿هل أتاك حديـث موسـى﴾ فبكـى النجاشي، وكذا فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله -ﷺ- وهم سـبعون رجلا حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا،[2] ﴿تفيض من الدمع﴾ تمتلئ من الدمـع حتى تفيض لأن الفيض أن يمتلئ الإناء، أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبـه، فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء، أو قصـدت المبالغـة، في وصفهم بالبكاء، فجعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها، أي: تسيل مـن أجـل البكاء ﴿ومن﴾ في ﴿مما عرفوا﴾ لابتداء الغاية، على أن فيض الدمع ابتدأ، ونشأ

---

[1] المراجع السابقة.

[2] انظر أسباب النـزول للواحدي ص ٢٠٥ – ٢٠٧ وهو بدون اسناد ؛ تفسير الطبرى ٤٩٩/١٠ ومابعدهـا، عن ابن عباس وقريبا منه ص ٥٠٥ عن سعيد بن جبير.

من معرفة الحق، وكان من أجله ﴿ومن﴾ في ﴿من الحق﴾ لتبين الموصول، الـذي هو ما عرفوا، أو للتبعيض،[1] على أنهم عرفوا بعض الحق، فأبكاهم فكيـــف إذا عرفوا كله، وقرءوا القرآن، وأحاطوا بالسنة، ﴿يقولون﴾ حال من ضمير الفاعل في عرفوا[2] ﴿ربنا آمنا﴾ بمحمد - ﷺ - والمراد: إنشـــاء الإيمـــان، والدخـــول فيه، ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ مع أمة محمد — عليه السلام — الذين هم شـــهداء على سائر الأمم يوم القيامة ﴿لتكونوا شهداء على الناس ﴾[3] وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك.

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾﴿٨٨﴾.

﴿وما لنا لا نؤمن بالله﴾ إنكار، واستبعاد لانتفاء الإيمان، مع قيام موجبه، وهـــو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين، وقيل: لمـــا رجعـــوا إلى قومـــهم لاموهم، فأجابوهم بذلك، وما لنا مبتدأ وخبر، ﴿ولانؤمن﴾ حال[4] أي: غـــير مؤمنين كقولك: مالك قائما ﴿وما جاءنا﴾ وبما جاءنا ﴿من الحق﴾ يعني: محمدا

---

[1] اعراب القرآن للعكبري ٢٢٤/١ ؛ الدرالمصون ٥٩٣/٢

[2] المرجعين السابقين.

[3] سورة البقرة رقم الآية [١٤٣].

[4] اعراب القرآن للعكبرى ٢٢٤/١؛ الدرالمصون ٥٩٣/٢

- عليه السلام - والقرآن ﴿ونطمع﴾ حال[١]من ضمير الفـاعل في ﴿نؤمـن﴾ والتقدير: ونحن نطمع ﴿أن يدخلنا ربنا﴾ الجنة ﴿مع القوم الصالحين﴾ الأنبيـاء، والمؤمنين ﴿فأثابهم الله بما قالوا﴾ أي: بقولهم: ﴿ربنا آمنـا﴾ [وتصديقـهم][٢] لذلك ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسـنين﴾ / ١٥٨/ب
وفيه دليل على أن الإقرار، داخل في الإيمان كما هو مذهب الفقهاء، وتعلقـت الكرامية[٣] في أن الإيمان مجرد القول، بقوله: ﴿بما قالوا﴾ لكن الثناء بفيض الدمع في السباق، وبالإحسان في السياق، يدفع ذلك وأنى يكون مجرد القول إيمانا وقد قال الله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنـا بالله وبالـيـوم الآخـر ومـا

---

[١] المرجعين السابقين

[٢] في [ق] وبتصديقهم.

[٣] الكرامية: هم أصحاب أبي عبدالله محمد بن كرام، كان من سجستان ثم خرج إلى نيسابور في أيام محمد بـن طاهر بن عبدالله، فاغتر بما كان يرويه من زهده جماعة من أهل السواد فدعا إلى بدعة، ودعا إلى التجسـيم .... انظر الملل والنحل ١/١٠٨ ومابعدها. الفرق بين الفرق ص ١٣١ وزعم أن الإيمان: مجرد القول فحسب، واستدل بقوله تعالى: (فأثابهم الله بماقالوا جنات ...) الخ وعلى هذا فالمنافقون عند الكرامية مؤمنون كاملوا الإيمـان، ولا شك أن قولهم هذا ظاهر الفساد، يتناف مع ماذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الإيمان: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، وهذا ماصرح به القرآن الكريم والسنة المطهرة، قال تعالى: (والذي جـاء بـالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين) [الزمر ٣٣ - ٣٤] وقال: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ...) [الحجرات ١٥]. إلى غير ذلك من الآيات، وفي حديث الشـفاعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه من الخير مايزن شعيرة) وقوله عليه السلام: (إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله) متفق عليه.
وأما عمل الأركان (الجوارح) فهو مالا يؤدى إلا بها، مثل القيام والركوع والسجود، والحج، والجهاد في سـبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الإيمان، بل قد أجمع العلماء أن مـن صدق بقلبه وأقر بلسان وامتنع عن العمل بجوارحه فهو عاص لله ورسوله، مستحق للوعيد - نسأل الله تعـالى - العافية والسلامة، ونعوذ به من الزيغ والضلالة - وممن نقل عنهم تقرير الاعتقاد الصحيح من أهل السنة والجماعة: الامام أحمد بن حنبل، والامام الفقيه: ابي ثور: ابراهيم بن خالد الكلبي، والامامان: أبي زرعة عبدالله بن عبدالكريم وأبي حاتم الرازيين، قالا: واختيارنا: أن الإيمان قول وعمل وإقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأركان .... شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ١٥٦ - ١٨٦ تحقيق د/ أحمد بن سعد الغامدي، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ٣١٣ ومابعدها، معارج القبول بشرح سلم الأصول للشيخ: حافظ حكمي ١٧/٢ ومابعدها.

هم بمؤمنين﴾[1] نفى الإيمان عنهم مع قولهم: ﴿آمنا بـــالله﴾ لعـــدم التصديـــق بالقلب، قال أهل المعرفة: الموجود منهم ثلاثة أشياء: البكاء على الجفاء، والدعاء على العطاء، والرضا بالقضاء،[2] فمن ادعى المعرفة و لم يكن فيه هذه الثلاثـــــة، فليس بصادق في دعواه ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنـــــا أولئـك أصحـــاب الجحيم﴾ هذا أثر الرد في حق الأعداء، والأول أثر القبول للأولياء، ونـــــزل في جماعة من الصحابة - رضي الله عنهم -حلفوا أن يترهبوا ويلبسوا المســـوح،[3] ويقوموا الليــــل، ويصوموا النهار، ويسيحوا في الأرض، ويجبـــوا مذاكيرهـــم، ولا يأكلوا اللحم والودك[4] ولا يقربوا النساء والطيب[5]﴿يا أيها الذين آمنـــوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ ما طاب ولـــذ مـــن الحـــلال ومعـــنى: ﴿لا تحرموا﴾لا تمنعوها.أنفسكم كمنع التحريم، أولا تقولوا حرمناها على أنفســـــنا، مبالغة منكم في العزم على تركها، تزهدا منكم وتقشفا. وروي أن رسول الله - ﷺ- كان يأكل الدجاج، والفالوذ، وكان يعجبه الحلواء، والعسل،[6]وقال: "إن

---

(1) سورة البقرة رقم الآية [٨].

(2) انظر مدارج السالكين ٣/

(3) المسح: الكساء في الشعر والجمع القليل: أمساح، والكثير: مسوح، انظر اللسان: مادة مسح.

(4) الودك: هو دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه، انظر النهاية في غريب الحديث والأثـــر ١٦٩/٥ تحقيـــق/ محمود الطباحى وطاهر الزاي نشر المكتبة الاسلامية.

(5) ذكره ابن جرير في تفسيره ٥١٤/١٠ ومابعدها، تحقيق أحمد شاكر وحكاه الامام السيوطي في الـــدر ١٤٢/٣ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ عن عكرمة، وقتادة، وانظر أسباب النزول للواحدي ص ٢٠٧ - ٢٠٨

(6) هذا منتزع من عدة أحاديث، فأما أكل الدجاج فمتفق عليه من حديث أبي موسى الأشعرى - رضي الله عنــه - في قصة له، فقد اخرجه البخاري ١٧٩/٧ كتاب الصيد والذبائح، باب: ٢٨٢؛ والمغازى ، ومسلم في كتـــاب الايمان: ندب من حلف يمينا ١٢٧٠/٣، وأما أكله الفالوج فقد رواه الحاكم من حديث عبدالله بن سلام ١١٠/٤ وفيه فطبخ الدقيق والسمن، والعسل ثم أكل وأمر أصحابه أن يأكلوا ... صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو من رواية الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة مضعفا واعله ابن الجوزي لضعف الوليد.

وأما قوله: (وكان يعجبه الحلواء والعسل) فهذا قد اخرجه البخاري ١٤٥/٧ في كتاب الأطعمة، باب: الحلـــواء والعسل باب رقم [٢٢٥].

المؤمن حلو يحب الحلاوة"[١]وعن الحسن[٢]: أنه دعي إلى طعام ومعـــه فرقـــد السبخي،[٣]وأصحابه، فقعدوا على المائدة، وعليها الألوان من الدجاج المســمن، والفالوذ، وغير ذلك، [فاعتزل][٤]فرقد ناحية، فسأل الحسن أهو صائم، قـــالوا: لا، ولكنه يكره هذه الألوان، فأقبل الحسن عليه، وقال: يا فريقد أترى لعـــاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم،؟[٥]وعنه: أنه قيل له: فلان لا يأكل الفالوذ ويقول: لا أؤدي شكره، فقال: أفيشرب الماء البارد ؟ قالوا: نعم، قـــال: إنه جاهل أن نعمة الله عليه في الماء البارد أكبر من نعمته عليه في الفالوذ[٦] ﴿ولا تعتدوا﴾ ولا تجاوزوا الحد الذي عليكم، في تحريم أو تحليـــل، أو: ولا تعتـــدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم، أو: ولا تسرفوا في تناول الطيبـٰت ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾ حدوده ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبـــا﴾ حـــلالا حال[٧] مما رزقكم الله ﴿واتقوا الله﴾ توكيد للتوصية[٨]بما أمر به، وزاده توكيـــدا بقوله ﴿الذي أنتم به مؤمنون﴾ لأن الإيمان به يوجب التقوى فيما أمر به ونهى.

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ

---

[١] خرجه الإمام الزيلعي وعزاه إلى أبي شجاع الديلمي في كتاب "الفردوس" من حديث عن على بن أبي طالب –رضـــي الله– عنه وقال: غريب، تخريج أحاديث الكشاف ٤١٩/١

[٢] هو البصرى رحمه الله.

[٣] هو: فرقد بن يعقوب، أبو يعقوب السبخي، العابد، من أهل أرمينيا انتقل إلى البصرة وسكنها، ونسب إلى سبخه كـــان يؤيها، يروى عن الحسن البصرى، وسعيد بن جبير، روى عنه العراقيون مات قبل الطاعون، وكان ذلك قبل سنة ١٣١هــــ انظر التقريب ص ٤٤٤ ترجمة [٥٣٨٤] وقد قال: بعضهم: السنجى، لكن التصويب السبخي، الأنساب ٢١٢/٣

[٤] في [ق] فاعتزلوا.

[٥] لم اقف عليه.

[٦] ذكره الامام القرطبي في جامعه ٢٦٢/٦

[٧] انظر اعراب القرآن للعكبرى ٢٢٤/١؛ الدرالمصون ٥٩٨/٣

[٨] المراجع السابقة.

كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ(٨٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ(٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾(٩١).

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ اللغو[1] في اليمين: الساقط الذي لا يتعلق به حكم، وهو أن يحلف على شيء يرى أنه كذلك، وليس كما ظن، وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات، على ظن أنه قربة فلما نزلت تلك الآية، قالوا فكيف بأيماننا / فنزلت، وعند الشافعي[2] -رحمه الله:- ما يجري على اللسان بلا ١٥٩/أ
قصد[3] ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ أي: بتعقيدكم الأيمان، وهو توثيقها، وبالتخفيف، كوفي، غير حفص،[4] والعقد: العزم على الوفاء، وذا لا يتصور في الماضي، فلا كفارة في الغموس، وعند الشافعي — رحمه الله — القصد بالقلب، ويمين الغموس، مقصودة، فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة[5] والمعنى: ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة، لأنه كان معلوما عندهم، أو: بنكث ما عقدتم فحذف المضاف

---

(١) انظر لسان العرب ١٥/٢٥٠ مادة: لغا.

(٢) هو الامام: محمد بن ادريس بن العباس المطلبي، أبوعبدالله الشافعي، المكي، نزيل مصر، رأس الطبقة التاسعة، وهو المجدد لأمر الدين على رأس المئتين، مات سنة [٢٠٤] وله أربع وخمسون سنة. التقريب ص ٤٦٧ الترجمة [٥٧١٧].

(٣) انظر كتاب: الأم للإمام الشافعي ٥ /٣٩٨ ٧ / ٦٦ط دارالفكر ١٤١٠هـ.

(٤) السبعة ص ٢٤٧ ؛ النشر ٢/٢٥٥

(٥) انظر الأم للشافعي كتاب

﴿فكفارته﴾ أي: فكفارة نكثه، أو فكفارة معقود، الأيمان والكفارة الفعلة الـــتي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها ﴿إطعام عشـــرة مســاكين﴾ هـــو: أن يغديهم، ويعشيهم، ويجوز: أن يعطيهم بطريق التمليك، وهو لكل أحد نصـــف صاع من بر، أوصاع من شعير، أو صاع من تمر، وعند الشافعي – رحمه الله – مد لكل مسكين[1] ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ أي: غداء، وعشاء، مـــن بر، إذ الأوسع ثلاث مرات مع الإدام، والأدنى مرة مـــن تمـــر، أو شـــعير ﴿أو كسوتهم﴾ عطف على إطعام، أو على محل من ﴿أوسط﴾ ووجهـــه: أن مـــن أوسط بدل من إطعام، والبدل: هو المقصود في الكلام، وهو ثوب يغطي العورة، وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – إزار، وقميص، أورداء[2]﴿أو تحرير رقبـة﴾ مؤمنة أو كافرة، لإطلاق النص، وشرط الشافعي - رحمه الله –[الإيمان][3]حمـلا للمطلق على المقيد، في كفارة القتل، ومعنى أو: التخيـــير، وإيجـــاب إحـــدى الكفارات الثلاث ﴿فمن لم يجد﴾ إحداها ﴿فصيام ثلاثة أيام﴾ متتابعات لقـــراءة أبي، وابن مسعود-رضي الله عنهما-[4]كذلك ﴿ذلك﴾ المذكـــور ﴿كفـــارة أيمانكم إذا حلفتم﴾ وحنثتم، فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفـــارة، لا تجب بنفس الحلف، ولذا لم يجز التكفير قبل الحنث ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ فـــبروا فيها، ولا تحنثوا، إذا لم يكن الحنث خيرا أو تحلفوا أصلا ﴿كذلك﴾ مثل ذلـــك البيان ﴿يبين الله لكم آياته﴾ أعلام شريعته، وأحكامه ﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمته فيما يعلمكم، ويسهل عليكم المخرج منه،﴿يا أيها الذين آمنـــوا إنمـــا الخمـــر

---

(1) كتاب الأم للشافعي ٦٧/٧ باب الاطعام في الكفارات.

(2) تفسير الطبرى ٥٥٠/١٠ تحقيق أحمد شاكر.

(3) ساقطة من [ق].

(4) انظر تفسير الطبرى ٥٦٠/١٠ – ٥٦١، تحقيق أحمد شاكر؛ تفسير عبدالرزاق الصنعاني ١٩٢/١ مكتبة الرشد ط ١٤١٠/١ / الرياض؛ التفسير الكبير ٦٥/١٢ ط ١٤١١/١ / دار الكتب بيروت.

والميسر﴾ أي: القمار ﴿والأنصاب﴾ الأصنام، لأنها تنصب فتعبد ﴿والأزلام﴾
وهي: القداح التي مرت ﴿رجس﴾ نجس، أو خبيث مستقذر ﴿من عمل
الشيطان﴾ لأنه يحمل عليه، فكأنه عمله، والضمير في ﴿فاجتنبوه﴾ يرجع إلى
الرجس، أو إلى عمل الشيطان، أو إلى المذكور، أو إلى المضاف المحذوف،كأنه
قيل: إنما تعاطى الخمر، والميسر، ولذا قال: رجس ﴿لعلكم تفلحون﴾ أكد تحريم
الخمر والميسر، من وجوه، حيث صدر الجملة بإنما وقرنهما بعبادة الأصنام، ومنه/ ١٥٩/ب
الحديث: "شارب الخمر كعابد الوثن"[1] وجعلهما رجسا من عمل الشيطان، ولا
يأتي منه إلا الشر البحت، وأمر بالاجتناب، وجعل الاجتناب من الفلاح، وإذا
كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خسارا ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم
العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة﴾ ذكر ما
يتولد منهما من الوبال، وهو وقوع التعادي، والتباغض بين أصحاب الخمر،
والقمار، وما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله، وعن مراعاة أوقات الصلاة،
وخص الصلاة من بين ا لذكر لزيادة درجتها، كأنه قال: وعن الصلاة
خصوصا،وإنما جمع الخمر، والميسر، مع الأنصاب، والأزلام، أولا، ثم أفردهما
أخرا، لأن الخطاب مع المؤمنين، وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب
الخمر، واللعب بالميسر، وذكر الأنصاب، والأزلام، لتأكيد تحريم الخمر، والميسر،
وإظهار أن ذلك جميعا من أعمال أهل الشرك، وكأنه لا مباينة بين عابد الصنم،
وشارب الخمر، والمقامر، ثم أفردهما بالذكر، ليعلم [أنهما][2] المقصودان بالذكر

---

[1] المطالب العالية ٥/٥٠ تحت رقم [١٩٨٧] باب: تحريم بيع الخمر، وتكملته: (... وشارب الخمر كعابد اللات والعزى) ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، قال: وهذا لايصح تفرد به محمد بن سليمان ... وقيل: إن هذا من كلام عبدالله بن عمرو، وقال ابن الجوزي: وهذا هو الصحيح ... العلل المتناهية ٢/١٨٢-١٨٤ ط ادارة العلوم الأثرية، باكستان.

[2] في [ق] أيهما.

﴿فهل أنتم منتهون﴾ من أبلغ ما ينهى به، كأنه قيل: قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف، والزواجر، فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون ؟ أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا، ولم تزجروا ؟

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ(٩٢) لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ(٩٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٩٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾(٩٥).

﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا﴾ وكونوا حذرين خاشعين، لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر، إلى اتقاء كل سيئة، وعمل كل حسنة ﴿فإن توليتم﴾ عن ذلك ﴿فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ أي: فاعلموا أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول، لأنه ما كلف إلا البلاغ المبين بالآيات، وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه، ونزل فيمن تعاطى شيئا من الخمر والميسر قبل التحريم ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ أي شربوا من الخمر، وأكلوا من مال القمار، قبل تحريمهما ﴿إذا ما اتقوا﴾ الشرك

﴿وآمنوا﴾ بالله ﴿وعملوا الصالحات﴾ بعد الإيمان ﴿ثم اتقوا﴾ الخمر والميسر بعد التحريم ﴿وأمنوا﴾ بتحريمهما ثم ﴿اتقوا﴾ سائر المحرمات، أو الأول: عن الشرك، والثاني: عن المحرمات، والثالث: عن الشبهات،﴿وأحسنوا﴾ إلى النـاس ﴿والله يحب المحسنين﴾ ولما ابتلاهم الله بالصيد عام الحديبية وهـم محرمـون، وكـثر عندهم، حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديـهم، وطعنا برماحهم، نـزل[1] ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيـد تناله أيديكم ورماحكم﴾ ومعنى، يبلو: يختبر، وهو من الله، لإظهار ما علم مـن
العبد على ما علم، لا ليعلم ما لم يعلم، ﴿ومن﴾ للتبعيض إذ لايحرم كل صيـد، ١٦٠/أ
أو لبيان الجنس[2] ﴿ليعلم الله من يخافه / بالغيب﴾ ليعلم الله خوف الخائف منـه بالامتناع عن الاصطياد، موجودا كما كان يعلم قبل وجوده أنه يوجد، ليثيبـه على عمله، لا على علمه فيه ﴿فمن اعتدى﴾ فصاد ﴿بعد ذلك﴾ الابتلاء ﴿فلـه عذاب أليم﴾ قلل في قوله: ﴿بشيء من الصيد﴾ ليعلم أنه ليس من الفتن العظام، وتناله صفة ﴿لشيء﴾ [3] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد﴾ أي: المصيد، إذ القتل إنما يكون فيه ﴿وأنتم حرم﴾ أي: محرمون، جمع حرام، كـردح في جمـع رداح، في محل النصب على الحال، من ضمير الفاعل في ﴿تقتلوا﴾[4] ﴿ومن قتله منكم متعمدا﴾ حال من ضمير الفاعل[5]أي: ذاكرا لإحرامه، أو عالمـا أن مـا

---

[1] ذكره ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان ١٢٠٤/٤ تحت رقم [٦٧٨٩].

[2] اعراب القرآن للعكبرى ٢٢٥/١ – ٢٢٦ ؛ الدرالمصون ٦٠٥/٢

[3] اعراب القرآن للعكبرى ٢٢٥/١ – ٢٢٦ ؛ الدرالمصون ٦٠٥/٢

[4] اعراب القرآن للعكبرى ٢٢٦/١ ؛ الدرالمصون ٦٠٦/٢

[5] اعراب القرآن للعكبرى ٢٢٦/١ ؛ الدرالمصون ٦٠٦/٢

يقتله مما يحرم قتله عليه، فإن قتله ناسيا لإحرامه، أو رمى صيدا، وهو يظن أنـــه ليس بصيد، فهو مخطئ، وإنما شرط التعمد في الآية، مع أن محظورات الإحـــرام يستوي فيها العمد، والخطأ، لأن مورد الآية، فيمن تعمد، فقد روي أنه عن لهـم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر[1] فقتله، فقيل له: إنك قتلت الصيد وأنت محرم، فنـزلت[2] ولأن الأصل فعل المعتمد، والخطأ ملحـــق بـــه للتغليظ، وعن الزهري[3] نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ[4] ﴿فجـــزاء مثل ما قتل﴾ كوفي[5] أي: فعلية جزاء يماثل ما قتل من الصيد، وهو قيمة الصيد، يقوم حيث صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدى خير بين أن يهدى من النعم ماقيمتـه قيمة الصيد، وبين أن يشتري بقيمته طعاما، فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر، أو صاعا من غيره، وإن شاء صام عن طعام كل مســكين يومـــا، وعنــد محمد[6] والشافعي – رحمهما الله تعالى – مثله نظيره من النعم فإن لم يوجد لـــه نظير من النعم[7] فكما مر، فجزاء مثل، على الإضافة غيرهم، وأصله: فجـــزاء

---

[1] أبواليسر هو: كعب بن عمرو بن عباد السلمي، بالفتح، الأنصاري، صحابي جليل، شهد العقبة، وبدرا وله فيها آثار كثيرة وهو الذي أسر العباس مات بالمدينة سنة خمس وخمسين وقد زاد على المائة. الاصابة ٢٢١/٤

[2] انظر معالم التنزيل للبغوي ٥٣/٢ ط دار الكتب ١٤١٤هـــ الفتوحات الالهية للجمـــل ٢٧٥/٢ دارالكتـــب ١٤٠٢هـــ.

[3] هو محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري، الإمام العلم حافظ زمانه ولد سنة ٥١هـــ وقيل غيرها، توفي سنة ثلاث أو أربع وعشرين ومائة، انظر السير ١٣٣/٦-١٥٢

[4] ذكره الطبرى في تفسيره ١١/١١ تحقيق أحمد شاكر، وحكاه السيوطي في الدر ١٨٨/٣، قال الامام القرطـــبي قال ابن العربي: إن كان يريد بالسنة الآثار التي وردت عن ابن عباس وعمر فنعما هي. الجامع ٣٠٨/٦

[5] السبعة ٢٤٧ – ٢٤٨؛ النشر ٢٥٥/٢

[6] هو العلامة: محمد بن الحسن بن فرقد، فقيه العراق، ابوعبدالله الشيباني، الموفي صاحب أبي حنيفة، ولد بواسـط ونشأ بالكوفة، توفي بالري سنة تسع وثمانين. السير ٨٢/٨-٨٣

[7] انظر أحكام القرآن لابن العربي ٣١٠/٦ ؛ تفسير آيات الأحكام للشيخ السايس ٢١٥/١

مثل ما قتل، أي: فعليه أن يجزئ مثل ما قتل، ثم أضيف كما تقول: عجبت مـن ضرب زيدا، ثم من ضرب زيد ﴿من النعم﴾ حال من الضمـير في ﴿قتـل﴾ إذ المقتول يكون من النعم، أو صفة لجزاء[1] ﴿يحكم به﴾ بمثل ما قتل ﴿ذوا عـدل منكم﴾ حكمان [عادلان][2] من المسلمين، وفيه دليل على أن المثل القيمـة، لأن التقويم مما يحتاج إلى النظر، والاجتهاد دون الأشياء المشاهدة، ولأن المثل المطلـق في الكتاب، والسنة، والإجماع، مقيد بالصورة، والمعنى، أو بالمعنى، لا بـالصورة، أو بالصورة بلا معنى، ولأن القيمة أريدت فيما لا مثل له صورة إجماعا فلم يبـق غيرها مرادا، إذ لا عموم للمشترك، فإن قلت: قوله ﴿من النعم﴾ ينافي تفسـير المثل بالقيمة، قلت: من أوجب القيمة خير بين أن يشترى بها هديا، أو طعامـا، أو يصوم كما خير الله –تعالى– في الآية، فكان ﴿من النعـم﴾ بيانـا للـهدى المشترى بالقيمة، في أحد وجوه التخيير، لأن من قوم الصيد، واشترى بالقيمـة هديا فأهداه، فقد جزي بمثل ما قتل من النعم، على أن التخيير الذي في الآيـة،
١٦٠/ب بين أن يجزي بالهدى، أو يكفر بالاطعام، أو الصوم / إنما يستقيم إذا قوم ونظـر بعد التقويم، أي الثلاثة يختار، فأما إذا عمد إلى النظير، وجعله الواجب وحده من غير تخيير، فإذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام، والصيـام، ففيه نبو عما في الآية ألا ترى إلى قوله: ﴿أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما﴾ كيف خير بين الأشياء الثلاثة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتقويم ﴿هديـا﴾ حال[3] مـن الهـاء في به أي: يحـكـم به في حـال الهـدي ﴿بـالغ

---

[1] اعراب القرآن للعكبري ١/٢٢٦؛ الدرالمصون ٢/٦٠٨

[2] في [ق] عدلان ولعله الصواب.

[3] اعراب القرآن للعكبرى ١/٢٢٦ – ٢٢٧ ؛ الدرالمصون ٢/٦٠٩ – ٦١٠

الكعبة﴾ صفة[1] لهديا، لأن إضافته غير حقيقية، ومعنى بلوغه الكعبة: أن يذبح بالحرم، فأما التصدق به فحيث [شئت][2] وعند الشافعي -رحمه الله- في الحرم ﴿أو كفارة﴾ معطوف على جزاء ﴿طعام﴾ بدل من كفارة، أو خبر مبتدأ محذوف[3] أي: هي طعام، أو كفارة طعام، على الإضافة مدني، وشامي[4] وهذه الإضافة لتبيين المضاف، كأنه قيل: أو كفارة من طعام ﴿مساكين﴾ كما تقول: خاتم فضة، أي: خاتم من فضة ﴿أو عدل﴾ وقرئ بكسر العين، قال الفراء: العدل ما عادل الشيء من غير جنسه، كالصوم[5] والإطعام، والعدل: مثله من جنسه، ومنه: عدلا الحمل، يقال: عندي غلام عدل، غلامك، بالكسر إذا كان من جنسه،[6] فإن أريد أن قيمته كقيمته، و لم يكن من جنسه، قيل: هو عدل، غلامك بالفتح ﴿ذلك﴾ إشارة إلى الطعام ﴿صياما﴾ تمييز[7] نحو: لي مثله رجلا، والخيار في ذلك إلى القاتل، وعند محمد – رحمه الله – إلى الحكمين ﴿ليذوق وبال أمره﴾ متعلق بقوله: ﴿فجزاء﴾ أي: فعليه أن يجازي، أو يكفر، ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام، والوبال المكروه، والضرر الذي ينال في العاقبة، من عمل سوء لثقله عليه، من قوله تعالى: ﴿فأخذناه أخذا

---

[1] اعراب القرآن للعكبرى ٢٢٦/١ – ٢٢٧ ؛ الدرالمصون ٦٠٩/٢ – ٦١٠

[2] ساقطة من [ق].

[3] اعراب القرآن للعكبرى ٢٢٦/١ – ٢٢٧ ؛ الدرالمصون ٦٠٩/٢ – ٦١٠

[4] السبعة ص ٢٤٨ ؛ النشر ٢٥٥/٢

[5] في كتابه: معانى القرآن ٣٢٠/١ ط دار السرور تحقيق/ أحمد يوسف نجاتي ومحمد على النجار.

[6] معاني القرآن للفراء ٣٢٠/١ ؛ الدرالمصون ٢١٤/٢

[7] إعراب القرآن للعكبري ٢٢٧/١ ؛ الدر المصون ٦١١/٢

وبيلا﴾[1] أي: ثقيلا شديدا، والطعام الوبيل: الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ ﴿عفا الله عما سلف﴾ لكم من الصيد قبل التحريم ﴿ومن عاد﴾ إلى قتل الصيد بعد التحريم، أو في ذلك الإحرام ﴿فينتقم الله منه﴾ بالجزاء، وهو خبر مبتدأ محذوف[2] تقديره: فهو ينتقم الله منه ﴿والله عزيز﴾ بالزام الأحكام ﴿ذو انتقام﴾ لمن جاوز حدود الإسلام.

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦) جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٩٧) ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٨) مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩) قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ (١٠٢) مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤).

---

[1] سورة المزمل رقم الآية [١٥].

[2] اعراب القرآن للعكبري ١/٢٢٧ ؛ الدر المصون ٢/ ٦١٢ - ٦١٣

﴿أحل لكم صيد البحر﴾ مصيدات البحر مما يؤكل، ومما لا يؤكل ﴿وطعامـه﴾ وما يطعم من صيده، والمعنى: أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصـــاد في البحـر، وأحل لكم أكل المأكول منه، وهو السمك وحده ﴿متاعا لكم﴾ مفعول لـه،[1] أي: أحل لكم تمتيعا لكم ﴿وللسيارة﴾ وللمسافرين، والمعنى: أحل لكم طعامـه تمتيعا لتنائكم[2] يأكلونه طريا، ولسيارتكم يتزودونه قديدا، كما تزود موسى – عليه السلام – الحوت في مسيره إلى الخضر﴿وحرم عليكم صيد البحر﴾ مـــا صيد فيه، وهو ما يفرخ فيه، وإن كان يعيش في الماء في بعض الاوقات،كـالبط
١٦١/أ فإنه بري/ لأنه يتولد في البر والبحر له مرعى كما للناس متجـر ﴿مـا دمتم حرما﴾ محرمين ﴿واتقوا الله﴾ في الاصطياد في الحرم، أو في الإحرام ﴿الذي إليـه تحشرون﴾ تبعثون فيجزيكم على أعمالكم ﴿جعـل الله الكعبـة﴾ أي: صـير ﴿البيت الحرام﴾ بدل، أو عطف بيان ﴿قياما﴾ مفعول ثان، أو جعـل بمعـنى: خلق، وقياما حال[3]﴿للناس﴾ أي: انتعاشا لهم في أمـر دينـهم، ونهوضـا إلى أغراضهم في معاشهم، ومعادهم، لما يتم لهم من أمر حجهم، وعمرتهم، وأنـواع منافعهم، قيل: لو تركوه عاما لم ينظروا و لم يؤخروا، ﴿والشهر الحرام﴾ والشهر الذي يؤدي فيه الحج، وهو ذو الحجة، لأن لاختصاصه من بين الأشهر، بإقامـة موسم الحج، فيه شأنا قد علمه الله، أو أريد به جنس الأشهر الحـرم، وهـو: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم ﴿والهدى﴾ مـا يـهدى إلى مكـة ﴿والقلائد﴾ والمقلد منه خصوصا، وهو البدن، فالثواب فيه أكثر، وبهاء الحـج معه أظهر ﴿ذلك﴾ إشارة إلى جعل الكعبة قياما، أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام، بترك الصيد وغيره ﴿لتعلموا أن الله يعلم ما في السـماوات ومـا في

---

[1] اعراب القرآن للعكبرى ٢٢٧/١؛ الدرالمصون ٦١٢/٢ – ٦١٣

[2] في هامش الأصل: أي: لمقيميكم.

[3] إعراب القرآن للعكبري ٢٢٧/١؛ إعراب القرآن للنحاس ٤٢/٢؛ الدرالمصون ٦١٤/٢

الأرض وأن الله بكل شيء عليم﴾ أي: لتعلموا أن الله يعلم مصالح ما في السماوات وما في الأرض، وكيف لا وهو بكل شيء عليم ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب﴾ لمن استخف بالحرم، والإحرام ﴿وأن الله غفور﴾ لآثام من عظم المشاعر العظام ﴿رحيم﴾ بالجاني الملتجىء إلى البلد الحرام،﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به، وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ، وقامت عليكم الحجة، ولزمتكم الطاعة، فلا عذر لكم في التفريط ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ فلا يخفى عليه نفاقكم، ووفاقكم ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب﴾ لما أخبر أنه يعلم ما يبدون وما يكتمون، ذكر أنه لا يستوي خبيثهم، وطيبهم، بل يميز بينهما، فيعاقب الخبيث، أي: الكافر، ويثيب الطيب، أي: المسلم ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله﴾ وآثروا الطيب، وإن قل على الخبيث، وإن كثر، وقيل: هو عام في حلال المال، وحرامه، وصالح العمل، وطالحه، وجيد الناس، ورديئهم،﴿يا أولي الألباب﴾أي: العقول الخالصة ﴿لعلكم تفلحون﴾كانوا يسألون النبي - ﷺ - عن أشياء امتحانا فنزل ﴿يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء﴾ قال الخليل[(١)] وسيبويه[(٢)] وجمهور البصريين: أصله: شيئاء بهمزتين بينهما ألف، وهي فعلاء من لفظ شيء، وهمزتها الثانية، للتأنيث، ولذا لم تنصرف كحمراء، وهي مفردة لفظا، جمع معنى، ولما استثقلت الهمزتان المجتمعتان/ قدمت الأولى، التي هي لام [الكلمة][(٣)] فجعلت ١٦١/ب
قبل الشين فصار وزنها لفعاء، والجملة الشرطية، والمعطوفة عليها[(٤)]

---

(١) هو الخليل بن أحمد بن عبدالرحمن الفراهيدي الأزدي نحوى، لغوي، عروضي، كان رجلا صالحا عاقلا حليما وقورا، من السابعة، توفى سنة سبعين وقيل غيرذلك، انظر إنباة الرواة ١/٣٧٦-٣٨٢ وفيات الأعيان ٢/٢٤٤ ومابعده. تحقيق د/ إحسان عباس ط دار صادر.

(٢) سبقت ترجمته ص ١١٤

(٣) ساقطة من [ق].

(٤) انظر إعراب القرآن للعكبرى ١/٢٢٧؛ الدرالمصون ٢/٦١٥ — ٦١٦

[أي قوله:][1] ﴿إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين يترل القرآن تبد لكم﴾ صفة لأشياء، أي: وإن تسألوا عن هذه التكاليف [الصعبة في زمان الوحي، وهو ما دام الرسول بين أظهركم تبد لكم تلك التكاليف][2] التي تسوؤكم، أي: تغمكم، وتشق عليكم، وتؤمرون بتحملها، فتعرضون أنفسكم لغضب الله، بالتفريط فيها ﴿عفا الله عنها﴾ عفا الله عما سلف من مسألتكم، فلا تعودوا إلى مثلها ﴿والله غفور حليم﴾ لا يعاقبكم إلا بعد الإنذار، والضمير في ﴿قد سألها﴾ لا يرجع إلى أشياء حتى يعدى بعن، بل يرجع إلى المسألة التي دلت عليها، لا تسألوا، أي: قد سأل هذه المسألة ﴿قوم من قبلكم﴾ من الأولين ﴿ثم أصبحوا بها﴾ صاروا بسببها ﴿كافرين﴾ كما عرف في بني إسرائيل ﴿ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾ كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر، بحروا أذنها، أي: شقوها، وامتنعوا من ركوبها، وذبحها، ولا تطرد عن ماء، ولا مرعى، واسمها: البحيرة، وكان يقول الرجل: إذا قدمت من سفري، أو برأت من مرضي، فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها، وقيل: كان الرجل إذا أعتق عبدا قال: هو سائبة، فلا عقل بينهما، ولا ميراث، وكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن، فإن كان السابع ذكرا أكله الرجال، وإن كان أنثى أرسلت في الغنم، وكذا إن كان ذكرا وأنثى، وقالوا: وصلت أخاها، فالوصيلة، بمعنى الواصلة، وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن، قالوا: قد حمى ظهره، فلا يركب، ولا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء، ولا مرعى، ومعنى: ما جعل، ما شرع ذلك، ولا أمر به ﴿ولكن الذين كفروا﴾ بتحريم ما حرموا، ﴿يفترون على الله الكذب﴾ في نسبتهم هذا التحريم

---

(1) في [ق] أي في قوله.

(2) ساقطة من [ق].

إليه ﴿وأكثرهم لا يعقلون﴾ أن الله لم يحرم ذلك [وهم][1] عوامهم ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول﴾ أي: هلموا إلى حكم الله، ورسوله، بأن هذه الأشياء غير محرمة ﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ أي: كافينا ذلك، حسبنا مبتدأ، والخبر: ما وجدنا، وما: بمعنى: الذي والواو في ﴿أو لو كان آباؤهم﴾ للحال، قد دخلت عليها همزة الإنكار، وتقديره: أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم ﴿لا يعلمون شيئا ولا يهتدون﴾ أي: الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي، وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(١٠٥) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ(١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ(١٠٧) ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾(١٠٨).

﴿ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ انتصب أنفسكم، بعليكم، وهو من أسماء الأفعال، أي: الزموا إصلاح أنفسكم، والكاف، والميم في عليكم، في موضع

---

(1) في [ق] وهو.

جر، لأن اسم الفعل، هو الجار والمجرور، لا على وحدها[1] ﴿لا يضركم﴾ رفـع على الاستئناف، أو جزم على جواب الأمر، وإنما ضمت الراء إتباعـــا لضمـة الضاد /[2] ﴿من ضل إذا اهتديتم﴾ كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة علـــى ١٦٢/أ
أهل العناد من الكفرة، يتمنون دخولهم في الإسلام، فقيل لهم عليكم أنفســكم، وما كلفتم من إصلاحها، لايضركم الضلال من دينكم، إذا كنتــم مــهتدين، وليس المراد: ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإن تركهما مع القــدرة عليهما، لايجوز ﴿إلى الله مرجعكم جميعا﴾ رجوعكم ﴿فينبئكــم بمــا كنتم تعملون﴾ ثم يجزيكم على أعمالكم، روي أنه خرج بديل، مولى عمــرو بــن العاص، وكان من المهاجرين، مع عدي، وتميم، وكانا نصرانيــين، إلى الشام فمرض بديل وكتب كتابا، فيه متاعه وطرحه في متاعه، ولم يخبر به صاحبيــه، وأوصى إليهما، أن يدفعا متاعه إلى أهله، ومات ففتشا متاعه، فأخذا إناء مــن فضة، فأصاب أهل بديل الصحيفة، فطالبوهما بالإناء، [فجحدا][3] فرفعوهمــا إلى رسول الله ﷺ فنــزل ﴿يأيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضــر أحدكــم الموت حين الوصــية اثنان﴾[4] ارتفع اثنان لأنه خبر المبتدأ، وهــو شــهادة، بتقدير: ﴿شهادة بينكم﴾ شهادة اثنين، أو لأنه فاعل شهادة، بينكم، أي: فيمـا فرض عليكم أن يشهد اثنان. واتسع في بين، فأضيف إليه المصدر ﴿وإذا حضـر﴾ ظرف للشهادة و﴿حين الوصية﴾ بدل منه، وفي إبداله منه، دليل على وجــوب

---

(1) انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٢٨/١ ؛ الدرالمصون ٦٢٣/٢ – ٦٢٤

(2) انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٢٨/١ ؛ الدرالمصون ٦٢٣/٢ – ٦٢٤

(3) في [ق] فجحدوا.

(4) أخرج نحوه الإمام البخاري في كتاب: الوصايا ٤٠٤/٤ عن ابن عباس؛ والامام الترمذي ٣٢٤/٣ في تفســير سورة المائدة وقال الترمذي عنه: هذا حديث حسن غريب؛ كما اخرجه الامام البيــهقي في الســنن الكبرى ١٦٥/١٠ ط دار المعرفة.

الوصية، لأن حضور الموت من الأمور الكائنة، وحين الوصية بدل منه،[1] فيدل على وجوب الوصية، ولو وجدت بدون الاختيار، لسقط الابتلاء، فنقل إلى الوجوب، وحضور الموت مشارفته، وظهور أمارات بلوغ الأجل ﴿ذوا عدل﴾ صفة لاثنين ﴿منكم﴾ من أقاربكم لأنهم أعلم بأحوال الميت ﴿أو آخران﴾ عطف ﴿على اثنان﴾ ﴿من غيركم﴾ من الأجانب ﴿إن أنتم ضربتم في الأرض﴾ سافرتم فيها وأنتم فاعل فعل يفسره الظاهر[2]﴿فأصابتكم مصيبة الموت﴾ أو منكم من المسلمين، ومن غيركم من أهل الذمة، وقيل: منسوخ[3]إذ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم، وإنما جازت في أول الإسلام لقلة المسلمين ﴿تحبسونهما﴾ تقفونهما للحلف هو استئناف كلام، أو صفة، لقوله: أو ﴿آخران من غيركم﴾ أي: أو آخران من غيركم محبوسان، وإن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت، اعتراض بين الصفة، والموصوف[4]﴿من بعد الصلاة﴾ من بعد صلاة العصر، لأنه وقت اجتماع الناس. وعن الحسن[5]-رحمه الله-: بعد العصر، أو الظهر، لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما، وفي حديث بديل، أنها لما نزلت صلى رسول الله - ﷺ - صلاة العصر، ودعا بعدي، وتميم، فاستحلفهما عند المنبر فحلفا، ثم وجد الإناء بمكة فقالوا إنا اشتريناه من تميم، وعدي[6]﴿فيقسمان/بالله﴾ فيحلفان به ﴿إن ارتبتم﴾ شككتم ١٦٢/ب
في أمانتهما، وهو اعتراض بين يقسمان، وجوابه وهو ﴿لانشتري﴾ وجواب

---

(1) انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٢٩/١ ؛ الدرالمصون ٦٢٥/٢ – ٦٢٦

(2) انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٢٩/١ ؛ الدرالمصون ٦٢٥/٢ – ٦٢٦

(3) انظر تفسير ابن عطية ٨٠/٥ – ٨٢ ؛ تفسير القرطبي ٣٥٠/٦ – ٣٥١

(4) اعراب القرآن للعكبري ٢٢٩/١ ؛ الدرالمصون ٦٢٥/٢ – ٦٢٧

(5) هو البصرى، وقد تقدم

(6) ينظر تفسير الطبرى المحقق ١٨٥/١١ ومابعدها.

الشرط محذوف، أغنى عنه معنى الكلام[1] والتقدير: إن ارتبتم في شأنهما فحلفوهما ﴿به﴾ بالله أو بالقسم ﴿ثمنا﴾ عرضا من الدنيا ﴿ولو كان﴾ [أي:][2] المقسم له ﴿ذا القربى﴾ أي: لا نحلف بالله كاذبين، لأجل المال، ولو كان من نقسم له قريبا منا ﴿لا نكتم شهادة الله﴾ أي: الشهادة التي أمر الله بحفظها، وتعظيمها ﴿إنا إذا﴾ إنا إن كتمنا ﴿لمن الآثمين﴾ وقيل: إن أريد بهما الشاهدان، فقد نسخ تحليف الشاهدين، وإن أريد الوصيان، فلم ينسخ تحليفهما ﴿فإن عثر﴾ فإن اطلع ﴿على أنهما استحقا إثما﴾ فعلا ما أوجب إثما، واستوجبا أن يقال: إنهما لمن الآثمين ﴿فآخران﴾ فشاهدان آخران ﴿يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم﴾ أي: من الذين استحق عليهم الإثم، ومعناه: من الذين جني عليهم، وهم أهل الميت، وعشيرته، وفي قصة بديل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته إنه إناء صاحبهما، وأن شهادتهما أحق من شهادتهما ﴿الأوليان﴾ الأحقان بالشهادة لقرابتهما، أومعرفتهما، وارتفاعهما على هما الأوليان، كأنه قيل: ومن هما ؟ فقيل: الأوليان، أو هما بدل من الضمير في ﴿يقومان﴾[3] أو من ﴿آخران﴾ استحق عليهم الأوليان حفص[4] أي: من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان، من بينهم بالشهادة أن تجردوهما للقيام بالشهادة، وتظهروا بهما كذب الكاذبين. الأولين حمزة، وأبو بكر[5] على أنه وصف للذين استحق عليهم[6] أو منصوب على المدح، وسموا أولين لأنهم كانوا أولين في الذكر، في قوله: ﴿شهادة بينكم﴾ ﴿فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما﴾ أي: ليميننا أحق

---

[1] اعراب القرآن للعكبري ١/٢٢٩؛ الدرالمصون ٢/٦٣٠ – ٦٣١

[2] ساقطة من [ق].

[3] انظر اعراب القرآن ١/٢٣٠ ؛ الدرالمصون ٢/٦٥٣ – ٦٧٣

[4] السبعة ٢٤٨ – ٢٤٩ ؛ النشر في القراءات العشر ٢/٢٥٦

[5] السبعة ٢٤٨ – ٢٤٩ ؛ النشر في القراءات العشر ٢/٢٥٦

[6] في [ق] زيادة: مجرور.

[بالقبول][1]من يمين هذين الوصيين، الخائنين ﴿وما اعتدينا﴾ وما تجاوزنا الحق في يميننا ﴿إنا إذاً لمن الظالمين﴾ أي: إن حلفنا كاذبين، ﴿ذلك﴾ الذي مر ذكره من بيان الحكم ﴿أدنى﴾ أقرب ﴿أن يأتوا﴾ أي: الشهداء على نحو تلك الحادثة ﴿بالشهادة على وجهها﴾ كما حملوها بلا خيانة فيها ﴿أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانكم﴾ أي: تكرر، أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم، فيفتضحوا بظهور كذبهم ﴿واتقوا الله﴾ في الخيانة، واليمين الكاذبة ﴿واسمعوا﴾ سمع قبول، وإجابة ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن الطاعة، فإن قلت: ما معنى:أو: هنا ؟ قلت معناه: ذلك أقرب من أن يؤدوا الشهادة بالحق، والصدق، إما لله، أو لخوف العار، والافتضاح، برد الأيمان، وقد احتج به من يرى رد اليمين على المدعي،[2]والجواب: أن الورثة قد ادعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا، فلما ظهر/كذبهما، ادعيا الشراء فيما كتما فأنكرت الورثة، فكانت اليمين على ١٦٣/أ
الورثة، لإنكارهما الشراء.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ(١٠٩) إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ(١١٠)وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى

---

[1] في [ق] بالصواب.

[2] انظر المجموع شرح المهذب للامام النووي ٥١/١٣ ومابعدها.

ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴿١١١﴾
إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا
مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ
مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ
ٱلشَّٰهِدِينَ﴿١١٣﴾.

﴿يوم﴾ منصوب باذكروا، أو احذروا ﴿يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم﴾ مالذين أجابتكم أممكم حين دعوتموهم إلى الإيمان، وهذا السؤال توبيخ لمن أنكرهم، وماذا منصوب بأجبتم، نصب المصدر، على معنى أي إجابة أجبتم[1]؟ ﴿قالوا لا علم لنا﴾ بإخلاص قومنا، دليله ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ أو بما أحدثوا بعدنا، دليله: ﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾ أو قالوا ذلك تأدبا، أي: علمنا ساقط مع علمك، ومغمور به، فكأنه لا علم لنا ﴿إذ قال الله﴾ بدل من ﴿يوم يجمع﴾ ﴿يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك﴾ حيث طهرتها، واصطفيتها على نساء العالمين، والعامل في: ﴿إذ أيدتك﴾ [أي][2] قويتك نعمتي ﴿بروح القدس﴾ بجبريل – عليه السلام – أيد به لتثبت الحجة، أو بالكلام الذي يحيا به الدين، وأضافه إلى القدس، لأنه سبب الطهر من أوسلخ[3] الآثام، دليله: ﴿تكلم الناس في المهد﴾ حال، أي: تكلمهم طفلا: إعجازا ﴿وكهلا﴾ تبليغا ﴿وإذ علمتك﴾ معطوف على ﴿إذا أيدتك﴾[4] ونحوه ﴿وإذ تخلق﴾ ﴿وإذ تخرج﴾ ﴿وإذ كففت﴾ و﴿إذ أوحيت﴾ ﴿الكتاب﴾: الخط، ﴿والحكمة﴾ الكلام المحكم الصواب ﴿والتوراة والإنجيل وإذ تخلق﴾ تقدر ﴿من

---

(1) انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٣١؛ الدر المصون ٢/٦٤٠-٢٤٣
(2) ساقطة من [ق].
(3) في [ق] : من أوضار.
(4) المرجعين السابقين.

الطين كهيئة الطير﴾ هيئة مثل هيئة الطير ﴿بإذني﴾ بتسهيلي ﴿فتنفخ فيها﴾ الضمير للكاف،[1]لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى، وينفخ فيها، ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها، لأنها ليست من خلقه، وكذا الضمير في ﴿فتكون طيرا بإذني﴾ وعطف ﴿وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني﴾ على تخلق[2]﴿وإذ تخرج الموتى﴾من القبور أحياء ﴿بإذني﴾ قيل: أخرج سام بن نوح، ورجلين، وامرأة، وجارية ﴿وإذ كففت بني إسرائيل عنك﴾ أي: اليهود حين هموا بقتله ﴿إذ جئتهم﴾ ظرف لكففت ﴿بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ ساحر حمزة، وعلي[3]﴿وإذ أوحيت﴾ ألهمت ﴿إلى الحواريين﴾ الخواص، أو الأصفياء ﴿أن آمنوا﴾ أي: آمنوا ﴿بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾ مخلصون، من اسلم وجهه ﴿إذ قال الحواريون﴾ أي: اذكروا إذ ﴿يا عيسى ابن مريم﴾ عيسى نصب على اتباع حركته حركة الابن نحو يا زيد بن عمرو ﴿هل يستطيع ربك﴾ هل يفعل، أو هل يعطيك ربك إن سألته، فاستطاع [وأطاع] بمعنى: كاستجاب، وأجاب. هل يستطيع ربك، علي[4]أي: هل تستطيع سؤال ربك فحذف المضاف، والمعنى: هل تسأله ذلك، من غير صلوف يصرفك عن سؤاله ؟ ﴿أن ينزل علينا﴾ يُنَزِّل / مكي، وبصري[5]﴿مائدة من السماء﴾ هي الخوان، إذا كان عليه الطعام من مادة إذا أعطاه،كأنها تميد من تقدم إليها ﴿قال اتقوا الله﴾ في اقتراح المعجزات، بعد ظهور الآيات ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ إذ الإيمان يوجب التقوى، ﴿قالوا نريد أن نأكل منها﴾ تبركا به ﴿وتطمئن قلوبنا﴾ونزداد يقينا،كقول إبراهيم –عليه السلام- ﴿ولكن ليطمئن

١٦٣/ب

---

(١) المرجعين السابقين.

(٢) إعراب القرآن للعكبري ١/٢٣١ – ٢٣٢ ؛ الدرالمصون ٢/٩٧؛ ٦٤٦ – ٦٤٧

(٣) السبعة ص ٢٤٩؛ النشر في القراءات العشر ٢/٢٥٦

(٤) أي: قرأ علي بفتح الباء.

(٥) المرجعين السابقين ؛ وانظر إعراب القرآن للعكبري ١/٢٣٢

قلبي﴾[1]﴿ونعلم أن قد صدقتنا﴾ أي: نعلم صدقك عيانا كما علمناه اســتدلالا ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ بما عاينا لمن بعدنا، ولما كان السؤال لزيادة العلم لا للتعنت.

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ(١١٤) قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ(١١٥) وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ(١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ(١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ(١١٨) قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ(١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٢٠).

﴿قال عيسى ابن مريم اللهم﴾ أصله: يا ألله، فحذف يا، وعــوض منــه الميــم ﴿ربنا﴾ نداء ثان ﴿أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا﴾ أي: يكون يوم نزولها عيدا، قيل: هو يوم الأحد، ومن ثم اتخذه النصارى عيدا، أوالعيد: السرور

---

(١) سورة البقرة رقم الآية [٢٦٠].

العائد ولذا يقال: يوم عيد، فكان معناه تكون لنا سرورا، وفرحا ﴿لأولنا وآخرنا﴾ بدل من ﴿لنا﴾[1] بتكرير العامل أي: لمن في زماننا من أهل ديننا، ولمن يأتي بعدنا، أو يأكل منها آخر الناس، كما يأكل أولهم، أو: للمقدمين منا، والأتباع، ﴿وآية منك﴾ على صحة نبوتي، ثم أكد ذلك بقوله ﴿وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾ وأعطنا ما سألناك وأنت خير المعطين ﴿قال الله إني منزلها عليكم﴾ بالتشديد، مدني، وشامي، وعاصم،[2] وعد الإنزال، وشرط عليهم شرطا بقوله: ﴿فمن يكفر بعد﴾ أي بعد نزولها منكم ﴿فإني أعذبه عذابا﴾ أي: تعذيبا، كالسلام بمعنى التسليم، والضمير في ﴿لا أعذبه﴾ للمصدر، ولو أريد بالعذاب، مايعذب به لم يكن بد من الباء ﴿أحدا من العالمين﴾ عن الحسن: أن المائدة لم تنزل، ولو نزلت لكانت عيدا إلى يوم القيامة، لقوله ﴿وآخرنا﴾[3] والصحيح: وأنها نزلت[4] فعن وهب:[5] نزلت مائدة منكوسة تطير بها الملائكة، عليها كل طعام إلا اللحم.[6] وقيل: كانوا يجدون عليها ما شاءوا، وقيل: كانت تنزل حيث كانوا بكرة وعشيا[7] ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ الجمهور: على أن هذا السؤال يكون في يوم القيامة، دليله سباق الآية، وسياقها، وقيل: خاطبه به حين رفعه إلى السماء، دليله لفظ إذ ﴿قال سبحانك﴾ من أن يكون لك شريك ﴿ما يكون لي﴾ ما ينبغي لي ﴿أن أقول ما ليس لي بحق﴾ أن أقول قولاً لا يحق

---

(1) اعراب القرآن للعكبري ٢٣٢/١ ؛ الدرالمصون ٦٥٢/٢

(2) السبعة لابن مجاهد ص ٢٤٩ ؛ النشر ٢٥٦/٢ ؛ اعراب القرآن للعكبري ٢٣٢/١

(3) انظر تفسير الطبري المحقق ٢٣١/١١ ؛ تفسير البغوي ٣٢٦/٢

(4) كما ذكره أكثر المفسرين ودل عليه صريح القرآن، انظر تفسير الطبرى ٢٣١ ومابعدها ؛ البحر المحيط ٦١/٤

(5) ابن منبه بن كامل اليماني، أبو عبدالله الأبناوي، ثقة، من الثالثة، مات سنة سبع عشرة . التقريب ص ٥٨٥ رقم الترجمة [٧٤٨٥].

(6) انظر تفسير الطبري ٢٢٧/١١ ومابعدها؛ البحر المحيط ٦١/٤ ومابعدها، تفسير البغوي ٣٢٦/٢ — ٢٢٨

(7) انظر تفسير الطبري ٢٢٧/١١ ومابعدها؛ البحر المحيط ٦١/٤ ومابعدها، تفسير البغوي ٣٢٦/٢ — ٢٢٨

لي أن أقوله ﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾ إن صح أنى قلته فيما مضى، فقد علمته والمعنى: أني لا أحتاج إلى الاعتذار، لأنك تعلم أني لم أقله، ولو قلته علمته ﴿تعلم ما في نفسي﴾ ذاتي ﴿ولا أعلم ما في نفسك﴾ ذاتك فنفــس /الشـيء ذاتــه، ١٦٤/أ
وهويته، والمعنى: تعلم معلومي، ولا أعلم معلومك ﴿إنك أنت علام الغيــوب﴾ تقرير للجملتين معا، لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب، ولأن مـــا يعلم علام الغيوب، لا ينتهي إليه علم أحد ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني بـه﴾ أي: ما أمرتهم إلا بما أمرتني به، ثم فسر ما أمر به فقال ﴿أن اعبدوا الله ربي وربكـم﴾ فأن مفسرة بمعنى، أي: ﴿وكنت عليهم شهيدا﴾ رقيبا ﴿ما دمت فيهم﴾ مـــدة كوني فيهم ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾ الحفيظ ﴿وأنت على كـل شيء شهيد﴾ من قولي، وفعلي، وقولهم، وفعلهم، ﴿إن تعذبهم فإنهم عـــبـــادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ قال الزجاج:[1] علم عيسى - عليــــه السلام - أن منهم من آمن، ومنهم من أقام على الكفر، فقال في جملتـــهـم: إن تعذبهم أى: إن تعذب من كفر منهم، فإنهم عبادك الذين علمتـــهـم، جـــاحدين لآياتك، مكذبين لأنبيائك، وأنت العادل في ذلك، فإنهم قد كفروا بعد وجـوب الحجة عليهم، وإن تغفر لهم أي: لمن أقلع منهم، وآمن فذاك تفضل منك وأنـت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك، أو عزيز قوي، قادر على الثـواب، حكيم لا يعاقب، إلا عن حكمة وصواب ﴿قال الله هذا يوم ينفـع الصـــادقين صدقهم﴾ برفع اليوم، والإضافة على أنه خبر، هذا[2] أي: يقـــول الله تعـــالى: هـــذا يوم ينفع الصادقين فيه صدقهم المستمر، في دنياهم، وآخرتهم، والجملـــة: مـــن المبتدأ والخبر في محل النصب على المفعوليـــة، كمـــا تقـــول: [قـــال][3]

---

[1] سبقت ترجمته ص: ٦١

[2] اعراب القرآن للعكبري ٢٣٤/١ ؛ الدرالمصون ٦٥٩/٢ - ٦٦٠

[3] ساقطة من [ق].

[زيد:عمرو][1] منطلق، وبالنصب نافع، على الظرف[2]أي: قال الله هذا لعيسى -عليه السلام-يوم ينفع الصادقين صدقهم، وهو يوم القيامة﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم﴾ بالسعي المشكور ﴿ورضوا عنه﴾ بالجزاء الموفور، ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ لأنه باق بخلاف الفوز في الدنيا فهو غير باق ﴿لله ملك السماوات والأرض وما فيهن﴾ عظم نفسه عما قالت النصارى، أن معه إلها أخر ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ من المنع، والإعطاء، والإيجاد، والإفناء.

نسأله أن يوفقنا لمرضاته، ويجعلنا من الفائزين بجناته][3][وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم][4].

---

(1) في [ق] زيد وعمرو.

(2) السبعة ص ٢٤٩؛ النشر ٢/٢٥٦

(3) في [ق] زيادة: إنه على كل شيء قدير.

(4) ساقطة من [ق].

(سورة الأنعام مكية)[1].

(وهي مائة وخمس وستون آية كوفي أربع وستون بصري)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ (١) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ (٢) وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ (٣) وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ (٤).

﴿الحمد لله﴾ تعليم اللفظ، والمعنى مع تعريض الاستغناء أي: الحمد لـــه، وإن لم تحمدوه ﴿الَّذي خَلقَ السَّمَوات وَالأرضَ﴾ جمع السموات، لأنها طباق بعضـــها فوق بعض، والأرض وإن كانت سبعة عند الجمهور، فليس بعضها فوق بعـض، بل بعضها موال لبعض، جعل يتعدي إلى مفعول واحد، إذا كان بمعنى: أحـدث، وأنشأ، كقوله: ﴿وَجعَلَ الظُّلُمات والنورَ﴾ وإلى مفعولـــين، إذا كـــان بمعـــنى
صير،[2] كقوله: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم / عباد الرحمن إناثاً﴾[3] وفيه رد قول ١٦٤/ب
الثنوية[4] بقدم النور والظلمة، وأفرد النور لإرادة الجنس، ولأن ظلمة كل شـــيء

---

(١) وقال بعضهم إلا قوله تعالى: (وماقدروا الله حق قدره .....) إلى آخر ثلاث آيات، وقوله تعالى: (قل تعـــالوا أتل ماحرم ربكم ....) إلى قوله: (لعلكم تتقون) فهذه ست آيات مدنيات. انظر معالم التنـــزيل٢/٣٣٣ ط دار الفكر ١٤٠٥هـــ؛ وتفسير البحر المحيط ٤/٧٢ ؛ وانظر الدرالمنثور ٣/٢٤٤ – ٢٤٥

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٥٥ ؛ تفسير البحر المحيط ٤/٧٢ – ٧٣؛ الدرالمصون ٣/٣

(٣) سورة الزخرف رقم الآية [١٩].

(٤) الثنوية: هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس، فـــإنهم قـــالوا: بحدوث الظلام... وهؤلاء قالوا: بتساويهما في القدم، واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والخـــير، والمكـــان، والاجناس والأبدان والأرواح، انظر الملل والنحل ١/٢٤٤ ط تحقيق/ محمد سعيد كيلاني ط دار المعرفة ١٤٠٠هـــ

تختلف باختلاف ذلك الشيء، نظيره: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة الموضع المظلم، يخالف كل واحد منها صاحبها، والنور ضرب واحد، لا يختلف كمـــا تختلف الظلمات، وقدم الظلمات، لقوله عليه السلام: (خلق الله خلقه في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره، فمن أصابه النور، اهتدى ومن أخطأه ضـــل)[1]﴿ثـــم الذين كفروا﴾ بعد هذا البيان ﴿بربهم يعدلون﴾ يسوون به الأوثـــان، تقـــول: عدلت هذا بذا أي: ساويته به، والباء في ﴿بربهم﴾ صلة للعدل، لا للكفر، أو﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ عنه، أي: يعرضون عنه، فتكون الباء صلة الكفـــر، وصلة ﴿يعدلون﴾ أي: عنه محذوفة، وعطف ﴿ثم الذين كفروا﴾ على ﴿الحمـــد لله﴾ على معنى: أن الله حقيق بالحمد على ما خلق، لأنه ما خلقه إلا نعمـــة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته، أو على ﴿خلق السموات﴾ على معنى، أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به، ما لا يقدر علـــى شيء منه، ومعنى ﴿ثم﴾ استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته[2]﴿هـــو الذي خلقكم من طين﴾ من لابتداء الغاية، أي: ابتدأ خلق أصلكم، يعـــني: آدم منه ﴿ثم قضى أجلا﴾ أي: حكم أجل الموت ﴿وأجل مسمى عنـــــده﴾ أجـــل القيامة، أو الأول: ما بين أن يخلق إلى أن يموت، والثاني: ما بين الموت، والبعث، وهو: البرزخ، أو الأول: النوم، والثاني: الموت، أو الثاني: هو الأول، وتقديـــره: وهو أجل مسمى، أي: معلوم، وأجل مسمى مبتدأ، والخبر ﴿عنـــده﴾ وقـــدم المبتدأ، وإن كان نكرة، والخبر ظرفا، وحقه التأخير، لأنه تخصـــص بالصفـــة،

---

[1] اخرجه الامام الترمذي في سننه ١٣٥/٤، في كتاب الايمان حديث رقم [٢٧٨٠] وقال عنـــه: هذا حديـــث حسن، ط ٢ دارالفكر ١٤٠٣ تحقيق / عبدالرحمن محمد عثمان، كما اخرجه الامام أحمـــد في مسـنده ١٩٧/٢ وكلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما والحديث حسن بإسناد الترمذي.

[2] انظر إعراب القرآن للعكبرى ٢٢٤/١ ؛ الدرالمصون ٣/٤

فقارب المعرفة[١]﴿ثم أنتم تمترون﴾ تشكون من المرية، أو تجادلون من المـراء، ومعنى: ﴿ثم﴾ استبعاد أن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم، ومميتهم، وباعثـهم ﴿وهو الله﴾ مبتدأ وخبر ﴿في السموات وفي الأرض﴾ متعلق بمعـنى اسـم الله، كأنه قيل: وهو المعبود فيهما[٢]،كقوله: ﴿وهو الذي في السماء إلـه وفي الأرض إله﴾[٣] أو هو المعروف بالإلهية فيهما، أوهو الذي يقال له: الله فيـهما، والأول: تفريع، على أنه مشتق، وغيره، على أنه غير مشتق ﴿يعلم سركم وجـهركم﴾ خبر بعد خبر، أو كلام مبتدأ،[٤]أي: هو يعلم سركم وجهركم ﴿ويعلـم مـا تكسبون﴾ من الخير، والشر، ويثيب عليه، ويعاقب، ومن في ﴿وما تأتيهم مـن ءاية﴾ للاستغراق وفي ﴿من ءايت ربهم﴾ للتبعيض،[٥]أي: وما يظهر لهم دليـل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاعتبار ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ تاركين للنظر، لا يلتفتون إليه لقلة خوفهم، وتدبرهم في العواقب.

﴿كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ(٥) أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ(٦) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ

---

[١] انظر إعراب القرآن للعكبرى ١/٢٢٤ ؛ الدرالمصون ٤/٣

[٢] اختلف أهل اللغة في اسم (الله عزوجل) هل هو مشتق أم جامد؟ فعلى أنه مشتق يكون معنى الآية كماذكر أي: (المعبود فيهما) وعلى أنه مشتق فيكون المعنى: [هو الذي يقال له الله فيهما] والأول أرجح وقد ذهب إليه جمـهور العلماء، انظر تفسير ابن عطية ١/٨٧-٨٨؛ والدرالمصون ١/٥٤-٥٩

[٣] سورة الزخرف رقم الآية [٨٤].

[٤] انظر اعراب القرآن للعكبرى ١/٢٢٥؛ الدرالمصون ٣/٨

[٥] انظر اعراب القرآن للعكبرى ١/٢٢٥؛ الدرالمصون ٣/٨

مُّبِينٌ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾﴿٨﴾.

﴿فقد كذبوا﴾ مردود على كلام محذوف،كأنه قيل: إن كانوا معرضين عن الآيات، فقد كذبوا ﴿بالحق لما جآءهم/﴾ أي: بما هو أعظم آية، وأكبرها، ١٦٥/أ
وهو القرآن الذي تحدوا به، فعجزوا عنه ﴿فسوف يأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزء ون﴾ أي: أنباء الشيء الذي كانوا به يستهزءون وهو القرآن أي: أخباره، وأحواله، يعني: سيعلمون بأي شيء استهزءوا به، وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا، أو يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام، وعلو كلمته ﴿ألم يروا﴾ يعني: المكذبين ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ هو مدة انقضاء أهل كل عصر، وهو ثمانون سنة، أو سبعون[1]﴿مكناهم﴾ في موضع جر، صفة لقرن، وجمع على المعنى[2]﴿في الأرض ما لم نمكن لكم﴾ التمكين في البلاد إعطاء المكنة، والمعنى: لم نعط أهل مكة، نحو ما أعطينا عادا، وثمود، وغيرهم، من البسطة في الأجسام، والسعة في الأموال، والاستظهار بأسباب الدنيا ﴿وأرسلنا السمآء﴾ [المطر][3]﴿عليهم مدرارا﴾ كثيرا، وهو حال من السماء[4]﴿وجعلنا الأنهر تجري من تحتهم﴾ من تحت أشجارهم، والمعنى: عاشوا في الخصب بين الأنهار، والثمار، وسقيا الغيث المدرار ﴿فأهلكنهم بذنوبهم﴾ ولم يغن ذلك

---

(١) وقيل ستون سنة، وقيل: أربعون، وقيل غير ذلك، وكلها روايات ضعيفة، كما قال ابن عطية — يرحمه الله — لكن اكثرهم على أن القرن مائة عام بدليل قوله — عليه السلام — : (أرايتم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد) وقوله — عليه السلام — لعبدالله بن بشر، أو عبدالله بن بسر — بالباء المضمومة والسين تعيش قرنا فعاش مائة سنة، وانظر تفسير ابن عطية ١٢٩/٥ — ١٣٠ ؛ لسان العرب لابن منظور ٣٣٣/١٣ — ٣٣٤. مادة: قرن، ط دار الفكر.

(٢) اعراب القرآن للعكبري ٢٣٥/١؛ الدرالمصون ١٠/٣

(٣) في [ق] بالمطر.

(٤) اعراب القرآن للعكبري ٢٣٥/١؛ الدرالمصون ١٠/٣

عنهم شيئا ﴿وأنشأنا من بعدهم قرنا ءاخرين﴾ بدلا منهم ﴿ولو نزلنا عليك كتبا﴾ مكتوبا ﴿في قرطاس﴾ في ورق ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ هو للتأكيد، لئلا يقولوا ﴿سكرت أبصارنا﴾ [1] ومن المحتج عليهم الأعمى ﴿لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ تعنتا، وعنادا للحق بعد ظهوره ﴿وقالوا لولا﴾ هلا أنزل عليه، على النبي عليه السلام ﴿ملك﴾ يكلمنا أنه: نبي، فقال الله ﴿ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر﴾ لقضى أمر هلاكهم ﴿ثم لا ينظرون﴾ لا يمهلون، بعد نزوله طرفة عين، لأنهم إذا شاهدوا ملكا في صورته، زهقت أرواحهم، من هول ما يشاهدون، ومعنى: ﴿ثم﴾ بعد ما بين الأمرين، قضاء الأمر، وعدم الإنظار، [جعل][2] عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر، لأن مفاجأة الشدة، أشد من نفس الشدة.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ (٩) وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (١٠) قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (١١) قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢) وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٣) قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (١٤).

---

[1] سورة الحجر رقم الآية [١٥].

[2] في [ق] وجعل.

﴿ولو جعلنـــه ملكا﴾ ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا، لأنهم كانوا تـارة يقولون؛ لولا أنزل على محمد ملك، وتارة يقولون: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾[1] ﴿لجعلنـــه رجلا﴾ لأرسلناه في صورة رجل، كمـا كان ينـــزل جبريل – عليه السلام – على رسول الله – ﷺ – في أعم الأحوال، [في][2] صورة دحية،[3] لأنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم ﴿وللبســـنا عليهم ما يلبسون﴾ ولخلطنا وأشكلنا عليهم من أمره، إذ كان سبيله، كسبيلك يا محمد، فإنهم يقولون، إذا رأوا الملك في صورة الإنسان: هذا إنســـان وليـس بملك، يقال: لبست الأمر، على القوم، وألبسته إذا شبهته عليـــهم، وأشـكلته عليهم، ثم سلي نبيه على ما أصابه من استهزاء قومه، بقوله: ﴿ولقد اســـتهزئ
١٦٥/ب برسل من قبلك فحاق بالذين / سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون﴾ فأحــاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزئون به، وهو الحق، حيث أهلكـــوا مـــن أجـل الاســـتهزاء به، ﴿ومنهم﴾ متعلق بـــ﴿ســـخروا﴾ كقولـــه: ﴿فيســـخـرون منهـــم﴾[4] والضمير للرسل، والدال مكسور عند أبي عمرو، وعاصم، لالتقـاء الساكنين وضمها غيرهما إتباعا لضم التاء[5] ﴿قل سيروا في الأرض ثم انظـــروا كيف كان عـــقبة المكذبين﴾ والفرق بين ﴿فانظروا﴾ وبين ﴿ثم انظـــروا﴾ إن

---

[1] سورة المؤمنون رقم الآية [٢٤].

[2] في الأصل: مع ولعل الصواب، ما أثبت.

[3] هو الصحابي الجليل: دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرىء القيس بن عامر الأكبر بن عـــوف الكلبي، صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق، وقيل: أحد و لم يشهد بدرا، وكان يضرب به المثـــل في حســـن الصورة، وكان جبريل –عليه السلام – يترل على صورته، وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية سرية وحده، وشهد اليرموك، وكان على كردوس، وقد نزل دمشق، وسكن غزة وعاش إلى خلافة معاوية، الاصابـــة ٤٧٣/١ – ٤٧٤ مختصرا ط ١٣٩٨هـــ دار الفكر.

[4] جزء من آية رقم [٧٩] من سورة البقرة.

[5] الدال في قوله تعالى: (ولقد) كسرها أبوعمرو وعاصم لالتقاء الساكنين وضمها غيرهم، انظر اعراب القـــرآن للعكبري ٢٣٦/١ ؛ الدرالمصون ١٤/٣ – ١٥ ؛ البحر المحيط ٨٥/٤

النظر جعل مسببا عن السير في ﴿فانظروا﴾ فكأنه قيل: سيروا لأجل النظـو، ولا تسيروا سير الغافلين، ومعنى: ﴿سيروا في الأرض ثم انظروا﴾ إباحـــة الســـير في الأرض للتجارة، وغيرها، وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبـــه علـــى ذلـــك بـــ﴿ثم﴾ لتباعد ما بين الواجب، والمباح ﴿قل لمن ما في السموات والأرض﴾ من استفهام ﴿وما﴾ بمعنى الذي، في موضع الرفع على الابتداء، ولمن خـــبره[1] ﴿قل لله﴾ تقريرلهم، أي: هو لله لا خلاف بيني وبينكم، ولا تقدرون أن تضيفوا شيئا منه إلى غيره ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ أصل ﴿كتب﴾ أوجب، ولكـن لا يجوز الإجراء على ظاهره،[2] إذ لا يجب على الله شيء للعبد، فالمراد به: أنه وعـد ذلك وعدا مؤكدا وهو منجزه لا محالة، وذكر النفـــس للاختصـــاص، ورفـــع الوسائط، ثم أوعدهم على إغفالهم النظر، وإشراكهم به، من لا يقدر على خلـق شيء، بقوله:﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة﴾ فيجازيكم على إشراككم ﴿لا ريب فيه﴾ في اليوم، أو في الجمع ﴿الذين خسروآ أنفسهم﴾ نصب على الـــذم، أي: أريد الذين خسروا أنفسهم باختيارهم الكفـــر ﴿فـــهم لا يؤمنـــون﴾ وقـــال الأخفش[3]﴿الذين﴾ بدل من ﴿كم﴾ في ﴿ليجمعنكم﴾ أي: ليجمعن هـــؤلاء المشركين، الذين خسروا أنفسهم، والوجه: هو الأول، لأن سيبويه[4]قـــال: لا يجوز مررت بي المسكين، ولا بك المسكين، فتجعل المسكين بدلا من اليـــاء، أو

[1] اعراب القرآن للعكبري ٢٣٦/١؛ الدرالمصون ١٦/٣

[2] لايحسن، أن يقال: لايجوز الاجراء على ظاهره في كلام الله عزوجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى كتب على نفسه أن يرحم من شاء منهم وذلك واقع لامحالة وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

[3] الأخفش هو: عبدالحميد بن عبدالمجيد أبوالخطاب، الأخفش، الكبير النحوى، أخذ عن يونس، وهو من أئمـــة اللغة والنحو وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب و لم يعرف تاريخ وفاته، أنباء الرواه ١٥٧/٢ - ١٥٨

[4] هو: عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـــ"سيبويه" يكنى: أبا البشر وأبا الحسن، ومعنى: سيبويه بالفارســـية: رائحة التفاح، أخذ النحو عن الخليل بن أحمد الفراهيدي ... وهو إمام النحاة وأول من بسط علم النحـــو ... توفي بفارس في أيام الرشيد سنة [١٨٠هـــ] وقيل غيرذلك. أنباء الرواة ٣٤٦/٢ ومابعدها.

الكاف، لأهما في غاية الوضوح، فلا يحتاجان إلى البدل، والتفسير[1]﴿ولـــه﴾ عطف على "لله" ﴿ماسكن في اليل والنهار﴾ من السكنى، حتى يتناول السـاكن، والمتحرك، أو: من السكون، ومعناه: ما سكن وتحرك فيهما، فـــاكتفى بـــأحد الضدين، عن الآخر، كقوله: ﴿تقيكم الحر﴾أي: الحر، والبرد، وذكر الســكون، لأنه أكثر من الحركة، وهو احتجاج على المشركين، لأهم لم ينكروا أنه خـــالق الكل ومدبره ﴿وهو السميع العليم﴾ يسمع كل مسموع، ويعلم كل معلـــوم، فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان ﴿قل أ غير الله أتخذ وليا﴾ نـــاصرا، ومعبودا، وهو مفعول ثان ﴿لأتخذ﴾ والأول ﴿غير﴾ وإنما أدخل همزة الاستفهام على مفعول ﴿أتخذ﴾ لا عليه، لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليـــا، لا في اتخـــاذ الولي، فكان أحق بالتقديم[2]﴿فاطر السموات والأرض﴾ بـــالجر صفـــة ﴿لله﴾ أي:/ مخترعهما، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – ما عرفت معنى الفـــاطر، ١٦٦/أ
حتى اختصم إلي أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها[3]﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾ وهو يرزق ولا يرزق، أي: المنافع كلها من عنده، ولا يجـــوز عليه الانتفاع،﴿قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ لأن النبي سابق أمتـــه في الإسلام، كقوله: ﴿وبذلك أمرت وأنا أول المســلمين﴾[4]﴿ولا تكونـــن مـــن المشركين﴾ وقيل لي: لا تكونن من المشركين، ولو عطف على ما قبلـــه لفظـــا لقيل: وأن لا أكون، والمعنى: أمرت بالإسلام، ونهيت عن الشرك.

---

[1] انظر اعراب القرآن للعكبري ٢٣٦/١ ؛ الدرالمصون ١٨/٣؛ البحرالمحيط ٨٧/٤

[2] إعراب القرآن للعكبري ١٣٦/١ ؛ إعراب القرآن للنحاص ٥٨/٢

[3] النهاية في غريب الحديث الأثر لابن الأثير ٤٥٧/٣ باب: الفاء مع الطاء، ط دار احياء التراث العربي، وذكـــره ابن جرير في تفسيره ٢٨٣/١١عن مجاهد.

[4] سورة الأنعام رقم الآية [١٦٣].

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٥) مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ(١٦)وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١٧) وَهُوَ
ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ(١٨) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةًۖ قُلِ
ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ
أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ قُل لَّآ أَشْهَدُۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ(١٩)ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا
يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(٢٠) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٢١).

﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ أي: إني أخاف عذاب يوم عظيم، وهو القيامة، إن عصيت ربي، فالشرط معترض بين الفاعل، والمفعول به، محذوف، الجواب ﴿من يصرف عنه﴾ العذاب ﴿يومئذ فقد رحمه﴾ الله الرحمة العظمى، وهي النجاة ﴿من يصرف﴾حمزة، وعلي، وأبو بكر،[1]أي: من يصرف الله عنه العذاب ﴿وذلك الفوز المبين﴾ النجاة الظاهرة ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ من مرض، أو فقر، أو غير ذلك من بلاياه ﴿فلا كاشف له إلا هو﴾ فلا قادر على كشفه إلا هو ﴿وإن يمسسك بخير﴾ من غنى، أو صحة ﴿فهو على كل شيء قدير﴾ فكان قادرا على إدامته، أوإزالته، ﴿وهو القاهر﴾ مبتدأ، وخبر، أي: الغالب المقتدر ﴿فوق عباده﴾ خبر بعد خبر [2] أي:

---

[1] قرأ حمزة والكسائي وأبوبكر (من يصرف) بفتح الياء وكسر الراء، وغيرهم بضم الياء وفتح الراء (من يصرف) انظر السبعة ص ٢٥٤ ؛ النشر ٢/٢٥٦ – ٢٥٧

[2] اعراب القرآن للعكبري ٢٣٧/١؛ الدرالمصون ٢٦/٣

[غالب][1]عليهم بالقدرة،[2]والقهر: بلوغ المراد بمنع غيره [عن][3] بلوغه ﴿وهو الحكيم﴾ في تنفيذ مراده ﴿الخبير﴾ بأهل القهر من عباده ﴿قل أي شيء أكـــبر شهادة﴾ ﴿أي شيء﴾مبتدأ ﴿وأكبر﴾ خبره ﴿وشهادة﴾ تمييز ﴿وأي﴾كلمة يراد بها بعض ما يضاف إليه، فإذا كانت استفهاما، كان جوابها، مسمى باسم مـــا أضيفت إليه[4]وقوله:﴿قل الله﴾جواب، أي: الله أكبر شهادة، فالله مبتدأ، والخبر محذوف، فيكون دليلا على أنه يجوز إطلاق اسم الشيء على الله تعالى، وهـــذا لأن الشيء اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم، والله تعالى موجود فيكـــون شيئا ولذا نقول: الله تعالى شيء، لا كالأشياء،[5] ثم ابتــدأ[6] ﴿شهيــد بينــي وبينكم﴾ أي: هو شهيد بيني وبينكم، ويجوز: أن يكون الجواب: الله شهيد بيني وبينكم، لأنه إذا كان الله شــهيــدا بينه وبينهم، فأكبر شيء شـــــــهادة

---

[1] في [ق] عال.

[2] تفسير الفوقية بقوله: (عال عليهم بالقدرة) مذهب المتكلمين من معتزلة وأشاعرة وماتريدية وهو تفسير مـردود إذ علو الله عزوجل على خلقه وكونه سبحانه بائنا من خلقه فوق عرشه مما تواترت عليه النصوص من الكتـــاب والسنة ويتعذر تأويلها ومن ذلك قوله تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ....) سورة فـــاطر آية رقم [١٠] وقوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) سورة طه الآية رقم [٥] وانظر شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣٨٧/٣ ومابعدها للامام أبي القاسم اللالكائي المتوفى ٤١٨هـ تحقيق الدكتـور/ أحمـد سـعد الغامدي.

[3] في [ق] من.

[4] اعراب القرآن للعكبرى ٢٣٧/١ ؛ الدرالمصون ٢٦/٣ – ٢٧

[5] في ذلك رد على الجهمية المعطلة الذين ينفون صفات الله تعالى، لأن حقيقة قولهم: تعطيل ذات الله عن الوجود، وكان رأسهم الجهم ينكر أن يسمى الله شيئا زعما منه أن إثبات كون الله شيئا يلزم منه مشابهة، كسائر الأشـياء، وأتباع الجهم قد يتحاشون في بعض الأحيان عن قول الجهم بإنكار كون الله شيئا فيقولون: هو شيء لا كالأشياء، وهذه الكلمة حق، فالله سبحانه وتعالى شيء لايماثله أحد في خلقه ولكن يقال لهم: هل أثبتم اسمـــاء الله تعـالى وصفاته الواردة في كتاب الله وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم – وقلتم بنفي المماثلة كما قلتم إنه شيء لا كالأشياء .... التحفة المهدية شرح الرسالة التدميرية ص ٢٧٦-٢٧٧

[6] المرجعين السابقين، وانظر تفسير البحر المحيط ٩٣/٤ - ٩٥

شهيد له[1]﴿وأوحي إلي هذا القرء ان لأنذركم به ومن بلغ﴾ أي: ومن بلغـــه القرآن إلى قيام الساعة، في الحديث (من بلغه القرآن فكأنما رأى محمـدا)[2]- ﷺ - ومن في محل النصب، بالعطف، على ﴿كم﴾ والمراد به: أهل مكة، والعـــائد إليه محذوف، أي: ومن بلغه، وفاعل ﴿بلـغ﴾ ضمـــير ﴿القــرآن﴾ ﴿أئنكـــم لتشهدون أن مع الله ء الهة أخرى﴾ استفهام إنكار، وتبكيت ﴿قل / لآ أشهد﴾ ١٦٦/ب
بما تشـــهدون، وكرر﴿قــل﴾ توكيدا ﴿إنما هو إلـــه واحد﴾ ﴿ما﴾ كافة لإن عن العمل، وهو مبتدأ، وإله خبره، وواحد صفة، أو بمعنى الذى في محل النصـــب بإن، وهو مبتدأ، وإله خبره، والجملة: صلة الذي، وواحد خبر إن[3] وهذا الوجه أوقع ﴿وإنني برىء مما تشركون﴾ به ﴿الذين ءاتينـــهم الكتـــــب﴾ يعـــني: اليهود والنصارى، والكتاب: التوراة والإنجيل ﴿يعرفونه﴾ أي: رسول الله – ﷺ – بحليته، ونعته الثابت في الكتابين ﴿كما يعرفون أبنآء هم﴾ بحلاهم، ونعوتهم، وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به، وبصحـــة نبوتـــه، ثم قـــال: ﴿الذين خسروآ أنفسهم﴾من المشركين، ومن أهل الكتاب الجاحدين ﴿فــهم لا يؤمنون﴾ به ﴿ومن أظلم﴾ استفهام، يتضمن معنى النفي، أي: لا أحـــد أظلـــم لنفسه، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه،[4]وأشنعه اتخاذ المخلوق معبـــودا ﴿ممن افترى﴾ اختلق ﴿على الله كذبا﴾ فيصفه بما لا يليق بـــــه ﴿أو كـــذب بآياته﴾ بالقرآن، والمعجزات ﴿إنه﴾ إن الأمر، والشأن ﴿لا يفلح الظالمـــــون﴾

---

[1] المرجعين السابقين، وانظر تفسير البحر المحيط ٩٣/٤ - ٩٥

[2] ذكره ابن أبي حاتم ١٢٧١/٤ وابن جرير الطبري في تفسيره ٢٩١/١١ بلفظ: (من بلغه فقد أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم) وحكاه السيوطي في الدر ٢٥٧/٣ ط ١٤٠٣هـــ وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن الضريـــس وابـــن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبوالشيخ عن محمد بن كعب القرظي.

[3] اعراب القرآن للعكبري ٢٣٨/١ ؛ الدرالمصون ٢٨/٣

[4] انظر لسان العرب ٣٧٣/١٢ مادة : ظلم.

جمعوا بين أمرين باطلين، فكذبوا على الله ما لا حجة عليه، وكذبوا بما ثبت بالحجة، حيث قالوا: الملائكة بنات الله، وسموا القرآن والمعجزات سحرا.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ(٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ(٢٣) ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ(٢٤) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ(٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ(٢٦) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢٧).

﴿ويوم نحشرهم﴾ هو مفعول به، والتقدير: واذكر يوم نحشرهم ﴿جميعا﴾ حال من ضمير المفعول[1]﴿ثم نقول للذين أشركوا﴾ مع الله غيره، توبيخا، وبالياء فيهما يعقوب[2]﴿أين شركاؤكم﴾ آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله ﴿الذين كنتم تزعمون﴾ أي: تزعمونهم شركاء، فحذف المفعولان ﴿ثم لم تكن﴾ وبالياء حمزة، وعلي[3]﴿فتنتهم﴾كفرهم ﴿إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾يعني: ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم، وقاتلوا عليه، إلا جحوده، والتبرؤ منه، والحلف على الانتفاء من التدين به، أو ثم لم يكن جوابهم، إلا أن

---

(1) اعراب القرآن للعكبري ٢٣٨/١ ؛ الدرالمصون ٢٩/٣ — ٣٠

(2) انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ؛ النشر ٢٥٧/٢ ؛ اعراب القرآن للعكبري ٢٣٨/١

(3) المراجع السابقة.

قالوا فسمى فتنة لأنه كذب، ويرفع الفتنة مكي، وشامي، وحفص،[1][فمن قرأ تكن بالتاء ورفع الفتنة، فقد جعل الفتنة اسم تكن، وإن قالوا: الخبر أي: لم تكن فتنتهم إلا قولهم، ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل أن قالوا اسم يكن أي: لم يكن فتنتهم إلا قولهم، ومن قرأ بالتاء ونصب الفتنة حمل على المقالة][2]ربنا حمزة، وعلي، على النداء، أي: يا ربنا وغيرهما بالجر على النعت من اسم الله[3] ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف كذبوا على أنفسهم﴾ بقولهم ما كنا مشركين، قال مجاهد — رحمه الله-: إذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون سعة رحمة الله، وشفاعة الرسول-ﷺ -للمؤمنين، قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك، لعلنا ننجو مع أهل التوحيد، فإذا قال الله لهم:﴿ أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ ﴿قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾فيختم الله على أفواههم، فتشهد عليهم جوارحهم[4]﴿وضل عنهم﴾ وغاب/ عنهم ﴿ما كانوا يفترون﴾ إلهيته، ١٦٧/أ
وشفاعته،﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ حين تتلو القرآن، روى: أنه اجتمع أبو سفيان، والوليد، والنضر، وأضرابهم، يستمعون تلاوة رسول الله-ﷺ- فقالوا للنضر مايقول محمد؟ فقال: والله ماأدرى مايقول، إلا أنه يحرك لسانه ويقول: اساطير الأولين مثل ماحدثتكم عن القرون الماضية، فقال أبو سفيان: إني لأراه حقا، فقال أبو جهل: كلا. فنزلت[5]﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية جمع

---

(1) المراجع السابقة.

(2) في [ق] فمن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل (أن قالوا) إسم يكن، أي: لم يكن فتنتهم إلا قولهم، ومن قرأ بالتاء ونصب الفتنة حمل على المقالة.

(3) السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٤-٢٥٥؛ النشر ٢/٢٥٧؛ اعراب القرآن للعكبري ١/٢٣٨

(4) ذكر نحوه ابن جرير في تفسيره ١١/٣٠٣ المحقق؛ وحكاه الامام السيوطي في الدر ٣/٢٥٩ وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(5) انظر تفسير البحر المحيط ٤/١٠١؛ أسباب النزول للواحدي [٢١٧] في رواية أبي صالح عن ابن عباس، وأبوصالح لم يسمع من ابن عباس فهو ضعيف.

كنان، وهو الغطاء، مثل عنان، وأعنة ﴿أن يفقهوه﴾ كراهة أن يفقهوه ﴿وفي ءاذانهم وقرا﴾ ثقلا يمنع من السمع، ووحد الوقر، لأنه مصدر، وهو عطف على أكنة،[1] وهو حجة لنا في الأصلح على المعتزلة[2] ﴿وإن يروا كل ءاية لا يؤمنوا بها حتى إذا جآءوك يجدلونك يقول الذين كفروا﴾ ﴿حتى﴾ هي التي تقع بعدها الجمل، والجملة، قوله: إذا جاؤك يقول الذين كفروا و﴿يجادلونك﴾ [في موضع الحال، ويجوز أن تكون جارة، ويكون إذا جاؤك في موضع الجر، بمعنى: وقت مجيئهم،][3] ﴿ويجادلونك﴾ حال، ﴿ويقول الذين كفروا﴾ تفسير له[4] والمعنى: أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم ﴿يجادلونك﴾ ويناكرونك، وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون: ﴿إن هذآ﴾ ما القرآن ﴿إلآ أساطير الأولين﴾ فيجعلون كلام الله أكاذيب، وواحد الأساطير أسطورة ﴿وهم﴾ أي: المشركون ﴿ينهون عنه﴾ ينهون الناس عن القرآن، أو عن الرسول، واتباعه، والإيمان به، ﴿وينئون عنه﴾ ويبعدون عنه بأنفسهم، فيضلون، ويضلون، ﴿وإن يهلكون﴾ بذلك ﴿إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ أي: لا يتعداهم الضرر إلى غيرهم، وإن كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله وقيل عني به أبو طالب لأنه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله – ﷺ – وينأى عنه، فلا يؤمن به، والأول أشبه ﴿ولو ترى﴾ حذف

---

[1] انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٣٨ ؛ الدرالمصون ٣/٣٢ – ٣٣

[2] حيث يقولون: أنه يجب على الله: أن يفعل لهم الأصلح وقاسوه بذلك بالمخلوقين وهذا مبني على أصلهم الفاسد، أن أفعال العباد مخلوقة لهم، وهذا الزعم هو الضلال في نفسه، وهو مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، يقول الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم – : (إنك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدي من يشاء) [القصص آية: ٥٦] ولو كان الهدى بيان الطريق لما صح هذا النفي عن نبيه لأنه – صلى الله عليه وسلم – بيان الطريق لمن أحب وأبغض، وقوله تعالى: (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ...) [السجدة: ١٣] فلو كان الهدى من الله: البيان، وهو عام في كل نفس لما صح التقيد بالمشيئة ...) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٩٥ - ٩٦

[3] ساقطة من [ق].

[4] انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٣٨ – ٢٣٩ ؛ الدرالمصون ٣/٣٣ – ٣٤

جوابه، أي: ولو ترى لشاهدت أمرا عظيما ﴿إذ وقفوا على النار﴾ أروها حتى يعاينوها، أو حبسوا على الصراط فوق النار ﴿فقالوا ياليتنا نرد﴾ إلى الدنيا، تمنوا الرد إلى الدنيا ليؤمنوا، وتم تمنيهم، ثم ابتدءوا بقوله: ﴿ولا نكذب بأيت ربنا ونكون من المؤمنين﴾ واعدين الإيمان، كأنهم قالوا: ونحن لا نكذب ونؤمن، ولا نكذب، ونكون حمزة وحفص[1] على جواب التمني بالواو، وبإضمار أن، ومعناه: إن رددنا لم نكذب، ونكن من المؤمنين، وافقهما في ونكون، شامي.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ(٢٨) وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ(٢٩) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ(٣٠) قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ(٣١) وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(٣٢) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾(٣٣).

﴿بل﴾ للإضراب عن الوفاء بما تمنوا ﴿بدا لهم﴾ ظهر لهم ﴿ما كانوا يخفون﴾ من الناس ﴿من قبل﴾ في الدنيا من قبائحهم، وفضائحهم في صحفهم، وقيل: هو في المنافقين، وأنه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه، أو في أهل الكتاب، وأنه

[1] السبعة لابن مجاهد ص ٥٥٥؛ اعراب القرآن للعكبري ٢٣٩/١

يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله -ﷺ- ﴿ولــو ردوا﴾ إلى الدنيا، بعد وقوفهم على النار/ ﴿لعادوا لما نهوا عنه﴾ من الكفــر ﴿وإنــهم لكــذبون﴾ فيما وعدوا من أنفسهم، لا يوفون به ﴿وقالوا﴾ عطـــف علـى ﴿لعادوا﴾ أي: ولو ردوا لكفروا، ولقالوا ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة، [أو على قوله ﴿وإنهم لكاذبون﴾أي: وإنهــم لقــوم كاذبون في كل شيء، وهم الذين قالوا ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾][1]وهــي: كناية عن الحياة، أو هو ضمير القصة ﴿وما نحن بمبعوثين، ولو ترى إذ وقفــوا على ربهم﴾ مجاز عن الحبس للتوبيخ،[2]والسؤال، كما يوقف العبد الجاني بــين يدي سيده ليعاتبه، أو وقفوا على جزاء ربهم ﴿قال﴾ جواب لسؤال مقدر،كأنــه قيل: ماذا قال لهم ربهم إذا وقفوا عليه ؟ فقيل: قال ﴿أليس هــذاأي: البعــث ﴿بالحق﴾ بالكائن الموجود، وهذا تعيير لهم على التكذيب للبعث، وقولهم: لمــا كانوا يسمعون من حديث البعث، ماهو بحق ﴿قالوا بلى وربنا﴾ أقروا، وأكــدوا الإقرار باليمين ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ بكفركم ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقآء الله﴾ ببلوغ الآخرة، وما يتصل بها، أو هو مجــري على ظاهره، لأن منكر البعث، منكر للرؤية،﴿حتى﴾ غاية لكذبوا، لا لخســر، لأن خسرانهم، لا غاية له﴿إذا جآء تهم الساعة﴾أي: القيامة، لأن مدة تأخرهــا،

١٦٧/ب

[1] ساقطة من الأصل، ومثبتة من [ق].

[2] الذي يظهر من خلال السياق: أن الوقوف أمام الحق عزوجل وقوفا حقيقيا وذلك لأنه قال بعدها: (قال: أليس هذا بالحق ... ؟) والعذاب لايقول، وعليه فلا داعي للقول بالمجاز والله أعلم.

مع [تأبد مابعدها،][1] كساعة[2] ﴿بغتة﴾ فجأة، وانتصابها على الحـــال،[3] يعـــني: باغتة أو على المصدر، كأنه قيل: بغتتهم الساعة بغتة، وهي ورود الشيء علـــى صاحبه، من غير علمه بوقته ﴿قالوا يـــحسرتنا﴾ نداء تفجع، معناه: ياحســـرة احضري، فهذا أوانك ﴿على ما فرطنا﴾ قصرنا ﴿فيها﴾ في الحياة الدنيـــا، أو في الساعة، أي: قصرنا في شأنها، وفي الإيمان بها ﴿وهـــم يحملـــون أوزارهـــم﴾ آثامهم، ﴿على ظهورهم﴾ خص الظهر لأن المعهود حمل الأثقال على الظـــهور كما عهد الكسب بالأيدي وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يفارقهم،[4] وقيل: إن الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقبح شيء صورة وأخبثه ريحا فيقول أنـــا عملك السيء فطالما ركبتني في الدنيا وأنا أركبك اليوم[5] ﴿ألا سآء ما يـــزرون﴾ بئس شيئا يحملونه، وأفاد ألا تعظيم ما يذكر بعده ﴿وما الحيوة الدنيا إلا لعـــب ولهو﴾ جواب لقولهم ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ واللعب: ترك ما ينفع، بمـــا لا ينفع، واللهو: الميل عن الجد، إلى الهزل، قيل: ما أهل الحـــيـــاة الـــدنيـــا، إلا أهـــل لعـــب، ولهـــو، وقيل: ما أعمـــال الحيـــاة الدنيـــا، إلا لعب، ولهـــو، لأنها [لا][6] تعقب منفعة، كما تعقب أعمال الآخرة، المنافع العظيمة ﴿وللـــدار﴾

---

(1) في [ق] مع تأبدها بعدها.

(2) في [ق] زيادة واحدة.

(3) اعراب القرآن للعكبري ٢٣٩/١ ؛ الدرالمصون ٤٤/٣

(4) تفسير البحر المحيط ١١٢/٤ ؛ الدرالمصون ٤٤/٣

(5) ذكر نحوه الامام ابن جرير الطبري ٣٢٧/١١ المحقق، وحكاه الامام السيوطي في الدرر ٢٦٣/٣ وزاد نســـبته لابن أبي حاتم؛ وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٢٩/٢ ط دار المعرفة ١٤٠٠هـــ وهو موقوف على عمرو بن قيس الملائي، وعليه فالأثر ضعيف بالإسناد المذكور.

(6) ساقطة من [ق].

مبتدأ[1]﴿الأخرة﴾صفتها، وللدار الآخرة، بالإضافة شامي،[2]أي: ولدار الساعة الآخرة، لأن الشيء لا يضاف إلى صفته، وخبر المبتدأ على القراءتين ﴿خير للذين يتقون﴾ وفيه دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لعب، ولهو،﴿أفلا تعقلون﴾بالتاء مدني، وحفص،[3]ولما قال أبو جهل: ما نكذبك يا محمد، وإنك عندنا / لمصدق، وإنما نكذب ما جئتنا به نزل،[4]﴿قد نعلم إنه﴾ الهاء ضمير الشأن ﴿ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك﴾ لا ينسبونك إلى الكذب، وبالتخفيف نافع، وعلى،[5]من أكذبه، إذا وجده كاذبا ﴿ولكن الظلمين بآيت الله يجحدون﴾من إقامة الظاهر مقام المضمر، وفيه دلالة على أنهم ظلموا في جحودهم، والباء يتعلق بـ"يجحدون" أو بـ"الظالمين" كقوله ﴿فظلموا بها﴾[6]والمعنى: أن تكذيبك أمر راجع إلى الله، لأنك رسوله المصدق بالمعجزات، فهم لا يكذبونك في الحقيقة، وإنما يكذبون الله، لأن تكذيب الرسول، تكذيب المرسل. ١٦٨/أ

(1) انظر اعراب القرآن للعكبرى ٢٤٠/١ ؛ اعراب القرآن للنحاس ٦٣/٢

(2) انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٦ ؛ النشر ٢٥٧/٢

(3) انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٦ ؛ النشر ٢٥٧/٢

(4) اخرجه الامام الترمذي في سننه ٣٢٦/٤ ط ١٤٠٣/٢، تحقيق/ عبدالرحمن محمد عثمان، من طريق معاوية بن هشام عن على بن أبي طالب – رضي الله عنه – وذكره الامام الطبري ٣٣٤/١١ وحكاه الامام السيوطي في الدر ٢٦٣/٣ وعزاه للترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والحاكم.

(5) انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٧ ؛ النشر ٢٥٧/٢ – ٢٥٨

(6) جزء من الآية رقم [١٠٣] من سورة الأعراف.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ
نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن
كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا
فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن
يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ
يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يُحْشَرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ تسلية لرسول الله – ﷺ – وهو دليل على أن قوله: ﴿فإنهم لا يكذبونك﴾ليس بنفي لتكذيبه، وإنما هو من قولك لغلامك إذا أهانه بعض الناس: إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني ﴿فَصَبَرُوا﴾والصبر: حبس النفس على المكروه ﴿على ما كُذِّبوا وأُوذوا﴾ على تكذيبهم وإيذائهم ﴿حتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنا ولا مُبدِّلَ لكَلِمَاتِ الله﴾ لمواعيده من قوله: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون﴾[1]﴿إنا لننصر رسلنا﴾[2]﴿ولقد جآءَكَ من نَّبَإِى المُرسَلينَ﴾ بعض أنبائهم، وقصصهم، وماكابدوا من مصابرة المشركين، وأجاز الأخفش،[3] أن تكون ﴿من﴾ زائدة والفاعل ﴿نبأ المرسلين﴾[4]وسيبويه:[5]

---

(1) الآية رقم [١٧١ – ١٧٢] من سورة الصافات.

(2) الآية رقم [٥١] من سورة غافر.

(3) تقدمت ترجمته في الصفحة [١٥٥]

(4) انظر اعراب القرآن للعكبري ١/ ٢٤٠

(5) تقدمت ترجمته في الصفحة [١١٤].

لايجيز زيادهما في [الواجب][1]كان يكبر علـــى النـــبي – ﷺ –كفــر قومــه، وإعراضهم، [ويحبوا][2] مجئ الآيات ليسلموا، فنـــزل ﴿وإن كان كبر عليــك﴾ عظم، وشق ﴿إعراضهم﴾ عن الإسلام ﴿فإن استطعت أن تبتغى نفقا﴾ منفــذا تنفذ فيــه إلى ما تحت الأرض، حتى تطلع لهـــم آيــة يؤمنــون بهــا ﴿فى الأرض﴾صفة ﴿لنفقا﴾ [3]﴿أو سلما في السمآء فتأتيهم﴾ منها ﴿بأية﴾فــافعل، وهو جواب، فإن استطعت، وهو وجوابها، جواب ﴿وإن كان كبر﴾ والمعـــنى: إنك لا تستطيع ذلك، والمراد بيان حرصه على إسلام قومه، وأنه لو اسـتطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض، أو من فوق السماء لأتى بها، رجاء إيمانهم ﴿ولـــو شآء الله لجمعهم على الهدى﴾ لجعلهم بحيث يختارون الهدى، ولكن لما علم أنهم يختارون الكفر، لم يشأ أن يجمعهم على ذلك،[4]كذا قاله الشيخ أبومنصـــور[5] – رحمه الله–﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ من الذين يجهلون ذلــــك، ثم أخـــبر أن حرصه على هدايتهم لا ينفع، لعدم سمعهم، كالموتى، بقوله: ﴿إنما يستجيب الذيــن يسمعون﴾ أي: إنما يجيب دعاءك: الذين يسمعون دعاءك بقلوبهـــــم ﴿والموتــى﴾ مبتدأ، أي: الكفار ﴿يبعثهم الله ثم إليه يرجعون﴾ فحينئذ يسمعون، وأما قبل ذلــك فلا ﴿وقالوا لولا نزل عليه﴾ هلا أنزل عليه ﴿ءاية من ربه﴾ كما نقترح من جعــل الصفا ذهبا، وتوسيع أرض مكة، وتفجير الأنهار خلالها، ﴿قُل إنَّ الله قادرٌ علـــى أن يُنَـــزِّلَ آيَة﴾ كما اقترحوا ﴿ولَــكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾أن الله قـــادر/ علـــى أن ١٦٨/ب
ينـــزل تلك الآيـــة، أولا يعلمون ما عليهم في الآيـــة من البلاء، لو أنزلت ﴿وَمَـــا

[1] في [ق] الموجب.

[2] في [ق] ويحب ولعلة الصواب

[3] إعراب القرآن للعكبري ٢٤٠/١؛ وانظر الدرالمصون ٥٠/٣

[4] الذي عليه أهل السنة والجماعة: أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله خالق أفعال العباد، وأنه سبحانه وتعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، لكنه لايرضاه ولايحبه، فيشاؤه كونا ولايرضاه دينا .... انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٧؛ وينظر الفتاوى ٩١/٨ – ١٢٠، وسيأتي ص   من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

[5] تقدمت ترجمته في صفحة [٣٠].

من دابة﴾ هي اسم لما يدب، وتقع على المذكر والمؤنـــث ﴿فــي الأرض﴾ في موضع جر صفة لدابة[1]﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾ قيد الطيران بالجناحين، لنفي المجاز، لأن غير الطائر قد يقال فيه: طار إذا أسرع ﴿إلا أمم أمثالكم﴾ في الخلق، والموت، والبعث، والاحتياج، إلى مدبر يدبر أمر مراشدها ﴿ما فرطنـــا﴾ مـــا تركنا ﴿في الكتاب﴾ في اللوح المحفوظ ﴿من شيء﴾ من ذلك لم نكتبـــه، ولم نثبت ما وجب أن يثبت، أو الكتاب: القرآن، وقوله: ﴿من شيء﴾ أي: مـــن شيء يحتاجون إليه، فهو مشتمل على [ماتعبدنا][2] بـــه،[عبـــارة،][3] وإشـــارة، ودلالة، واقتضاء،[3]﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ يعني: الأمم كلها من الـــدواب، والطيور، فينصف بعضها من بعض، كما روى" أنه يأخذ للجماء من القرنـــاء ثم يقول: كوني ترابا"[4] وإنما قال: ﴿إلا أمم﴾ مع إفراد الدابـــة، والطـــائر، لمعـــنى

---

[1] انظر اعراب القرآن للعكبري ٢٤١/١ ؛ الدرالمصون ٥٢/٣

[2] في [ق] ماتعبدناه.

[3] ساقطة من [ق].

[3] هذه ألفاظ أصولية ذكرها المؤلف –يرحمه الله – نتيجة تأثره بأصول الفقه مع إني لم أجدها في كتب التفاسـير الأخرى والمراد بهذه الألفاظ بالآتي:

١ – عبارة، أي: الاستدلال بعبارة النص وهو العمل بظاهر ماسيق الكلام له، وأريد به قصدا ويعلم قبل التأمل أن ظاهر النص متناول له، كشف الأسرار شرح المصنف على المنار للامام النسفي يرحمه الله ٣٧٤/١ ط دار الكتـب العلمية ١٤٠٦هـــ.

٢ – وإشارة: أي: الاستدلال بإشارة النص، فهو العمل بماثبت بنظمه لغة لكنه غير مقصود ولاسيق لـــه النـــص وليس بظاهر من كل وجه، كشف الأسرار للنسفي ٢٧٥/١.

٣ – ودلالة: يقصد به الاستدلال الثابت بدلالة النص وهو: ماثبت بمعنى النص لغة لااجتهادا كالنهي عن التأليف، يوقف به على حرمة الضرب بدون الاجتهاد. كشف الاسرار ٣٨٣/١.

٤ – واقتضاء: يريد به الاستدلال الثابت باقتضاء النص فما لم يعمل النص إلا بشرط تقدمه عليه، فإن ذلك أمـــر اقتضاء النص لصحة مايتناوله ... كشف الأسرار ٢٩٣/١

[4] أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال: لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء) صحيح مسلم ١٩٩٧/٤ رقم الحديث [٥٢٨٢] كتاب: البر والصلة، كما أخرجه الامام الترمذي في سننه ٣٧/٤ عنه به.

الاستغراق فيهما، ولما ذكر من خلائقه، وآثار قدرته، ما يشهد لربوبيته، وينادى على عظمته، قال:

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ(٣٩) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ(٤١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ(٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ(٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٤٥) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾(٤٦).

﴿والذين كذبوا بأياتنا صم﴾ لا يسمعون كلام المنبه ﴿وبكم﴾ لاينطقون بالحق خابطون ﴿في الظلمات﴾ أي: ظلمة الجهل، والحيرة، والكفر، غافلون عن تأمل ذلك، والتفكر فيه، صم، وبكم، خبر، الذين، ودخول الواو، لا يمنع من ذلك، وفي الظلمات: خبر آخر،[1] ثم قال: إيذانا بأنه: ﴿فعال لما يريد﴾[2]﴿من يشإ الله يضلله﴾ أى:من يشأ الله ضلاله يضلله ﴿ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾

---

(١) انظر اعراب القرآن للعكبرى ٢٤١/١ ؛ الدرالمصون ٥٣/٣ – ٥٤

(٢) سورة البروج رقم الآية [١٦].

وفيه دلالة خلق الأفعال[1] وإرادة المعاصي[2] ونفي الأصلح[3] ﴿قــل أرءيتكــم﴾ وبتليين الهمزة مدني، [وبتركها] على،[4] ومعناه: هل علمتم أن الأمر كما يقـال لكم ؟ فأخبروني بما عندكم، والضمير الثاني: لا محل له من الإعـراب، والتـاء ضمير الفاعل، ومتعلق الاستخبار، محذوف، تقديره: أرأيتكـم[5] ﴿إن أتـاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة﴾ من تدعون ؟ ثم بكتهم بقوله: ﴿أغير الله تدعون﴾ أي: أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضر ؟ أم تدعـون الله دونها ؟﴿إن كنتم صادقين﴾ في أن الأصنام آلهة، فادعوها، لتخلصكم،﴿بل إيـاه تدعون﴾ بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة ﴿فيكشف ما تدعون إليه﴾ أي: مـا تدعونه إلى كشفه ﴿إن شاء﴾ إن أراد أن يتفضـل عليكـم ﴿وتنسـون مـا تشركون﴾ وتتركون آلهتكم، أو لاتذكرون آلهتكـم في ذلـك الوقـت، لأن أذهانكم مغمورة [بذكر ربكم][6] وحده، إذ هو القادر على كشف الضـر دون غيره، ويجوز: أن يتعلق الاستخبار بقوله: ﴿أغير الله تدعون﴾ كأنه قيل: أرايتكم أغير الله تدعون، إن أتاكم عذاب الله ؟ ﴿ولقد أرسلنآ إلى أمم مـن قبلـك﴾ رسلا، فالمفعول محذوف، فكذبوهم[7] ﴿فأخذناهم بالبأساء والضراء﴾ / بالبؤس، ١٦٩/أ
والضر، والأول: القحط، والجوع، والثـاني: المـرض، ونقصـان الأنفـس،

---

[1] انظر : ص

[2] وذلك أنهم يزعمون أن الله أراد الايمان من الناس كلهم لكن الكافر أراد الكفر ولاشك أن قولهم هذا فاسـد مردود – إذ يتضمن أنه يكون في هذا الكون مالا يريده الله تعالى – والمذهب الصحيح ماذهب إليه أهل السـنة والجماعة: أن الله وإن كان يريد المعاصى قدرا فهو لايحبها ولايرضاها بل يبغضها ويسخطها وينهى عنـها .... وانظر التفصيل ص [٩١] من هذا البحث.

[3] وقد سبق التعليق على هذه الجملة عند قوله: (وفي اذانهم وقر) ص [١٦٢].

[4] في [ق] وبتركه وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٧ ؛ النشر ص ٢٥٨

[5] انظر اعراب القرآن للعكبرى ١/٢٤٢ ؛ الدرالمصون ٣/٥٥ – ٥٩

[6] في [ق] بذكر الله ربكم.

[7] اعراب القرآن للعكبري ١/٢٤٢؛ الدرالمصون ٣/٥٥ – ٥٩

والأموال، ﴿لعلهم يتضرعون﴾ يتذللون، ويتخشعون لربهم، ويتوبون عن ذنوبهم، فالنفوس تتخشع عند نزول الشدائد ﴿فلولا إذجآءهم بأسنا تضرعوا﴾أي: هــلا تضرعوا بالتوبة، ومعناه: نفي التضرع، كأنه قيل: فلم يتضرعـــوا، إذ جـــاءهم بأسنا، ولكنه جاء بـــ﴿لولا﴾ ليفيد أنه لم يكن لهم عذر، في تـــرك التضـــرع ﴿ولـــكن قست قلوبهم﴾ فلم ينـــزجروا بما ابتلوا به ﴿وزين لهم الشيطان مـــا كانوا يعملون﴾ وصاروا معجبين بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم ﴿فلما نســـوا ما ذكروا به﴾ من البأساء، والضراء أي: تركوا الاتعاظ به، و لم يزجرهم ﴿فتحنا عليهم أبواب كل.شيء﴾ من الصحة، والسعة وصنوف النعمة فتحنا شـــامي[1] ﴿حتى إذا فرحوا بمآ أوتوآ﴾ من الخير والنعم ﴿أخذناهم بغـتـــة فـــإذا هـــم مبلسون﴾ آيسون، متحسرون، وأصله: الإطراق حزنا، لما أصابه، أو ندما علـــى ما فاته، وإذا للمفاجأة ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلمـــوا﴾أي: أهلكـــوا عـــن آخرهم، و لم يترك منهم أحد ﴿والحمد لله ربالعالمين﴾ إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة، وأنه من أجل النعم، وأجزل القسم، أو احمـــدوا الله علـــى إهلاك من لم يحمد الله، ثم دل على قدرته، وتوحيده، بقوله: ﴿قل أرء يتـــم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم﴾ بأن أصمكم وأعماكم ﴿وختم على قلوبكـــم﴾ فسلب العقول والتمييز ﴿من إلـــه غير الله يأتيكم به﴾ بما أخذ، وختم عليـــه، ﴿من﴾ رفع بالابتداء وإله خبره ﴿وغير﴾ صفة لإله وكذا يأتيكم والجملـــة في موضع مفعولي ﴿أرأيتم﴾ وجواب الشرط محذوف[2]﴿انظر كيف نصرف﴾ لهـــم ﴿الأيات﴾ أي: نكررها ﴿ثم هم يصدفون﴾ يعرضون، عـــن الآيـــات بعـــد ظهورها، والصدوف: الإعراض عن الشيء.

---

[1] قرأ ابن عامر وابن وردان بتشديد التاء (فتحنا) هنا وفي الأعراف والقمر و (فتحت) في الأنبيـــاء .... وقـــرأ الباقون في الأربعة بالتخفيف. السبعة ص ٢٥٧؛ النشر ص ٢٥٨

[2] اعراب القرآن للعكبري ٢٤٣/١ ؛ الدرالمصون ٦٦/٣

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ
بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ
وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ
وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن
شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾.

﴿قل أرء يتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة﴾ بأن لم تظهر أماراته،﴿أو جهرة﴾ بأن ظهرت أماراته، وعن الحسن:[1]ليلا أو نهارا[2]﴿هل يهلك إلا القوم الظـلمون﴾ مايهلك هلاك تعذيب وسخط، إلا الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم [بربهـــم،][3] ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾بالجنان، والنـــيران، للمؤمنـــين، والكفار،[4][و لم][5]نرسلهم ليقترح عليهم الآيات، بعد وضوح أمرهم بالـبراهين القاطعة، والأدلة الساطعة ﴿فمن أمن وأصلح﴾ أي: [داوم][6] على إيمانه ﴿فـلا

---

[1] هو البصرى.

[2] انظر أحكام القرآن للقرطبي ٤٢٩/٦ ؛ والبحر المحيط ٤:١٣٦

[3] ساقطة من [ق].

[4] أرى لوقيل: بالجنان للمؤمنين، والنيران للكفار، لكان أولى وأوضح بدلا من الجمع بدون تمييز.

[5] في [ق] ولن.

[6] في [ق] دام.

خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ﴿فلا خوف﴾ يعقوب[1]﴿والذين كذبوا بأيــتنا يمسهم العذاب﴾ جعل العذاب ماسا،كأنه: حي يفعل بهم، ما يريد مـــن الآلام ﴿بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم، وخروجهم، عن طاعة الله تعالى بـــالكفر ﴿قل لآ أقول لكم عندي خزآئن الله﴾أي: قسمه بين الخلق، وأرزاقــه، ومحــل ﴿ولآ أعلم الغيب﴾ النصب عطفا على محل ﴿عندي خزائن الله﴾ لأنه من جملــة المقول، كأنه قال: لا / أقول لكم هذا القول، ولا هذا القول ﴿ولآ أقول لكـــم ١٦٩/ب
إني ملك﴾أي: لا أدعي ما يستبعد في العقول، أن يكون لبشر، من ملك خزائن الله، وعلم الغيب، ودعوى الملكية، وإنما أدعى ما كان لكثير من البشر، وهـــو النبوة ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلى﴾أي: ما أخبركم إلا بما أنزل الله علي ﴿قل هل يستوى الأعمى والبصير﴾ مثل للضال، والمهتدي، أو لمن اتبع ما يوحى إليـــه، ومن لم يتبع، أو لمن يدعى المستقيم، وهو النبوة، والمحال، وهوالإلهيـــة ﴿أفــلا تتفكرون﴾ فلا تكونوا ضالين أشباه العميان، أو فتعلموا أنى ما ادعيت ما لا يليق بالبشر، أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى [إلى][2]مالا بد لي منه ﴿وأنذر به﴾ بمـــا يوحى ﴿الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾ هم المسلمون المقرون بالبعث، إلا أنهم مفرطون في العمل، فينذرهم بما أوحى إليه، أو أهل الكتاب، لأنهم مقـــرون بالبعث ﴿ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع﴾ في موضع الحال، من ﴿يحشـــروا﴾ أي: يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ﴿لعلهم يتقون﴾ يدخلون في زمرة أهل التقوى، ولما أمر- عليه السلام - بإنذار غير المتقين ليتقوا، أمر بعد ذلك بتقريب المتقين، ونهي عن طردهم، بقوله: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربـــهم بالغداة والعشى﴾ وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم، أي: عبادته ويواظبـــون عليها، والمراد بذكر الغداة والعشي: الدوام، أو معناه: يصلون صلاة الصبـــح،

---

(1) انظر الدر المصون ٦٧/٣

(2) ساقطة من [ق].

والعصر، أوالصلوات الخمس، بالغدوة شامي،[1] ووسمهم بالإخلاص في عبادتهم، بقوله: ﴿يريدون وجهه﴾ فالوجه يعبر به عن ذات الشيء، وحقيقته، نزلـت في الفقراء بلال، وصهيب، وعمار، وأضرابهم، حين قال رؤساء المشـــركين: لـو طردت هؤلاء السقاط لجالسناك، فقال - عليه السلام — ما أنا بطارد المؤمنـين، فقالوا: اجعل لنا يوما، ولهم يوما، وطلبوا بذلك كتابا، فدعا عليا - رضـي الله عنه - ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية، فنـزلت، فرمي — عليـه الصـلاة والسلام — بالصحيفة وأتى الفقراء فعانقهم[2]﴿ما عليك من حســـابهم مـن شيء﴾ كقوله: ﴿إن حسابهم إلا على ربي﴾[3] ﴿وما من حسابك عليهم مـن شيء﴾ وذلك أنهم طعنوا في دينهم، وإخلاصهم، فقال: حسابهم عليـــهم لازم لهم، لا يتعداهم إليك، كما أن حسابك عليك، لا يتعداك إليهم ﴿فتطردهـم﴾ جواب النفي، وهو ما عليك من حسابهم ﴿فتكون من الظالمين﴾ جواب النهي، وهو ولا تطرد، ويجوز: أن يكون عطفا على ﴿فتطردهم﴾ على وجه التسبيب، لأن كونه ظالما، مسبب عن طردهم[4].

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ(٥٣) وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا

---

[1] قرأ ابن عامر (بالغدوة) بضم الغين وإسكان الدال وواو بعدها هنا وفي الكهف وقرأ الباقون بفتح الغين والـدال والف بعدهما في الموضعين. انظر السبعة ص ٢٥٩ ؛ النشر ٢٥٨/٢

[2] اخرجه الامام مسلم — رحمه الله ١٨٧/٤ في كتاب: فضائل الصحابة رقم حديثى الباب [٤٥، ٤٦] ورقـــم [٢٤١٣] باب: فضل سعد بن أبي وقاص — رضي الله عنه — وابن ماجة ١٣٨٢/٢ — ١٣٨٣ كتاب: الزهـــد، باب: في مجالسة الفقراء، وقال ابن ماجه: في الزوائد: اسناده صحيح ورجاله ثقات، وقد روى مسلم والنســـائي والمصنف بعضه من حديث سعد بن أبي وقاص — رضي الله عنه -، وانظر أسباب نزول القرآن للواحـــدي ص ٢١٩ — ٢٢١ بتحقيق: كمال بسيوني زغلول.

[3] سورة الشعراء رقم الآية [١١٣].

[4] إعراب القرآن للعكبري ٢٤٣/١ ؛ الدرالمصون ٧١/٣

فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٥٤) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ(٥٥) قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ(٥٦) قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ(٥٧) قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(٥٨).

﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾ ومثل ذلك الفتن العظيم، ابتلينا الأغنياء بالفقراء، ﴿ليقولوا﴾أي: الأغنياء ﴿أ هؤلآء من الله عليهم من بيننا﴾أي: أنعم الله عليهم بالإيمان، ونحن المقدمون، والرؤساء، وهم / الفقراء، إنكارا لأن يكون أمثالهم ١٧٠/أ على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير، ونحوه ﴿لوكان خيرا ما سبقونا إليه﴾[1]﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ بمن يشكر نعمته ﴿وإذا جآءك الذين يؤمنون بأياتنا فقل سلام عليكم﴾إما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله إليهم، وإما أن يكون أمرا بأن يبدأهم بالسلام، إكراما لهم، وتطييبا لقلوبهم، وكذا قوله: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ من جملة ما يقول لهم، ليبشرهم بسعة رحمة الله، وقبوله التوبة منهم، ومعناه: وعدكم بالرحمة وعدا مؤكدا ﴿أنه﴾ الضمير للشأن ﴿من عمل منكم سوءا﴾ ذنبا ﴿بجهالة﴾ في موضع الحال، أي:[2]عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة، أو جعل جاهلا لإيثاره المعصية على الطاعة

---

[1] سورة الأحقاف رقم الآية [١١].

[2] اعراب القرآن للعكبري ١/٢٤٤ ؛ الدر المصون ٣/٧٣ – ٧٤

﴿ثم تاب من بعده﴾ من بعد السوء، أو العمل ﴿وأصلح﴾ وأخلص توبته ﴿فأنه غفور رحيم﴾ أنه ﴿فإنه﴾ شامي وعاصم[1] الأول: بدل الرحمة، والثاني: خبر مبتدأ محذوف أي: فشأنه ﴿أنه غفور رحيم﴾ ﴿أنه﴾ ﴿فأنه﴾مدني،[2] الأول بدل الرحمة، والثاني: مبتدأ، ﴿إنه﴾ ﴿فإنه﴾غيرهم على الاستئناف، كأن الرحمة استفسرت، فقيل: إنه من عمل منكم ﴿وكذلك نفصل الأيات ولتستبين﴾وبالياء، حمزة، وعلي، وأبوبكر، ﴿سبيل المجرمين﴾ مدني، غيره بالرفع،[3] فرفع السبيل مع التاء، والياء، لأنها تذكر، وتؤنث، ونصب السبيل مع التاء، على خطاب الرسول-ﷺ- يقال: استبان الأمر، وتبين واستبنته، وتبينته، والمعنى: ومثل ذلك التفصيل البين، نفصل آيات القرآن، ونلخصها في صفة أحوال المجرمين، من هو مطبوع على قلبه، ومن يرجى إسلامه، ولتستوضح سبيلهم، فتعامل كلا منهم بما يجب أن يعامل به، فصلنا ذلك التفصيل،﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾أي: صرفت، وزجرت بأدلة العقل، والسمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله ﴿قل لآ أتبع أهوآءكم﴾أي:لا أجرى في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى، دون اتباع الدليل، وهو بيان بسبب الذي منه، وقعوا في الضلال ﴿قد ضللت إذا﴾أي: إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال ﴿ومآ أنا من المهتدين﴾ وما أنا من المهتدين في شيء، يعني: أنكم كذلك، ولما نفي أن يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله: ﴿قل إني على بينة من ربي﴾أي: إني على معرفة ربي، وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة ﴿وكذبتم به﴾ حيث أشركتم به غيره، وقيل: على بينة من ربي، على حجة من جهة ربي، وهى القرآن، وكذبتم به بالبينة، وذكر الضمير، على تأويل

---

[1] السبعة ص ٢٥٨ ؛ النشر ٢٥٨/٢

[2] السبعة ص ٢٥٨ ؛ النشر ٢٥٨/٢

[3] المرجعين السابقين.

البرهان، أو البيان، أو القرآن، ثم عقبه بما دل على أنهم أحقاء بأن [يعــاقبوا][1]
بالعذاب فقال: ﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾يعني: العذاب الذي استعجلوه/ في ١٧٠/ب
قولهم ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾[2]﴿إن الحكم إلا للــه﴾ في تأخــير
عذابكم ﴿يقص الحق﴾ حجازي، وعاصم،[3]أي: يتبع الحق والحكمة فيما يحكم
به، ويقدره، من قص أثره، الباقون: يقضي الحق، أي: القضاء الحــق في كــل
مايقضي من التأخير، والتعجيل، فالحق، صفة لمصدر يقضي، وقوله ﴿وهو خــير
الفاصلين﴾أي: القاضين بالقضاء الحق، اليق إذا الفصل هو القضاء، وسقوط الياء
من الخط لاتباع اللفظ وسقوطها لالتقاء الساكنين في اللفــظ ﴿قــل لــو أن
عندي﴾أي: في قدرتي وإمكاني ﴿ما تستعجلون به﴾ من العذاب ﴿لقضى الأمــر
بيني وبينكم﴾ لأهلكتكم عاجلا غضبا لربي ﴿والله أعلــم بالظــالمين﴾ فــهو
ينــزل عليكم العذاب في وقت يعلم أنه أردع.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ(٥٩) وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(٦٠) وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ(٦١) ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ(٦٢) قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن

---

[1] في [ق]يفافصوا.

[2] سورة الأنفال رقم الآية [٣٢].

[3] قرأ المدنيان وابن كثير وعاصم (يقص) بالصاد مهملة مشددة من القصص، وقرأ الباقون بإسكان الكاف وكسر الضاد معجمة من القضاء .... السبعة ص ٢٥٩ ؛ النشر ٢٥٨

ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(٦٣).

﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمهآ إلا هو﴾ [المفاتح][(١)]جمع مفتح وهو المفتـــاح، [وهي][(٢)]خزائن العذاب، والرزق [أو ما غاب عن العباد من الثواب، والعقـاب، والآجال، والأحوال، جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة،][(٣)]لأن المفـــاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن المستوثق منها، بالإغلاق، والإقفال، ومـــن علـم مفاتحها، وكيفية فتحها توصل إليها، فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحـــده، لا يتوصل إليها غيره، كمن عنده مفاتح أقفال المخازن، ويعلم فتحـــها، فـهو المتوصل إلى ما في المخازن، قيل:عنده مفاتح الغيب، وعندك مفاتح العيـــب[(٤)] فمن آمن بغيبه أسبل الله الستر على عيبه ﴿ويعلم ما في الـــبر﴾ مـــن النبـات والدواب ﴿والبحر﴾ من الحيوان، والجواهر، وغيرهما﴿وما تسقط من ورقـــة إلا يعلمها﴾ما للنفي، ومن للاستغراق، أي: يعلم عددها، وأحوالها، قبل الســـقوط وبعده ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس﴾ عطف على ورقـــة، وداخل في حكمها، وقوله: ﴿إلا في كتاب مبـــين﴾ كـــالتكرير لقولـــه ﴿إلا يعلمها﴾لأن معنى ﴿إلا يعلمها﴾ومعنى ﴿إلا في كتاب مبين﴾واحد وهو علـــم الله، أو اللوح، ثم خاطب الكفرة بقوله: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾أي:يقبـض أنفسكم عن التصرف بالتمام في المنام ﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ كسبتم فيـــه من الآثام ﴿ثم يبعثكم فيه﴾ ثم يوقظكم في النهار، أوالتقديـــر: ثم يبعثكـــم في النهار، ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الكسب، لأنه أهم، وليس فيه، أنه لا يعلم مـا

(١) في [ق] المفاتيح.
(٢) في [ق] وهـــو
(٣) ساقطة من [ق].
(٤) انظر الدر المصون ٣/٧٨ - ٧٩

جرحنا بالليل، ولا أنه لا يتوفانا بالنهار، فدل أن تخصيص الشيء بـــالذكر، لا يدل على نفي ما عداه ﴿ليقضى أجل مسمى﴾ لتوفر الآجال على الاســتكمال ﴿ثم إليه مرجعكم﴾ رجوعكم بالبعث بعد الموت ﴿ثم ينبئكـــم بمـــا كنتـــم تعملون﴾ في ليلكم ونهاركم، قال بعض أهل الكلام: إن لكل حاسة من هـــذه الحواس روحا تقبض عند النوم ثم ترد إليها إذا ذهب النوم فأما الروح التي تحيـــا

١٧١/أ بها/ النفس فإنها لا تقبض إلا عند انقضاء الأجل والمــراد بـــالأرواح: المعـــاني، والقوى التي تقوم بالحواس، ويكون بها السمع، والبصر، والأخـــذ، والمشـــي، والشم،[1] ومعنى: ﴿ثم يبعثكم فيه﴾أي:يوقظكم، ويرد إليكم أرواح الحـــواس، فيستدل به على منكري البعث، لأنه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس، ثم يردها إليها، فكذا يحيي الأنفس بعد موتها ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرســل عليكـــم حفظة﴾ملائكة حافظين لأعمالكم، وهم الكرام الكاتبون، ليكون ذلك أزجـــر للعباد عن ارتكاب الفساد، إذا تفكروا أن صحائفهم لقرض على رءوس الأشهاد ﴿حتى إذا جآء أحدكم الموت﴾ حتى لغاية حفظ الأعمال، أي: ذلـــك دأب الملائكة مع المكلف مدة الحياة، إلى أن يأتيه الممات ﴿توفته رسلنا﴾أي: استوفت روحه، وهم: ملك الموت وأعوانه، توفيه، واستهويه، بالإمالة حمزة ﴿رسلنا﴾أبو عمرو[2]﴿وهم لا يفرطون﴾ لا يتوانون، ولا يؤخرون ﴿ثم ردوا إلـــى الله﴾ إلى حكمه، وجزائه أي: رد المتوفون برد الملائكة،﴿مولاهم﴾ مالكهم الذي يلـــي

---

[1] ذكرت عدة أقوال عن ماهية الروح ولكن جميع هذه الأقوال لاتستند إلى دليل قطعي، والذي عليه سلف الأمة أن الروح من الأمور الغيبية التي لايعلمها إلا الله والتي لايستطيع العقل معرفتها إلا عن طريـــق الوحـــي، لقولـــه سبحانه: (قل الروح من أمر ربي ...) الاسراء الآية رقم [٨٥]

ولذلك لما رأى السلف أن القوم سألوا الروح فلم يجابوا، والوحي ينـــزل، والرسول صلى الله عليه وسلم حـــي، سكتوا وعلموا أن السكوت عما لم يحط بحقيقة علمه أولى. انظر تفسير ابن عطيـــة ٩/١٨٠-١٨١؛ زاد المســير ٥/٨٢

[2] السبعة ص ٢٥٩؛ النشر ٢/٢٥٨

عليهم أمورهم ﴿الحق﴾ العدل الذي لا يحكم إلا بالحق، وهما صفتان لله ﴿ألا له الحكم﴾ يومئذ لا حكم فيه لغيره ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ لايشغله حساب عن حساب، يحاسب جميع الخلق في مقدار حلب شاه، وقيل: الرد إلى من ربك خير من البقاء مع من آذاك ﴿قل من ينجيكم﴾ ينجيكم [عباس][1]﴿من ظلمات البر والبحر﴾ مجاز[2]عن مخاوفهما وأهوالهما، أو ظلمات البر:الصواعق، [والبحر:][3] الأمواج، وكلاهما في الغيم، والليل ﴿تدعونه﴾ حال من ضمير المفعول في ينجيكم ﴿تضرعا﴾ معلنين الضراعة وهو مصدر في موضع الحال،[4] وكذا ﴿وخفية﴾أي:مسرين في أنفسكم خفية، حيث كان أبو بكر وهما لغتان[5] ﴿لئن أنجانا﴾عاصم، وبالإمالة حمزة، وعلي، والباقون: أنجيتنا،[6] والمعنى: يقولون لئن خلصنا ﴿من هذه﴾ الظلمات ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لله تعالى.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤) قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (٦٦) لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧) وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا

---

(١) هكذا في الأصل:عباس و لم أجد أحدا من القراء أو رواقم بهذا الاسم لعل الصواب ابن عباس–رضي الله عنهما – انظر المرجعين السابقين ؛ وانظر الدرالمصون ٣/٨٤

(٢) لا يمنع أن يكون على حقيقته إذ ظلمات البر والبحر يحصل فيها من الخوف والفزع مالا يحصل في النور وعليه فلا داعي أن يحمل على المجاز.

(٣) ساقطة من [ق].

(٤) اعراب القرآن للعكبري ١/٢٤٦ ؛ الدرالمصون ٣/٨٤

(٥) السبعة ص ٢٥٩ – ٢٦٠. ؛ النشر ٢/١٥٨ – ١٥٩

(٦) السبعة ص ٢٥٩ – ٢٦٠ ؛ النشر ٢/١٥٨ – ١٥٩

تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ(٦٨) وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(٦٩) وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾(٧٠).

﴿قل الله ينجيكم﴾بالتشديد كوفي[١]﴿منها﴾ من الظلمات ﴿ومن كل كـوب﴾ غم، وحزن ﴿ثم أنتم تشركون﴾ ولاتشكرون ﴿قل هو القادر﴾ هـو الـذي عرفتموه قادرا، و:هو الكامل القدرة، فاللام يحتمل العهد والجنس ﴿علـى أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم﴾ كما أمطر على قوم لوط، وعلى أصحاب الفيل الحجارة ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ كما أغرق قوم فرعون، وخسف بقارون، أو من قبل سلاطينكم، وسفلتكم أو:هو حبس المطر، والنبات ﴿أو يلبسكم شيعا﴾ [أي:][٢] يخلطكم فرقا مختلفين، على أهواء شتى، كل فرقة منكم مشايعة لإمـام، ومعنى خلطهم:/ أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتـال ١٧١/ب
﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ يقتل بعضكم بعضا، والبأس: السيف، وعنـه - عليه الصلاة والسلام - (سألت الله تعالى أن لا يبعث على أمتي عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلـهم فأعطـاني ذلـك وسـألتـه أن لا يجعل بأسـهم بينـهم فمنعني، وأخبرني جـبريل أن فنـاء أمـتي

---

[١] السبعة ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ؛ النشر ١٥٨/٢ - ١٥٩

[٢] في [ق] أو

بالسيف)[1]﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ بالوعد، والوعيد،﴿لعلهم يفقهون وكذب به﴾بالقرآن، أو بالعذاب ﴿قومك﴾ قريش ﴿وهو الحق﴾أي: الصدق، أو لا بد أن ينزل بهم ﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ بحفيظ، وكل الي أمركم، إنما أنا منذر ﴿لكل نبإ﴾ لكل شيء ينبأ به، يعني: إنباءهم بأنهم يعذبون، وإيعادهم به﴿مستقر﴾وقت استقرار، وحصول لا بد منه ﴿وسوف تعلمون﴾ تهديد﴿وإ ذا رأيت الذين يخوضون في أياتنا﴾أي:القرآن، يعني: يخوضون في الاستهزاء بها، والطعن فيها، وكانت قريش في أنديتهم يفعلون ذلك ﴿فأعرض عنهم﴾ فلاتجالسهم، وقم عنهم ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ غير القرآن ممايحل، فحينئذ يجوز أن تجالسهم ﴿وإ ما ينسينك الشيطان﴾ ما نهيت عنه، ينسينك شامي، نسى، وأنسى واحد[2]﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ بعد أن تذكر النهي ﴿مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم﴾ من حساب هؤلاء الذين يخوضون في القرآن، تكذيبا، واستهزاء﴿من شيء﴾أي: وما يلزم المتقين، الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ﴿ولكن﴾ عليهم أن يذكروهم ﴿ذكرى﴾ إذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم، وإظهار الكراهة لهم، وموعظتهم، ومحل ﴿ذكرى﴾نصب أي:ولكن يذكرونهم ذكرى، أي: تذكيرا، أو رفع، والتقدير:ولكن عليهم ذكرى ﴿فذكرى﴾مبتدأ، والخبر

---

[1] قد ذكر في عدة أحاديث دون خبر جبريل، وله شواهد كثيرة فقد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٤/٢٢١٦ عن سعد مرفوعا واخرج بنحوه مطولا عن ثوبان – رضي الله عنه – ٤/٢٢١٥ كتاب الفتن واشراط الساعة باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، كما ذكره الإمام عبدالرزاق الصنعاني في تفسيره ٢/٢١٠ – ٢١١ عن شداد بن أوس مرفوعا، وعن خباب بن الأرت وقوله: (واخبرني جبريل أن فناء أمتي بالسيف) ذكره بلفظ: (وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة) واخرجه ابن ماجه ٢/١٣٠٤ عن ثوبان، وعن معاذ – رضي الله عنه – كتاب الفتن، باب: مايكون من الفتن، وقال ابن ماجه بعد رواية معاذ: في الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقات، كما اخرجه غيرهم بألفاظ مختلفة. وانظر تخريج الاحاديث والاثار للزيلعي ١/٤٤٨ ومابعدها.

[2] السبعة ص ٢٦٠ ؛ النشر ٢/٢٥٩

محذوف[1] ﴿لعلهم يتقون﴾ لعلـــهم يجتنبـون الخـوض، حيـاء، أو كراهـة لمساءتهم، ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم﴾ [الذي][2] كلفوه، ودعوا إليه، وهو ديـن الإسلام، ﴿لعبا ولهوا﴾ حيث سخروا به واستهزءوا، ومعنى ذرهـــم: أعـرض عنهم، ولا تبال بتكذيبهم، واستهزائهم، واللهو: ما يشغل الإنسان، من هـوى، أو طرب ﴿وغرتهم الحيوة الدنيا وذكربه﴾ وعظ بالقرآن ﴿أن تبسل نفس بمـا كسبت﴾ مخافة أن تسلم إلى الهلكة، والعذاب، وترتهن بسوء كسبها، وأصـل الإبسال: المنع ﴿ليس لها من دون الله ولي﴾ [ينصرها بالقوة][3] ﴿ولا شـفيع﴾ يدفع عنها بالمسئلة، ولا وقف على ﴿كسبت﴾ في الصحيح، لأن قوله: ﴿ليـس لها﴾ صفة لنفس، والمعنى: وذكر بالقرآن، كراهة أن تبسل نفـس، عادمـة وليـا وشفيعا بكسبها / ﴿وإن تعدل كل عدل﴾ نصب على المصدر، ﴿وإن﴾ تفد كـل ١٧٢/أ فداء، والعدل: الفدية، لأن الفادي، يعدل المفدي بمثله، وفاعل ﴿لا يؤخذ منها﴾ لاضمير العدل، لأن العدل هنا: مصدر فلا يسند إليه الأخذ، وأما في قولـه ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾[4] فبمعنى المفدى به، فصح إسناده إليه ﴿أولئك﴾ إشـارة إلى المتخذين من دينهم لعبا، ولهوا، وهو مبتدأ والخبر[5] ﴿الذين أبسلوا بما كسـبوا﴾ وقوله ﴿لهم شراب من حميم﴾ أي: ماء سـخين، خـبر ثـان،[6] لأولئـك، والتقدير: أولئك المبسلون، ثابت لهم، شراب من حميم، أو مستأنف ﴿وعـذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ بكفرهم.

---

(1) انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٤٦/١ ؛ الردالمصون ٨٨/٣ — ٨٩

(2) في [ق] الذين.

(3) ساقطة من [ق].

(4) سورة البقرة من الآية رقم [٤٨].

(5) انظر اعراب القرآن للعكبري ٢٤٦/١ — ٢٤٧؛ الدرالمصون ٩١/٣ — ٩٢

(6) انظر اعراب القرآن للعكبري ٢٤٦/١ — ٢٤٧؛ الدرالمصون ٩١/٣ — ٩٢

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧١) وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (٧٣).

﴿قل﴾ لأبي بكر، يقل لابنه عبد الرحمن، وكان يدعو أباه إلى عبادة الأوثان ﴿أندعوا﴾ أنعبد،﴿من دون الله﴾الضار، النافع ﴿ما لا ينفعنا﴾ ما لا يقدر على نفعنا، إن دعوناه،﴿ولا يضرنا﴾ إن تركنا ﴿ونرد﴾ وأنرد ﴿على أعقابنا﴾ راجعين إلى الشرك ﴿بعد إذ هدانا الله﴾للإسلام، وأنقذنا من عبادة الأصنام ﴿كالذي استهوته الشياطين﴾ كالذي ذهبت به الغيلان[1] ومردة الجن، والكاف في محل النصب على الحال من الضمير،[2] في ﴿نرد﴾على أعقابنا، أي: أننكص مشبهين من استهوته الشياطين، وهو استفعال، من هوى في الأرض، إذا ذهب فيها،كأن معناه: طلبت هويه ﴿في الأرض﴾ في المهمة،﴿حيران﴾حال، من مفعول استهوته، أي: تائها، ضالا عن الجادة، لا يدري كيف يصنع،﴿له﴾لهذا المستهوى ﴿أصحاب﴾ رفقة ﴿يدعونه إلى الهدى﴾ إلى أن يهدوه

---

[1] الغول بالضم: الهلكة والداهية، والجمع أغوال، وغيلان، والغول الغلون، وكل مااغتال الانسان فأهلكه فهو غول، وقال ابن الأثير: الغول: احد الغيلان وهو جنس من الشياطين والجني، ومنها قوله – عليه الصلاة والسلام – : (عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل، وإذا تغولت لكم الغيلان فبادروا بالأذان ..... انظر لسان العرب ٥٠٧/١١ مادة: غول؛ والقاموس المحيط ص ١٣٤٤ مادة: غيل

[2] انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٤٧/١ ؛ الدرالمصون ٩٣/٣ – ٩٤

[الطريق،](1) سمى الطريق المستقيم بالهدى، يقولون له: ﴿ائتنا﴾ وقد اعتسف المهمة تابعا للجن، لا يجيبهم، ولا يأتيهم، وهذا مبني على مايقال: إن الجن تستهوي الإنسان، والغيلان تستولى عليه، فشبه به الضال عن طريق الإسلام، التابع لخطوات الشيطان، والمسلمون يدعونه إليه، فلا يلتفت إليهم﴿قل إن هدى الله﴾وهو الإسلام ﴿هو الهدى﴾ وحده، وما وراءه ضلال ﴿وأمرنا﴾ محله النصب بالعطف على محل ﴿إن هدى الله هو الهدى﴾(2) على أنهما مقولان،كأنه قيل: قل هذا القول، وقل أمرنا ﴿لنسلم لرب العالمين﴾ ﴿وأن أقيموا الصلوة﴾والتقدير: وأمرنا لأن نسلم، ولأن أقيموا، أي: للإسلام، ولإقامة الصلاة ﴿واتقوه وهو الذي إليه تحشرون﴾ يوم القيامة ﴿وهو الذي خلق السموت والأرض بالحق﴾بالحكمة، أو محقا ﴿ويوم يقول كن فيكون﴾على الخبر، دون الجواب ﴿قوله الحق﴾ مبتدأ، ﴿ويوم يقول﴾خبره مقدما عليه،(3)كما تقول:يوم الجمعة قولك الصدق، أي: قولك/ الصدق كائن يوم الجمعة، واليوم: بمعنى ١٧٢/ب
الحين، والمعنى: أنه خلق السماوات والأرض بالحق، والحكمة وحين يقول لشيء من الأشياء: كن فيكون ذلك الشيء ﴿قوله الحق﴾والحكمة، أي: لا يكون شيئا من السماوات، والأرض، وسائر المكونات، إلا عن حكمة وصواب﴿وله الملك﴾ مبتدأ وخبر ﴿يوم ينفخ﴾ ظرف(4)لقوله ﴿وله الملك﴾ ﴿في الصور﴾هو القرن بلغة اليمن، أو جمع صورة ﴿عالم الغيب﴾ هو عالم الغيب ﴿والشهدة﴾أي: السر والعلانية ﴿وهو الحكيم﴾ في الإفناء، والإحياء ﴿الخبير﴾ بالحساب، والجزاء .

---

(1) في [ق] إلى الطريق.

(2) انظر اعراب القرآن للعكبري ٢٤٧/١ – ٢٤٨ ؛ الدرالمصون ٩٦/٣ ومابعدها؛ والبحر المحيط ١٦٢/٤ ومابعدها.

(3) انظر المراجع السابقة.

(4) انظر المراجع السابقة.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ(٧٤) وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ(٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ(٧٦) فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ(٧٧) فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾(٧٨).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾هو اسم أبيه، [أو لقبه،][1]لأنه لا خلاف بين النسابين، أن اسم أبيه تارخ، وهو عطف بيان لأبيه،[2]ووزنه فاعل ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْناماً ءالِهَةً﴾ استفهام توبيخ، أي: أتتخذها آلهة، وهي لا تستحق الإلهية ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَلٍ مُّبِينٍ وكَذلِكَ﴾أي: وكما أريناه قبح الشرك ﴿نُرِي إبراهيمَ مَلَكوتَ السمَوَتِ والأرضِ﴾أي: نرى بصيرته لطائف خلق السماوات، والأرض، ونرى حكاية حال ماضية، والملكوت أبلغ من الملك، لأن الواو، والتاء، تزادان للمبالغة، قال مجاهد: فرجت له السموات السبع، فنظر إلى ما فيهن حتى انتهى نظره إلى العرش، وفرجت له الأرضون السبع، حتى نظر إلى ما فيهن[3] ﴿ولِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ فعلنا ذلك، أو ليستدل وليكون من الموقنين عياناً، كما أيقن بياناً ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيلُ﴾أي: أظلم وهو عطف على ﴿قال إبراهيم لأبيه﴾وقوله: ﴿وكذلك نرى إبراهيم﴾جملة اعتراضية بين المعطوف،

---

(1) في [ق] ولقبه.

(2) انظر اعراب القرآن للعكبري ٢٣٧/١ – ٢٤٨ ؛ الدرالمصون ٩٦/٣ ومابعدها والبحر المحيط ١٦٢/٤ ومابعدها.

(3) انظر تفسير الطبري ٤٧٢/١١

والمعطوف عليه ﴿راى كوكبا﴾أي: الزهرة، أو المشتري، وكان أبوه، وقومـــه، يعبدون الأصنام، والشمس، والقمر، والكواكب، فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر، والاســـتدلال، ويعرفـــهم، أن النظـــر الصحيح، مؤد إلى أن شيئا منها ليس بإله، لقيام دليل الحدوث فيها، ولأن لهــا محدثا أحدثها، ومدبرا دبر طلوعها، وأفولها، وانتقالها، ومسيرها، وسائر أحوالها، فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه ﴿قال هذا ربى﴾أي: قال لهم هذا ربي، في زعمكم، أو المراد: أهذا استهزاء بهم، وإنكارا عليهم، والعرب تكتفي عـــن حرف الاستفهام، بنغمة الصوت والصحيح، أن هذا قول من ينصف خصمه مع علمه، أنه مبطل، فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأنه أدعى إلى الحق، وأنجى من الشغب، ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة ﴿فلمآ أفل﴾ غـــاب ﴿قـــال لآ أحب الآفلين﴾أي: لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حـــال إلى
حـــال، لأن ذلك من صفات/ الأجسام ﴿فلما راى القمر بازغا﴾ مبتدئـــا في ١٧٣/أ
الطلوع ﴿قال هذا ربى فلمآ أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن مـــن القـــوم الضآلين﴾ نبه قومه على أن من اتخذ القمر إلها، فهو ضال، وإنما احتج عليـــهم بالأفول دون البزوغ، وكلاهما انتقال من حال إلى حال، لأن الاحتجـــاج بـــه أظهر، لأنه انتقال مع خفاء، واحتجاب ﴿فَلَمَّآ رَاى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَـــالَ هَـــذَا رَبِّى﴾ وإنما ذكره، لأنه أراد الطالع، أو لأنه جعل المبتدأ، مثل الخبر، لأنهما شيء واحد، معنى، وفيه صيانة الرب عن شبهة التأنيث، ولهذا قالوا في صفـــات الله- تعالى — علام، ولم يقولوا: علامة وإن كان الثاني أبلغ، تفاديا من علامة التأنيث ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾ من باب استعمال النصفة أيضاً مع خصومه ﴿فَلَمَّآ أَفَلَـــتْ قَـــالَ يَـــقَوم إِنِّي بَرِيٌّ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ من الأجرام التي تجعلونها شـــركاء لخالقـــها، وقيل: هذا كان نظره، واستدلاله في نفسه، فحكـــاه الله — تعـــالى — والأول أظهر، لقولـــه: ﴿يا قوم إني برئ مما تشركون﴾.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨١﴾.

﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموت والأرض﴾أي: للذي دلت هذه المحدثات على أنه منشئها ﴿حنيفا﴾حال، أي: مائلا عن الأديان كلها، إلى الإسلام ﴿ومآ أنا من المشركين﴾بالله شيئا من خلقه ﴿وحآجه قومه﴾ في توحيد الله — تعالى — ونفي الشركاء عنه،﴿قال أتحاجوني فى الله﴾في توحيده، ﴿أتحاجوني﴾مدني، وابن ذكوان[1]﴿وقد هدان﴾ إلى التوحيد، وبالياء في الوصل، أبو عمرو، ولما خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء قال: ﴿و لآ أخاف ما تشركون به إلآ أن يشآء ربى شيئا﴾ أي: لا أخاف معبوداتكم في وقت قط، لأنها لا تقدر على منفعة، ولا مضرة، إلا إذا شاء ربي أن يصيبني منها بضر، فهو قادر على أن يجعل فيما شاء نفعا، وفيما شاء ضرا، لا الأصنام ﴿وسع ربى كل شيء علما﴾ فلا يصيب عبدا شيء من ضر، أونفع، إلا بعلمه ﴿أفلا تتذكرون﴾ فتميزوا بين القادر، والعاجز ﴿وكيف أخاف مآ أشركتم﴾معبوداتكم، وهي مأمونة الخوف ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به﴾ بإشراكه ﴿عليكم سلطانا﴾ حجة إذ الإشراك لايكون عليه حجة، والمعنى: [وما لكم][2]تنكرون علي الأمن في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن، في موضع الخوف

---

[1] قرأ المدنيان وابن ذكوان بتخفيف النون ... السبعة ص ٢٦١ ؛ النشر ص ٢٥٩-٢٦٠

[2] في [ق] ومالم.

﴿فأي الفريقين﴾ أي: فريقي الموحدين، والمشركين، ﴿أحق بالأمن﴾ من العذاب ﴿إن كنتم تعلمون﴾ و لم يقل: فأينا، احترازا من تزكيــة نفســه، ثم اســتأنف الجواب عن السؤال، بقوله:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ(٨٢) وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ(٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ(٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ(٨٥) وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ(٨٦) وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ(٨٧) ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ(٨٨) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ(٨٩) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ(٩٠)﴾.

﴿الذين ءامنوا ولم يلبسوا/ إيمانهم بظلم﴾ بشرك، عن الصديـــق –رضـــي الله 173/ب
عنه[1]–﴿أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ تم كلام إبراهيم – عليه الســـــلام–
﴿وتلك حجتنآ﴾ إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم–عليه السلام–على قومـه،
من قوله ﴿فلما جن﴾ إلى قوله ﴿وهم مهتدون﴾ ﴿اتيناها إبراهيم على قومـــه﴾
وهو خبر بعد خبر[2] ﴿نرفع درجات من نشآء﴾في العلم، والحكمة، وبـالتنوين،
كوفي،[3]وفيه نقض قول المعتزلة، في الأصلح[4] ﴿إن ربـــك حكيـــم﴾ بـــالرفع

[1] روى البخاري ومسلم رحمهما الله في صحيحيهما عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: لما نزل هذه الآيـة شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يارسول الله وأينا ذلك؟ فقال: (إنما هو الشرك) الم تسمعوا ماقال لقمان لابنـــه: (إن الشرك لظلم عظيم) لقمان:[١٣] البخاري ٧٩/١ – ٨٠ كتاب: الايمان، باب: ظلم دون ظلم ط دارالقلم ١٤٠٧هـ ومسلم في كتاب الايمان ١١٤/١ – ١١٥ حديث رقم [١٩٧].

[2] انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٥٠/١ ؛ الدرالمصون ١١٣/٣

[3] السبعة ٢١٦ – ٢٦٢ ؛ النشر ٢٦٠/٢

[4] حيث يقولون: إنه يجب على الله أن يفعل الأصلح للعبد، قياسا على المخلوقين وهذا مبني على أصلهم الفاسـد، ومعتقدهم الباطل: أن أفعال العباد مخلوقة لهم، ولاشك أن مذهبهم هذا ظاهر البطلان ومردود بصريـــح القـــرآن الكريم والسنة المطهرة، فمن القرآن يقول المولى جل شأنه وتقدست أسماؤه: (إنك لاتهدى من أحببت ولكـــن الله يهدى من يشاء) [سورة القصص رقم الآية: ٥٦].

قال العلماء – رحمهم الله -: ولو كان الهدى بيان الطريق الصحيح لماصح هذا النفي عن نبيه – صلى الله عليـــه وسلم – لأنه – عليه الصلاة والسلام – بين الطريق لمن أحب ولمن أبغض، يقول سبحانه: (من يشاء الله يضللـــه ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم) وغيرهما من الآيات الكريمة الدالة دلالة واضحة على أن الله خلـــق العبـــاد وأفعال العباد، كما قال سبحانه: (والله خلقكم وماتعملون) [سورة الصافات رقم الآية: ٩٦] وفي السنة المطـهرة، مااخرجه الامام البخاري – رحمه الله – في كتاب أفعال العباد، عن حذيفة – رضي الله عنه – قال النبي صلى الله عليه وسلم – (إن الله يصنع كل صانع وصنعته، وتلا بعضهم عند ذلك: (والله خلقكم ومـــاتعملون) فأخـــبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – العجز والكيس في القدر) يقول الامام البخـــاري سمعت عبيدالله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: مازلت أسمع أصحابنا يقولون: افعال العباد مخلوقة، قال البخاري: حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة... فماذا يقول المعتزلة بعد هذه الحجج القاطعة والأدلـة الســـاطعة ؟ نسأل الله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

انظر كتاب: خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل ص ٣٣ ومابعدها، للامام محمد بن اسمـاعيل البخاري المتوفى سنة : ٢٥٦هـ تحقيق وتعليق: أبوهاجر محمد السعيد البسيوني، مكتبة التراث الاسلامي، مصـر، والعقيدة الطحاوية للامام: ابي جعفر الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١ ص ٩٥ – ٩٦ وص ٤٣٣ و ص٤٤٢، ط مكتبة

﴿عليم﴾ بالأهل ﴿وهبنا له﴾ لإبراهيم ﴿إسحاق ويعقوب كلا هدينا﴾أي: كلهم وانتصب ﴿كلا﴾ ﴿بهدينا﴾ ﴿ونوحا هدينا﴾أي: وهدينا نوحا﴿من قبل﴾ من قبل إبراهيم ﴿ومن ذريته﴾ الضمير لنوح، أو لإبراهيم، والأول أظهر، لأن يونس، ولوطا – عليهما السلام – لم يكونا من ذرية إبراهيم عليه السلام، ﴿داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون﴾والتقدير: وهدينا من ذريته هؤلاء ﴿وكذلك نجزى المحسنين﴾ ونجزي المحسنين جزاء، مثل ذلك، فالكاف في موضع نصب، نعت لمصدر محذوف[1]﴿وزكريا ويحيى وعيسى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ﴾أي: كلهم ﴿مِّنَ الصَّالِحين﴾وذكر عيسى، معهم دليل على أن النسب يثبت من قبل الأم –أيضا–لأنه جعله من ذرية، نوح – عليه السلام – وهو لا يتصل به إلا بالأم، وبذا أجيب الحجاج حين أنكرأن يكون بنو فاطمة أولاد النبي–عليه السلام – ﴿وإسْمَاعِيلَ والْيَسَعَ﴾والليسع، حيث كان بلامين حمزة وعلي[2] ﴿وَيُونُسَ ولُوطاً وكُلاًّ فضلنا على العَالمين﴾ بالنبوة، والرسالة ﴿ومن آبائهم﴾ في موضع النصب، عطفاً على[3] ﴿كلا﴾أي: وفضلنا بعض آبائهم ﴿وذُرِّيَّاتِمْ وإخْوَانِهم واجْتَبَيْنَاهُم وَهدينَاهم إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ذلك﴾أي: مادان به هؤلاء [المذكورين][4]﴿هُدَى اللهِ﴾ دين الله ﴿يَهدِى بِهِ مَن يشآءُ من عِبَاده﴾ فيه نقض بقول المعتزلة، لأنهم يقولون:إن الله شاء هداية الخلق كلهم

الدعوة الاسلامية تحقيق ومراجعة/ جماعة من العلماء، خرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وكتاب: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص ١٩٨ ومابعدها، للامام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ ط /١٤٠٧هـ دارالكتب العلمية، بيروت.

[1] اعراب القرآن للعكبري ٢٥٠/١ – ٢٥١؛ الدرالمصون ١١٥/٣

[2] قرأ حمزة والكسائي وخلف هنا وفي ص بتشديد اللام واسكان الياء في الموضعين، وقرأ الباقون بإسكان اللام مخففة وفتح الياء فيهما. السبعة ص ٢٦٢؛ النشر ص ٢٦٠

[3] إعراب القرآن للعكبري ٢٥٢/١ ؛ الدرالمصون ١١٦/٣

[4] وفي [ق] المذكورون.

لكنهم لم يهتدوا[1]﴿ولو أشركوا﴾مع فضلهم، وتقدمهم، وما رفع لهم من الدرجات،﴿لحبط عنهم ماكانوا يعملون﴾ لبطلت أعمالهم،كما قال ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾[2]﴿أولئك الذين أتيناهم الكتاب﴾ يريد الجنس ﴿والحكم﴾ والحكمة، أو فهم الكتاب ﴿والنبوة﴾ وهي أعلى مراتب البشر ﴿فإن يكفر بها﴾بالكتاب، والحكم، والنبوة، أو بالنبوة أو بآيات القرآن ﴿هؤلآء﴾ أي: أهل مكة ﴿فقد وكلنا بها قوما﴾ هم الأنبياء المذكورون، ومن تابعهم، بدليل قوله: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾أو: أصحاب النبي — عليه السلام — أو كل من آمن به، أو العجم، ومعنى توكيلهم بها، أنهم وفقوا للإيمان بها، والقيام بحقوقها،كما يوكل الرجل بالشيء،/ ليقوم به، ويتعهده، ١٧٤/أ
ويحافظ عليه، والباء في ﴿ليسوا بها﴾ صلة كافرين، وفي ﴿بكافرين﴾لتأكيد النفي[3]﴿أولئك الذين هدى الله﴾أي: الأنبياء، الذين مر ذكرهم ﴿فبهداهم اقتده﴾ فاختص هداهم بالاقتداء، ولا تقتد إلا بهم، وهذا معنى: تقديم المفعول، والمراد: ﴿بهداهم﴾ [أمر طريقتهم][4]في الإيمان بالله، وتوحيده، وأصول الدين، دون الشرائع، فهي مختلفة، والهاء في ﴿اقتده﴾للوقف، تسقط في الوصل، واستحسن إيثار الوقف، لثبات الهاء في المصحف، ويحذفها حمزة، وعلي في الوصل، ويختلسها شامي[5] ﴿قل لآ أسئلكم عليه﴾على الوحي، أو على تبليغ الرسالة، والدعاء إلى التوحيد ﴿أجرا﴾جعلا، وفيه دليل على أن أخذ الأجر

---

[1] وقد تقدم في الصفحة [١٩١-١٩٢] الرد على هذا الاعتقاد الباطل.

[2] سورة الزمر رقم الآية [٦٥].

[3] إعراب القرآن للعكبري ٢٥١/١ ؛ الدرالمصون ١١٧/٣

[4] في [ق] طريقتهم بدون كلمة: أمر.

[5] السبعة ص ٢٦٢؛ النشر ص ٢٦٠

على تعليم القرآن، ورواية الحديث، لايجوز[1]﴿إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾ مـــا القرآن إلا عظة للجن والإنس.

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ(٩١) وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ(٩٢) وَمَنْ أَظْلَمُ

---

[1] هذا رأي المؤلف وهو موافق لما ذهب إليه الأحناف والحنابلة، وهم يستدلون بحديث عبادة، لكن جمهور العلماء يقولون: بجواز أخذ الاجرة على تعليم القرآن، ويستدلون بمارواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال: (إن أحق ماأخذتم عليه أجرا كتاب الله) وهذا الحديث صحيح، فقد اخرجه الامام البخارى – رحمـه الله – تعليقـا – في كتاب: الإجارة، باب: مايعطى على الرقية على إحياء العرب بفاتحة الكتاب، انظر البخاري ١٩٥/٢، تحقيق الشيخ/ قاسم الرفاعي، ويؤيدون ماذهبوا إليه بماروى عن سهل بن سعد الصاعدي – رضي الله عنه – والذي فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج امرأة وجعل مهرها تعليمها مامعه من القرآن الكريم، انظر صحيح البخاري ٣٧/٧ – ٣٨ كتاب النكـاح باب رقم [٥١] التزويج على القرآن وبغير صداق.

واستدل الأحناف بعدم جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن بحديث عبادة – رضي الله عنه – ولفظه: (علمت ناسا مـن أهل الصفة الكتاب والقرآن، فأهدى إلي رجل منهم قوسا فقلت: ليست لي بمال فأرمي عليها في سبيل الله فأتيته، فقلت: يارسول الله رجل أهدى إلي قوسا مما كنت اعمله الكتاب والقرآن، وليست لي بمال فأرمي عليها في سبيل الله ؟ مفقـال: (إن كنت تحب أن تطوق طوقا من نار فاقبلها).

وقد جمع الإمام ابن الأمير الصنعاني– يرحمه الله – بين هذه الأحاديث، فقال: وحديث عبادة لا يعارض حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – إذ حديث ابن عباس صحيح، وحديث عبادة في رواية مغيرة ابن زياد مختلف فيه، واستنكر أحمد حديثه، وفيه الأسود بن ثعلبة فيه مقال، فلا يعارض الحديث الثابت، قالوا: ولو صح فإنه محمول على أن عبادة كان متبرعا بالاحسان، وبالتعليم غير قاصد لأخذ الأجرة فحذره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من إبطال أجره وتوعدة .... الخ انظر سبل السلام ١٧١/٣ – ١٧٢؛ المجموع شرح المهذب للامام النووى ١٤/١٥ – ١٦، كتاب: الاجارة تحت قول المؤلف: (فصل) ولا تصح الاجارة إلا على منفعة معلومة، كما ألف العلامة/ محمد بن اسماعيل المعروف بـ(ابـن الأمير الصنعاني) رسالة في جواز أخذ الاجرة على تعليم القرآن سماها: (إضافة البرهان على جواز أخذ الاجرة على تلاوة القـرآن) ساق فيها الأدلة، ورد على المخالفين، والرسالة مطبوعة.

مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ(٩٣).

﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا مآ أنزل الله على بشر من شيء﴾أي: ما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده، حين أنكروا بعثة الرسل، والوحي إليهم، وذلك من أعظم رحمته، ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [1] روى أن جماعة من اليهود، منهم مالك بن الصيف، يجادلون النبي – عليه السلام – فقال النبي – عليه السلام – له (أليس في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين) ؟ قال نعم، قال: (فأنت الحبر السمين) فغضب، وقال ﴿ماأنزل الله على بشر من شيء﴾ [2] ﴿وحق قدره﴾ منصوب نصب المصدر ﴿قل من أنزل الكتب الذي جآء به موسى نورا﴾ حال من [الضمير،][3]في ﴿به﴾أو من ﴿الكتاب﴾[4] ﴿وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا﴾ مما فيه نعت محمد – عليه السلام- أي: بعضوه، وجعلوه قراطيس مقطعة، وورقات مفرقة، ليستمكنوا مما راموا من الإبداء، والإخفاء، وبالياء في الثلاثة، مكي، وأبو عمرو[5] ﴿وعلمتم﴾ ياأهل الكتاب بالكتاب ﴿مالم تعلموا أَنتُم ولآ ءَابَاؤُكُم﴾ من أمور دينكم، ودنياكم ﴿قُلِ اللَّهُ﴾جواب، أي: أنزله

---

[1] سورة الأنبياء رقم الآية [١٠٧].

[2] ذكره ابن جرير ٥٢١/١١-٥٢٢ عن سعيد بن جبير وابن أبي حاتم عنه ١٣٤٢/٤ تحقيق أسعد الطيب، ط نزار الباز، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ؛ وحكاه السيوطي في الدر ٣١٤/٣ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وهو مرسل.

[3] في [ق] من المصدر.

[4] إعراب القرآن للعكبري ٢٥٢/١ ؛ الدرالمصون ١١٩/٣

[5] السبعة ص ٢٦٢ – ٢٦٣ ؛ النشر ٢٦٠/٢

[الله،](1)فإنهم لا يقدرون أن يناكروك ﴿ثُمَّ ذَرْهُم فِي خَوْضِهِم﴾ في باطلـــــهم الذي يخوضون فيه ﴿يَلْعَبُونَ﴾حال من ﴿ذرهم﴾أو من ﴿خوضـــهم﴾ ﴿وَهـــذَا كِتَابٌ أنزَلْنَــهُ﴾عــلى نبينا محمد – عليه السلام –﴿مُبَارَكٌ﴾ كثــير المنـافع، والفوائد ﴿مُّصَدِّقُ الذي بين يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ وبالياء أبو بكـــر،(2) أي:الكتاب، وهو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب،كأنه قيــل:أنزلنــاه للبركات، وتصديق ما تقدمه من الكتب، والإنذار ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ مكة،وسميت أم القرى:لأنها سرة الأرض، وقبلة أهل القرى وأعظمها شأناً، ولأن الناس يؤمونهـا ﴿وَمَنْ حَولَها﴾أهل الشرق، والغرب﴿والذينَ يُؤْمنونَ بـــالآخِرَةِ﴾ يصدقـــون بالعاقبة،ويخافونها ﴿يُؤْمِنُونَ بهِ﴾بهذا الكتاب، فأصل الدين: خوف العاقبة، فمــن خافها / لم يــزل به الخوف حتى يؤمن ﴿وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِم يُحَافِظُون﴾خصــت ١٧٤/ب
الصلاة بالذكر،لأنها علم الإيمان، وعماد الدين، فمن حافظ عليها يحافظ علـــى أخواتها ظاهراً ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً﴾هو:مالك بن الصيــــف ﴿أو قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيهِ شَيءٌ﴾هو: مسيلمة الكذاب ﴿وَمَن قــلَ﴾ في موضع جر، عطف على من ﴿افترى﴾(3) أي: [ممن](4)قال ﴿سَأُنزِلُ مِثْــلَ مـــآ أَنزَلَ اللهُ﴾أي: سأقول وأملي، هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كاتب الوحي، وقد أملي عليه الصلاة والسلام– عليه ﴿ولقد خلقنا الإنســـان﴾ إلى ﴿خلقـــاً آخر﴾فجرى على لسانه ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾(5) فقال –عليه السلام – (أكتبها فكذلك نزلت) فشك، وقال: إن كان محمد صادقاً فقد أوحي إلي كمـا

(1) سقط لفظ الجلالة من [ق].

(2) السبعة ص ٢٦٢-٢٦٣؛ النشر ٢/ ٢٦٠

(3) اعراب القرآن للعكبري ١/ ٢٥٣ ؛ الدرالمصون ٣/ ١٢٢

(4) في [ق] وممن.

(5) سورة المؤمنون رقم الآية [١٢ – ١٤].

أوحى إليه، وإن كان كاذبا، فقد قلت كما قال، فارتد ولحق بمكة،[1]أو النضر بن الحرث،وكان يقول: والطاحنات طحنا، فالعاجنات عجنا، فالخلبزات خبزا،[2]كأنه يعارض ﴿ولو ترى﴾[جوابه][3] محذوف، أي: لرأيت أمرا عظيما ﴿إذ الظلمون﴾ يريد الذين ذكرهم، من اليهود، والمتنبئة، فتكون اللام للعهد، ويجوز: أن تكون للجنس، فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله[4] ﴿في غمرات الموت﴾ شدائده، وسكراته ﴿والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم﴾أي: يبسطون إليهم أيديهم، يقولون:هاتوا أرواحكم، أخرجوها إلينا، من أجسادكم، وهذه عبارة: عن التشديد في الإزهاق، من غير تنفيس، وإمهال ﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾ أرادوا وقت الإماتة، وما يعذبون به من شدة النزع، والهون: الهوان الشديد، وإضافة العذاب إليه،كقولك: رجل سوء، تريد العراقة في الهوان، والتمكن فيه ﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحق﴾ من أن له شريكا، وصاحبة، وولدا، وغير الحق، مفعول ﴿تقولون﴾أو: وصف لمصدر محذوف[5] أي: قولا غير الحق ﴿وكنتم عن أياته تستكبرون﴾ فلا تؤمنون بها.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ

---

(1) انظر تفسير الطبري ١١/٥٣٤ ؛ واسباب النزول للواحدي ٢٤٣ – ٢٤٤ وانظر تفسير البحر المحيط ٤/١٨٣ ومابعدها.

(2) المشهور أن هذا من كلام مسيلمة الكذاب لكن لايمنع أن يكون قال به – أيضا – عبدالله بن سعد بن ابي سرح، والنضر بن الحارث، قال ابن عطية في تفسيره ٥/٢٨٦: وقال عكرمة: أولها في مسيلمة والآخر في عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وذكر الزهراوي والمهدوي: أن الآية نزلت في النضر بن الحارث لأنه عارض القرآن بقوله: والزارعات زرعا، والخابزات خبزا، إلى غير ذلك من السخافات.

ثم قال: فخصص المتأولون في هذه الآيات ذكر قوم قد يمكن أن كانوا أسباب نزولها .... وانظر الدر المنثور ٣/ ٣١٨

(3) ساقطة من [ق].

(4) إعراب القرآن للعكبري ١/٢٥٣ ؛ الدرالمصون ٣/١٢٢ – ١٢٣

(5) المرجعين السابقين.

شُرَكَـٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ(٩٤) إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ(٩٥) فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ(٩٦) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٩٧).

﴿ولقد جئتمونا﴾ للحساب، والجزاء ﴿فرادى﴾منفردين، بلا مال، ولا معين، وهو جمع فريد، كأسير وأسارى ﴿كما خلقناكم﴾ في محل النصب، صفة لمصدر[1] ﴿جئتمونا﴾أي: مجيئا مثل ماخلقنالكم ﴿أول مرة﴾ على الهيئات التي ولدتم عليها، في الانفراد ﴿وتركتم ما خولناكم﴾ ملكناكم ﴿وراء ظهوركم﴾ و لم تحتملوا منه نقيرا،﴿وما نرى معكم شفعآءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركـؤا﴾ في استعبادكم،﴿لقد تقطع بينكم﴾ وصلكم، عن الزجاج،[2]والبين: الوصل والهجر قال.

فوالله لولا البين لم يكن الهوى: ولولا الهوى ماحن للبين آلف[3]

بينكم مدني، وعلي، وحفص،[4]أي: وقع التقطع بينكم ﴿وضل عنكم﴾ وضاع، وبطل،﴿ما كنتم تزعمون﴾أنها شفعاؤكم عند الله ﴿إن الله فالق الحب

١٧٥/أ والنوى﴾بالنبات/ والشجر، أو: فلق الحب عن السنبلة، والنواة عن النخلة،

---

(١) المرجعين السابقين.

(٢) سبقت ترجمته في ص

(٣) البيت من الطويل وهو لقيس بن ذريح في ديوانه/ تاج العروس مادة: بين، ولجميل بثينه في ديوانه ص ١٢٢، انظر المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، اعداد الدكتور: اميل بديع يعقوب ٥٤/٥ ط ١ / ١٤١٧ دارالكتب العلمية.

(٤) تفسير الطبري ٥٥٢/١١ تحقيق.

والفلق: الشق، وعن مجاهد: أراد الشقين اللذين في النواة، والحنطة[1] ﴿يخـــرج الحى من الميت﴾النبات الغض النامي، من الحب اليابس، ﴿ومخرج الميت مـــن الحى﴾الحب اليابس، من النبات النامي، أو الإنسان من النطفة، والنطفـــة مـــن الإنسان، أو المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، فـــاحتج الله عليـــهم بمـــا يشاهدونه من خلقه، لأنهم أنكروا البعث، فأعلمهم أنه الذي خلق هذه الأشياء، فهو يقدرعلى بعثهم، وإنما قال: ﴿ومخرج الميت﴾ بلفظ اســـم الفـــاعل لأنـــه معطوف على ﴿فالق الحب﴾لا على الفعل ﴿ويخرج الحي من الميت﴾موقعه موقع الجملة المبينة لقوله: ﴿فالق الحب والنوى﴾لأن فلق الحب، والنوى، بالنبـــات، والشجر الناميين، من جنس إخراج الحي من الميـــت، لأن النـــامي في حكـــم الحيوان، دليله قوله: ﴿ويحيى الأرض بعد موتها﴾ [2]﴿ذلكم الله﴾ ذلكم المحيـــي المميت: هو الله الذي تحق له الربوبيـــة، لا الأصنام ﴿فأنى تؤفكون﴾فكيـــف تصرفون عنه، وعن توليه إلى غيره، بعد وضوح الأمـــر بمـــا ذكرنـــا ﴿فـــالق الإصباح﴾ هو مصدر، سمى به الصبح، أي: شاق [عمود][3] الصبح، عن ســـواد الليل، أو خالق نور النهار ﴿وجعل اليل﴾ وجعل الليل كوفي،[4]لأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضى، فلما كان ﴿فالق﴾بمعنى: فلق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى ﴿سكنا﴾ مسكونا فيه: من قوله: ﴿لتسكنوا فيه﴾[5] أي: يسكن فيه الخلق عن كد المعيشة، إلى نوم الغفلة، أوعن وحشـــة الخلـــق، إلى الأنـــس بـــالحق ﴿والشمس والقمر﴾ انتصبا بإضمار فعل يدل عليه ﴿جاعل الليل﴾أي: وجعـــل

---

[1] تفسير الطبري ٥٥٢/١١ تحقيق.

[2] رقم الآية [١٩] من سورة الروم.

[3] في [ق] عموده.

[4] انظر السبعة ص ٢٦٣؛ النشر ٢٦٠/٢

[5] من الآية [٧٣] من سورة القصص.

الشمس والقمر ﴿حسبانا﴾ أي:جعلهما علمي حسبان، لأن حساب الأوقات، [يعرف][1] بدورهما، وسيرهما، والحسبان: بالضم، مصدر حسب، كما أن الحسبان بالكسر، مصدر حسب[2]﴿ذلك﴾ إشارة إلى جعلهما حسبانا، أي: ذلك التسيير بالحساب المعلوم ﴿تقدير العزيز﴾ الذي قهرهما، وسخرهما ﴿العليم﴾ بتدبيرهما، وتدويرهما ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم﴾ خلقها ﴿لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾أي: في ظلمات الليل، بالبر، وبالبحر، وأضافها إليهما، لملابستها لهما، أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات ﴿قد فصلنا الأيات لقوم يعلمون﴾ قد بينا الآيات الدالة على التوحيد، لقوم يفهمون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٩٩) وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (١٠١) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ (١٠٢) لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾(١٠٣).

---

[1] في [ق] يعلم.

[2] انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٨٤ – ٨٥ ؛ اعراب القرآن للعكبري ١/٢٥٤

﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة﴾ هي آدم – عليه السلام –﴿فمستقر ومستودع﴾ فمستقر بالكسر مكي، وبصري،[1]فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله، أو مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل، والمستودع اسم مفعول، يعني: فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب، أو مستقر فوق الأرض، ومستودع / تحتها، أو: فمنكم مستقر، ومنكم مستودع ﴿قد فصلنا
الأيات لقوم يفقهون﴾ وإنما قيل: ﴿يعلمون﴾ ثم ﴿ويفقهون﴾هنا لأن الدلالة ثم ١٧٥/ب
أظهر، وهنا أدق، لأن إنشاء الإنس من نفس واحدة، وتصريفهم بين أحوال مختلفة أدق، فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق،﴿وهو الذي أنزل من السمآء مآء﴾ من السحاب مطرا ﴿فأخرجنا به﴾ بالماء ﴿نبات كل شيء﴾ نبت كل صنف من أصناف النامي، أي: السبب وهو الماء واحد، والمسببات صنوف مختلفة ﴿فأخرجنا منه﴾ من النبات ﴿خضرا﴾ شيئا غضا أخضر، يقال: أخضر، وخضر، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة ﴿نخرج منه﴾ من الخضر ﴿حبا متراكبا﴾وهو: السنبل الذي تراكب حبه ﴿ومن النخل من طلعها قنوان﴾هو: رفع بالابتداء، ﴿ومن النخل﴾خبره ﴿ومن طلعها﴾بدل منه[2]كأنه قيل: وحاصله من طلع النخل قنوان، وهو جمع قنو وهو: العذق، ونظيره: صنو، وصنوان﴿دانية﴾ [...][3]من المجتنى لانحنائها بثقل حملها، أو لقصر ساقها، وفيه اكتفاء، أي: وغير دانية لطولها، كقوله: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾[4] ﴿وجنات﴾ بالنصب عطفا على ﴿نبات كل شيء﴾أي: وأخرجنا به جنات ﴿من أعناب﴾ [أي:مع النخل][5]. وكذا ﴿والزيتون والرمان﴾ ﴿وجنات﴾ الأعشى،[6] أي: وثم جنات من أعناب، أي: مع النخل ﴿مشتبها وغير متشابه﴾يقال: اشتبه الشيئان، وتشابها، نحو:استويا، وتساويا، والافتعال، والتفاعل يشتركان كثيرا،

---

(١) انظر السبعة ص ٢٦٣؛ النشر ٢/٢٦٠

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٨٥ ؛ وإعراب القرآن للعكبري ١/٢٥٥

(٣) في [ق] قريبة في المجتنى.

(٤) من الآية [٨١] من سورة النحل.

(٥) ساقطة من [ق].

(٦) لعل الصواب: الأعمش بدلا من الأعشى، وانظر تفصيل ذلك في تفسير البحر المحيط ٤/١٩٣

وتقديره:والزيتون متشابها، وغير متشابه، والرمان كذلك، يعني: بعضه متشـــابه، وبعضه غير متشابه، في القدر، واللون، والطعم، ﴿انظروٓا إلى ثمره إذآ أثمر﴾ إذا أخرج ثمره، كيف يخرجه ضعيفا لا ينتفع به ﴿وينعه﴾ نضجه، أي: انظـــروا إلى حال نضجه،كيف يعود شيئا جامعا لمنافع، نظر اعتبار واستدلال، على قـــدرة مقدره، ومدبره، وناقله، من حال إلى حال ﴿إن في ذلكم لأيات لقوم يؤمنـون﴾ ثمره، وكذا ما بعده،حمزة وعلي[1]جمع ثمار، فهو جمع الجمع، يقال ثمرة، وثمـــر، وثمار، وثمر،﴿وجعلوا لله شركآء الجـــن﴾ إن جعلـــت لله شـــركاء مفعـــولي ﴿جعلوا﴾كان الجن بدلا من شركاء، وإلا كان شركاء الجن مفعولـــين قـــدم ثانيهما على الأول،[2]وفائدة التقديم، استعظام أن يتخذ لله شريك،مـــن كـــان ملكا، أو جنيا، أو غير ذلك، والمعنى: أنهم أطاعوا الجن فيما سولت لهم [من][3] شركهم،[فجعلوهم][4] شركاء لله ﴿وخلقهم﴾أي: وقد خلق الجـــن، فكيـــف يكون المخلوق شريكا لخالقه، والجملة: حال، أو وخلق الجاعلين لله شـــركاء، فكيف يعبدون غيره ﴿وخر قوا له﴾أي: اختلقوا، يقال: خلق الإفك وخرقـــه، واختلقه، واخترقه / بمعنى، أو هو من خرق الثوب، إذا شقه أي: اشـــتقوا لـــه ﴿بنين﴾ كقول أهل الكتابين في المسيح، وعزير، ﴿وبنات﴾ كقول بعض العرب
في الملائكة، وخرقوا بالتشديد للتكثير، مدني[5]لقوله﴿بنين وبنـــات﴾ ﴿بغـــير علم﴾ من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خـــطـــأ، وصواب[6]ولكن رميـــا بقول عن جهالة، وهو حال من فاعل[7] ﴿خرقوا﴾ أي: جـــاهلين بمـــا قـــالوا ﴿سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ من الشـــريك، والولـــد ﴿بديـــع السموت والأرض﴾يقال: بدع الشيء فهو بديع، وهو من إضافة الصفـــة المشـــبهة، إلى ١٧٦/أ

---

[1] انظر السبعة ص ٢٦٣ – ٢٦٤ ؛ النشر ٢/ ٢٦٠

[2] انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٨٧ ؛ أعراب القرآن للعكبري ١/ ٢٥٥

[3] ساقطة من [ق].

[4] في [ق] فجعلهم.

[5] انظر السبعة ص ٢٦٤؛ النشر ٢/ ٢٦١

[6] في [ق] أو صواب.

[7] انظر الدر المصون ٣/ ١٤٦

فاعلها، يعني: بديع سمواته، وأرضه، أو: هو بمعنى المبدع، أي: مبدعها، وهو خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ وخبره: ﴿أنى يكون له ولد﴾ أو هو فاعل ﴿تعالى﴾[1] ﴿ولم تكن له صحبة﴾أي: من اين يكون له ولد؟ والولد لا يكون إلا من صاحبة، ولا صاحبة له، ولأن الولادة من صفات الأجسام، ومخترع الأجسام، لا يكون جسما[2]حتى يكون [له ولد][3] ﴿وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم﴾أي: مامن شيء إلا وهو خالقه، وعالمه، ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شيء، والولد إنما يطلبه المحتاج (ذلكم) إشارة إلى الموصوف بماتقدم في الصفات وهو مبتدأ ومابعده اخبار مترادفة وهي: الله ربكم لا إله إلاهو ﴿خالق كل شيء﴾ وقوله: ﴿فاعبدوه﴾ مسبب عن مضمون الجملة، أي: من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه، ولا تعبدوا من دونه، من بعض خلقه،﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي: [هو مع][4] تلك الصفات، مالك لكل شيء من الأرزاق، والآجال، رقيب على الأعمال؛﴿لا تدركه الأبصار﴾ لا تحيط به، أو أبصار من سبق ذكرهم، وتشبث المعتزلة بهذه الآية لا يستتب،[5] لأن المنفي هو الإدراك، لا الرؤية، والإدراك: هو الوقوف

---

(1) انظر اعراب القرآن للنحاس ٨٧/٢؛ اعراب القرآن للعكبري ٢٥٦/٢ ؛ الدرالمصون ١٤٦/٣-١٤٧

(2) بل إنه سبحانه وتعالى – ليس مثل الاجسام ولا مثل الاعراض كما يعبر به بعض المتكلمين ولكنه عزوجل له ذات لاتشبه الذوات وأسماء وصفات لاتشبه الأسماء والصفات، وصدق الله إذ يقول عن نفسه: (ليس كمثله شيء وهو المسيع البصير) الشورى الآية رقم [١١].

(3) في [ق] حتى يكون والدا.

(4) في [ق] ومع.

(5) حيث أنكروا جواز رؤية الله عزوجل وتبعهم في ذلك الخوارج والجهمية والامامية، واستدلوا بهذه الآية لنصرة مذهبهم زاعمين: أن الادراك هو الرؤية، وهذا غير سليم، لأنه لو كان الإدراك يراد به مجرد الرؤية لم يكن له تعالى بذلك اختصاص، ولأنا نحن نرى الأبصار، فدل على أن معنى الادراك: الإحاطة بحقيقة الشيء، فهو تعالى لاتحيط بحقيقة الأبصار وهو محيط بحقيقتها، البحر المحيط ١٩٨/٤-١٩٩، وقد وفق أهل السنة والجماعة في اثبات رؤية الله عزوجل رؤية حقيقية بغير احاطة ولاكيفية في الآخرة، كما نطق بذلك الكتاب الكريم والسنة المطهرة، قال الله تعالى: (وجوه يؤمئذ ناضرة إلى ربها ناضرة) [القيامة: ٢٢-٢٣] وهذه الآية الكريمة من اظهر الأدلة على جواز رؤية الله تعالى في الآخرة، وقال سبحانه: (لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد) فالمزيد هو النظر إلى وجه الله تعالى، وقال تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [يونس: ٢٦] فالحسنى: هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى، وهذا من زيادة التكريم لأهل الجنة، ومن السنة المطهرة ماأخرجه الامام مسلم – رحمه الله – عن صهيب – رضي

والإدراك: هو الوقوف على جوانب المرئي، وحدوده، وما يستحيل عليه الحدود، والجهات، يستحيل إدراكه، لا رؤيته فنزل الإدراك من الرؤية، منزلة الإحاطة من العلم، ونفي الإحاطة التي تقتضي الوقوف على الجوانب، والحدود، لا يقتضي نفي العلم به، فهكذا هذا، على أن مورد الآية، وهو التمدح، يوجب ثبوت الرؤية، إذ نفي إدراك ما تستحيل رؤيته، لا تمدح فيه، لأن كل ما لا يرى، لا يدرك، وإنما التمدح بنفي الإدراك، مع تحقق الرؤية، إذ انتفاؤه، مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيضه التناهي، والحدود عن الذات، فكانت الآية حجة لنا عليهم، ولو انعموا النظر فيها، لاغتنموا التفصي عن عهدتها، ومن ينفي الرؤية، يلزمه نفي أنه معلوم، موجود، وإلا فكما يعلم موجودا، بلا كيفية، وجهة، بخلاف كل موجود، لم يجز أن يرى بلا كيفية، وجهة، بخلاف كل مرئي، وهذا لأن الرؤية تحقق الشيء بالبصر، كما هو، فإن كان المرئي في الجهة يرى / فيها، وإن كان لا في الجهة يرى، لا فيها ﴿وهو ١٧٦/ب
للطف إدراكه للمدركات ﴿يدرك الأبصار وهو اللطيف﴾ العالم بدقائق الأمور، ومشكلاتها ﴿الخبير﴾ العليم [بذوات][1] الأشياء، وخفياتها، وهو من قبيل اللف والنشر.

الله عنه – قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: -(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ناد مناد ياأهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون: ماهو الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة، ويخرجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة) اخرجه مسلم في صحيحه ١٦٣/١ رقم الحديث ٢٩٧وغيره، ومنها ماتفق عليه الشيخان عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: (أن ناسا قالوا: يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا: لا يارسول الله، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا:لا، قال: فإنكم ترونه كذلك) وغيرهما من الأحاديث الصحيحة التي تدحض مذهب الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وتبين بطلان ماذهبوا إليه بالأدلة القاطعة والحجج الدامغة، اضافة إلى أن القول بثبوت رؤية الله عزوجل في الآخرة هو قول الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين المعروفين بالإمامة في الدين وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى السنة والجماعة، ولكن نسأل الله العافية ونعوذ به من الخذلان. انظر العقيدة الطحاوية ص ١٤٣ – ١٦١. بتصرف.

[1] في [ق] بظواهر.

قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥) ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (١٠٧) وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٠٨) وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(١١٠).

﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾البصيرة: نور القلب الذي به يستبصر القلب، كما أن البصر نور العين الذي به تبصر،أي: جاءكم من الوحي، والتنبيه، ما هو للقلوب كالبصائر ﴿فمن أبصر﴾ الحق وآمن ﴿فلنفسه﴾أبصر، وإياها نفع ﴿ومن عمى﴾ عنه وضل ﴿فعليها﴾ فعلى نفسه عمى وإياها ضر بالعمى، ﴿ومآ أنا عليكم بحفيظ﴾ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها، إنما أنا منذر، والله هو الحفيظ عليكم، الكاف في ﴿وكذلك نصرف الأيت﴾في موضع نصب، صفة لمصدر محذوف،[1] أي: نصرف الآيات، تصريفا، مثل ما تلونا عليك ﴿وليقولوا﴾ جوابه محذوف، أي: وليقولوا ﴿درست﴾ نصرفها، ومعنى: درست: قرأت كتب أهل الكتاب، دارست مكي، وأبو عمرو،[2] أي: دارست

(١) اعراب القرآن للنحاس ٨٨/٢ ؛ اعراب القرآن للعكبري ٢٥٦/١

(٢) السبعة ص ٢٦٤ ؛ النشر ٢٦١/٢

أهل الكتاب، درست شامي، أي: قدمت هذه الآيات، ومضت، كما قالوا ﴿أساطير الأولين﴾ ﴿ولنبينه﴾أي: القرآن، وإن لم يجر له ذكر، لكونه معلوما، أو الآيات، لأنها في معنى القرآن، قيل: اللام الثانية: حقيقة، والأولى: لام العاقبة والصيرورة، أي: لتصير عاقبة أمرهم، إلى أن يقولوا: درست، وهو كقوله: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾[١]وهم لم يلتقطوه، للعداوة، وإنما التقطوه، ليصير لهم قرة عين، ولكن صارت عاقبة أمرهم، إلى العداوة، فكذلك الآيات صرفت للتبيين، ولم تصرف ﴿ليقولوا درست﴾ ولكن: حصل هذا القول، [بتصريف][٢]الآيات، كما حصل التبيين، فشبه به، وقيل: ﴿ليقولوا﴾كما قيل لنبينه، وعندنا ليس كذلك لما عرف[٣] ﴿لقوم يعلمون﴾ الحق من الباطل ﴿اتبع مآ أوحى إليك من ربك﴾ ولا تتبع أهواءهم ﴿لآ إله إلا هو﴾ اعتراض، أكد به إيجاب، اتباع الوحي، لا محل له من الإعراب، أو حال ﴿من ربك﴾ مؤكدة[٤] ﴿وأعرض عن المشركين﴾في الحال، إلى أن يرد الأمر بالقتال ﴿ولو شآء الله﴾أي: إيمانهم فالمفعول محذوف ﴿مآ أشركوا﴾ بين أنهم لا يشركون، على خلاف مشيئة الله، ولو علم منهم اختيار الإيمان لهداهم إليه، ولكن علم منهم اختيار الشرك، فشاء شركهم، فأشركوا بمشيئته[٥] ﴿وما جعلناك عليهم حفيظا﴾مراعيا لأعمالهم، مأخوذا بإجرامهم ﴿ومآ أنت عليهم بوكيل﴾بمسلط، وكان المسلمون يسبون آلهتهم، فنهوا، لئلا يكون سبهم سببا لسب الله، [لقوله][٦]: ﴿ولا تسبوا﴾ الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله﴾منصوب

---

[١] سورة القصص رقم الآية [٨].

[٢] في [ق] لتصرف.

[٣] انظر الدر المصون ١٤٩/٣-١٥٢

[٤] انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٥٧/١ ؛ الدرالمصون ٢٥٢/٣

[٥] وقد سبق التعليق على هذا ص [١٦٨] من هذا البحث. وسيأتي ص [٢١٦] والمراد هنا هي: المشيئة الكونية.

[٦] في [ق] بقوله.

على جواب النهي[1]﴿عدوا﴾ ظلما، وعدوانا ﴿بغير علم﴾ / علـــى جهالـة ١٧٧/أ
بالله،وبما يجب أن يذكر به. ﴿كذلك﴾ مثل ذلك التزين ﴿زينا لكل أمة﴾ مــن أمم الكفار،﴿عملهم﴾وهو كقوله: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾[2] وهو حجة لنا في الأصلح[3]﴿ثم إلى ربهم مرجعهم﴾ مصيرهم ﴿فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ فيخبرهم بما عملوا، ويجزيـهم عليه ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ جهد مصدر، وقع موقع الحال، أي:جاهدين في الإتيان، بأوكد الأيمان ﴿لئن جاءتهم آية﴾ من مقترحاتهم ﴿ليؤمنن بها قــل إنما الأيات عند الله﴾وهو قادر عليها،لا عندي فكيف آتيكـــم بهـــا،﴿ومـــا يشعركم﴾ وما يدريكـــم ﴿أنـــها﴾ أن الآيـــة المقترحـــة ﴿إذا جـــاءت لا يؤمنون﴾بها، يعني: أنا أعلم، أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها، وأنتـــم لا تعلمـــون ذلك، وكان المؤمنون يطمعون في إيمـــانهم، إذا جاءت تلك الآيـــة، ويتمنـــون مجيئها،فقال الله تعالى: وما يدريكم أنهم لا يؤمنون، على معنى: إنكم لا تـــدرون ما سبق علمي به، من أنهم لا يؤمنون إنها، بالكسر مكي، وبصري، وأبو بكر[4] على أن الكلام تم قبله، أي: وما يشعركم، مـــا يكـــون منـــهم، ثم أخـــبرهم

---

[1] إعراب القرآن للنحاس ٨٩/٢؛ إعراب القرآن للعكبري ٢٥٧/١

[2] سورة فاطر رقم الآية [٨].

[3] هو رد على المعتزلة حيث يقولون: إنه يجب على الله — بزعمهم — أن يفعل الأصلح للعبد، وهذا مبني علـــى أصلهم الفاسد، ومعتقدهم الباطل: أن أفعال العباد مخلوقة لهم، ومذهبهم هذا مردود بصريح القرآن الكريم، يقـــول جل شأنه: (إنك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدى من يشاء) سورة القصص رقم الآية [٥٦] قال العلماء: ولو كان الهدى بيان الطريق لما صح هذا النفي عن نبيه، لأنه صلى الله عليه وسلم — بين الطريق لمن احب وابغـــض، وقوله تعالى: (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) [الآية ٣٩ الأنعام] وغيرهما مـــن الآيـــات الكريمة التي تدل أن الله عزوجل خلق العباد ومايفعلون، كما قال سبحانه: (والله خلقكم وماتعملون) الصافـــات رقم الآية [٩٦] انظر العقيدة الطحاوية ص ٩٥-٩٦، وص ٤٤٢ و ص ٤٣٣. وانظر ١٩١ من هذا البحث.

[4] انظر السبعة ص ٢٦٥ ؛ النشر ٢٦١/٢

[لعلمه][1]فيهم، فقال:إنها إذا جاءت لا يؤمنون البتـــة، ومنـــهم مـــن جعـــل ﴿لا﴾مزيدة في قراءة الفتح،كقوله: ﴿وحرام علـــى قريـــة أهلكناهـــا أنهـــم لا يرجعون﴾[2] لاتؤمنوا شامي وحمزة[3]﴿ونقلب أفئدتهم﴾ عـــن قبـــول الحـــق ﴿وأبصارهم﴾ عن رؤية الحق، عند نزول الآية التي اقترحوها، فلا يؤمنون بهـــا، قيل:هو عطف على ﴿لا يؤمنون﴾داخل في حكم ﴿وما يشـــعركم﴾أي: ومـــا يشعركم أنهم لا يؤمنون، وما يشعركم، أنا نقلب أفئدتهم، وأبصـــارهم، فـــلا يفقهون، ولا يبصرون الحق[4]﴿كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ كما كانوا عنـــد نزول آياتنا، أولا لا يؤمنون بها ﴿ونذرهم في طغيـــنهم يعمهون﴾قيـــل: ومـــا يشعركم، أنا نذرهم في طغيانهم يتحيرون.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ(١١١) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ(١١٢) وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ(١١٣) أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ(١١٤) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(١١٥).

---

(1) في [ق] بعلمه].

(2) سورة الأنبياء رقم الآية [٩٥].

(3) السبعة ص ٢٦٥؛ النشر ٢٦١/٢

(4) انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٥٧/١ ؛ الدرالمصون ١٥٨/٣

﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملآئكة﴾كما قالوا: ﴿لولا أنــزل علينـــا الملائكـــة﴾[(1)]
﴿وكلمهم الموتى﴾ كما قالوا: ﴿فأتوا بآبائنا﴾[(2)] ﴿وحشرنا عليهم﴾ جمعنـــا
﴿كل شيء قبلا﴾ كفلاء بصحة ما بشرنابه، وأنذرنا،جمع قبيل، وهو الكفيـــل،
قبلا مدني، وشامي، أي:[(3)]عيانا، وكلاهما نصب على الحال ﴿ما كانوا ليؤمنــوا
إلآ أن يشآء الله﴾ إيمانهم فيؤمنوا، وهذا جواب، لقول المؤمنين، لعلهم يؤمنـــون
بنـــزول الآية ﴿ولـــكن أكثرهم يجهلون﴾ أن: هؤلاء، لا يؤمنـــون إذا جاءتهم
الآية المقترحة ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا﴾ وكما جعلنا [لك][(4)]أعداء مـــن
المشركين، جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء أعداء، لما فيه من الابتـــلاء، الذي هـــو
سبب ظهور الثبات، والصبر، وكثرة الثواب، والأجر، وانتصـــب ﴿شـــيَاطِينَ
الإنسِ والجِنِّ﴾ على البدل، من ﴿عدوا﴾أو علـــى أنـــه مـــن المفعـــول الأول
﴿وعدوّا﴾مفعول ثان[(5)]﴿يُوحِي بَعضُهُم إلى بعضٍ﴾ يوسوس شياطين الجـــن إلى
شياطين الإنس، وكذلك/ بعض الجن، إلى بعض، وبعض الإنس إلى بعض، وعن ١٧٧/ب
مالك بن دينار[(6)]:إن [شيطان][(7)]الإنس، أشد عليّ من [شيطان][(8)] الجـــن، لأني
إذا تعوذت بالله، ذهب شيطان الجن [عني،][(9)] وشيطان الإنس يجيئني، فيجـــرني
إلى المعاصي عيانا،[(10)] وقال عليه السلام (قـــرنـــاء الســـوء شـــر مـــن

---

(1) سورة الفرقان رقم الآية [٢١].

(2) سورة الدخان رقم الآية [٣٦].

(3) السبعة ص ٢٦٥ – ٢٦٦ ؛ النشر ٢/٢٦٢ – ٢٦٢

(4) ساقطة من [ق].

(5) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٩١ ؛ إعراب القرآن للعكبري ١/٢٥٧

(6) البصرى الزاهد، ابويحيى، صدوق، عابد، من الخامسة، مات سنة ثلاثين ونحوها، التقريب ص ٥١٧ ترجمة [٦٤٣٥].

(7) في [ق] شياطين.

(8) في [ق] شياطين.

(9) ساقطة من [ق].

(10) انظر تفسير البحر المحيط ٤/٢١٠؛ الكشاف ٢/٥٦

شيــاطين الجن)[1]﴿زخرف القول﴾مازينوه من القول، والوسوسة، والإغـــراء على المعاصي، ﴿غرورا﴾خدعا، وأخذا على غرة، وهو مفعول له،﴿ولو شــآء ربك ما فعلوه﴾أي:الإيحاء، يعني: ولو شاء الله لمنع الشياطين، من الوسوســـة، ولكنه امتحن بما يعلم أنه أجزل في الثواب،﴿فذرهم وما يفترون﴾ عليك، وعلى الله، فإن الله يخزيهم، وينصرك، ويجزيهم،﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنـــون بالآخرة﴾ولتميل إلى زخرف القول، قلوب الكفار، وهـــي معطوفـــة، علـــى ﴿غرورا﴾أي: ليغروا، ولتصغى إليه،﴿وليرضوه﴾لأنفسهم،﴿وليقترفوا ما هـــم مقترفون﴾ من الآثام ﴿أفغير الله أبتغى حكما﴾ أي: قل يامحمد أفغير الله أطلـــب حاكما، يحكم بيني وبينكم، ويفصل المحق منا من المبطل،﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب﴾ المعجز ﴿مفصلا﴾،حال من الكتاب، أي: مبينا، فيه الفصل بين الحق، والباطل، والشهادة لي بالصدق، وعليكم بالافتراء، ثم عضد الدلالـــة علـــى أن القرآن حق، يعلم أهل الكتاب، أنه حق لتصديقه، ما عندهم، وموافقتـــه لـــه، بقوله: ﴿والذين أتيناهم الكتاب﴾ أي: عبد الله بن سلام، وأصحابه ﴿يعلمـــون أنه منزل﴾شامي، وحفص،﴿من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ الشاكين فيه، أيها السامع، أو فلا تكونن من الممترين، في أن أهل الكتاب يعلمون أنـــه منـــزل بالحق، ولا يريبك جحود أكثرهم، وكفرهم بـــه ﴿وتمـــت كلمـــت ربك﴾أي: ما تكلم به، ﴿كلمات ربك﴾ حجازي، وشامي، وأبو عمـــرو،[2] أي: تم كل ما أخبر به، وأمر، ونهى، ووعد، وأوعد، ﴿صدقـــا﴾ في وعـــده، ووعـــيده ﴿وعـــدلا﴾ في أمره، ونهـــيه، وانتصبا على التمـــيز،

---

[1] لم أقف عليه.

[2] قرأ الكوفيون ويعقوب بغير الف على التوحيد هنا وفي يونس وغافر .... وقرأ الباقون بألف على الجمع فيهن، انظر السبعة ٢٦٦؛ النشر ٢/٢٦٢

أو [على][1] الحال[2] ﴿لا مبدل لكلماته﴾ لا أحد يبدل شيئا من ذلك ﴿وهو السميع﴾ لإقرار من أقر ﴿العليم﴾ بإصرار من أصر، أو السميع لما يقولون، العليم بما يضمرون.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ (١١٧) فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (١٢١).

﴿وإن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن في الأَرضِ﴾ أي: الكفار، لأنهم الأكثرون ﴿يُضِلُّوكَ عن سَبيلِ اللهِ﴾ دينه، ﴿إن يَتَّبِعُونَ إلاّ الظَّنَّ﴾ وهو ظنهم، أن آباءهم كانوا على الحق، فهم يقلدونهم، ﴿وإن هُمْ إلاّ يَخرُصُون﴾ يكذبون في أن الله حرم / [كذا، وأحل كذا][3] ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين﴾ أي: هو يعلم الكفار، والمؤمنين، ﴿من﴾ رفع بالابتداء، ولفظها: لفظ الاستفهام، والخبر ﴿يضل﴾ وموضع الجملة، نصب بـ﴿يعلم﴾ المقدر، لا بأعلم، لأن أفعل لا ١٧٨/أ

(١) ساقطة من [ق].

(٢) إعراب القرآ للعكبري ٢٥٩/١؛ الدر المصون ١٦٥/٣

(٣) في [ق] حرم عليهم كذا واحل لهم كذا.

يعمل في الاسم الظاهر النصب،[1] وقيل: تقديره: أعلم بمن يضل، بدليل ظهور الباء بعده، (في) بالمهتدين[2] ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين﴾ هو مسبب عن إنكار اتباع المضلين، الذين يحلون الحرام، ويحرمون الحلال، وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله، فما قتل الله، أحق أن تأكلوا مما قتلتم [أنتم][3] فقيل للمسلمين إن كنتم متحققين بالإيمان، فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة، أي: على ذبحه، دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم، أو مات حتف أنفه، ﴿وما لكم ألا تأكلوا﴾ ﴿ما﴾ استفهام في موضع رفع بالابتداء، ﴿ولكم﴾ الخبر،[4] أي: وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا ﴿مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم﴾ بين لكم ﴿ما حرم عليكم﴾ مما لم يحرم، بقوله: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾[5] فصل، ﴿وحرم﴾ كوفي غير حفص، وبفتحهما مدني، وحفص، وبضمهما غيرهم،[6] ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ مما حرم عليكم، فإنه حلال لكم، في حال الضرورة، أي: شدة المجاعة إلى أكله ﴿وإن كثيرا ليضلون﴾ ﴿ليضلون﴾ كوفي[7] ﴿بأهوائهم بغير علم﴾ أي: يضلون، فيحرمون، ويحللون بأهوائهم، وشهواتهم، من غير تعلق بشريعة ﴿إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ بالمجاوزين، من الحق، إلى الباطل ﴿وذروا ظاهر الإثم وَبَاطِنَهُ﴾ علانيته، وسره، أو الزنا في الحوانيت، والصديقة في السر، أو الشرك الجلي، والخفي ﴿إنَّ الذينَ يَكْسِبُونَ الإثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ يوم القيامة ﴿بِمَا كَانُوا

---

(1) في هامش [ق] وهو يعمل الجر.

(2) إعراب القرآن للعكبري ٢٥٩/١؛ الدرالمصون ١٦٦/٣-١٦٧

(3) ساقطة من [ق].

(4) إعراب القرآن للعكبري ١٥٩/١ ؛ الدرالمصون ١٦٧/٣-١٦٨

(5) الآية رقم [٣] من سورة المائدة.

(6) السبعة ص ٢٦٧ ؛ النشر ٢٦٢/٢

(7) المرجعين السابقين.

يقترفون﴾ يكتسبون في الدنيا ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ عند الذبح ﴿وإنه﴾ وإن أكله،﴿لفسق وإن الشياطين ليوحون﴾ ليوسوسون ﴿إلى أوليآئهم﴾ من المشركين ﴿ليجدلوكم﴾ بقولهم: [لا تأكلون مما قتله الله، وتأكلون مما تذبحون بأيديكم، والآية تحرم متروك التسمية، وخصت حالة][1] النسيان بالحديث،[2] ...[3]﴿وإن أطعتموهم﴾ في استحلال ما حرمه الله ﴿إنكم لمشركون﴾لأن من اتبع غير الله في دينه، فقد أشرك به، ومن حق المتدين، أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، لما في الآية من التشديد العظيم، ومن أول الآية بالميتة، وبما ذكر غير اسم الله عليه، كقوله: ﴿أو فسقا أهل لغير الله به﴾[وقال][4]إن الواو في ﴿وإنه لفسق﴾للحال، لأن عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن، فيكون التقدير: ولا تأكلوا منه حال كونه فسقا، والفسق مجمل، فبين بقوله: ﴿أو فسقا أهل لغير الله به﴾ / فصار التقدير: ولا تأكلوا منه ١٧٨/ب
حال:كونه مهلا لغير الله به، فيكون ما سواه حلالا بالعمومات المحلة، منها قوله: ﴿قل لا أجد﴾[5] الآية، فقد عدل عن ظاهر اللفظ.

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٢٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣) وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ

[1] مابين المعقوفتين كله ساقطة من [ق].

[2] أي: قوله صلى الله عليه وسلم: (عفى عن أمتي الخطأ والنسيان وماستكرهوا عليه).

[3] في هامش [ق] زيادة: أو يجعل الناسي ذاكراً تقديراً.

[4] في [ق] وقالوا:

[5] الآية رقم [١٤٥] من السورة نفسها.

سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ(١٢٤) فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ(١٢٥)وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾(١٢٦).

﴿أو من كان ميتا فأحييناه﴾ أي:كافرا فهديناه، لأن الإيمان، حياة القلــــوب، ﴿ميتا﴾: مدني،[(١)] ﴿وجعلنا له نورا يمشي به في الناس﴾ مستضيئا به، والمراد به: اليقين ﴿كمن مثله﴾ أي: صفته ﴿في الظلمات﴾ أي: خابط فيـــها، ﴿ليــس بخارج منها﴾ لايفارقها، ولا يتخلص منها، وهو حال، قيل: المراد بها: حمـــزة وأبوجهل، والأصح: أن الآية عامة، لكل من هداه الله، ولكل من أضله الله، فبين أن مثل المهتدي، مثل الميت الذي أحيي، وجعل مستضيئا، يمشي في الناس بنـور الحكمة والإيمان، ومثل الكافر، مثل من هو في الظلمات، التي لا يتخلص منـــها ﴿كذلك﴾ أي كما زين للمؤمن إيمانه ﴿زين للكافرين﴾ بـــتزيين الله تعـالى، كقوله: ﴿زينا لهم أعمالهم﴾[(٢)] ﴿ما كانوا يعملون﴾ أي: أعمالهم ﴿وكذلـــك﴾ أي: وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها، ﴿جعلنا﴾ صيرنا ﴿في كــل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها﴾ ليتجبروا على الناس فيها، ويعملوا بالمعاصي، واللام على ظاهرها عند أهل السنة، وليست بلام العاقبة،[(٣)] وخص الأكـــابر،

---

(١) السبعة ص ٢٦٨؛ النشر ٢/٢٦٢

(٢) جزء من الآية [٤] من سورة النمل.

(٣) في هذا رد على المعتزلة القائلين بأنه تعالى لايخلق الشر، وإنما يخلق الخير فحسب، انظر هامش الكشـاف ٦٠/٢، ومذهب أهل السنة: أنه سبحانه وتعالى يخلق الخير والشر ولكنه لايرضى لهم إلا الخير، وانظـر: ص [٢١٦-٢١٧] وتفسير ابن كثير ١٧٢/٢-١٧٣ في مسألة المكر، ط / دارالمعرفة ١٤٠٠هـ.

وهم الرؤساء، لأن ما فيهم من الرياسة، والسعة، أدعى لهم إلى المكر، والكفر، من غيرهم، دليله ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾[1] ثم سلى رسوله — عليه السلام — ووعد له النصرة، بقوله: ﴿وما يمكرون إلا بأنفسهم﴾ لأن مكرهم يحيق بهم ﴿وما يشعرون﴾ أنه يحيق بهم ﴿أكابر﴾مفعول أول، والثاني: ﴿في كل قرية﴾، ﴿ومجرميها﴾بدل من ﴿أكابر﴾أو الأول ﴿مجرميها﴾والثاني ﴿أكابر﴾والتقدير: مجرميها أكابر[2] ولما قال أبو جهل:زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يوحى إليه، والله لا نرضى به، إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، نزل ﴿وإذا جائتهم﴾ أي: الأكابر ﴿آية﴾ معجزة، أو آية من القرآن تأمرهم بالإيمان ﴿قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل مآ أوتى رسل الله﴾ أي: نعطي من الآيات، مثل ما أعطى الأنبياء، فأعلم الله تعالى، أنه أعلم بمن يصلح للنبوة، فقال الله: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾مكي، وحفص،[3]﴿رسالاته﴾ غيرهما،حيث، مفعول به، والعامل محذوف، والتقدير: يعلم موضع رسالته[4]﴿سيصيب الذين أجرموا﴾ من أكابرها ﴿صغار﴾ ذل،وهوان ﴿عند الله﴾ في القيامة ﴿وعذاب شديد﴾ في الدارين، من القتل، والأسر، وعذاب النار ﴿بما كانوا يمكرون﴾ في الدنيا ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ يوسعه، وينور قلبه، قال عليه السلام: (إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح) قيل: وما علامة ذلك ؟ قال [الإنابة إلى دار الخلود، والتجافى عن دار الغرور، والاستعداد للموت، قبل نزول الموت][5]

---

(1) سورة الشورى رقم الآية [٢٧].

(2) انظر إعراب القرآن للعكبري ١/٢٦٠؛ الدرالمصون ٣/١٧١-١٧٢

(3) النشر ٢/٢٦٢

(4) انظر إعراب القرآن للعكبري ١/٢٦٠

(5) ذكره الامام عبدالرزاق الصنعاني في تفسيره الجزء الأول القسم الثاني ص ٢١٨؛ وابن جرير ١٢/٩٨-١٠٢؛ وابن عطية ٥/٣٤٢ وطرق الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضا.

﴿ومن يرد﴾ أي: الله ﴿أن / يضله يجعل صدره ضيقا﴾ ﴿ضيقا﴾: مكـــي،[1] ١٧٩/أ
﴿حرجا﴾ ﴿حرجا﴾ مدني، وأبو بكر، بالغا في الضيق، ﴿حرجـــا﴾ غيرهمـــا، وصفا، بالمصدر[2]. ﴿كأنما يصعد في السماء﴾ كأنه كلف، أن يصعد إلى السماء، إذا دعى إلى الإســلام، من ضيق صدره عنه، أو ضاقت عليه الأرض، فطلـــب مصعدا في السمـــاء، أو: كعازب الرأي، طائر القلب في الهـــواء، ﴿يصعـــد﴾ مكي،﴿يصاعد﴾ أبو بكر، وأصله: يتصاعد، الباقون: يصعد وأصله: يتصعـــد[3] ﴿كذلك يجعل الله الرجس﴾ العذاب في الآخرة، واللعنة في الدنيـــا[4] ﴿علـــى الذين لا يؤمنون﴾ والآية حجة لنا على المعتزلة، في إرادة المعاصي،[5] ﴿وهـــــذا

---

(1) السبعة لابن مجاهد ص ٢٦٨؛ النشر ٢/٢٦٢

(2) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٩٥؛ وإعراب القرآن للعكبري ١/٢٦٠

(3) السبعة ٢٦٨؛ وانظر تفسير ابن عطية ٥/٣٤٤

(4) ورد في معنى الرجس عدة أقوال:

الأول: أنه الشيطان، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس – رضي الله عنهما – يعنى: أن الله يسلطه عليهما.

الثاني: أنه مالا خير فيه، قاله مجاهد.

الثالث: أنه العذاب قاله عطاء، وابن زيد، وأبوعبيدة.

الرابع: العذاب في الآخرة، واللعنة في الدنيا، وهذا قاله الزجاج، واختاره الإمام النسفي رحمه الله.

والخامس: أنه المأثم، رواه أبوصالح عن ابن عباس – رضي الله عنهما – ولعل الصواب في ذلك مـــاذكره الامـــام الطبري – يرحمه الله – حيث قال والصواب من القول في ذلك عندى ماقاله ابن عباس – رضي الله عنهما – أي: الشيطان – لأن الطبري لم يورد رواية ابن عباس عن أبي صالح، ثم يقول: ومن قال: إن الرجس والنجس واحـــد، للخبر الذي روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يقول إذا دخل الخلاء: (اللهم إني أعوذ بـــك من الرجس النجس، الخبث المخنث الشيطان الرجيم).

انظر: تفسير الطبري المحقق ١٢/١١٠-١١٢؛ نفسير ابن عطية ٥/٣٤٥؛ تفسير البحر المحيط ٤/٢٢٠؛ زاد المسير ١٢١

(5) فإنهم يزعمون: أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم لكن الكافر أراد الكفر، ولا شك أن قولهم هـــــذا فاســـد مردود، لمخالفته الكتاب والسنة والمعقول الصحيح، وهذه هي مسألة القدر المشهورة، فأهل السنة قاطبة يقولـــون: إن الله سبحانه وتعالى وإنْ كان يريد المعاصي قدرا فهو لايحبها ولايرضاها ولايأمربها، بل يبغضـــــها ويســـخطها ويكرهها وينهى عنها، فيقولون: ماشاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن، والمحققون من أهل السنة يقولـــون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية، فالإرادة الشرعية: هي المتضمنة للمحبـــة والرضى، والكونية: هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، وهذا كقوله تعالى: (فمن يرد الله أن يهديـــه يشـــرح

صرط ربك﴾أي: طريقه الذي اقتضته الحكمة، وسنته، في شرح صدر من أراد هدايته، وجعله ضيقا، لمن أراد ضلاله ﴿مستقيما﴾ عادلا، مطردا، وهو حال مؤكدة[1] ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾ يتعظون.

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٢٧) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٢٩) يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ (١٣٠) ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾(١٣١).

﴿لهم﴾أي: لقوم يذكرون ﴿دار السلام﴾دار الله، يعني: الجنة، أضافها إلى نفسه تعظيما لها، أو دار السلامة من كل آفة، وكدر،أو:السلام: التحية، سميت دار

صدره للاسلام ...) الأنعام [١٢٥] وقوله تعالى: (... ولكن الله يفعل مايريد) الآية [٢٥٣] من سورة البقرة وغير ذلك من الأدلة القرآنية العظيمة، وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية، فكقوله تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ...) البقرة [١٨٥] وقوله: (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما، يريد الله أن يخفف عنكم ...) النساء [٢٧-٢٨] فهذه الإرادة هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح هل يفعل مالا يريده الله؟ أي: لايحبه ولايرضاه ولايأمر به، وأما الإرادة الكونية: فهي الإرادة المذكورة في قول المسلمين: ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن. انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٥ ومابعدها، شفاء العليل ص ٤٦٤ ومابعدها.

[1] انظر اعراب القرآن للنحاس ٢/٩٥؛ اعراب القرآن للعكبري ١/٢٦٠

السلام لقوله: ﴿وتحيتهم فيها سلام﴾[1]﴿إلا قيلا سلاما سلاما﴾[2]﴿عند ربهم﴾ في ضمانه ﴿وهو وليهم﴾ محبهم، أو ناصرهم على أعدائهم ﴿بما كانوا يعملون﴾بأعمالهم، أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون، أو هو ولينا في الدنيا، بتوفيق الأعمال، وفي العقبى: بتحقيق الآمال ﴿ويوم يحشرهم جميعا﴾:وبالياء حفص،[3]أي: واذكر يوم نحشرهم، أو ويوم نحشرهم،قلنا: ﴿يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس﴾ أضللتم منهم كثيرا، وجعلتموهم أتباعكم،كما تقول: استكثر الأمير من الجنود ﴿وقال أولياؤهم من الإنس﴾الذين أطاعوهم، واستمعوا إلى وسوستهم ﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾أي: انتفع الإنس، بالشياطين، حيث دلوهم على الشهوات، وعلى أسباب التوصل إليها، وانتفع الجن بالإنس، حيث أطاعوهم، وساعدوهم على مرادهم، في إغوائهم ﴿وبلغنآ أجلنا الذي أجلت لنا﴾يعنون: يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بماكان منهم من طاعة الشياطين، واتباع الهوى والتكذيب بالبعث، وتحسر على حالهم ﴿قال النار مثواكم﴾ منزلكم ﴿خالدين فيها﴾حال، والعامل معنى الإضافة،كقوله: ﴿أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾[4]فمصبحين، حال من هؤلاء، والعامل في الحال: معنى الإضافة، أو معناه [الممازجة][5]والمضامة، والمثوى ليس بعامل، لأن المكان لا يعمل في شيء[6]﴿إلا ما شاء الله﴾أي: يخلدون في عذاب النار الأبدكله، إلا ماشاء الله، إلا الأوقات التي ينقلون فيها، من عذاب السعير، إلى عذاب الزمهرير ﴿إن ربك حكيم﴾ فيما يفعل بأوليائه،

---

[1] سورة يونس من الآية رقم [١٠].

[2] سورة الواقعة رقم الآية [٢٦].

[3] السبعة ص ٢٦٩ ؛ النشر ٢/٢٦٢

[4] سورة الحجر من الآية رقم [٦٦].

[5] ساقطة من [ق].

[6] إعراب القرآن للنحاس ٢/٩٦ ؛ إعراب القرآن للعكبري ١/٢٦١

وأعدائه،﴿عليم﴾بأعمالهم، فيجزي كلا على وفق عمله ﴿وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا﴾نتبع بعضهم بعضا في النار،أو نسلط بعضهم على بعض،أو نجعل بعضهم أولياء بعض ﴿بما كانوا يكسبون﴾ بسبب ماكسبوا من الكفر/ ١٧٩/ب
والمعاصي، ثم يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ: ﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ عن الضحاك:[١] بعث إلى الجن رسلا منهم،كما بعث إلى الإنس رسلا منهم[٢]لأنهم بهم آنس، وعليه ظاهر النص، وقال آخرون:الرسل من الإنس خاصة، وإنما قيل: رسل منكم لأنه لما جمع الثقلين في الخطاب، صح ذلك، وإن كان من أحدهما، كقوله:﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾[٣]أو رسلهم، رسل نبينا،لقوله: ﴿ولوا إلى قومهم منذرين﴾[٤] ﴿يقصون عليكم أياتى﴾ يقرءون كتبي ﴿وينذرونكم لقآء يومكم هذا﴾يعني: يوم القيامة ﴿قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ بوجوب الحجة علينا،وتبليغ الرسل إلينا،﴿وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾بالرسل،﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم، وهو خبر مبتدأ محذوف،[٥]أي:الأمر، ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾، تعليل أي: الأمر ما قصصنا عليك، لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم، على أن ﴿أن﴾مصدرية، ويجوز: أن تكون مخففة من الثقيلة، والمعنى: لأن الشأن، والحديث: لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه،أوظالما، على

---

[١] ابن مزاحم الهلالي، أبوالقاسم، وأبومحمد، الخراساني، صدوق، كثير الارسال، من الخامسة، مات بعد المائة، التقريب ص ٢٨٠، رقم الترجمة [٢٩٧٨].

[٢] انظر تفسير ابن جرير ١٢/ ١٢١ تحقيق؛ البحر المحيط ٤/٢٢٥

[٣] سورة الرحمن الآية رقم [٢٢].

[٤] سورة الأحقاف الآية رقم [٢٩].

[٥] انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٩٦؛ اعراب القرآن للعكبري ١/٢٦١

أنه لو أهلكهم وهم غافلون، لم ينبهوا برسول،وكتاب، لكان ظلما،وهو متعــال عنه.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ(١٣٢)وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ(١٣٣) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَٰتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ(١٣٤) قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ(١٣٥) وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ(١٣٦) وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ(١٣٧)﴾.

﴿ولكل﴾ من المكلفين ﴿درجات﴾ منازل ﴿مما عملوا﴾ من جزاء أعمالهم، وبه استدل أبو يوسف ومحمد-رحمهما الله-على أن للجن الثواب بالطاعة،[1]لأنــــه ذكر عقيب ذكر الثقلين ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ بساه عنــــه،وبالتـــاء

---

[1] أبو يوسف ومحمد صاحبا أبي حنيفة ومذهبهما: أن للجن ثوابا على الطاعات وعقابا على المعاصي، واســتدلا بعموم الكتاب والسنة، بينما يرى أبوحنيفة رحمه الله – أنه ليس للجن ثواب لأن الثواب فضل من الله، فلا يقال به لهم إلا ببيان من الله، و لم يذكر الله في حقهم إلا عقوبة عاصيهم، لاثواب طائعهم، وقال أخرون: لايدخلون الجنة ولا النار، يقال لهم: كونوا ترابا فيصيرون ترابا كالبهائم، وقال ابن عباس – رضي الله عنهما -: جزاء مؤمني الجن اجارتهم من النار، لكن الذي يظهر لي – والله أعلم -: اندراج الجن في العموم في الجـــزاء كمـــا اندرجـــوا في التكليف، وفي ارسال الرسل إليهم، قال الضحاك – رحمه الله – مؤمنوا الجن في الجنة كمؤمني الإنـــس، وانظـــر تفسير البحرالمحيط ٢٢٧/٤

شامي[1]﴿وربك الغني﴾عن عباده، وعـــن عبـــادهم ﴿ذو الرحمـــة﴾ عليـــهم بالتكليف، ليعرضهم للمنافع الدائمة ﴿إن يشأ يذهبكـــم﴾ أيـــها الظلمـــــة، ﴿ويستخلف من بعدكم مايشآء﴾ من الخلق المطيع ﴿كمآ أنشأكم من ذريـــة قوم ءاخرين﴾من أولاد قوم آخرين، لم يكونوا على مثل صفتكم، وهـــم أهـــل سفينة نوح– عليه السلام –﴿إن ما﴾ ﴿ما﴾بمعنى الذي ﴿توعدون﴾ من البعـث، والحساب،والثواب،والعقاب ﴿لآت﴾خـــبر إن، أي: لكـــائن[2] ﴿ومـــا أنتـــم بمعجزين﴾بفائتين،رد لقولهم: من مات فقد فات. المكانة تكون مصدرا، يقـــال: مكن مكانة، إذا تمكن أبلغ التمكن، وبمعنى: المكان، يقال: مكـــان، ومكانـــة ومقام، ومقامة،[3] وقوله: ﴿قل ياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ يحتمـــل: اعملـــوا على تمكنكم من أمركم، وأقصى استطاعتكم، وإمكـــانكم، واعملـــوا علـــى جهتكم، وحالكم التي أنتم عليها،[يقال][4]للرجل إذا أمر أن يثبت على حالــه: على مكانتك يافلان، أي: أثبت على ما أنت عليه ﴿إنى عامل﴾ على مكـــانتي التي أناعليها،أي: أثبتوا على كفركم، وعداوتكم لي، فإني ثابت علـــى الإسلام، وعلى مصابرتكم، وهو أمر تهديد، ووعيد، دليله قوله: ﴿فسوف تعلمون مـــن تكون له عاقبة الدار﴾أي: فسوف تعلمون / أينا، تكون له العاقبـــة المحمـــودة، ١٨٠/أ

---

[1] انظر السبعة ص ٢٦٩ ؛ النشر ٢/٢٦٢-٢٦٣

[2] انظر اعراب القرآن للنحاس ٢/٩٧ ؛ اعراب القرآن للعكبري ١/٢٦١

[3] قال ابن منظور: والمكانة: التؤدة، وقد تمكن ومر على مكينته، أي: تؤدته، وقال أبوزيد: يقال: امـــش علـــى مكينك ومكانتك، وهنيئتك، انظر لسان العرب ١٢/٤١٢ ومابعدها، ماد: مكن.

[4] في [ق] ويقال.

وهذا طريق لطيف في الإنذار ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾أي: الكافرون، مكاناتكم، حيث كان أبوبكر، يكون، حمزة وعلي،[1]وموضع ﴿من﴾رفع،إذا كان بمعـــنى، أي: وعلق عنه فعل العلم، أونصب، إذا كان بمعنى الذي﴿وجعلوا لله ممـــا ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا﴾أي: وللأصنام نصيبا، فاكتفى بدلالة قولـــه تعـــالى: ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾بزعمهم، علي،[2]وكذا ما بعـده، أي: زعموا أنه لله،والله لم يأمرهم بذلك، ولا شرع لهم تلك القسمة ﴿فمـــا كـــان لشركائهم فلا يصل إلى الله﴾أي: لا يصل إلى الوجوه التي كانوا يصرفونه إليـه، من قرى الضيفان، والتصدق على المســـاكين، ﴿وما كان لله فـــهو يصـــل إلى شركائهم﴾ من إنفاق عليها، والإجراء على سدنتها،روي أنهم كانوا يعينـــون أشياء من حرث، ونتاج لله، وأشياء منهما لآلهتهم، فإذا رأوا ما جعلوا لله زاكيـا ناميا،رجعوا فجعلوه للأصنام، وإذا زكا ما جعلوه للأصنام تركوه لها، وقـالوا:إن الله غني وإنما ذاك لحبهم آلهتهم، وإيثارهم لها،[3]وفي قوله: ﴿مما ذرأ﴾إشـــارة إلى أن الله كان أولى بأن يجعل له الذاكي،لأنه هو الذي ذرأه، ثم ذم صنيعهم بقولـه: ﴿سآء ما يحكمون﴾ في إيثار آلهتهم على الله، وعملهم على ما لم يشرع لهـــم، وموضع ﴿ما﴾رفع، أي: ساء الحكم حكمهم، أو نصب،أي: ســـاء حكمـــا

---

[1] انظر السبعة ٢٦٩ ؛ النشر ٢/٢٦٣

[2] قرأ على الكسائي بضم الراء والباقون بفتحها في الموضعين. السبعة ٢٧٠؛ النشر ٢/٢٦٣

[3] انظر تفسير ابن جرير ١٢/١٣١ ومابعدها، تحقيق؛ تفسير البحر المحيط ٤/٢٢٩

حكمهم[1] ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين﴾أي:كما زين لهم تجزئه المـــال، زين وأد البنات ﴿قتل﴾ مفعول زين ﴿أولادهم شركآؤهم﴾ هو فاعل زين، زين بالضم، قتل بالرفع، أولادهم بالنصب، شركائهم بالجر، شامي،[2] على إضافـــة القتل إلى الشركاء، أي:الشياطين، والفصل بينهما بغير الظرف، وهو المفعـــول وتقديره: زين لكثير من المشركين قتـــل شـــركائهم أولادهـــم،﴿لـــيردوهم﴾ ليهلكوهم بالإغواء ﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾ وليخلطوا عليـــهم ويشـــبهوه، ودينهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل، حتى زلوا عنه إلى الشرك ﴿ولو شآء الله ما فعلوه﴾ وفيه دليل على أن الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى ﴿فذرهـــم ومـــا يفترون﴾ وما يفترونه من الإفك، أو:وافتراءهم، لأن ضرر ذلك الافتراء عليـهم، لا عليك، ولا علينا.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (١٣٨) وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾(١٣٩).

[1] انظر اعراب القرآن للنحاس ٩٧/٢؛ اعراب القرآن للعكبري ٢٦١/١-٢٦٢؛ السبعة ص ٢٧٠ ؛ النشر ٢٦٣/٢

[2] المراجع السابقة.

﴿وقالوا هذه أنعامٌ وحرث﴾ للأوثان ﴿حجر﴾ حرام، فعل، بمعنى مفعول، كالذبح والطحن، ويستوى في الوصف به المذكر، والمؤنث، والواحد، والجمع، لأن حكمه حكمُ الأسماء غير الصفات،[1] وكانوا إذا عينوا أشياء من حرثهم، وأنعامهم، لآلهتهم قالوا ﴿لا يطعمهآ إلا من نشاء بزعمهم﴾ يعنون: خدم الأوثان، والرجال، دون النساء، والزعم: قول بالظن يشوبه الكذب ﴿وأنعام حرمت ظهورها﴾ هي البحائر، والسوائب، والحوامي ﴿وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها﴾/حالة الذبح، وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام ﴿افتراء عليه﴾ هو ١٨٠/ب
مفعول له، أو حال،[2] أي: قسموا أنعامهم، قسم حجر، وقسم لا يركب، وقسم لا يذكر عليه اسم الله، ونسبوا ذلك إلى الله افتراء عليه،﴿سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾وعيد ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم عى أزواجنا﴾ كانوا يقولون في أجنة البحائر، والسوائب: ماولد منها حيا فهو خالص للذكور، [لا يأكل][3] منه الإناث، وما ولد ميتا، اشترك فيه الذكور والإناث، وأنث خالصة، وهو خبر ما للحمل على المعنى، لأن [ما في معنى الأجنة، وذكر، ومحرم حملا على اللفظ، أو التاء للمبالغة كنسابة[4]﴿وإن يكن ميتة﴾ أي: وإن يكن ما في بطونها ميتة، وإن تكن ميتة أبوبكر، أي: وإن تكن الأجنة ميتة، وإن تكن ميتة شامي][5] علي كان التامة، يكن ميتة مكي،[6] لتقدم

---

(1) انظر إعراب القرآن للنحاس ٩٩/٢؛ الدرالمصون ١٩٥/٣

(2) المرجعين السابقين.

(3) في [ق] يأكل بدون لا.

(4) اعراب القرآن للنحاس ٩٩/٢؛ الدرالمصون ١٩٥/٣

(5) في [ق] لأن مافي بطونها ميتة، وإن تكن ميتة: أبوبكر، أي: وإن تكن الأجنة ميته شامي.

(6) السبعة ص ٢٧٠ — ٢٧١ ؛ النشر ٢٦٥/٢

الفعل، وتذكير الضمير في ﴿فهم فيه شركآء﴾ لأن الميتة لكل ميت، ذكر، أو أنثى، فكأنه قيل: وإن يكن ميت فهم فيه شركاء ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ جزاء وصفهم الكذب، على الله في التحليل والتحريم ﴿إنه حكيم﴾ في جزائهم ﴿عليم﴾ باعتقادهم.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ (١٤٠) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ (١٤١) وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٤٢) ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (١٤٣).

﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم﴾ كانوا يئدون بناهم مخافة السبي، والفقر، قتلوا مكي، وشامي،[1] ﴿سفها بغير علم﴾ لخفة أحلامهم، وجهلهم، بأن الله هو رازق أولادهم لا هم ﴿وحرموا ما رزقهم الله﴾ من البحائر، والسوائب، وغيرها ﴿افتراء على الله﴾ مفعول له[2] ﴿قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾ إلى الصواب

---

[1] انظر السبعة ص ٢٧١ ؛ النشر ٢/٢٦٣

[2] انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٦٣؛ الدرالمصون ٣/١٩٦

﴿وهو الذي أنشأ﴾ خلق ﴿جنات﴾ [من الكـروم][1]﴿معـروشـات﴾ مسموكات،﴿وغير معروشات﴾ متروكات على وجه الأرض، لم تعـرش، يقـال: عرشت الكرم، إذا جعلت له دعائم، وسمكا تعطف عليه القضبان ﴿والنخل والزرع مختلفا﴾ في اللون، والطعم، والحجم، والرائحة، وهو حـال مقدرة، لأن النخل وقت خروجه، لا أكل فيه، حتى يكون مختلفـا، وهوكقوله: ﴿فادخلوها خالدين﴾[2]﴿أكله﴾ أكله: حجازي، وهو ثمره الـذي يؤكـل، والضمير: للنخل، والزرع داخل في حكمه، لأنه معطوف عليه، أو لكل واحـد ﴿والزيتون والرمان متشبها﴾ في اللون ﴿وغير متشابه﴾ في الطعم ﴿كلوا مـن ثمره﴾ من ثمر كل واحد، وفائدة ﴿إذا أثمر﴾ أن يعلم، أن أول وقت الإباحـة، وقت إطلاع الشجر الثمر، ولا يتوهم أنه لايبـاح إلا إذا أدرك، ﴿وءاتـوا حقه﴾ عشره، وهو حجة لأبي حنيفة – رحمه الله – في تعميم العشر[3]﴿يـوم حصاده﴾ بصري، وشامي، وعاصم، وبكسر الحاء، غيرهم، وهما لغتـان ﴿ولا تسرفوا﴾ بإعطاء الكل، وتضييع العيال، وقوله: ﴿كلوا﴾إلى: ﴿إنـه لا يحـب المسرفين﴾ اعتراض﴿ومن الأنعام حمولة وفرشا﴾ عطف علـى جنـات، أي
وأنشأ من الأنعام / ما يحمل الأثقال، وما يفرش للذبح، أو الحمولـة الكبـار، ١٨١/أ
التي تصلح للحمل، والفرش الصغار،كالفصلان، والعجاجيل، والغنم، لأنها دانية من الأرض، مثل: الفرش المفروش عليها﴿كلوا مما رزقكم الله﴾أي: ما أحل الله لكم منها، ولا تحرموها كما في الجاهلية ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطـان﴾طرقه

---

(1) ساقطة من [ق].

(2) من الآية رقم [٧٣] من سورة الزمر.

(3) انظر المبسوط لشمس الدين السرخسي المتوفى ٤٩٠هـ ٢/٣ ومابعدها ط١/١٤١٤هـ دارالكتب العلميـة؛ والبحر الرائق شرح كنـز الدقائق للعلامة زين الدين ابن نجم الحنفي ٢/٢٥٦ ط٣/١٤١٣هـ دارالمعرفة.

في التحليل، والتحريم، كفعل أهل الجاهلية ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ فاتهموه على دينكم﴿ثمانية أزواج ﴾بدل[1]من ﴿حمولة وفرشا﴾ ﴿من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾زوجين اثنين: يريد الذكر، والأنثى، والواحد إذا كان معه غيره من جنسه، سمي كل واحد منهما زوجا،وهما زوجان بدليل قولـه: ﴿خلـق الـــزوجين الذكـر والأنثى﴾ [2]ويدل عليه قوله: ﴿ثمانية أزواج﴾ ثم فسرها بقوله:﴿مـن الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾ ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنـين﴾والضـأن، والمعز، جمع ضائن، وماعز،كتاجر، وتجر، وفتح عين المعز، مكي، وشامي، وأبـو عمرو،[3]وهما لغتان، والهمزة في ﴿قل ءآلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشـتملت عليه أرحام الأنثيين﴾للإنكار، والمراد بالذكرين: الذكر من الضأن، والذكر مـن المعز، وبالأنثيين:الأنثى من الضأن، والأنثى من المعز، والمعنى: إنكار أن يحرم الله من جنسي الغنم، ضأنها، ومعزها، شيئا من نوعي، ذكورها وإناثـها، ولا مما تحمل الإناث، وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكورة الأنعام تارة، وإناثـها طـورا، وأولادها كيفما كانت، ذكورا أو إناثا، أومختلفة تارة، وكانوا يقولـون: قـد حرمها الله، فأنكر ذلك عليهم وانتصب ﴿آلذكرين﴾ بحرم، وكذا أم الأنثيـين، أي:أم حرم الأنثيين؟ وكذا ما في ما اشتملت ﴿نبئونى بعلم﴾ أخـبروني بـأمر معلوم، من جهة الله، يدل على تحريم ما حرمتم ﴿إن كنتم صـدقين﴾ في أن الله حرمه.

---

[1] انظر اعراب القرآن للنحاس ٢٠٢/٢ ؛ الدرالمصون ٢٠٢/٣

[2] سورة النجم الآية رقم [٤٥].

[3] قرأ ابن كثير والبصريان وأبوعمرو وابن عاصم وابن عامر من غير طريق الداجونى عن هشـام بفتـح العـين والآخرون بسكونها. السبعة ص ٢٧١؛ النشر ٢٦٦/٢

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٤) قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥) وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ (١٤٦).

﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل ءآلذكرين﴾ منهما ﴿حرم أم الأنثيين﴾ منهما ﴿أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ أم ما تحمل عليه إناثهما[(١)] ﴿أم كنتم شهدآء﴾ أم منقطعة، أي: بل أكنتم شهداء؟ ﴿إذ وصاكم الله بهذا﴾ يعني: أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم ؟ ولما كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون: الله حرم هذا الذي نحرمه، تهكم بهم، في قوله: ﴿أم كنتم شهداء﴾ على معنى: أعرفتم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسل ؟ ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ فنسب إليه تحريم ما لم يحرم ﴿ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي: الذين في علمه أنهم يختمون على الكفر [ووقع][(٢)] الفاصل بين بعض المعدود

(١) عليه: ساقطة من [ق].

(٢) في [ق] وقع.

وبعضه،....[اعتراضا][1]غير أجنبي من المعدود،وذلك أن الله تعالى،
من على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم،[وبإباحتها][2]لهم / فالاعتراض ١٨١/ب
بالاحتجاج على من حرمها، يكون تأكيدا للتحليل، والاعتراضات في الكلام،
لاتساق إلا للتوكيد[3]﴿قل لا أجد في ما أوحى إلى﴾أي: في ذلك الوقت، أو في
وحي القرآن، لأن وحي السنة قد حرم غيره، أومن الأنعام، لأن الآية في رد
البحيرة، وأخواتها، وأما الموقوذة، والمتردية، والنطيحة، فمن الميتة، وفيه تنبيه:
على أن التحريم إنما يثبت بوحي الله، وشرعه، لا بهوى الأنفس ﴿محرما﴾
حيوانا حرم أكله ﴿على طاعم يطعمه﴾ على آكل يأكله ﴿إلا أن يكون ميتة﴾
إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة، أن تكون مكي، وشامي، وحمزة ميتة شلمي،[4]
﴿أو دما مسفوحا﴾ مصبوبا، سائلا، فلا يحرم الدم الذي في اللحم، والكبد،
والطحال ﴿أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ نجس ﴿أو فسقا﴾ عطف على
المنصوب قبله، وقوله: ﴿فإنه رجس﴾اعتراض بين المعطوف، والمعطوف عليه[5]
﴿أهل لغير الله به﴾ منصوبة المحل، صفة لفسقا أي: رفع الصوت على ذبحه باسم
غير الله، وسمي بالفسق لتوغله في باب الفسق ﴿فمن اضطر﴾ فمن دعته
الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات ﴿غير باغ﴾ على مضطر مثله، تارك
لمواساته ﴿ولا عاد﴾ متجاوز قدر حاجته من تناوله ﴿فإن ربك غفور رحيم﴾ لا
يؤاخذه ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾ أي: ماله أصبع، من دابة، أو

---

(1) في الأصل: اعتراض اعتراضا، ولعل الصواب مأأثبت.

(2) في [ق] وباحتمالهم.

(3) انظر الدر المصون ٣/٢٠٤

(4) انظر السبعة ص ٢٧٢ ؛ النشر ٢/٢٦٦

(5) انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٦٤ ؛ الدرالمصون ٣/٢٠٥

طائر، ويدخل فيه الإبل، والنعام ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما﴾أي:حرم عليهم لحم كل ذي ظفر، وشحمه، وكل شيء منه، ولم يحرم من البقر، والغنم، إلا الشحوم،﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ إلا ما اشتمل على الظهور، والجنوب من السحفة ﴿أو الحوايا﴾ أو ما اشتمل على الأمعاء، واحدها حاوياء، أو:حوية ﴿أو ما اختلط بعظم﴾ وهو الإلية أو المخ ﴿ذلك﴾ مفعول ثان[1]لقوله:﴿جزيناهم﴾والتقدير: جزيناهم ذلك ﴿ببغيهم﴾ بسبب ظلمهم ﴿وإنا لصدقون﴾ فيما أخبرنا به، وكيف نشكر، من سبب معصيتهم لتحريم الحلال، ومعصية سابقينا لتحليل الحرام، حيث قال: ﴿وعفا عنكم فالآن باشروهن﴾ [2].

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ (١٤٧) سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١٥٠).

---

[1] انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٦٤ ؛ الدر المصون ٣/٢٠٥

[2] الآية [١٨٧] من سورة البقرة.

﴿فإن كذبوك﴾ فيما أوحيت إليك من هذا ﴿فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ وبها يمهل المكذبين، ولا يعاجلهم بالعقوبة ﴿ولا يرد بأسه﴾ عذابه، مع سعة رحمته ﴿عن القوم المجرمين﴾ إذا جاء فلا يغتر بسعة رحمته عن خوف نقمته ﴿سيقول الذين أشركوا﴾ إخبار بما سوف يقولونه ﴿لو شآء الله﴾ أن لا نشرك ﴿ما أشركنا ولا ءاباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ ولكن شاء، فهذا عذرنا يعنون: أن شركهم وشرك آبائهم، وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله، ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾أي: كتكذيبهم إياك: كان تكذيب المتقدمين رسلهم، وتشبثوا بمثل هذا، فلم ينفعهم ذلك / إذ لم يقولوه ١٨٢/أ
عن اعتقاد، بل قالوا ذلك: استهزاء، ولأنهم جعلوا مشيئته، حجة لهم على أنهم معذورون به، وهذا مردود، لا الإقرار بالمشيئة،[١] أو معنى المشيئة هنا: الرضا[٢] كما قال الحسن: أي: رضي الله منا ومن آبائنا الشرك، والشرك مراد، لكنه غير مرضي، ألا ترى أنه قال: ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾أخبر أنه لو شاء منهم الهدى

---

[١] وسواء قالوا ذلك اعتقادا أو استهزاء فإن ذلك مردود عليهم وذلك أن المشيئة عند أهل السنة والجماعة من السلف والخلف: كونية قدرية ودينية وشرعية، فالله عزوجل شاء الكفر من الكافر كونا، لكنه لايرضاه ولايحبه دينا، قال ابن الجوزي – يرحمه الله – في زاد المسير ٣/١٤٥ مانصه: فجعلوا هذا حجة لهم في إقامتهم على الباطل، فكأنهم قالوا: لو لم يرض مانحن عليه لحال بيننا وبينه، وإنما قالوا ذلك مستهزئين، ودافعين للاحتجاج عليهم، فيقال لهم: لم تقولون عن مخالفيكم إنهم ضالون ؟ وإنماهم على المشيئة أيضا، فلا حجة لهم، لأنهم تعلقوا بالمشيئة، وتركوا الأمر، ومشيئة الله تعم جميع الكائنات وأمره لايعم مراداته، فعلى العبد اتباع الأمر، وليس له أن يتعلل بالمشيئة بعد ورود الأمر اهـ. وانظر ص٢١٦ من هذا البحث.

[٢] هذا رأي المؤلف وهو أيضا مخالف لمذهب السلف إذ المشيئة كما تقدم في هامش رقم (١) من هذه الصفحة، ثم انهم لما احتجوا بمشيئة الله على رضاه ومحبته، وجعلوا مشيئته دليلا على رضاه، ردالله عليهم ذلك بقوله تعالى: (كذلك كذب الذين من قبلهم) فعلم أن مرادهم التكذيب، فهو من قبل الفعل، من أين له، أن الله لم يقدره، أطلع الغيب ؟ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٩٣-٩٤ قال ابن القيم الجوزية في شفاء العليل ص ٨٨: ... ومما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته و لم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني ...

لآمن كلهم، ولكن لم يشأ من الكل الإيمان، بل شاء من البعض الإيمان، ومــن البعض الكفر، فيجب حمل المشيئة هنا، على ما ذكرناه، دفعا للتناقض[1] ﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾ حتى أنزلنا عليهم العذاب ﴿قل هل عندكم من علم﴾ مــن أمــر معلوم، يصح الاحتجاج به فيما قلتم ﴿فتخرجوه لنا﴾ فتظهروه ﴿إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ تكذبون ﴿قل فلله الحجة البالغة﴾ عليكم بأوامره، ونواهيه، ولا حجة لكم على الله بمشيئته ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ [أي: فلو شاء هدايتكم، وبه تبطل صولة المعتزلة[2] ﴿قل هلم شهداءكم﴾][3] هاتوا شهداءكم، وقربوهم، ويستوي في هذه الكلمة الواحد، والجمع، والمذكر، والمؤنث، عند الحجازيين، وبنو تميم: تونث، وتجمع[4] ﴿الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾ أي: ما زعموه محرما ﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم﴾ فلا تسلم لهم ما شهدوا به، ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم، فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم، وكان واحدا منهم ﴿ولا تتبع أهوآء الذين كذبوا بآياتنا﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر، للدلالة على أن من كذب بآيات الله، [وهو] متبع للهوى، إذ [لو اتبع][5] الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدا لله ﴿والذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ هم المشركون، ﴿وهم بربهم يعدلون﴾ يسوون الأصنام.

---

(1) قوله (يجب حمل المشيئة هنا على ماذكرناه دفعا للتناقض) هذا الكلام مردود بماذهب إليه السلف من تقسيم المشيئة إلى كونية وشرعية وانظر ص٢١٦ - ١٧ ج ٠

(2) يعني حين قالوا: بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله، وهي مسألة الهدى والضلال، وهذا يرجع إلى معتقدهم الفاسد بأن أفعال العباد مخلوقة لهم، وقد تقدم تفصيل ذلك ص من هذا البحث.

(3) ساقطة من [ق] .

(4) انظر الدر المصون ٢١٢/٣

(5) في [ق] لوتبع.

﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١٥٣).

﴿قل﴾ للذين حرموا الحرث، والأنعام،﴿تعالوا﴾ هو من الخاص الـــذي صـار عاما،وأصله أن يقوله: من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه، ثم كثرحتى عم ﴿أتل ما حرم ربكم﴾ الذي حرمه ربكم ﴿عليكم﴾ من صلة ﴿حـــرم﴾ ﴿ألا تشركوا به شيئا﴾ أن مفسرة لفعـــل التـــلاوة، ولا للنـــهي،[1]﴿وبـــالوالدين إحســـنا﴾ وأحسنوا بالوالدين إحسانا، ولما كان إيجاب الإحسان تحريما، لـــترك الإحسان، ذكر في المحرمات، وكذا حكم ما بعده من الأوامـــر ﴿ولا تقتلـــوا أولادكم من إملاق﴾من أجل فقر، ومن خشيته،كقوله: ﴿خشية إمـــلاق﴾[2] ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾ لأن رزق العبيد على مولاهم ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها﴾مابينك، وبين الخلق ﴿وما بطن﴾مابينك وبين الله، ما ظهر بدل مـــن

---

[1] انظر اعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٦؛ الدرالمصون ٣/٢١٤

[2] سورة الاسراء من الآية رقم [٣١].

الفواحش ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾كالقصاص، والقتل على الردة، والرجم،﴿ذلكم وصكم به﴾أي: المذكور مفصلا، أمركم ربكم بحفظه ﴿لعلكم تعقلون﴾ لتعقلوا عظمها عند الله ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ إلا بالخصلة التي / هي أحسن، وهي حفظه، وتثميره ﴿حتى يبلغ أشده﴾ مبلغ حلمه، فادفعوه إليه، وواحده شد كفلس، وأفلس[1]﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ بالسوية، والعدل،﴿لا نكلف نفسا إلا وسعها﴾إلا مايسمها،ولا تعجز عنه، وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان، ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه، ولا نقصان، مما فيه حرج، فأمر ببلوغ الوسع، وأن ما وراءه معفو عنه ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ فاصدقوا ﴿ولو كان ذا قربى﴾ولو كان المقول له، أو عليه في شهادة، أو غيرها، من أهل قرابة القائل، كقوله: ﴿ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾[2]﴿وبعهد الله﴾يوم الميثاق، أو في الأمر، والنهي، والنذر، واليمين ﴿أوفوا ذلكم﴾أي: مامر﴿وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ بالتخفيف، حيث كان حمزة، وعلي، وحفص، على حذف إحدى التاءين، غيرهم بالتشديد،[3]أصله: تتذكرون، فأدغم، أي: أمركم به لتتعظوا ﴿وأن هذا صراطى﴾ ولأن هذا صراطي فهو علة الاتباع، بتقدير اللام، وأن بالتخفيف شامي، وأصله: وأنه، على أن الهاء ضمير الشأن، والحديث، وإن على الابتداء،:حمزة وعلي[4]﴿مستقيما﴾ حال ﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ الطرق المختلفة في الدين، من اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وسائر البدع،

١٨٢/ب

---

(١) الدرالمصون ٣/٢١٦

(٢) سورة النساء من الآية رقم [١٣٥].

(٣) انظر السبعة ص ٢٧٢-٢٧٣ ؛ النشر ٢/٢٦٦؛ الدرالمصون ٣/٢١٨

(٤) المراجع السابقة.

والضلالات،﴿فتفرق بكم عن سبيله﴾ فتفرقكم أيادي سبأ عن صراط الله المستقيم، وهو دين الإسلام، روى أن رسول الله - ﷺ - خط خطا مستويا، ثم قال:(هذا سبيل الرشد، وصراط الله فاتبعوه) ثم خط على كل جانب ستة خطوط ممالة، ثم قال: (هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه فاجتنبوها)[1]وتلا هذه الآية، ثم يصير كل واحد من الاثنى عشر طريقا ستة طرق، فتكون اثنين وسبعين، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما- هذه الآيلت [المحكمات][2] لم ينسخهن شيء من جميع الكتب.[3] وعن كعب:أن هذه الآيات لأول شيء في التوراة[4]﴿ذلكم وصكم به لعلكم تتقون﴾ لتكونوا على رجاء إصابة التقوى، ذكر أولا ﴿تعقلون﴾ثم ﴿تذكرون﴾ثم ﴿تتقون﴾ لأنهم إذا عقلوا، تفكروا، ثم فتذكروا، أي: اتعظوا فاتقوا المحارم.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ(١٥٤) وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(١٥٥) أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ(١٥٦) أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

---

(١) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٤٣٥/١ و٤٦٥ وابن ماجه بنحوه ٦/١ باب: اتباع سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بنحوه؛ والحاكم في المستدرك وصححه ٣١٨/٢ كلهم عن أبي وائل، وذكره الطبري ٢٣٠/١٢ المحقق؛ وابن عطية ٤٠٠/٥؛ والبحر المحيط ٢٥٤/٤ بحذف (فاجتنبوها) من جميع الروايات.

(٢) في [ق] محكمات ولعله الصواب.

(٣) انظر تفسير البحر المحيط ٢٥٥/٤؛ تفسير ابن عطية ٣٩٣/٥

(٤) لم أجده

وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ (١٥٧) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (١٥٩).

﴿ثم أتينا موسى الكتاب تماما﴾أي: ثم أخبركم أنا آتينا، أو هو عطف على ﴿قل﴾أي: ثم قل آتينا، أو ثم مع الجملة، تأتي بمعنى الواو، كقوله: ﴿ثم الله شهيد﴾[1]﴿على الذي أحسن﴾على من كان محسنا، صالحا، يريد جنس المحسنين، دليله: قراءة عبد الله، على الذين أحسنوا[2] أو أراد به موسى — عليه السلام — أي: تتمة للكرامة على العبد، الذي أحسن الطاعة في التبليغ، وفي كل ما أمر به، ﴿وتفصيلا لكل شيء﴾وبيانا مفصلا، لكل ما يحتاجون إليه في دينهم ﴿وهدى ورحمة [لعلهم﴾أي: بني إسرائيل][3] ﴿بلقاء ربهم يؤمنون﴾
١٨٣/أ يصدقون، ﴿وهذا﴾/ أي: القرآن ﴿كتاب أنزلناه مبارك﴾ كثير الخير، ﴿فاتبعوه وَاتَّقوا﴾ مخالفته ﴿لَعَلَّكُم تُرْحَمُونَ﴾ لترحموا ﴿أن تَقُولُوآ﴾ كراهة أن تقولوا، أو لئلا تقولوا ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَـٰبُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾أي: أهل التوراة،

---

[1] سورة يونس رقم الآية [٤٦]

[2] ابن مسعود رضي الله عنه ، انظر تفسير البغوي ٤٤١/٢ ط دارالفكر ١٤٠٥هـ

[3] هكذا في [ق] (وهدى ورحمة) أي لبني اسرائيل لعلهم .....

وأهل الإنجيل، وهذا دليل على أن المجوس، ليسوا بأهل كتاب ﴿وإن كنا عـــن دراستهم﴾ عن تلاوة كتبهم ﴿لغافلين﴾ لا علم لنا بشيء من ذلك، إن مخففـــة من الثقيلة، واللام فارقة بينها، وبين النافية، والأصل: وإنه كنا عـــن دراســـتهم غافلين، على أن الهاء ضمير الشان، والخطاب لأهل مكة، والمراد إثبات الحجـــة عليهم بإنزال القرآن، على محمد - ﷺ - كيلا يقولوا يوم القيامـــة: إن التـــوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا،وكنا غافلين عما فيــــهما ﴿أو تقولـــوا﴾ أوكراهة أن تقولوا ﴿لــو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهـــدى منـــهم﴾لحـــدة أذهاننا، وثقابة أفهامنا، وغزارة حفظنا لأيام العرب، ﴿فقد جآءكم بينـــة مـــن ربكم﴾أي: إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم، فقد جاءكم ما فيه البيان الساطع، والبرهان القاطع، فحذف الشرط، وهـــو مـــن أحاســـن الحـــذوف ﴿وهـــدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بأيات الله﴾ بعد ما عرف صحتـــها، وصدقها ﴿وصدف عنها﴾ أى: أعرض ﴿سنجزى الذين يصدفون عـــن أياتنـــا سوء العذاب﴾ وهو النهاية في النكاية ﴿بما كانوا يصدفون﴾ بإعراضهم ﴿هـــل ينظرون﴾أي: أقمنا حجج الوحدانية، وثبوت الرسالة، وأبطلنا ما يعتقدون مـــن الضلالـــة، فمـــا ينتظـــرون في تـــرك الإيمـــان بعدهـــا ﴿إلا أن تأتيــــــهم الملائكة﴾أي:ملائكة الموت لقبض أرواحهم، يأتيهم حمزة وعلي[1]﴿أو يـــأتى ربك﴾أي: أمر ربك وهو العذاب، أو القيامة، وهذا لأن الإتيان متشابه، وإتيـــان أمره منصوص عليه محكم، فيرد إليه ﴿أو يأتى بعض أيات ربك﴾أي: أشـــراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها، وغير ذلك،﴿يوم يأتى بعض أيات ربـــك لا ينفع نفسا إيمانها﴾ لأنه ليس بإيمان اختيار، بل هو إيمان دفع العذاب، والبـــأس

[1] السبعة ص ٢٧٣ – ٢٧٤ ؛ النشر ٢/٢٦٦

عن أنفسهم ﴿لم تكن آمنت من قبل﴾صفة ﴿نفسا﴾ ﴿أوكسبت في إيمانها خيرا﴾ إخلاصا، أي: كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها، لا يقبل إخلاص المنافق، أيضا، أو توبته، وتقديره: لا ينفع إيمان من لم يؤمن، ولا توبة من لم يتب قبل ﴿قل انتظروآ﴾ إحدى الآيات الثلاث ﴿إنا منتظرون﴾ بكم إحداها ﴿إن الذين فرقوا دينهم﴾ اختلفوا فيه، وصاروا فرقا،كما اختلفت اليهود، والنصارى، وفي الحديث (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية
١٨٣/ب إلا واحدة، [وهي][1] السواد الأعظم) وفي رواية (وهي ما أنا عليه / وأصحابي)[2] فارقوا دينهم، حمزة، وعلي،[3] أي: تركوه ﴿وكانوا شيعا﴾فرقا،كل فرقة تشيع إماما لها ﴿لست منهم في شيء﴾أي: من السؤال عنهم، وعن تفرقهم، أو من عقابهم ﴿إنمآ أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ فيجازيهم على ذلك.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠) قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى

---

[1] في [ق] وهو.

[2] اخرج نحوه الامام أحمد في مسنده ٣٣٢/٢ و ١٢٠/٣؛ ١٤٥؛ كما أخرجه الامام أبوداود في سننه ٣/٧-٤ ط الملك خالد مع معالم السنن تحقيق/ محمد حامد الفقي؛ والامام الترمذي في سننه ١٣٤/٤-١٣٥ ط ١٤٠٣هـ دارالفكر؛ وابن ماجه ١٣١٢/٢-١٣٢٢ عن أبي هريرة وغيره.

[3] انظر السبعة ص ٢٧٤؛ النشر ٢٦٦/٢

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ(١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ(١٦٣) قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(١٦٤) وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٦٥).

﴿من جآء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾تقديره: عشر حسنات أمثالها، إلا أنه أقيم صفة الجنس المميز، مقام الموصوف[1]﴿ومن جآء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ بنقص الثواب، وزيادة العقاب ﴿قل إنني هداني ربي﴾ ربي، أبوعمرو، ومدني[2]﴿إلى صراط مستقيم دينا﴾ نصب على البدل، من محل ﴿إلى صراط مستقيم﴾لأن معناه: هداني صراطا، بدليل قوله: ﴿ويهديكم صراطا مستقيما﴾ [3]﴿قيما﴾ فيعل من قام كسيد من ساد، وهو أبلغ من القائم قيما، كوفي، وشامي،[4]وهو مصدر بمعنى القيام وصف به ﴿ملة إبراهيم﴾ عطف بيان ﴿حنيفا﴾ حال من إبراهيم[5]﴿وما كان من المشركين﴾ بالله يا معشر قريش ﴿قل إن صلاتي ونسكي﴾ أي: عبادتي، الناسك العابد، أو ذبحي،

---

(1) اعراب القرآن للنحاس ١١٠/٢؛ اعراب القرآن للعكبري ٢٦٧/١

(2) السبعة ٢٧٥ ؛ النشر ٢٦٧/٢

(3) سورة الفتح رقم الآية [٢٠].

(4) قرأ ابن عامر والكوفيون بكسر القاف وفتح الياء مخففة، وقرأ الباقون بفتح القاف وكسر الياء مشددة (قيما) السبعة ٢٧٤ ؛ النشر ٢٦٧/٢

(5) السبعة ٢٧٥

أوحجي،﴿ومحياى ومماتى﴾ومماتيه في حياتي، أوأموت عليه مـــن الإيمـان، والعمل ﴿لله رب العالمين﴾ خالصة لوجهه، ﴿محياي ومماتي﴾ بســكون اليـاء الأول، وفتح الثاني، مدني، وبعكسه غيره[1]﴿لا شريك له﴾ في شيء من ذلــك ﴿وبذلك﴾ الإخلاص ﴿أمرت وأنا أول المسلمين﴾ لأن إسلام كل نبي متقـدم على إسلام أمته ﴿قل أغير الله أبغي ربا﴾ جواب عن دعائهم لـــه إلى عبـادة آلهتهم، والهمزة للإنكار، أي: منكر أن أطلب ربا غيره، وتقديم المفعول للإشعار بأنه أهم ﴿وهو رب كل شيء﴾ وكل من دونه مربوب ليس في الوجود من لــه الربوبية غيره ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها﴾جواب عن قولهـم: ﴿اتبعـوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾[2]﴿ولا تزر وازرة وزرا أخرى﴾ ولا تؤخذ نفـس آثمة بذنب نفس أخرى ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم فينبكـم بمـا كنتـم فيـه تختلفون﴾ من الأديان التي فرقتموها ﴿وهو الذي جعلكم خلائـف الأرض﴾ لأن محمدا- ﷺ - خاتم النبيين، فأمته قد خلفت سائر الأمم، أو لأن بعضـهم يخلف بعضا، أو هم خلفاء الله في أرضه، يملكونها ويتصرفـون فيـها ﴿ورفـع بعضكم فوق بعض﴾ في الشرف، والرزق، وغير ذلك ﴿درجات﴾مفعول ثـان، أو التقدير: إلى درجات أو هي واقعة موقع المصدر، كأنه قيل:رفعة بعد رفعـة[3] ﴿ليبلوكم في ما أتاكم﴾ فيما أعطاكم من نعمة الجاه، والمال،كيف تشـكرون تلك النعمة / وكيف يصنع الشريف بالوضيع، والغني بالفقير، والمالك بـالمملوك ١٨٤/أ ﴿إن ربك سريع العقاب﴾ لمن كفر ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ لمن قـام بشـكرها،

---

(1) اعراب القرآن للعكبري ١/٢٦٧ ؛ الدرالمصون ٣/٢٢٧

(2) سورة العنكبوت رقم الآية [١٢].

(3) انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٥١ ؛ الدرالمصون ٣/١١٤

ووصف العقاب بسرعة، لأن ما هوآت قريب﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ﴾[1]عن النبي -ﷺ- (من قرأ ثلاث آيات من أول الأنعام حـــين يصبح، وكل الله تعالى [ ][2] سبعين ألف ملك يحفظونه، وكتـــب لــه مثــل أعمالهم إلى يوم القيامة)[3].

---

[1] سورة النحل رقم الآية [٧٧].

[2] في [ق] له.

[3] حكى نحوه الامام السيوطي في الدر ٣/٢٤٥ ونسبه لابن الضريس، عن حبيب بن عيسى، عـــن أبي محمــد الفارسي، ولم اجده عند غيره.

(سورة الأعراف مكية،[1] وهي مائتان وخمس آيات، بصري، وست كوفي، ومدني)[2]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ ﴿١٠﴾.

﴿المص﴾ قال الزجاج:[3] المختار في تفسيره، ماقال ابن عبـــــاس - رضـــي الله عنهما: أنا الله أعلم وأفصل[4] ﴿كتاب﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هو كتـــــاب

---

[1] وقال مقاتل: هي مكية إلا قوله تبارك وتعالى: (وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ....) إلى قولـــه سبحانه: (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنهم ظلة ....) الخ فهذه ثان آيات مدنية، انظر تفسير ابن عطيـــة ٤٢٢/٥ ؛ الجامع لأحكام القرآن للامام القرطبي ١٦٠/٤ ؛ تفسير البحر المحيط ٢٦٦/٤

[2] انظر روح المعاني للامام الألوسي ٢/٣، وفي [ق] زيادة كلمة: وست آيات كوفي ومدني.

[3] تقدمت ترجمته ص

[4] هذا القول مروى عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقال آخرون في معنى (المص) هي هجاء (المصدر) وهـــذا مروى عن السدى، وقال آخرون هو: قسم أقسمه الله، وهو من اسماء الله، وهذا رواه على بن أبي طلحة عن ابـــن عباس - رضي الله عنهما. وقال آخرون: هو اسم من أسماء القرآن، وهذا مروى عن قتادة، وقال آخرون: هـــي حروف هجاء مقطعة، وقيل: هي من حساب الجمل، وقال آخرون: هي حروف تحوى معان كثيرة، دل الله بمـــا

﴿أنزل إليك﴾ صفته[1] والمراد بالكتاب: السورة ﴿فلا يكن فى صدرك حـــــرج منه﴾ شك منه، وسمى الشك حرجا، لأن الشاك ضيق الصدر حرجه، كمـــا أن المتيقن، منشرح الصدر، منفسحه، أي: لاشك في أنـــه منــــزل مـــن الله، أو ﴿حرج منه﴾ بتبليغه، لأنه كان يخاف قومه، وتكذيبهم له، وإعراضـــهم عنـــه، وأذاهم، فكان يضيق صدره، من الأذى، ولا ينشط له، فآمنه الله، ونهـــاه عـــن المبالاة بهم، والنهي متوجه إلى الحرج، وفيه من البلاغة مافيه، والفاء للعطـــف، أي: هذا الكتاب أنزلته إليك، فلا يكن بعد إنزاله حرج في صدرك، والـــلام في ﴿لتنذر به﴾ متعلق بـــ﴿أنزل﴾[2] أي: أنزل إليك لإنذارك به، أو بالنهي، لأنـــه إذا لم يخفهم أنذرهم، وكذا إذا أيقن أنه من عند الله، شـــجعه اليقـــين علـــى الإنذار، لأن صاحب اليقين جسور، متوكل على ربه ﴿وذكرى للمؤمنـــين﴾ في محل النصب،[3] بإضمار فعلها، أي: لتنذر به، وتذكر تذكيرا، فالذكرى اســـم بمعنى التذكير، أو الرفع بالعطف، على ﴿كتاب﴾ أي: هو كتاب، وهو ذكـــرى

خلقه على مراده من كل ذلك، وقال آخرون: هي حروف اسم الله الأعظم، انظر تفسير الطبرى المحقق ٢٩٣/١٢ ومابعدها، وتفسير البحر المحيط ٢٦٦/٤ ومابعدها.

وجل هذه الأقوال كما ذكر أبوحيان في تفسيره ٦٦/٤ فإن ذكرها يدل على مالا ينبغي ذكره مـــن تـــأويلات الباطنية، وأصحاب الألغاز، والرموز، ولولا أن المفسرين شحنوا بها كتبهم خلفا عن سلف لعز بنا عن ذكرهـــا صفحا اهـ.

لكن القول الأسلم والراجح عن هذه الحروف: أنها من المتشابه الذي لايعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ومن سئل عن معناها فينبغي له أن يقول: الله أعلم بمراده فيها.

قال الامام السيوطي – يرحمه الله – ومن المتشابه أوائل السور، والمختار فيها، أنها من الأسرار التي لايعلمها إلا الله تعالى... عن الشعبي: أنه سئل عن فواتح السور فقال: إن لكل كتاب سرا، وإن سر هذا القرآن فواتح الســـور، انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٨/٢-٩ وبهامشه: كتاب اعجاز القرآن للباقلاني ط دارالفكر ١٣٩٩هـــ وانظر مناهل الفرقان في علوم القرآن للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ٢٢٦/١

(١) انظر إعراب القرآن للنحاس ١١٣/٢-١١٤ ؛ اعراب القرآن للعكبري ٢٦٧/١-١٦٨

(٢) المراجع السابقة.

(٣) المراجع السابقة.

للمؤمنين، أو بأنه خبر مبتدأ محذوف، أو الجر بالعطف على محل ﴿لتنذر﴾ [1] أي:للإنذار، وللذكرى ﴿اتبعو مآ أنزل إليكم من ربكم﴾ أي: القرآن، والسنة ﴿ولا تتبعوا من دونه﴾ من دون الله ﴿أوليآء﴾ أي:ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن، والإنس، فيحملوكم على عبادة الأوثان، والأهواء، والبدع ﴿قليلا ما تذكرون﴾ حيث تتركون دين الله، وتتبعون غيره،و﴿قليلا﴾ نصب بـ﴿تذكرون﴾أي: تذكرون تذكرا قليلا،وما مزيدة لتوكيد القلة، تتذكرون، شامي،[2]﴿وكم﴾ مبتدأ ﴿من قرية﴾ تبيين، والخبر: ﴿أهلكنها﴾ أي: أردنا إهلاكها، كقوله:﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾ [3]﴿فجآءها﴾ جاء أهلها ﴿بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتا﴾ مصدر واقع موقع الحال، بمعنى: بائتين، يقال: بات بياتا حسنا،﴿أو هم قآئلون﴾ حال معطوفة[4] على ﴿بياتا﴾كأنه قيل: فجاءهم بأسنا/ 184/ب
بائتين، أو قائلين: وإنماقيل: ﴿هم قائلون﴾بلا واو، ولايقال: [جاءني][5]زيد هو فارس، بغير واو لأنه لما عطف على حال قبلها،حذفت الواو استثقالا، لاجتماع حرفي عطف، لأن واو الحال، هي واو العطف، استعيرت للوصل، وخص هذان الوقتان، لأنهما وقتا الغفلة، فيكون نزول العذاب فيها أشد وأفظع، وقوم لوط — عليه السلام — أهلكوا بالليل وقت السحر، وقوم شعيب — عليه السلام — وقت القيلولة، وقيل: ﴿بياتا﴾ ليلا أي: ليلا وهم نائمون، أو نهارا وهم قائلون ﴿فما كان دعواهم﴾ دعاؤهم، وتضرعهم ﴿إذ جآءهم بأسنا﴾ لما جاءهم أوائل العذاب ﴿إلآ أن قالوا إنا كنا ظلمين﴾ اعترفوا بالظلم على أنفسهم، والشرك

---

[1] المراجع السابقة.

[2] انظر السبعة ص ٢٧٨؛ النشر ٢/٢٦٧

[3] من الآية رقم [٦] من سورة المائدة.

[4] انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/١١٤ ؛ اعراب القرآن للعكبري ١/٢٦٨-٢٦٩؛ الدرالمصون ٣/٢٣٢ ومابعدها.

[5] في [ق] جاء.

حين لم ينفعهم ذلك، ﴿ودعواهم﴾ اسم كان، ﴿وأن قالوا﴾ الخبر، [ويجوز على العكس][1]﴿فلنسئلن الذين أرسل إليهم﴾ ﴿أرسل﴾ مسند إلى ﴿إليـــهم﴾أي: فلنسألن المرسل إليهم، وهم الأمم عما أجابوا به رسلهم ﴿ولنسئلن المرســلين﴾ عماأجيبوا به ﴿فلنقصن عليهم﴾ على الرسل والمرسل إليـــهم ماكــان منــهم ﴿بعلم﴾ عالمين بأحوالهم الظاهرة، والباطنة، وأقوالهم، وأفعــالهم،﴿ومــا كنــا غآئبين﴾ عنهم، وعما وجد منهم، ومعنى السؤال: التوبيخ والتقريع، والتقريــر، إذا فاهوا بألسنتهم، وشهد عليهم أنبياؤهم ﴿والــوزن﴾ أي: وزن الأعمــال، والتمييز بين راجحها، وخفيفها، وهو مبتدأ خبره[2]﴿يومئذ﴾ أي: يوم يسأل الله الأمم، ورسلهم، فحذفت الجملة، وعوض عنها التنوين ﴿الحق﴾ أي: العــدل، صفته، ثم قيل: توزن صحف الأعمال بميزان له لسان، وكفتان، إظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة، وقيل: هو عبارة عن القضاء السوى، والحكم العادل، والله أعلم بكيفيته ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ جمع ميزان، أو موزون، أي: فمــن رجحــت أعماله الموزونة التي لها وزن، وقدر، وهي الحسنات، أو ما توزن به حســناتهم ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون ﴿ومن خفت موازينه﴾ هم الكفار، فإنــه لا إيمان لهم، ليعتبر معه عملا، فلا يكون في ميزانهم خــير، فتخــف موازينــهم ﴿فأولــئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بأياتنــا يظلمــون﴾ يجحــدون، فالآيات: الحجج، والظلم بها: وضعها غير موضعها، أي: جحودهــا، وتــرك الانقياد لها ﴿ولقد مكنــاكم في الأرض﴾ جعلنا لكم فيها مكانا، وقــرارا، و ملكناكم فيها، وأقدرناكم على التصرف فيها ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ جمع

---

[1] انظر إعراب القرآن للنحاس ١١٤/٢ ؛ اعراب القرآن للعكبري ٢٦٨/١-٢٦٩؛ الدرالمصون ٢٣٢/٣ ومابعدها. وفي [ق] ويجوز العكس.

[2] انظر إعراب القرآن للنحاس ١١٤/٢ ؛ اعراب القرآن للعكبري ٢٦٨/١-٢٦٩؛ الدرالمصون ٢٣٢/٣ ومابعدها.

معيشة، وهي: مايعاش به من المطاعم، والمشارب، وغيرها والوجه: تصريح اليـاء لأنها أصلية، بخلاف صحائف، فالياء فيها زائدة، وعن نافع أنه همـــز تشـبيها بصحائف[1]﴿قليلا ما تشكرون﴾ مثل ﴿قليلا ماتذكرون﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾(١٧).

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ /أي: خلقنا أباكم آدم – عليه السلام – طينا غير مصور، ثم صورناه بعد ذلك، دليله: ﴿ثم قلنا للملائكـــة اســجدوا لآدم فسجدوا إلآ إبليس لم يكن من الســجدين﴾ ممن سجد لآدم–عليه الســـلام– ﴿قال ما منعك ألا تسجد﴾ مارفع، أي: أي شيء منعك مـــن الســـجود، ولا زائدة بدليل ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾[2]ومثلها ﴿لئلا يعلم أهـل الكتاب﴾[3] أي:[ليعلم ﴿إذ أمرتك﴾ فيه دليل أن الأمر للوجوب، والسؤال عن المانع، من السجود مع علمه به للتوبيخ، ولإظهار][4]معاندته، وكفره، وكـبره، وافتخاره، بأصله، وتحقيره، أصل آدم – عليه السلام –﴿قال أنا خير منه خلقتني ١٨٥/أ

[1] انظر السبعة ص ٢٧٨

[2] سورة ص رقم الآية [٧٥].

[3] سورة الحديد رقم الآية [٢٩].

[4] ساقطة من [ق].

من نار﴾ [وهي:][1]جوهر نوراني ﴿وخلقته من طين﴾ وهو ظلماني، وقد أخطأ الخبيث، بل الطين أفضل لرزانته، ووقاره، ومنه الحلم، والحياء، والصبر، وذلـك دعاه إلى التوبة، والاستغفار، وفي النار: الطيش، والحدة، والترفع، وذلك دعـاه، إلى الاستكبار، والتراب: عمدة الممالك، والنار عدة المـهالك، والنـار مظنـة الخيانة، والإفناء، والتراب مئنة الأمانة، والإنماء، والطين: يطفئ النار، ويتلفـها، والنار لاتتلفه، وهذه فضائل غفل عنها إبليس، حتى زل بفاسد من المقـاييس، وقول نافي القياس: أول من [قاس][2]إبليس، قياس على أن القياس عند مثبتيـه مردود عند وجود النص، وقياس إبليس عناد للأمر المنصوص، وكان الجواب، لما ﴿منعك﴾ أن يقول: منعني كذا، وإنما: ﴿قال أنا خير منه﴾ لأنه لمـا اسـتأنف قصة، وأخبر فيها عن نفسه بالفضل، على آدم-عليه السلام- وبعلة فضله عليـه، فعلم منها الجواب،كأنه قال: منعني من السجود فضلي عليه،وزيادتي عليه، وهي إنكار الأمر، واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله، إذ سجود الفـاضل للمفضول خارج عن الصواب ﴿قال فاهبط منها﴾ من الجنة، أو من السـماء، لأنه كان فيها، وهي مكان المطيعين، والمتواضعين، والفاء في ﴿فاهبط﴾جـواب لقوله: ﴿أنا خير منه﴾أي: إن كنت تتكبر فاهبط ﴿فما يكون لك﴾ فما يصـح لك ﴿أن تتكبر فيها﴾ وتعصي ﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾ من أهل الصغـر، والهوان على الله، وعلى أوليائه، يذمك كل إنسان، ويلعنك كل لسان، لتكبرك، وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار ﴿قال أنظرنى إلى يوم يبعثون﴾ أمـهلني إلى يوم البعث، وهو وقت النفخة الأخيرة ﴿قال إنك من المنظرين إلى يوم الوقـت المعلوم﴾ إلى النفخة الأولى، وإنما أجيب إلى ذلك لما فيه من الابتلاء، وفيه تقريب

---

(1) في [ق] وهو.

(2) ساقطة من [ق].

لقلوب الأحباب، أي: هذا برئ بمن [يسبني][1] فكيف بمن يحبني، وإنما جسره
على السؤال مع وجود الزلل منه في الحال / علمه بحلم ذي الجلال ﴿قَالَ فَبِمَآ 185/ب
أَغْوَيْتَنِي﴾ أضللتني، أي: فبسبب إغوائك إياي، والباء تتعلق بفعل القسم، المحذوف، تقديره: فبسبب إغوائك أقسم، أو تكون الباء للقسم، أي: فأقسم بإغوائك ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُم صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لأعترضن لهم على طريق الإسلام، مترصداً للرد، متعرضاً للصد، كما يعترض العدو على الطريق، ليقطعه على السابلة،[2] وانتصابه على الظرف، كقولك: ضرب زيد الظهر، أي: على الظهر، وعن طاؤس: أنه كان في المسجد الحرام، فجاء رجل قدري، فقال له طاؤس: تقوم، أو تقام، فقام الرجل، فقيل له: [أتقول هذا لرجل فقيه،][3] فقال: إبليس أفقه منه ﴿قال رب بما أغويتني﴾ وهو يقول: أنا أغوى نفسي[4] ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهم مِّن بَينَ أيديهم﴾ أشككهم في الآخرة، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِم﴾ أرغبهم في الدنيا ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ من قبل الحسنات ﴿وَعَن شَمَائِلِهِم﴾ من قبل السيئات، وهو جمع شمال، يعني: ثم لآتينهم من الجهات الأربع، التي يأتي منها العدو في الأغلب، وعن شقيق[5] رحمه الله: ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد، من بين يدي، فيقول: لا تخف فإن الله غفور رحيم، فأقرأ ﴿وإني لغفار لمن تاب

---

(1) في [ق] يسيئني.

(2) هم أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم، والجمع السوابل. انظر لسان العرب ٣٢٠/١١ مادة: سبل.

(3) في [ق] :فقيل: إنه فقيه.

(4) ذكره الزمخشري في تفسيره ٨٨/٢ وجعله من تكاذيب المجبرة – على حد قوله – وهو يقصد بالمجبرة أهل السنة الذين يخلصون التوحيد حتى لايؤمنون بخالق غيره سبحانه، انظر البحر المحيط ٢٧٦/٤ وانظر تعليق الامام أحمد بن المنير الإسكندري على حاشية الكشاف ٨٨/٢-٨٩

(5) ابن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفي، ثقة، مخضرم، مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز وله مائة سنة.. التقريب ص [٢٦٨] رقم الترجمة [٢٨١٦].

وآمن وعمل صالحا﴾[1]ومن خلفي: فيخوفني الضيعة على مخلفي، فاقرأ ﴿ومـــا من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾[2]وعن يميني، فيأتيني من قبـــل الثنـــاء، ﴿فأقرأ والعاقبة للمتقـــين﴾[3] وعـــن شمـــالي فيـــأتيني مـــن قبـــل الشـــهوات، فـــأقرأ ﴿وحيل بينـــهم وبين مايشـــتهون﴾[4].

ولم يقل[5]من فوقهم، ومن تحتهم، لمكان الرحمة، والسجدة، وقال في الأولـــين ﴿من﴾ لابتداء الغاية، وفي الأخرين ﴿عن﴾[لأن عن][6]تدل علـــى الانحـــراف ﴿ولا تجد أكثرهم شـــكرين﴾ مؤمنين، قاله ظنا، فأصاب لقوله: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾[7]أو سمعه من الملائكة، بإخبار الله – تعالى – إياهم.

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ (٢١) فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ

[1] سورة طه رقم الآية [٨٢].

[2] سورة هود عليه السلام رقم الآية [٦].

[3] سورة الأعراف رقم الآية [١٢٨].

[4] سورة سبأ رقم الآية [٥٤].

[5] وانظر الأثر في التفسير الكبير للرازي ٣٥/١٤ ط دار الكتب العلمية ١٤١١هـــ، تفسير الخازن ٤٨٨/٢ ومعه تفسير البغوي ط١٤١٥/١ دارالكتب العلمية.

[6] في [ق] لأن ساقطة.

[7] انظر إعراب القرآن للنحاس ١١٧/٢-١١٨؛ اعراب القرآن للعكبري ٢٦٩/١

أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ(٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ(٢٣) قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ(٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ(٢٥) يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾(٢٦).

﴿قال اخرج منها﴾ من الجنة، أو من السماء ﴿مذؤما﴾ معيبا، من ذأمه إذا ذمه، والذأم، والذم: العيب ﴿مدحورا﴾ مطرودا، مبعدا من رحمة الله، واللام في ﴿لمن تبعك منهم﴾ موطئة للقسم، وجوابه ﴿لأملأن جهنم﴾ وهو ساد مسد جواب الشرط[1] ﴿منكم﴾ منك، ومنهم فغلب ضمير المخاطب ﴿أجمعين ويآدم﴾ وقلنا يا آدم بعد إخراج إبليس من الجنة ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ اتخذاها مسكنا ﴿فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا﴾ فتصيرا ﴿من الظالمين فوسوس لهما الشيطـن﴾ وسوس إذ تكلم كلاما خفيا يكرره وهو غير متعد، ورجل موسوس، بكسر الواو، ولايقال: موسوس بالفتح، ولكن موسوس له وموسوس إليه، وهو الذي يلقي إليه الوسوسة، ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله / ووسوس إليه ألقاها إليه،[2] ﴿ليبدى لهما ما ووری عنهما من سوءاتهما﴾ ليكشف لهما ما ستر عنهما من عوراتهما،وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور،وأنه لم يزل مستقبحا في الطباع، ١٨٦/أ

[1] انظر اعراب القرآن للنحاس ٢/١١٧-١١٨؛ اعراب القرآن للعكبري ١/٢٦٩

[2] قال الراغب الأصفهاني: الوسوسة: الخطرة الرديئة ... مفردات الفاظ القرآن ص ٨٦٩ مادة: وسوس ط ٢ دارالقلم، الدارالشامية ١٤١٨هـ تحقيق/ صفوان داودي؛ الدرالمصون ٣/٢٤٦-٢٤٧

والعقول،[1] فإن قلت: ما للواو المضمومة، في ووري لم تقلب همزة كما في أو،يصل تصغير واصل، فأصله، وأضله: وويصل، فقلبت الواو همزة كراهة لاجتماع الواوين، قلت: لأن الثانية مدة كألف [واري،][2] فكما لم يجب همزها في واعد لم يجب في ووري، وهذا لأن الواوين، إذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل مالا يكون فيهما،إذا كانت الثانية ساكنة، وذا مدرك بالضرورة فالتزموا إبدالها في موضع الثقل، لا في غيره، وقرأ عبد الله أورى بالقلب[3] ﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين﴾ إلا كراهة أن تكونا ملكين، تعلمان الخير، والشر، وتستغنيان عن الغذاء، وقرئ، ملكين[4] لقوله:﴿وملك لا يبلى﴾ [2]﴿أو تكونا من الخالدين﴾ من الذين لا يموتون، ويبقون في الجنة ساكنين ﴿وقاسمهما﴾ وأقسم لهما ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ وأخرج قسم إبليس، على زنة المفاعلة، لأنه لما كان منه القسم [ومنهما][5] التصديق، فكأنها من اثنين ﴿فدلاهما﴾ فنزلهما إلى الأكل من الشجرة ﴿بغرور﴾ بما غرهما به من القسم بالله، وإنما يخدع المؤمن بالله، وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – من خدعنا بالله انخدعنا له،[6]﴿فلما ذاقا الشجرة﴾ وجدا طعمها، آخذين في الأكل منها، وهي السنبلة، أو الكرم ﴿بدت لهما

---

(1) انظر المغني لابن قدامة ٢/٢٨٣ ومابعدها.ط هجر القاهرة، ١٤٠٦هـ الطبعة الأولى، تحقيق د/ عبدالله عبدالمحسن التركي د/ عبدالفتاح محمد الحلو؛ المجموع شرح المهذب ٣/١٦٥ ومابعدها ط/ دارالفكر.

(2) في [ق] واوي.

(3) انظر الدر المصون ٣/٢٤٧

(4) بكسر اللام، قالوا: لأن الملك يناسب الملك. الدرالمصون ٣/ ٢٤٨

(2) سورة طه رقم الآية [١٢٠].

(5) في [ق] وكان منهما.

(6) روى أن ابن عمر – رضي الله عنهما – كان إذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق، فقيل له: إنهم يخدعونك فقال: من خدعنا بالله انخدعنا له، وعزاه بعض المفسرين لبعض العلماء، انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ١٤/٤١؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/١٨٠؛ تفسير الخازن ٢/٤٩١

سوءتهما﴾ ظهرت لهما عوراهما، لتهافت اللباس عنهما، وكانا لا يرياها من أنفسهما، ولا أحدهما من الآخر، وقيل:كان لباسهما من جنس الأظفار، أي: كالظفر بياضا، في غاية اللطف، واللين، فبقى عند الأظفار، تذكيرا للنعم، وتجديدا للندم ﴿وطفقا﴾ وجعلا، يقال: طفق يفعل كذا، أي: جعل،﴿يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ يجعلان على عورتهما من ورق التين، أوالموز، ورقة فوق ورقة، ليستترا بها كما تخصف النعل،﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾ هذا عتاب من الله، وتنبيه على الخطأ، وروى أنه قال لآدم – عليه السلام –ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة ؟ فقال: بلى ولكن ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا، قال: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش، إلا بكد يمين، وعرق جبين، فأهبط وعلم صنعة الحديد، وأمر بالحرث فحرث، وسقى، وحصد، وداس، وذري، وعجن، وخبز،[1]﴿وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا / ظلمنا ١٨٦/ب
أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ فيه دليل لنا على المعتزلة لأن الصغائر عندهم مغفورة[2]﴿قال اهبطوا﴾ الخطاب لآدم، وحواء، بلفظ الجمع، لأن إبليس هبط من قبل، ويحتمل: أنه هبط إلى السماء، ثم هبطوا جميعا إلى الأرض ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ في موضع الحال، أي: متعادين، يعاديهما [إبليس،][3]ويعاديانه ﴿ولكم فى الأرض مستقر﴾ استقرار، أو موضع استقرار ﴿ومتاع﴾ وانتفاع بعيش ﴿إلى حين﴾ إلى انقضاء آجالكم، وعن ثابت

---

[1] ذكر نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٥٣/٥ ؛ وابن عطية ٤٦٢/٥ ؛ وتفسير البحر المحيط ٢٨٢/٤ ؛ والبغوي في تفسيره ٦٨/١

[2] لأن المعتزلة – يزعمون – أن الله تعالى يجب عليه أن يغفر الصغائر، وأهل السنة والجماعة متفقون أن الله تعالى تفضل بمغفرته، ولو شاء لأخذ به، وإن كان الأنبياء – معصومين من الكبائر، لا كما يزعمه المعتزلة من وجوب مغفرته، وانظر هامش الكشاف ٩٣/٢ففيه تعليق جميل لابن المنير – رحمه الله –

[3] ساقطة من [ق].

البناني:[1] لما أهبط آدم — عليه السلام- وحضرته الوفاة، أحاطت به الملائكـــة، فجعلت حواء، تدور حولهم، فقال لها: خلي ملائكة ربي، فإنما أصابني ما أصابني فيك، فلما توفى غسلته الملائكة، بماء وسدر، وترا، وحنطته، وكفنته في وتر، من الثياب، وحفروا له ولحدوا، ودفنوه، بسر نديب بأرض الهند وقالوا لبنيه: هـــذه سنتكم بعده[2]﴿قال فيها تحيون﴾ في الأرض ﴿وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ للثواب، والعقاب، تخرجون حمزة، وعلي،﴿يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباســـا﴾ جعل ما في الأرض منـــزلا من السماء، لأن أصله من الماء، وهو منها ﴿يـــوارى سوءتكم﴾ يستر عوراتكم ﴿وريشا﴾ لباس الزينة، استعير من ريش الطير، لأنـــه لباسه، وزينته،أي: أنزلنا عليكم لباسين، لباسا يواري سوءاتكم، ولباسا يزينكـــم ﴿ولباس التقوى﴾ ولباس الورع الذي يقي العقاب، وهو مبتدأ، وخبره، الجملـــة وهي: ﴿ذلك خير﴾ كأنه قيل: ولباس التقوى، هو خير، لأن أسمـــاء الإشـــارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر، أو ذلك صفة للمبتدأ، وخير خبر المبتدأ، كأنه قيل: ولباس التقوى المشار إليه: خير، أو لباس التقوى، خبر مبتـــدأ محذوف،[3] أي: وهو لباس التقوى، أي: ستر العورة لباس المتقين، ثم قال: ذلك خير، وقيل: ولباس أهل التقوى، من الصوف، والخشن، ولباس التقوى، مـــدني، وشامي، وعلي، عطفا على: لباسا وريشا[4]أي: وأنزلنا عليكم لباس التقـــوى، ﴿ذلك من أيات الله﴾ الدالة على فضله، ورحمته، على عباده، يعني: إنزال اللباس ﴿لعلهم يذكرون﴾ فيعرفوا عظيم النعمة فيه، وهذه الآية واردة علـــى سبيل

---

[1] هو: ثابت بن أسلم البناني، بضم الموحدة ونونين، أبو محمد البصري، ثقة، عابد، من الرابعة، مات سنة بضـــع وعشرين، وله ست وثمانون سنة. التقريب ١٣٢ رقم الترجمة [٨١٠].

[2] ذكره الإمام الزمخشري في الكشاف ٢/٩٣ ولم أجده عند غيره.

[3] إعراب القرآن للنحاس ٢/١٢٠؛ إعراب القرآن للعكبري ١/٢٧٠ — ٢٧١

[4] السبعة ص ٢٨٠؛ النشر ٢/٢٦٨

الاستطراد، عقيب ذكر بدو السوءات، وخصف الورق عليها، إظهارا للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العرى من الفضيحة، وإشعارا بأن التستر من التقوى.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ(٢٧) وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ(٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ(٣٠) يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(٣١).

﴿يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ لا يخدعنكم، ولا يضلنكم، بأن لا تدخلوا الجنة، كما فتن أبويكم، بأن أخرجهما منها،
١٨٧/أ ﴿ينزع عنهما لباسهما﴾ حال،/ أي: أخرجهما نازعا لباسهما، بأن كان سببا في أن نزع عنهما، والنهي في الظاهر للشيطان، وفي المعنى لبني آدم، أي: لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم ﴿ليريهما سوءاتهما﴾ عوراتهما ﴿إنه﴾ الضمير: للشأن، والحديث ﴿يراكم هو﴾ تعديل للنهي، وتحذير من فتنته، بأنه بمنزلة العدو المداجي، يكيدكم من حيث لا تشعرون ﴿و قبيله﴾ وذريته، أو وجنوده من

الشياطين، وهو عطف على الضمير، في: يراكم المؤكد بهو ولم يعطف عليه، لأن معمول الفعل هو المستكن، دون هذا البارز، وإنما يعطف على ما هو معمـــول الفعل،[١]﴿من حيث لا ترونهم﴾ قال ذو النون[٢] إن كان هو يراك من حيث لا تراه، استعن بمن يراه من حيث لا يراه، وهوالله، الكـــريم ،الســتار، الرحيـم الغفار[٣]﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ فيه دلالة خلق الأفعـال[٤] ﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ ما تبالغ في قبحه من الذنوب، وهو طوافهم بالبيت عـراة، أوشركهم، ﴿قالوا وجدنا عليها ءبآء نا والله أمرنـــا بـــها﴾ أي، إذا فعلوهـــا فاعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها،فاقتدوا بهم، وبأن الله أمرهم، بأن يفعلوهـا حيث أقرنا عليها،إذ لو كرهها لنقلنا عنها، وهما باطلان، لأن أحدهما، تقليـــد للجهال، والثاني: افتراء على ذي الجلال ﴿قل إن الله لا يـــأمر بالفحشـــاء﴾ إذ المأموربه، لابد أن يكون حسنا، وإن كان فيه على مراتب، على ما عـــرف في أصول الفقه[٥]﴿أتقولون على الله مالا تعلمون﴾ استفهام إنكار، وتوبيخ ﴿قـــل أمر ربي بالقسط﴾ بالعدل، وبما هو حسن، عند كل عـــاقل، فكيـــف يـــأمر

(١) إعراب القرآن للنحاس ١٢١/٢ ؛ إعراب القرآن للعكبري ٢٧١/١ ؛ الدرالمصون ٢٥٥/٣

(٢) هو ثوبان بن إبراهيم، الزاهد، شيخ المصرية، يكنى: أبالفيض كان واعظا، حكيما، فصيحا، روى عن مـــالك والليث وغيرهما، توفى سنة ٢٤٦ وقيل غير ذلك، وكان من أبناء التسعين، انظر سير أعلام النبلاء ١٠/١٧-١٩

(٣) لم أقف عليه.

(٤) وفيه رد على المعتـــزلة حيث – يزعمون – أن الله لا يخلق الشر – وزعمهم هذا مردود، وذلك أن الله تعـالى – يخلق الخير والشر، يخلق العباد وأفعال العباد، كما قال تعالى: (والله خلقكم وماتعملون) سورة الصافات رقـــم الآية [٩٦] وقد سبق هذا ص من هذا البحث. انظر منهاج السنة النبوية في نقص كـــلام الشـيعة والقدريـــة ٢١٣/١-٢١٤، الطبعة الثانية دارالفكر ١٤٠٠هــ.

(٥) انظر كشف الأسرار شرح المصنف على المنار للامام النسفي ٩١/١ومابعدهـــا ط/ الأولى ١٤٠٦دار الكتـــب العلمية.

بالفحشاء ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ [وقل:][1] أقيموا وجوهكم، أي: اقصدوا عبادته، مستقيمين إليها، غير عادلين إلى غيرها، في كل وقت سجود، أو في كل مكان سجود ﴿وادعوه﴾ واعبدوه ﴿مخلصين له الدين﴾ أي: الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا ﴿كما بدأكم تعودون﴾ كما أنشأكم ابتداء يعيدكم، احتج عليهم في إنكارهم الإعادة، بابتداء الخلق، والمعنى: أنه يعيدكم، فيجازيكم على أعمالكم، فأخلصوا له العبادة ﴿فريقا هدى﴾ وهم المسلمون ﴿وفريقا﴾ أي: أضل فريقا حق عليهم الضلالة وهو الكافرون ﴿إنهم﴾ إن الفريق الذي حق عليهم الضلالة ﴿اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ أي: أنصارا ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ والآية حجة لنا، على أهل الاعتزال، في الهداية، والإضلال[2] ﴿يابنى ء ادم خذوا زينتكم﴾ لباس زينتكم ﴿عند كل مسجد﴾ كلما صليتم، وقيل: الزينة المشط، والطيب، والسنة: أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة، لأن الصلاة مناجاة الرب، فيستحب لها التزين، والتعطر، كما يجب التستر، والتطهر ﴿وكلوا﴾ من اللحم،/ والدسم، ﴿واشربوا ولا تسرفوا﴾ ١٨٧/ب
بالشروع في الحرام، أو في مجاوزة الشبع ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾ وعن ابن عباس –رضي الله عنهما- كل ما شئت، والبس ما شئت، ماأخطأتك خصلتان:

---

(1) ساقطة من [ق].

(2) يوجبون على الله تعالى – أن يفعل الأصلح للعبد، وهذا مبني على أصلهم الفاسد، أن أفعال العباد مخلوقة لهم، ولا شك أنهم معتدون على ربهم في ذلك، فالله سبحانه وتعالى خلق كل شيء، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء والرسول صلى الله عليه وسلم قد بين للجميع لمن احب ولمن ابغض، العقيدة الطحاوية ٩٥-٩٦

سرف، ومخيلة،[1] وكان للرشيد طبيب، نصراني، حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم، علمان، علم الأبدان، وعلم الأديان، فقال له علي: قد جمع الله الطب كله، في نصف آية من كتابه، وهو قوله: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ فقال النصراني: ولم يرو عن رسولكم شيء في الطب ؟ فقال: قد جمع رسولنا الطب، في ألفاظ يسيرة، وهي قوله - عليه السلام - (المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته)[2] فقال النصراني: ماترك كتابكم، ولا نبيكم لجالينوس، طبا،[3] ثم استفهم إنكارا على محرم الحلال بقوله:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(٣٤).

---

[1] أخرجه ابن أبي شيبة بلفظ (خلتان) بدل (خصلتان) انظر مصنف ابن أبي شيبة٥/١٧١ رقم الأثر [٢٤٨٦٨] ط ١٤٠٦/١هـ دارالكتب، وانظر تفسير البغوي ٢/٤٦٦؛ وذكره أبوحيان في تفسيره ٤/٢٩٢

[2] هذا ليس بحديث كما هو مشهور، ولكنها من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب أو غيره، انظر كشف الخفاء ومزيل الالباس فيما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس ٢/٢١٤ ط ٢/ ١٣٥٢ / دار إحياء التراث العربي.

[3] انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/١٩٢ ؛ تفسير الزمخشري ٢/٩٦-٩٧؛ تفسير البحر المحيط ٤/٢٩٢

﴿قل من حرم زينة الله﴾ من الثياب، وكل ما يتجمل به ﴿التى أخرج لعبـــاده﴾ أي: أصلها، يعني: القطن من الأرض، والقز من الدود ﴿والطيبات من الـــرزق﴾ والمستلذات من المآكل، والمشارب، وقيل: [كانوا إذا أحرموا،][1]حرموا الشـلة، وما يخرج منها من لحمها، وشحمها، ولبنها ﴿قل هى للذين ءامنوا فى الحيـــاة الدنيا﴾ غير خالصة لهم، لأن المشركين شركاؤهم فيها ﴿خالصة يوم القيامة﴾ لا يشركهم فيها أحد، و لم يقل: للذين آمنوا، ولغيرهم، لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة، والكفار تبع لهم، خالصة بالرفع، نافع،[2]فهي مبتـدأ، وخبره: للذين آمنوا ﴿وفي الحياة الدنيا﴾ ظرف للخبر، أو خالصة، خبر ثـلن، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هي خالصة، وغيره نصبها على الحال، مـــن الضمـــير الذي في الظرف، الذي هو الخبر،[3]أي: هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيـــا، في حال خلوصها، يوم القيامة ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ نميز الحلال من الحـــرام ﴿لِقَومٍ يَعْلَمُونَ﴾ أنه لا شريك له ﴿قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّى الْفَوَاحِشَ﴾ربي حمـــزة[4] الفواحش: ما تفاحش قبحه، أي: تزايد ﴿ماظَهَرَ مِنْهَا وَمَـــا بَطَـــنَ﴾ ســـرها، وعلانيتها ﴿وَالإِثْمَ﴾ أي: شرب الخمر، أو كل ذنـــب ﴿وَالْبَغْـــىَ﴾ والظلـــم، والكبر،﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ متعلق بالبغي، ومحل ﴿وَأن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَالَمْ يُـــنَزِّلْ بِـــهِ سُلْطَناً﴾ حجة، النصب،[5]كأنه قال: حرم الفواحش وحرم الشرك،﴿ينـــزِلْ﴾ بالتخيف، مكي، وبصري، وفيه تهكم، إذ لا يجوز أن يترل برهانـــــا، علـــى أن يشرك به غيره ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَالاتَعْلَمُونَ﴾ وأن تتقولوا عليه، وتفـــتروا

---

[1] في الأصل: إذا كانوا أحرموا، ولعل الصواب ماأثبت، وفي [ق] بحذف إذا.

[2] السبعة ص ٢٨٠؛ النشر ٢٦٩/٢

[3] انظر إعراب القرآن للنحاس ١٢٣/٢؛ إعراب القرآن للعكبري ٢٧٢/١؛ الدرالمصون ٢٦٠/٣-٢٦٢

[4] السبعة ص ٣٠١ ؛ النشر ٢٧٥/٢

[5] انظر اعراب القرآن للعكبري ٢٧٢/١؛ الدرالمصون ٢٦٣/٣

الكذب من التحريم، وغيره ﴿ولكل أمة أجل﴾ وقت معين، يأتيهم فيه عــذاب الاستئصال، إن لم يؤمنوا، وهو وعيد لأهل مكة، بالعذاب النــــازل في أجــل معلوم، عند الله كما نزل بالأمم ﴿فإذا جآء أجلهم لا يســتأخرون ســاعة ولا يستقدمون﴾ قيد بساعة لأنها أقل ما يستعمل في الإمهال./ ١٨٨/أ

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٣٥) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ(٣٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ(٣٧) قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ(٣٨) وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾(٣٩).

﴿يابنى ءادم إما يأتينكم﴾ هي إن الشرطية، ضمت إليها مـــا مؤكـــدة لمعنى الشرط، لأن ماللشرط، ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة، أوالخفيفة ﴿رسل منكم يقصون عليكم أياتي﴾ يقرءون عليكم كتبي، وهو في موضع رفع صفة، لرسل وجواب الشرط:﴿فمن اتقى﴾ الشرك ﴿وأصلح﴾ العمل منكم ﴿فلا خــوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ أصلا ﴿والذين كذبوا﴾ منكم ﴿بأياتنـــا واســتكبروا عنها﴾ تعظموا عن الإيمان بها ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خــالدون فمــن

أظلم﴾ فمن أشنع ظلما ﴿ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته﴾ ممن تقول على الله مالم يقله، أو كذب ما قاله ﴿أولئك ينالهم نصيبهم مـــن الكتـــاب﴾ ماكتب لهم من الأرزاق، [والأعمار][1]﴿حتى إذا جآءتهم رسلنا﴾ ملك الموت، وأعوانه، ﴿وحتى﴾غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له، وهي: حتى التي يبتــدىء بعدها الكلام، والكلام هنا: الجملة الشرطية، وهـــي ﴿إذا جـــاءتهم رســلنا﴾ ﴿يتوفونهم﴾ يقبضون أرواحهم، وهو حال من الرسل،[2]أي: متوفيهم ومـــافي ﴿قالوآ أين ما كنتم تدعون﴾ موصولة بأين، وحقها أن تكتب مفصولة، لأنهـــا موصولة، والمعنى: أين الآلهة الذين تعبدون ﴿من دون الله﴾ ليذبوا عنكم ﴿قــالوا ضلوا عنا﴾ غابوا عنا، فلا نراهم ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كــافرين﴾ اعترفوا بكفرهم،بلفظ الشهادة التي هي، لتحقيق الخبر،﴿قال ادخلوا﴾ أي: يقول الله– تعالى – يوم القيامة، لهؤلاء الكفار:ادخلوا ﴿فى أمم﴾ في موضع الحـــال، أي:كائنين في جملة أمم مصاحبين لهم ﴿قد خلت﴾ مضت ﴿من قبلكـــم مـــن الجن والإنس﴾ من كفار الجن، والإنس ﴿فى النار﴾ متعلـــق ﴿بـــادخلوا﴾[3] ﴿كلما دخلت أمة﴾ النار ﴿لعنت أختها﴾ شكلها، في الدين، أي: التي ضلــت بالاقتداء بها ﴿حتى إذا اداركوا فيها﴾ [أصلها][4]: تداركـــوا، أي: تلاحقـــوا، واجتمعوا في النار، فأبدلت التاء دالا، وسكنت للإدغام، ثم أدخلت همزة الوصل ﴿جميعا﴾ حال، ﴿قالت أخراهم﴾ منـــزلة، [وهـــي][5]الأتبـــاع، والســـفلة، ﴿لأولاهـم﴾ منـــزلة، وهي القادة، والرءوس، ومعنى: لأولاهم، لأجل: أولاهم،

---

[1] في [ق] والأعمال.

[2] انظر إعراب القرآن للعكبري ١:٢٧٢ ؛ الدرالمصون ٣/٢٦٤

[3] انظر إعراب القرآن للعكبري ١:٢٧٢ ؛ الدرالمصون ٣/٢٦٥-٢٦٦

[4] في [ق] أصله.

[5] في [ق] وهم.

لأن خطابهم مع الله، لامعهم ﴿ربنا﴾ يا ربنا ﴿هؤلآء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا﴾ مضاعفا ﴿من النار قال لكل ضعف﴾ للقادة: بالغواية، والإغواء، والأتباع: بالكفر، والاقتداء ﴿ولكن لاتعلمون﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب، ﴿لايعلمون﴾ أبوبكر،[1] أي: لايعلم كل فريق، مقدار عذاب الفريق الآخر ﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل﴾ عطفوا هذا الكلام، على قول الله تعالى للسفلة، لكل ضعف، أي: فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا، وأنا متساوون في استحقاق الضعف ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ بكسبكم، وكفركم، وهو / من قول القادة، للسفلة، ولا وقف على ١٨٨/ب
فضل، أو من قول الله لهم جميعا، والوقف على فضل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ(٤٠)لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّـٰلِمِينَ(٤١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ(٤٢)وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ(٤٣)وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾(٤٤).

---

[1] انظر السبعة ص ٢٨٠؛ النشر ٢٦٩/٢

﴿إن الذين كذبوا بأياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب الســـماء﴾ أي: لا يؤذن لهم في صعود السماء ليدخلوا الجنة، إذ هي في السماء، أو لايصعد لهـــم عمل صالح، ولا تنـــزل عليهم البركة، أو لاتصعد أرواحهم، إذاماـــتوا، كمـــا تصعد أرواح المؤمنين إلى السماء، وبالتاء مع التخفيف: أبوعمرو، وبالياء معـــه حمزة، وعلي،[1]﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ حـــتى يدخل البعير في ثقب الإبرة، أي: لايدخلون الجـــنـــة أبـــدا، لأنه علـــقـــه بمالا يكون، والخياط، والمخيط، مايخاط به، وهو:الإبرة ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلـــك الجزاء الفظيع الذي وصفنا ﴿نجزى المجرمين﴾ أي: الكافرين، بدلالة التكذيب بآيات الله، والاستكبار عنها ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ فراش ﴿ومـــــن فوقـــهم غواش﴾ أغطية، جمع غاشية ﴿وكذلك نجزى الظلمـــين﴾ أنفســـهم بـــالكفر ﴿والذين ءامنوا وعملوا الصلحت لا نكلف نفســـا إلا وســـعها﴾ طاقتـــها، والتكليف: إلزام مافيه كلفة،أي: مشقة[2]﴿أولئك﴾ مبتدأ، والخبر ﴿أصحـــاب الجنة﴾ والجملة خبر الذين، ولا نكلف نفسا إلا وسعها، اعتراض بين المبتـــدأ والخبر[3]﴿هم فيها خالدون ونزعنا ما فى صدورهم من غل﴾ حقد كان بينـــهم في الدنيا، فلم يبق بينهم، إلا التواد، والتعاطف، وعن علي –رضي الله عنه — إني لأرجو أن أكون أنا، وعثمان، وطلحة، والزبير، منهم[4]﴿تجرى من تحتـــهم الأنهار﴾ حال من ﴿هم﴾ في صدورهم والعامل فيها، معنى الإضافة ﴿وقـــالوا الحمد لله الذي هدانا لهـــذا﴾ لما هو وسيلة إلى هذا الفوز العظيم، وهو الإيمان

---

(1) المرجعين السابقين.

(2) انظر لسان العرب ٩/٣٠٧ مادة: كلف.

(3) انظر إعراب القرآن للعكبري ١/٢٧٤؛ الدرالمصون ٣/٢٧١

(4) انظر تفسير الطبري ١٢/٤٣٨؛ المحقق؛ مصنف ابن أبي شيبة ٧/٥٤٤ بلفظ: (وإني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله: (ونزعنا مافي صدورهم من غل)؛ وتفسير ابن عطية ٥/٥٠٦

﴿وما كنا﴾ ما كنا بغير واو، شامي،[1] على أنها جملة موضحة للأولى ﴿لنهتدى لولآ أن هدانا الله﴾ اللام لتوكيد النفي، أي: وماكان يصح، أن نكون مـهتدين، لولا هداية الله، وجواب لو لا محذوف، دل عليه ما قبله[2]﴿لقد جاء ت رسـل ربنا بالحق﴾ فكان لنا لطفا، وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا،يقولون ذلك سـرورا بمانالوا، وإظهارا لما اعتقدوا ﴿ونودوآ أن تلكم الجنة﴾ أن مخففة من الثقيلـة، واسمها: محذوف، والجملة بعدها [خبرها،][3]تقديره: ونودوا بأنه: تلكم الجنـة، والهاء ضمير الشأن، أو بمعنى، أي:كأنه قيل: فقيـل لهـم: تلكـم الجنـة،[4] ﴿أورثتموها﴾ أعطيتموها، وهو حال من الجنة، والعامل فيها، ما في ﴿تلـك﴾ من معنى الإشارة ﴿بما كنتم تعملون﴾ سماها ميراثا، لأنها لا تستحق بالعمل، بل هي محض فضل الله، وعده على الطاعات، كالميراث من الميت، ليس بعوض عن شيء، بل هو صلة خالصة، وقال الشيخ أبو منصور[5]–رحمه الله-: إن المعتـزلة خالفوا الله فيما أخبر، ونوحا –عليه السلام- وأهل الجنة، والنار، وإبليس، لأنـه
١٨٩/أ قال تعالى ﴿يضل / من يشاء ويهدي من يشاء﴾[6]وقال نوح –عليه السـلام-: ﴿ولا ينفعكم نصحـي إن أردت أن أنصـح لكـم إن كـان الله يريـد أن يـغـويـكـم﴾[7]وقال أهل الجنة: ﴿وما كنا لنـهتدي لـولا أن هدانـا الله﴾وقـال أهـل النـار: ﴿لو هدانا الله لهـديناكـم﴾[8]وقال إبليـس:

---

[1] السبعة ص ٢٨٠؛ النشر ٢٦٩/٢

[2] انظر إعراب القرآن للنحاس ٢٧٥/١؛ الدرالمصون ٢٧٢/٣

[3] ساقطة من [ق].

[4] انظر إعراب القرآن للنحاس ١٢٦/٢؛ مع المرجعين السابقين.

[5] هو: محمد بن محمد بن محمود، ابومنصور الماتريدى، من أئمة علم الكلام توفى سنة ٣٣٣هـ وله مؤلفات عدة من أشهرها: كتاب: شرح تأويلات أهل السنة. انظر الأعلام ١٩/٧

[6] سورة فاطر رقم الآية [٨].

[7] سورة هود رقم الآية [٣٤].

[8] سورة ابراهيم –عليه السلام – رقم الآية [٢١].

﴿فبما أغويتني﴾[1]﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنـــا﴾ أن مخففة من الثقيلة، أو مفسرة، وكذلك ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾[2]﴿ما وعدنا ربنا﴾ من الثواب ﴿حقا﴾ حال ﴿فهل وجدتم ماوعد ربكم﴾ مـــن العــذاب ﴿حقا﴾ وتقديره: وعدكم ربكم فحذف كم لدلالة ﴿وعدنا ربنا﴾ عليه وإنمـــا قالوا لهم ذلك، شماتة [لأصحاب][3] النار، واعترافا بنعم الله تعالى ﴿قـــالوانعم﴾ وبكسر العين، حيث كان علي[4]﴿فأذن مؤذن بينهم﴾ نادى مناد، وهو ملـــك يسمع أهل الجنة، والنار ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾ أن لعنـــة الله، مكـــي، وشامي، وحمزة، وعلي[5].

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ (٤٥) وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٧) وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالًا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ (٤٨) أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ (٤٩) وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (٥٠).

---

[1] سورة الأعراف رقم الآية [١٦].

[2] انظر السبعة ص ٢٨١؛ النشر ٢/٢٦٩ ؛ الدرالمصون ٣/٢٧٣

[3] في [ق] بأصحاب.

[4] انظر السبعة ص ٢٨١؛ النشر ٢/٢٦٩ ؛ الدرالمصون ٣/٢٧٣

[5] انظر السبعة ص ٢٨١؛ النشر ٢/٢٦٩ ؛ الدرالمصون ٣/٢٧٣

﴿الذين يصدون﴾ يمنعون ﴿عن سبيل الله﴾ دينه ﴿ويبغونها عوجا﴾ مفعول ثـان ليبغون أي ويطلبون لها إلا عوجاج، والتناقض ﴿وهم بالآخرة﴾ بالدار الآخـرة ﴿كافرون وبينهما﴾ وبين الجنة، والنار، [أو][1] بين الفريقين ﴿حجاب﴾ وهـو السور المذكور في قوله: ﴿فضرب بينهم بسور﴾[2]﴿وعلى الأعراف﴾ وعلـى أعراف الحجاب، وهو السور المضروب بين الجنة، والنار، وهي أعاليـه، جمـع عرف، استعير من عرف الفرس، وعرف الديك،[3]﴿رجـال﴾ مـن أفـاضل المسلمين، أو من آخرهم دخولا في الجنة، لاستواء حسناتهم، وسيآتهم، أو من لم يرض عنه أحد أبويه، أو أطفال المشركين ﴿يعرفون كلا﴾ من زمرة السـعداء، والأشقياء ﴿بسيماهم﴾ بعلامتهم، قيل: سـيما المؤمنـين بيـاض الوجـوه، ونضارتها،وسيما الكافرين سواد الوجوه، وزرقة العيون ﴿ونادوا﴾ أي:أصحـاب الأعراف ﴿أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ أنه سلام، أو أي: سلام، [وهـو تهنئة منهم لأهل الجنة][4]﴿لم يدخلوها﴾ أي: أصحاب الأعراف، كأن سـائلا سأل عن ولا محل له لأنه استئناف،[5]كأن سائلا سأل عن أصحاب الأعـراف، فقيل لم: يدخلوها ﴿وهم يطمعون﴾ في دخولها، أوله محل، وهو صفة لرجـال ﴿وإذا صرفت أبصارهم﴾ أبصار أصحاب الأعراف، وفيه: أن صارفا يصـرف أبصارهم، لينظروا فيستعيذوا ﴿تلقآء﴾ ظرف، أي: ناحية ﴿أصحاب النـار﴾ ورأوا ما هم فيه من العذاب ﴿قالوا ربنا لا تجعلنـا مـع القـوم الظـالمين﴾ فاستعاذوا بالله، وفزعوا إلى رحمته، أن لا يجعلهم معـهم ﴿ونـادى أصحـاب

---

[1] في [ق] أي.

[2] الدرالمصون ٣/٢٧٤

[3] الدر المصون ٣/٢٧٤

[4] ساقطة من [ق].

[5] انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/١٢٨؛ الدرالمصون ٣/٢٧٤-٢٧٥

الأعراف رجالا﴾ من رءوس الكفرة ﴿يعرفونهم بسيماهم قالوا مآ أغنى عنكم
جمعكم﴾ المال، أو كثرتكم، واجتماعكم، وما نافية / ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ ١٨٩/ب
واستكباركم عن الحق، وعلى الناس، ثم يقولون لهم: ﴿أهؤلآء﴾ مبتدأ ﴿الذين﴾ خبر مبتدأ مضمر،[1] تقديره:أهؤلاء هم الذين ﴿أقسمتم﴾ حلفتم في الدنيا،والمشار إليهم، فقراء المؤمنين،كصهيب، وسلمان،ونحوهما ﴿لا ينالهم الله برحمة﴾ جواب أقسمتم،[2] وهو داخل في صلة الذين، تقديره: أقسمتم عليهم، بأن لاينالهم الله برحمة، أي: لايدخلهم الجنة يحتقرونهم، لفقرهم فيقال لأصحاب الأعراف:﴿ادخلوا الجنة﴾ وذلك بعد أن نظروا إلى الفريقين، وعرفوهم بسيماهم، وقالوا ما قالوا ﴿لا خوف عليكم ولآ أنتم تحزنون ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء﴾ أن مفسرة، وفيه دليل على أن الجنة فوق النار ﴿أو مما رزقكم الله﴾ من غيره من الأشربة، لدخوله في حكم الإفاضة، أو أريد وألقوا علينا مما رزقكم الله، من الطعام والفاكهة كقوله:

علفتها تبنا وماءا باردا[3].

أي: وسقيتها،وإنما سألوا ذلك مع يأسهم عن الإجابة، لأن المتحير ينطق بما يفيد، وبما لا يفيد ﴿قالوا إن الله حرمهما على الكفرين﴾ هو تحريم منع كما في ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾[4]وتقف هنا، إن رفعت، أو نصبت ما بعده ذما، وإن جررته وصفا، للكافرين، فلا.

---

[1] المرجعين السابقين.

[2] المرجعين السابقين.

[3] من الرجز لذى الرمة، انظر ديوانه ١٨٦٢/٣؛ معاني القرآن للفراء ١٤/١

[4] سورة القصص رقم الآية [١٢].

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ
كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١) وَلَقَدْ
جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) هَلْ يَنظُرُونَ
إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ
رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا
نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ (٥٣) إِنَّ
رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى
ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ
مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (٥٤).

﴿الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا﴾ فحرموا، وأحلوا ما شاءوا، أودينهم: عيدهم ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ اغتروا بطول البقاء ﴿فاليوم ننساهم﴾ نتركهم في العذاب ﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بأياتنا يجحدون﴾ أي: كنسيانهم، وجحودهم ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه﴾ ميزنا حلاله، وحرامه، ومواعظه، وقصصه، ﴿على علم﴾ عالمين بكيفية تفصيل أحكامه ﴿هدى ورحمة﴾ حال من منصوب ﴿فصلناه﴾كما أن على علم حال من مرفوعه[1] ﴿لقوم يؤمنون هل ينظرون﴾ ينتظرون ﴿إلا تأويله﴾ إلا عاقبة أمره، ومايؤول إليه،من تبين صدقه، وظهور صحة مانطق به، من الوعد، والوعيد،﴿يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل﴾ تركوه، و أعرضوا عنه ﴿قد جاء ت رسل ربنا بالحق﴾ أي: تبين، وصح، أنهم جاءوا بالحق، فأقروا حين لا ينفعهم ﴿فهل لنا من شفعآء فيشفعوا لنا﴾ جواب الاستفهام ﴿أو نرد﴾ جملة معطوفة، على

(1) انظر إعراب القرآن للنحاس ١٩٢/٢؛ إعراب القرآن للعكبري ٢٧٥/١-١٧٦

الجملة قبلها، داخلة معها، في حكم الاستفهام، كأنه قيل: فهل لنا من شفعـــاء، أو هل نرد، ورافعه: وقوعه موقعا يصلح للاسم، كقولك، ابتداء: هل يضـــرب زيد ؟ أو عطف على تقدير، هل يشفع لنا شافع، أو هـــل نرد[1] ﴿فنعمـــــل﴾ جواب الاستفهام –أيضا- ﴿غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم
١٩٠/أ ما كانوا يفترون﴾ ما كانوا يعبدونه، من الأصنام / ﴿إن ربكم اله الذي خلـــق السموت والأرض في ستة أيام﴾ أراد السموات والأرض ومابينهما، وقد فصلها في ﴿حم﴾ السجدة أي: من الأحد، إلى الجمعة، لاعتبار الملائكة شيئا فشـــيئا، وللإعلام بالتأني في الأمور، ولأن لكل عمل يوما، ولأن إنشاء شيء بعد شـــيء، أدل على عالم مدبر،مريد،يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته ﴿ثم استوى﴾ استولى[2] ﴿على العرش﴾ أضاف الاستيلاء إلى العرش، وإن كـــان – ســبحانه وتعالى- مستوليا على جميع المخلوقات، لأن العـــرش أعظمـــها، وأعلاهـــا،

---

[1] المرجعين السابقين ؛ الدرالمصون ٢٧٨/٣-٢٧٩

[2] هذا تفسير الاستواء عند الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ووافقهم في ذلك الامام النسفي كما هو واضح هنا، وفي كتابه: عمدة عقائد أهل السنة والجماعة ص٤ مخطوطة من جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة، لكـــن أهـــل الســـنة والجماعة يثبتون استواء الله عزوجل على عرشه، استواء يليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولاتحريف ولاتعطيل ولا تمثيل، وهذا هو القول الصحيح الذي ورد إثباته في الكتاب والسنة، قال تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمـــل الصالح يرفعه) سورة فاطر رقم الآية [١٠] وقال: (اء منتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ...)الملك الآية [١٦] وقال: (وهو القاهر فوق عباده) الأنعام أية [٦١] فدلت الآيات على أنه تعالى في السماء وعلمـــه بكـــل مكان، من أرضه وسمائه، وقد سئلت أم سلمة – رضي الله عنها – عن الاستواء ؟ فقالت: الكيف غير معقـــول، والاستواء غير مجهول، والاقرار به إيمان، والجحود به كفر، وروى هذا عن الامام مالك وربيعة وأبي حنيفة وغيرهم – رحمهم الله – ولما كان الاستواء كبقية الصفات المتعلقة بذات الله وهو أمر غيبي، إذن فلا يجوز توهم المشـــابهة، كما لايجوز فيما ثبت عن الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – لذلك التوهم، وإنما هو الإيمان والتسليم، وهـــذا الذي يؤيده العقل الصحيح، لكن لو فسر الاستواء بالاستيلاء كما زعمت الجهمية والمعتزلة والأشاعرة لاستلزم أن يكون قبل الله عزوجل غيره، ثم لا يكون الاستيلاء إلا بعد تنافس بين شخصين يدفع أحدهما الآخر – تعـــالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٣؛ الفتاوى لابن تيمية ٢٩٠/٥ ومابعدها؛ شرح الأصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣٨٧/٣ ومابعدها مع الهامش؛ مختصر الصواعق المرسلة ١٢٦/٢-١٩٠

وتفسير العرش بالسرير، والاستواء بالاستقرار، كما تقوله المشبهة باطل، لأنه — تعالى — كان قبل العرش، ولا مكان، وهو الآن كما كـــان، لأن التغـــير مـــن صفات الأكوان، والمنقول عن الصادق،[١] والحسن[٢] وأبي حنيفـــة، ومـــالك - رضي الله عنهم - أن الاستواء معلوم والتكييف فيه مجهول، والإيمان به واجب، والجحود به كفر، والسؤال عنه بدعة ﴿يغشى اليل النهار﴾ يغشـــي[٣] حمـــزة، وعلي، وأبوبكر، أي: يلحق الليل بالنهار أوالنهار بالليل ﴿يطلبه حثيثا﴾ حـــال من الليل، أي: سريعا والطالب: هو الليل، كأنه لسرعة مضيه، يطلـــب النـــهار ﴿والشمس والقمر والنجوم﴾ أي: وخلـــق الشـــمس، والقمـــر، والنجـــوم، ﴿مسخرات﴾ حال،[٤] أي: مذللات، والشمس، والقمر، والنجوم، مســـخرات، شامي،[٥] والشمس مبتدأ والبقية معطوفة عليها، والخبر مسخرات ﴿بأمره﴾ هـــو أمر تكوين، ولما ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال ﴿ألا له الخلق والأمـــر﴾ أي: هو الذي خلق الأشياء، وله الأمر ﴿تبارك الله﴾ كثر خيره، أو دام بره، مـــن البركة النماء، أو من البروك: الثبات، ومنه البركة ﴿رب العلمين﴾.

﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ

---

[١] الصادق: هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، ابوعبدالله، المعروف بالصادق، صدوق فقيه إمام، من السادسة، مات سنة ١٤٨هـ التقريب ص ١٤١ ترجمة رقم [٩٥٠].

[٢] هو: الحسن بن أبي الحسن البصرى، واسم أبيه يسار، بالتحتانية والمهملة، الأنصارى مولاهم، ثقة فقيه فـــاضل مشهور، وكان يرسل كثيرا ويدلس، هو رأس أهل الطبقة الثالثة، مات سنة ١٢٠هـ وقد قارب التسعين. التقريب ص ١٦٠ رقم الترجمة [١٢٢٧].

[٣] (يغشي) التشديد الشين، هنا وفي سورة الرعد: يعقوب وحمزة والكسائي، وخلف وأبوبكر، وقـــرأ البـــاقون بتخفيفها (يغشي) انظر السبعة ص ٢٨٢؛ النشر ٢٦٩/٢

[٤] انظر إعراب القرآن للنحاس ١٣١/٢ ؛ الدرالمصون ٢٨٢/٣

[٥] الشامي: المراد به ابن عامر، وهو: بضم التاء في قوله تعالى: (مسخرات) والأخرون بنصبها، السبعة ص ٢٨٢-٢٨٣؛ النشر ٢٦٩/٢

ٱلْمُحْسِنِينَ(٥٦) وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٥٧) وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ(٥٨) لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(٥٩) قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ(٦٠) قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٦١).

﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ نصب على الحال، أي: ذوي تضرع، وخفية، والتضرع: تفعل من الضراعة، وهي الذل أي: تذللا، وتملقا[١]، قال - عليه السلام -: (إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا قريبا إنه معكم أينما كنتم)[٢] عن الحسن:[٣] بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا[٤] ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ المجاوزين ما أمروا به في كل شيء، من الدعاء، وغيره، وعن ابن جريج[٤]: الرافعين أصواتهم بالدعاء،[٥] وعنه: الصياح في الدعاء مكروه،

---

[١] انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٧٦/١ ؛ الدر المصون ٢٨٢/٣

[٢] الحديث في الصحيحين فقد أخرجه الإمام البخاري في كتاب الدعوات باب الدعاء إذا علا عقبه ٤٤٢/٨، واخرجه الإمام مسلم في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٠٧٦/٤ وكلاهما عن أبي موسى الأشعرى رقم الحديث [٢٧٠٤].

[٣] هو البصري وقد تقدمت ترجمته ص٨٦

[٤] انظر تفسير الخازن ٥٢١/٢ ومعه تفسير البغوي ط ١/١٤٠٥ دار الكتب.

[٤] ابن جريج هو: عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموى مولاهم المكي، ثقة، فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل، من السادسة، مات سنة خمسين أو بعدها، وقد جاوز التسعين، التقريب ٣٦٣ ترجمة [٤١٩٣].

[٥] انظر تفسير الطبري ٤٨٧/١٢ المحقق؛ معالم التنزيل ٤٨٣/٢؛ تفسير البحر المحيط ٣١٣/٤

وبدعة،[1] وقيل:هو الإسهاب في الدعاء، وعن النبي - ﷺ -: (سـيكون قـوم يعتدون في الدعاء، وحسب المرء أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة، ومـاقرب إليها، من قول، وعمل وأعوذ بك من النار، وماقرب إليها من قول، وعمـل)[2] ١٩٠/ب
ثم قرأ ﴿إنه لايحب المعتدين﴾ ﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحـها﴾ / أي: بالمعصية بعد الطاعة، أو بالشرك بعد التوحيد، أو بالظلم بعد العدل،﴿وادعـوه خوفا وطمعا﴾ حالان، أي: خائفين من الرد طامعين في الإجابة، أو من النيران، وفي الجنان، أو من الفراق، وفي التلاق، أو من غيب العاقبة، وفي ظاهر الهدايـة، أو من العدل، وفي الفضل ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ ذكر، قريب، على تأويل الرحمة بالرحم، أو الترحم، أو لأنه صفة موصوف محـذوف، أي: شيء قريب، أو على تشبيه بفعيل الذي بمعنى مفعول، أو لأن تأنيث الرحمة غـير حقيقي، أو للإضافة إلى المذكر[3]﴿وهو الذي يرسل الرياح﴾ الريـح مكـي، وحمزة، وعلي[4]﴿نشرا﴾حمزة، وعلي، مصدر نشر، وانتصابه: إما لأن أرسـل، ونشر متقاربان، فكأنه قيل: نشرها نشرا، وإما على الحال، أي: منشرات بشـر، عاصم تخفيف بشرا، جمع بشير، لأن الرياح تبشر بالمطر نشرا، شامي،[5]تخفيـف نشر،كرسل، ورسل، وهو قراءة الباقين،جمع نشور،أي: ناشرة للمطـر ﴿بيـن يدى رحمته﴾ أمام نعمته، وهو الغيث الذي هو من أجل النعـم ﴿حتـى إذا

---

[1] انظر تفسير الطبري ٤٨٧/١٢ المحقق ؛ معالم التنـزيل ٤٨٣/٢؛ تفسير البحرالمحيط ٣١٣/٤

[2] انظر مسند الامام أحمد ١٧٢/١،وسنن أبوداود ٢٧٦/١؛ سنن ابن ماجه ١٢٦٤/٢-١٢٧١

[3] انظر زيادة توضيح في هذا كتاب: إعراب القرآن للعكبري ٢٧٦/١؛ الدرالمصون ٢٨٢/٣-٢٨٣؛ البحرالمحيط ٣١٤/٤-٣١٥

[4] انظر السبعة ص ٢٨٣ ؛ النشر ٢٦٦/٢-٢٧٠؛ إعراب القرآن للعكبري ٢٢٦/١-٢٢٧

[5] انظر السبعة ص ٢٨٣ ؛ النشر ٢٦٦/٢-٢٧٠؛ إعراب القرآن للعكبري ٢٢٦/١-٢٢٧

أقلت﴾ حملت، ورفعت، واشتقاق الإقلال من القلة، لأن الرافع المطيق، يــرى مــا يرفعه قليلا ﴿سحابا ثقالا﴾ بالماء، جمع سحابة ﴿سقناه﴾ الضمير للسحاب علــى اللفظ، ولو حمل على المعنى،كالثقال لأنث،كما لو حمل الوصف علــى اللفظ لقيل: ثقيلا ﴿لبلد ميت﴾ - ميت- لأجل بلد ليس فيه مطر، ولسقــيه ميت، مدني، وحمزة، وعلي، وحفص،[1]﴿فأنزلنا به المـــاء﴾ بالســحاب، أو بالسوق، وكذلك ﴿فأخرجنا به من كل الثمرت كذلك﴾ مثل ذلك الإخــراج، وهو إخراج الثمرات، ﴿نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ فيؤديكم التذكــر إلى الإيمان بالبعث، إذ لا فرق بين الإخراجين، لأن كل واحد منهما، إعادة للشيء بعد إنشائه ﴿والبلد الطيب﴾ الأرض الطيبة [التربه][2]﴿يخرج نباته بإذن ربــه﴾ بتيسيره، وهو موضع الحال،كأنه قيل: يخرج نباتة حسنا، وافيا، لأنه واقــع في مقابلة ﴿نكدا﴾ ﴿والذي خبث﴾ صفة للبلــد،[3] أي: والبلــد الخبيــث ﴿لا يخــرج﴾ أي: نباته، فحذف للاكتفاء ﴿إلا نكدا﴾ هو الذي لا خير فيه، وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ وهو المؤمن، ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلــك، وهــو الكافر، وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر، [المنــزل][4]وإنزاله بالبلد الميـــت، وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد ﴿كذلك﴾ مثل ذلــك التصريــف

---

[1] قرأ بتشديد الياء أبوجعفر ونافع وحمزة والكسائي وخلف وحفص، ووجه من شدد الميتة، والميت في الباب كله مجيئه على أصله، وقد اختلف في أصله فعند سيبويه: الأصل: ميوتة وميوت، انقلبت الواو ياء، ووجه من خفــف إرادة التخفيف على وزن فعيله وفعيل سبقت الياء بالسكون فقلبت ... الخ انظر شرح طيبة النشر لابن الجــزري المتوفى سنة ٨٣٥ ص ١٨٩-١٩٠ تعليق وضبط الشيخ/ أنس مهرة ط١/ دار الكتب العلمية ١٤١٨هــ وانظــر النشر ٢/٢٢٤-٢٢٥

[2] في [ق] الترب.

[3] انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/١٣٣-١٣٤؛ إعراب القرآن للعكبري ١/٢٧٧

[4] في [ق] المطر.

﴿نصرف الآيات﴾ نرددها، ونكررها ﴿لقوم يشكرون﴾ نعمة الله، وهم المؤمنون ليفكروا[1] فيها، ويعتبروا بها ﴿لقد أرسلنا﴾ / جواب قسم محذوف،[2] أي: والله لقد أرسلنا ﴿نوحا إلى قومه﴾ أرسل وهو ابن خمسين سنة، وكان نجارا، وهو نوح بن لمك، بن متوشلخ، بن أخنوخ، وهو اسم إدريس — عليه السلام -﴿فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ غيره علي، فالرفع على المحل،كأنه قيل: مالكم إله غيره، [فلاتعبدوا معه غيره،][3] والجر: على اللفظ[4] ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ أي: يوم القيامة، أو يوم نزول العذاب عليهم، وهو الطوفان ﴿قال الملأ﴾ أي: الأشراف، والسادة ﴿من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين﴾ في ذهاب عن طريق الصواب، والرؤية رؤية القلب، ﴿قال ياقوم ليس بى ضلالة﴾ و لم يقل ضلال، كما قالوا، لأن: الضلالة أخص من الضلال، فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه،كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال، ثم استدرك لتأكيد نفي الضلالة فقال ﴿ولكنى رسول من رب العالمين﴾ لأن كونه رسولا من الله مبلغا لرسالاته، في معنى كونه: على الصراط المستقيم، فكان في الغاية القصوى من الهدى. ١٩١/ب

---

(1) في [ق] ليكفروا، وهو خطأ مطبعي.

(2) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/١٣٣-١٣٤؛ إعراب القرآن للعكبري ١/٢٧٧

(3) ساقطة من [ق].

(4) هنا وحيث وقع قرأ أبوجعفر والكسائي بخفض الراء وكسر الهاء بعدها لاغيره، وقرأ الباقون برفع الراء وضم الهاء. انظر السبعة ص ٢٨٤؛ النشر ٢/٢٧٠

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٦٢)
أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا
وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الذين
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ(٦٤) وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ(٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٦٦) قَالَ
يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ(٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ
رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ(٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ
وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٦٩).

﴿أبلغكم رسالات ربى﴾ ما أوحي إلي في الأوقات المتطاولة، أو في المعاني المختلفة، من الأوامر، والنواهي، والمواعظ، والبشائر، والنذائر، ﴿أبلغكم﴾ ابو عمرو وهو كلام مستأنف، بيان لكونه، رسول رب العالمين ﴿وأنصح لكم﴾ وأقصد صلاحكم، بإخلاص، يقال: نصحته، ونصحت له، وفي زيادة اللام مبالغة، ودلالة على إمحاض النصيحة، وحقيقة النصح: إرادة الخير لغيرك، مما تريده لنفسك، أو النهاية في صدق العناية ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾.

أي: من صفاته يعني: قدرته الباهرة، وشدة بطشه على أعدائه، وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين. ﴿أو عجبتم﴾ الهمزة للإنكار، والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف، كأنه قيل: أكذبتم، وعجبتم،[1] ﴿أن جاء كم﴾ من أن جاءكم ﴿ذكر﴾

---

[1] انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/١٣٥-١٣٦؛ الدرالمصون ٣/

موعظة ﴿من ربكم على رجل منكم﴾ على لسان رجل منكم، وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح - عليه السلام - ويقولون: ﴿ماسمعنا بهـــذا في آبائنـــا الأولين﴾ يعنون إرسال البشر ﴿ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ [1]﴿لينذركـــم﴾ ليحذركم عاقبة [الكفر][2]﴿ولتتقوا﴾ ولتوجد منكم التقوى، وهـــي: الخشـــية بسبب الإنذار ﴿ولعلكم ترحمون﴾ ولترحموا بـــالتقوى، إن وجـــدت منكـــم ﴿فكذبوه﴾ فنسبوه إلى الكذب ﴿فأنجينه والذين معه﴾ وكانوا أربعين رجـــلا، وأربعين امرأة، وقيل: تسعة: بنوه، سام، وحام، ويافث، وستة ممن آمن بـــه،﴿في

الفلك﴾ يتعلق بمعه،كأنه قيل:[والذين][3]صحبوه / في الفلك ﴿وأغرقنا الذيـــن ١٩١/ب

كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين﴾ عن الحق، يقال:أعمى في البصر، وعـــم في البصيرة، ﴿وإلى عاد﴾ وأرسلنا إلى عاد، فهو عطف، على ﴿نوح﴾ ﴿أخـــاهم﴾ واحدا منهم، من قولك: ياأخا العرب للواحد منهم، وإنما جعل واحدا منـــهم، لأنهم عن رجل منهم أفهم، فكانت الحجة عليهم ألزم ﴿هودا﴾ عطف بيـــان[4] لأخاهم، وهو: هود، بن شالخ، بن أرفخشد، بن سام، بن نوح ﴿قال يـــــقوم اعبدوا الله ما لكم من إلـــه غيره أفلا تتقون﴾ وإنما لم يقل، فقال:كما في قصـــة نوح — عليه السلام — لأنه على تقدير سؤال سائل قال، فما قال لهـــم هـــود، فقيل: قال يا قوم اعبدوا الله، وكذلك ﴿قَالَ الْمَلأُ الذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ وإنمـــا وصف الملأ ﴿بالذين كفروا﴾ دون الملأ من قوم نوح - عليه الســـلام - لأن في أشراف قوم هود، من آمن به، منهم: مرثد بن سعد، فأريدت التفرقة بالوصف،

---

[1] سورة المؤمنون رقم الآية [٢٤] والآية هكذا: (ولو شاء ربنا لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا في أبائنا الأولين).

[2] في [ق] عاقبة كفركم.

[3] ساقطة من [ق].

[4] انظر اعراب القرآن للنحاس ٢/١٣٦؛ الدرالمصون ٣/٢٩٠

ولم يكن في أشراف قوم نوح – عليه السلام – مؤمن ﴿إنا لنراك فى سفاهة﴾ في خفة حلم، وسخافة عقل، حيث تهجر دين قومك، إلى دين آخر، وجعلت السفاهة ظرفا مجازا[1] يعني: أنه متمكن فيها، غير منفك عنها ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ في ادعائك الرسالة ﴿قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح﴾ فيما أدعوكم إليه ﴿أمين﴾ على ماأقول لكم، وإنما قال هنا: ﴿وأنا لكم ناصح﴾ لقولهم:﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾أي: ليقابل الاسم الاسم، وفي إجابة الأنبياء – عليهم السلام – من ينسبهم إلى الضلالة، والسفاهة بما أجابوهم به، من الكلام، الصادر عن الحلم، والإغضاء، وترك المقابلة بما قالوا لهم، مع علمهم، بأن خصومهم أضل الناس، وأسفههم: أدب حسن، وخلق عظيم، وإخبار الله –تعالى- ذلك تعليم لعباده،كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضون عنهم، ويسبلون أذيالهم، على ما يكون منهم ﴿أوعجبتم أن جاء كم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروآ إذ جعلكم خلفآء من بعد قوم نوح﴾ أي:خلفتموهم في الأرض، أو في [مساكنهم][2]وإذ مفعول به، وليس بظرف،[3]أي: اذكروا وقت استخلافكم ﴿وزادكم فى الخلق بصطة﴾ طولا، وامتدادا، فكان أقصرهم: ستين ذراعا، وأطولهم:مائة ذراع، بصطة حجازي، وعاصم، وعلي،[4]﴿فاذكروا ءالآء الله﴾

---

[1] انظر اعراب القرآن للنحاس ٢/١٣٦؛ الدرالمصون ٣/٢٩٠

[2] في [ق] مساكنكم.

[3] الدرالمصون ٣/٢٩٠

[4] أي: أنهم قرؤها بالصاد (بصطة) لكن قرأها غيرهم بالسين (بسطة) واختلف عن قنبل والسوسي وابن ذكوان وحفص وخلاد ... انظر النشر ٢/٢٢٨-٢٣٠

في استخلافكم، وبسطة أجرامكم، وماسواهما من عطاياه، وواحـــد الآلاء، إلي نحو [أنا][1] وآناء[2]﴿لعلكم تفلحون﴾ ومعنى المجئ في.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ(٧٠) قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ(٧١) فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾(٧٢).

﴿قالوا أجئتنا﴾ أن يكون لهود- عليه السلام- مكان معتزل، عن قومه، يتحنث فيه،كماكان يفعل رسول الله -ﷺ- بحراء، قبل المبعث، فلما أوحي إليه جاء
قومه يدعوهم ﴿لنعبد الله وحده ونذرما كان يعبد ءاباؤنا﴾ أنكروا، / ١٩٢/أ
واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة،وترك دين الآباء، في اتخاذ الأصنام، شركاء معه،حبا لمانشئوا عليه ﴿فأتنا بما تعدنآ﴾ من العذاب ﴿إن كنت من الصدقين﴾ أن العذاب نازل بنا ﴿قال قد وقع عليكم﴾ أي قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لابد من نزوله، بمنزلة الواقع، كقولك، لمن طلب إليك بعض المطالب:قد كان ﴿من ربكم رجس﴾ عذاب ﴿وغضب﴾ سخط ﴿أتجادلوننى فى أسمآء سميتموها﴾ في أشياء ما هي إلا أسماء، ليس تحتها مسميات، لأنكم تسمون الأصنام آلهة، وهي خالية، عن معنى الألوهية ﴿أنتم وءاباؤكم ما نزل الله بها من سلطن﴾ حجة ﴿فانتظروا﴾ نزول العذاب ﴿إنى معكم من المنتظرين﴾ ذلك ﴿فأنجيناه والذين معه﴾ أي: من آمن به ﴿برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بأياتنا﴾ الدابر: الأصل، أو الكائن خلف الشيء، وقطع دابرهم:

[1] في [ق] أنا والآناء

[2] انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٧٨؛ الدر المصون ٣/٢٩٠-٢٩١

استئصالهم، وتدميرهم عن آخرهم ﴿وما كانوا مؤمنين﴾ فائدة نفي الإيمان عنهم، مع إثبات التكذيب بآيات الله، الإشعار بأن الهلاك خص المكذبين، وقصتهم، أن عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان، وحضرموت، وكـــانت لهـــم أصنـــام يعبدونها،صداء، وصمود، والهباء، فبعث الله إليهم هودا، فكذبوه، فأمسك القطر عنهم ثلاث سنين، وكانوا إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج [منه][1] عنـــد بيته الحرام، فأوفدوا إليه: قيل بن عتر، ولقيم بن هزال، ومرثد بن سعد، وكـــان يكتم إيمانه، بهود — عليه السلام — وأهل مكة إذ ذاك العماليق، أولاد عمليـــق، بن لاوذ، بن سام، بن نوح، وسيدهم، معاوية بن بكر، فـــنزلوا عليه بظـــاهر مكة، فقال لهم، مرثد:لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود، فخلفوا مرثدا، وخرجوا فقال قيل: اللهم اسق عادا ماكنت تسقيهم، فأنشأ الله ســـحابات، ثلاثـــا،بيضـــاء، وحمراء، وسوداء ثم ناداه مناد من السماء: ياقيل:اختر لنفسك، [وقومك] فاختار السوداء، على ظن أنها أكثر ماء، فخرجت على عاد من واد لهـــم فاستبشـــروا وقالوا ﴿هذا عارض ممطرنا﴾[2] فجاءهم منها ريح عقيم، فأهلكتم، ونجا هـــود، والمؤمنون معه، فأتوا مكة، فعبدوا الله فيها حتى ماتوا.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٧٤).

---

[1] ساقطة من [ق].

[2] سورة الأحقاف رقم الآية [٢٤].

﴿وإلى ثمود﴾ وأرسلنا إلى ثمود، وقرئ: وإلى ثمود، بتأويل الحـــي، أو باعتبــار الأصل، [لأنه][1] أسم أبيهم الأكبر، ومنع الصرف، بتأويل القبيلة، وقيل: سميت ثمود لقلة مائها من الثمد،وهو الماء القليل، وكانت مســـاكنهم الحجـــر، بـــين الحجاز، والشام ﴿أخاهم صالحا قال يقوم اعبدوا الله مالكم من إلــه غيره قــد جآء تكم بينة من ربكم﴾ آية ظاهرة شاهدة، على صحة نبوتي، وكأنه قيل: مــا هذه البينة ؟ فقال ﴿هذه ناقة الله﴾ ﴿وهذه﴾ إضافة تخصيص، وتعظيــم، لأنهــا بتكوينه – تعالى – بلا صلب، ولا رحم ﴿لكم ءاية﴾ حال من الناقة، والعـامل: معنى الإشارة في ﴿هذه﴾كأنه قيل: أشير إليها/ آية، ﴿ولكم﴾بيان لمن هــي لــه ١٩٢/ب
آية،[2] وهي وهم: ثمود، لأنهم عاينوها ﴿فذروها تــأكل فـــى أرض الله﴾ أي: الأرض: أرض الله، والناقة: ناقة الله، فذروها تأكل في أرض ربها، [من نبـــات ربها][3]فليس عليكم مؤنتها ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ لا تضربوها، ولا تعقروهـــا، ولا تطردوها، إكراما لآية الله ﴿فيأخذكم﴾ جواب النهي ﴿عذاب أليم واذكروآ إذ جعلكم خلفآء من بعد عاد وبوأكم﴾ ونزلكم، والمباءة المنـــزل ﴿في الأرض﴾ في أرض الحجر، بين الحجاز، والشام، ﴿تتخذون من سهولها قصورا﴾ غرفـــا للصيف ﴿وتنحتون الجبال بيوتا﴾ للشتاء، وبيوتـــا حـــال مقـــدرة،[4] نحـــو: [خطت][5] هذا الثوب قميصا،إذ الجبل لا يكون بيتا في حـــال النحـــت، ولا الثوب قميصا، في حال الخياطة ﴿فـــاذكروأ ءالآء الله ولا تعثـــوا فـــى الأرض مفسدين﴾ روى أن عادا لما أهلكت، عمرت ثمود بلادها، وخلفوهم في الأرض، وعمروا أعمارا طوالا، فنحتوا البيوت، من الجبال، خشية الانهدام قبل الممـــات،

---

[1] في [ق] لاسم أبيهم.

[2] اعراب القرآن للعكبري ٢٧٨/١ ؛ الدرالمصون ٢٩٢/٣

[3] ساقطة من [ق].

[4] المرجعين السابقين.

[5] في [ق] خط.

وكانوا في سعة من العيش، فعتوا على الله، وأفسدوا في الأرض، وعبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم صالحا، وكانوا قوما عربا، وصالح من أوسطهم نسبا، فدعاهم إلى الله، فلم يتبعه إلا قليل منهم، مستضعفون، فأنذرهم، فسألوه أن يخرج من صخرة بعينها،ناقة.عشراء، فصلى، ودعا ربه، فتمخضت تمخض النتوج[1] بولدها، فخرجت منها ناقة، كما شاءوا، فآمن به جندع، ورهط من قومه[2].

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٧٩) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (٨٠).

﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ وقال شامي[3]﴿للذين استضعفوا﴾ للذين استضعفهم رؤساء الكفار ﴿لمن ءامن منهم﴾ بدل من الذين استضعفوا، بإعادة الجار، وفيه دليل أن البدل حيث جاء، كان في تقدير إعادة العامل، والضمير في منهم راجع إلى ﴿قومه﴾[4]وهو يدل على أن استضعافهم كان مقصورا على

---

[1] النتوج: الحامل من الدواب، وانتجت الناقة، وهي نتوج إذا ولدت، ... انظر لسان العرب ٢/٤٧٣-٤٧٤

[2] انظر تفسير الطبري ٥٢٨/١٢ المحقق ؛ تفسير البغوي ٤٩٨/٢-٤٩٩

[3] قرأ ابن عامر وحده (وقال) بواو عطف، نسقا لهذه الجملة على ماقبلها، وموافقة لمصاحف الشام، والباقون يحذفها. انظر السبعة ص ٢٨٤؛ النشر ٢٧٠/٢؛ تفسير ابن عطية ٥٦٥/٥؛ الدرالمصون ٢٩٤/٣

[4] انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٧٩/١؛ الدرالمصون ٢٩٤/٣

المؤمنين، أو إلى الذين استضعفوا، وهو يدل على أن المستضعفين كانوا مؤمنين، وكافرين ﴿أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه﴾ قالوه على سبيل السخرية،﴿قالوآ إنا بمآ أرسل به مؤمنون﴾ وإنما صار هذا جوابا لهم، عنه سألوهم عن العلم بإرساله، فجعلوا إرساله أمرا معلوما، مسلما، كأنهم قالوا: العلم بإرساله، وبما أرسل به، لا شبهة فيه، وإنما الكلام في وجوب الإيمان به، فنخبركم أنا به مؤمنون ولذلك ﴿قال الذين استكبروآ إنا بالذى ءامنتم به كافرون﴾ فوضعوا ﴿آمنتم به﴾ موضع أرسل به، ردا لما جعله المؤمنون، معلوما مسلما ﴿فعقروا الناقة﴾ أسند العقر إلى جميعهم، وإن كان العاقر: قدار بن سالف، لأنه كان برضاهم، وكان قدار، أحمر، أزرق، قصيرا، كما كان فرعون، كذلك، وقال —عليه السلام-: (يا علي أشقى الأولين / عاقر ناقة صالح وأشقى ١٩٣/أ
الآخرين قاتلك)[1]﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾ وتولوا عنه، واستكبروا، [وأمر][2] ربهم ما أمر به على لسان – صالح عليه السلام – من قوله ﴿فذروها تأكل في أرض الله﴾أو شأن ربهم، وهو دينه ﴿وقالوا ياصلح ائتنا بما تعدنا﴾ من العذاب ﴿إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة﴾ الصيحة التي زلزلت بها الأرض، واضطربوا لها،﴿فأصبحوا في دارهم﴾ في بلادهم، أو مساكنهم ﴿جاثمين﴾ ميتين، قعودا، يقال: الناس جثم، أي: قعود لاحراك بهم، ولا يتكلمون ﴿فتولى عنهم﴾ لما عقروا الناقة ﴿وقال ياقوم﴾ عند فراقه إياهم ﴿لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾ الآمرين بالهدى، لاستحلاء الهوى، والنصيحة: منيحة تدرأ الفضيحة، ولكنها وخيمة تورث السخيمة، روى أن عقرهم الناقة، كان يوم الأربعاء، فقال صالح: تعيشون بعده ثلاثة أيام، تصفر وجوهكم، أول يوم، وتحمر في الثاني، وتسود في الثالث،

(١) أخرج نحوه الامام البيهقي في دلائل النبوة ٣/١٢-١٣ وعزاه لابن هشام في السيرة ٢/٢٣٦-٢٣٦

(٢) في [ق] أواخر.

ويصيبكم العذاب في الرابع، وكان كذلك[1] وروى أنه خرج في مائة وعشـــرة من المسلمين، وهو يبكي، فلما علم أنهم هلكوا، رجع بمـــن معـــه، فســـكنوا ديارهم[2] ﴿ولوطا إذ قال لقومه﴾ أي: واذكر لوطا، وإذ بدل منـــه ﴿أتـــأتون الفاحشة﴾ أتفعلون السيئة المتمادية في القبح ﴿ما سبقكم بها﴾ ما عملها قبلكـم، والباء للتعدية، ومنه قوله عليه السلام: (سبقك بها عكاشة)[3] ﴿مـــن أحـــد﴾ ﴿من﴾زائدة لتأكيد النفي، وإفادة معنى الاستغراق ﴿مـــن العـــالمين﴾ ﴿مـــن﴾ للتبعيض وهذه جملة مستأنفة،[4] أنكر عليهم أولا: بقوله ﴿أتأتون الفاحشة﴾ ثم وبخهم عليها فقال: أنتم أول من عملها.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ (٨٤) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن

---

[1] أخرجه الامام عبدالرزاق الصنعاني في تفسيره ١/٢٣١؛ وذكره الامام الطبري في تفسيره ١٢/٥٢٨؛ تفســـير البغوي ٢/٥٠١

[2] لم أجد له أصلا.

[3] متفق عليه فقد أخرجه الامام البخاري في صحيحه ٨/٤٩٥ كتاب: الرقاق: باب: يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، واخرجه مسلم في صحيحه – أيضا – من حديث أبي هريرة ١/١٩٧-١٩٨ كتاب: الإيمان باب: الدليل على دخول طوائف المسلمين الجنة بغير حساب ولا عقاب؛ ومن حديث حصين بن عبدالرحمـــن وابـــن عبـــاس ١/١٩٩-٢٠٠

[4] انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/١٣٧-١٣٨ ؛ الدرالمصون ٣/٢٩٧

كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾

﴿إنكم لتأتون الرجال﴾ بيان لقوله: ﴿أتأتون الفاحشة﴾ والهمزة مثلها في ﴿أتأتون﴾ للإنكار،[1] إنكم على الإخبار، مدني، وحفص،[2] يقال: أتى المرأة، إذا غشيها، ﴿شهوة﴾ مفعول له، أي: للاشتهاء لا حامل لكم عليه، إلا مجرد الشهوة، ولاذم أعظم منه، لأنه وصف لهم بالبهيمية، ﴿من دون النساء﴾ أي: لا من النساء ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ أضرب عن الإنكار، إلى الإخبار عنهم، بالحال التي توجب ارتكاب القبائح، وهو أنهم قوم، عادتهم الإسراف، وتجاوز الحدود، في كل شيء، فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة، حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد ﴿ وما كان جواب قومه إلآ أن قالوا أخرجوهم من قريتكم﴾ أي: لوطا، ومن آمن به، يعني: ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط، من إنكار الفاحشة، ووصفهم بصفة الإسراف، الذي هو أصل الشر، ولكنهم جاءوا بشيء آخر، لا يتعلق بكلامه، ونصيحته، من الأمر بإخراجه، ومن معه من المؤمنين من قريتهم/ ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ يدعون الطهارة، ويدعون ١٩٣/ب [فعل][3] الخبيث، عن ابن عباس — رضي الله عنهما - عابوهم بما يتمدح به[4] ﴿فأنجينه وأهله﴾ ومن يختص به من ذويه، أو من المؤمنين ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ من الباقين في العذاب، والتذكير لتغليب الذكور على الإناث، وكانت كافرة، موالية لأهل سدوم، وروى أنها التفتت فأصابها حجر

---

[1] انظر إعراب القرآن للعكبري ١/٢٧٩؛ الدرالمصون ٣/٢٩٧-٢٩٨

[2] انظر السبعة ص ٢٨٦؛ النشر ٢/٢٧٠

[3] في [ق] ويدعون فعلنا ...

[4] انظر تفسير البحر المحيط ٤/٣٣٨

فماتت[1]﴿وأمطر نا عليهم مطرا﴾ وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا، قـالوا أمطر الله عليهم الكبريت، والنار، وقيل: خسف بالمقيمين منـهم، وأمطـرت [الحجارة][2]على مسافريهم، قال أبو عبيدة:[3]أمطـر في العذاب، ومطـر في الرحمة[4]﴿فانظر كيف كان عـقبة المجرمين﴾ الكـافرين ﴿وإلـى مديـن﴾ وأرسلنا إلى مدين، وهو اسم قبيلة ﴿أخاهم شعيبا﴾ يقال له: خطيب الأنبيـاء لحسن مراجعته قومه، وكانوا أهل بخس للمكاييل، والموازين ﴿قال ياقوم اعبـدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ أي: معجزة، وإن لم تذكـر في القرآن،﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ أتموهما، والمراد: فـأوفوا الكيـل، ووزن الميزان، أو يكون الميزان كالميعاد، بمعنى المصدر ﴿ولا تبخسوا الناس أشـياءهم﴾ ولا تنقصوا حقوقهم، بتطفيف الكيل، ونقصان الـوزن، وكـانوا يبخسـون [الناس][5]كل شيء، في مبايعتهم، وبخس يتعدى إلى مفعولين، وهما ﴿النـاس﴾ و﴿أشياءهم﴾ تقول: بخست زيدا حقه، أي: نقصته إيـاه[6]﴿ولا تفسـدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ بعد الإصلاح فيها، أي: لا تفسدوا فيها، بعد مـاأصلح فيها الصالحون، من الأنبياء، والأولياء، وإضافته:كإضافة ﴿بـل مكـر الليـل والنهار﴾[7] أي: [... مكركم][8]في الليل، والنهار ﴿ذلكم﴾ إشـارة إلى مـا ذكر، من الوفاء بالكيل، والميزان، وترك البخس، والإفساد في الأرض ﴿خـير لكم﴾ في الإنسانية، وحسن الأحدوثة ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ مصدقين لي في قـولي

---

(1) روح المعاني ١٧١/٨، وانظر كلام الطبري في تفسيره لسورة الحجر عند الآية [٨١] وتفسير السمعاني ١٤٥/٣

(2) في [ق] حجارة.

(3) معمر بن المثنى التيمي البصري المتوفى سنة ٢١٠هـ أنباة الرواة عن ابناه النحاة ٢٧٦/٣-٢٨٧

(4) انظر تفسير البغوي ٥٠٧/٢؛ الدرالمصون ٢٩٩/٣

(5) ساقطة من [ق].

(6) إعراب القرآن للعكبري ٢٧٩/١ ؛ الدرالمصون ٣٠٠/٣

(7) سورة سبأ رقم الآية [٣٣].

(8) في [ق] بل مكركم.

﴿ولا تقعدوا بكل صراط﴾ بكل طريق ﴿توعدون﴾ من آمن بشعيب بـــالعذاب ﴿وتصدون عن سبيل الله﴾ عن العبادة ﴿من ءامن به﴾ بـــالله، وقيـــل: كـــانوا يقطعون الطرق، وقيل: كانوا عشارين، ﴿وتبغونـــها﴾ وتطلبـــون لســـبيل الله ﴿عوجا﴾ أي: تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة، لتمنعوهم عـــن سلوكها، ومحل ﴿توعدون﴾وما عطف عليه النصـــب علـــى الحـــال[1] أي: لا تقعـــدوا موعدين، وصادين عن سبيل الله، وباغيها عوجا ﴿واذكروآ إذ كنتـــم قليلا﴾ إذ مفعول به غير ظرف، أي: ﴿واذكروا﴾ على جهة الشـــكر، وقـــت كونكم قليلا عددكم ﴿فكثركم﴾ الله، ووفر عددكم، وقيل: إن مديـــن بـــن
١٩٤/أ إبراهيم تزوج بنت لوط / فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة، والنماء، فكـثروا ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمـــم، كقوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، - عليهم السلام-

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ(٨٧) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ(٨٨) قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ(٨٩) وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ(٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ

---

[1] انظر إعراب القرآن للعكبري ١/٢٧٩؛ الدرالمصون ٣/٣٠٠.

جَٰثِمِينَ (٩١) ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾(٩٢).

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ﴾ فانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَا﴾ أي: بين الفريقين، بأن ينصر المحقين، على المبطلين، ويظهرهم عليه، وهذا وعيد للكافرين، بانتقام الله تعالى منهم، أو: هو حث للمؤمنين على الصبر، واحتمال ما كان يلحقهم، من المشركين، إلى أن يحكم الله بينهم، وينتقم لهم منهم، أو هو خطاب للفريقين، أي: [ليصبر....][1] المؤمنون على أذى الكفار، والكافرون على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم، حتى يحكم الله، فيميز الخبيث، من الطيب ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ لأن حكمه حق، وعدل، لا يخاف فيه الجور، ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ أي: ليكونن أحد الأمرين، إما إخراجكم، وإما عودكم في الكفر ﴿قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ الهمزة للاستفهام، والواو للحال، تقديره: أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا، ومع كوننا كارهين، قالوا: نعم، ثم قال شعيب: ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ وهو قسم على تقدير حذف اللام، أي: والله لقد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم ﴿بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ﴾ خلصنا فإن قلت: كيف قال شعيب إن عدنا في ملتكم، والكفر على الأنبياء – عليهم السلام – محال ؟ قلت: أراد عود قومه، إلا أنه [يضم][2] نفسه في جملتهم، وإن كان بريئاً من ذلك، إجراء لكلامه على حكم التغليب ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ﴾ وما ينبغي لنا، وما يصح ﴿أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ﴾ إلا أن يكون سبق في مشيئته أنا نعود فيها إذ الكائنات كلها

---

(1) في [ق] ليصبر الفريقين.

(2) في [ق] نظم.

بمشيئة الله –تعالى- خيرها، وشرها ﴿وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ تمييز، أي: هـو عالم بكل شيء فهو يعلم أحوال عباده، كيف تتحول، وقلوبهم كيف تتقلب ﴿عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في أن يثبتنا على الإيمان، ويوفقنا لازدياد الإيقان،﴿ربنا افْتحْ بيننا وبين قومنا بالحَقِّ﴾ أي: احكم، والفتاحة: الحكومة، والقضاء بالحق، بفتح الأمر المغلق، فلذا سمى فتحا، ويسمى أهل عمان القاضي فتاحا[(١)]﴿وأنت خيرُ الْفاتِحِينَ﴾كقوله: ﴿وهو خير الحاكمين﴾ [(٢)]﴿وقال الملأُ الذين كفروا من قومِه لَئِنِ اتَّبعتُمْ شُعَيباً إِنَّكُم إِذاً لَّخَاسِرُون﴾ مغبونون لفوات فوائد البخس، والتطفيف باتباعه، لأنه ينهاكم عنهما، ويأمركم على الإيفاء، والتسوية، وجواب القسم الذي وطأته اللام في ﴿لئن اتبعتم﴾ وجواب الشرط ﴿إنكم إذا لخاسرون﴾فهو ساد مسد الجوابين[(٣)]/﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة ﴿فَأَصْبَحُوا في دَارِهِم جَاثِمِين﴾ ميتين ﴿الذين كذَّبوا شُعَيباً﴾ مبتدأ، خبره[(٤)]﴿كَأن لَّم يَغْنوا فيها﴾ لم يقيموا فيها، غنى بالمكان: أقام ﴿الذين كذَّبوا شُعَيباً﴾ مبتدأ، خبره:[(٥)]﴿كَانوا هُم الْخَاسِرين﴾ لا من قالوا لهم ﴿إنكم إذاً لخاسرون﴾وفي هذا الابتداء، معنى الاختصاص، كأنه قيل: ﴿الذين كذبوا شعيباً﴾هم المخصوصون [بأن أهلكوا، كأن لم يقيموا في دارهم، لأن الذين اتبعوا شعيباً، قد أنجاهم الله، الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون][(٦)] بالخسران العظيم، دون أتباعه فهم الرابحون، وفي [هذا التكرار][(٧)] مبالغة، واستعظام لتكذيبهم، ولما جرى عليهم.

١٩٤/ب

---

(١) لأنه يفتح مواضع الحق، كما أن أهل اليمن يقولون للقاضي: الفتاح، ويقول أحدهم لصاحبه: تعالى أفاتحك إلى الفتاح .... انظر لسان العرب ٥٣٨/٢ ومابعدها. مادة: فتح.

(٢) آخر آية من سورة يونس.

(٣) انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٨٠/١ ؛ الدرالمصون ٣٠٤/٣-٣٠٥

(٤) المرجعين السابقين.

(٥) المرجعين السابقين.

(٦) مابين المعقوفتين ساقط من [ق].

(٧) في [ق] وفي التكرار. .

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ (٩٣) وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ (٩٥) وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ (٩٧) أَوَ أَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾(٩٩).

﴿فَتولَّى عَنْهم﴾ بعد أن نزل بهم العذاب ﴿وقال يَاقوم لقد أبْلغْتُكم رِسَالات رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَى﴾ أحزن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ اشتد حزنه على قومه، ثم أنكر على نفسه، فقال: فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل الحزن عليهم لكفرهم، واستحقاقهم لما نزل بهم، أو أراد: لقد أعذرت لكم في الإبلاغ، والتحذير مما حل بكم، فلم تصدقوني، فكيف آسي عليكم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ يقال لكل مدينة، قرية، وفيه حذف أي: فكذبوه ﴿إلاَّ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ﴾ بالبؤس، والفقر ﴿وَالضَّرَّآءِ﴾ الضر، والمرض، لاستكبارهم عن اتباع نبيهم، أو هما نقصان النفس، والمال ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ ليتضرعوا، ويتذللوا، ويحطوا أردية الكبر ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أي: أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء، والمحنة: الرخاء، والسعة، والصحة ﴿حَتَّى عَفَوا﴾ كثروا، ونموا في أنفسهم، وأموالهم، من قولهم: عفا النباب، إذا كثر، ومنه قوله: - عليه

السلام -: (واعفوا اللحى)[1] ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا الضَّرَّآءُ وَالسَّرَّآءُ﴾ أي: قالوا هذه عادة الدهر، يعاقب في الناس، بين [الضراء، والسراء،][2] و﴿قد مس آباءنا﴾ نحو ذلك، وما هو بعقوبة الذنب، فكونوا على ما أنتم عليه ﴿فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بنزول العذاب، اللام في ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ إشارة إلى القرى، التي دل عليها، ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي﴾ كأنه قال: ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا، وأهلكوا، ﴿ءَامَنُوا﴾ بدل كفرهم ﴿وَاتَّقَوا﴾ الشرك مكان ارتكابه ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ لفتحنا شامي،[3] ﴿بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ أراد المطر، والنبات، أو لآتيناهم بالخير، من كل وجه ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا﴾ الأنبياء ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِماكانوا يَكسبون﴾ بكفرهم، وسوء كسبهم، ويجوز أن تكون اللام للجنس ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ يريد الكفار منهم ﴿أن يَأتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتاً﴾ ليلا، أي: وقت بيات، يقال: بات بياتاً ﴿وهم نَآئِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أن يأتِيَهم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهارا، والضحى في الأصل:
١٩٥/أ ضوء/ الشمس إذا أشرقت، فالفاء، والواو في ﴿أفأمن﴾ واو أمن حرفا عطف، دخل عليهما همزة الإنكار، والمعطوف عليه ﴿فأخذناهم بغتة﴾ وقوله ﴿ولو أن أهل القرى﴾ إلى ﴿يكسبونْ﴾ اعتراض بين المعطوف، والمعطوف عليه، وإنما [عطفت الأولى بالفاء،][4] لأن المعنى فعلوا، وصنعوا فأخذناهم بغتة، [أبعد][5] ذلك ﴿أمن أهل القرى﴾ أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى، أو

---

[1] الحديث في الصحيحين فقد أخرجه الامام البخاري في كتاب اللباس باب: إعفاء اللحية ٢٩٥/٧ واخرجه الامام مسلم في كتاب الطهارة باب: خصال الفطرة ٢٢٢/١

[2] في [ق] السراء والضراء.

[3] جميع القراء بالتخفيف إلا عامر الشامي فإنه قرأها بتشديد التاء (لفتحنا) انظر السبعة ص ٢٨٦

[4] في [ق] عطفت بالفاء، [فالأولى] ساقطة من [ق].

[5] في [ق] بعد بدون همزة الاستفهام

أمن شامي، وحجازي،[1] على العطف، بأو، والمعنى: إنكار الأمن من أحد هذين الوجهين، من إتيان العذاب ليلا، أو ضحى، فإن قلت: كيـــف دخـــل ألـــف الاستفهام على حرف العطف، وهو ينافي الاستفهام ؟ قلت: التنافي في المفرد، لا في عطف جملة [على جملة،][2] لأنه على استئناف جملة بعـــد جملـــة[3] ﴿وهـــم يلعبون﴾ يشتغلون بما لا يجدي لهم ﴿أفأمنوا﴾ تكرير لقوله: ﴿أفأمن أهل القـــرى﴾ ﴿مكر الله﴾ أخذه العبد، من حيث [لايشعر،][4] وعن الشبلي[5] رحمـــــــه الله: مكره بهم، تركه إياهم على ماهم عليه،[6] وقالت ابنة الربيع بن خثيم لأبيـــها[7]:

(1) يقرأ بفتح الواو على أنها واو العطف دخلت عليه همزة الاستفهام (أوأمن) ويقرأ بسكونها (أو أمن) وهي لأحد الشيئين: قال ابن الجزرى: فقرأ المدنيان وابن عامر وابن كثير بإسكان الواو، وورش والهذلي عن الهاشمي عن ابـــن جماز على أصلها في القاء حركة الهمزة. النشر ٢/٢٧٠؛ وانظر السبعة لابن مجـــاهد ص ٢٨٦-٢٧٨؛ إعـــراب القرآن للنحاس ٢/١٣٩-١٤٠

(2) ساقطة من [ق].

(3) انظر الدرالمصون ٣/٣٠٩

(4) في [ق] من حيث لايشعرون، ولعل الصواب مافي الأصل.

(5) هو: دلف بن جحدر الشبلي، ابوبكر ناسك اشتهر بالصلاح، مات عام ٣٣٤هـ سير أعلام النبلاء ١٢/٤٩

(6) قال ابن القيم — رحمه الله — ومكره سبحانه بأهل المكر مقابلة لهم بفعلهم عمل ممدوح لاذم فيه وجزاء لهم من جنس عملهم، قال تعالى: (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) [آل عمران: ٥٤] ومثله قوله ســـبحانه: (الله يستهزىء بهم) [البقرة: ١٥] وهذا ليس من باب التأويل الذي ينكره أهل السنة والجماعة بل من باب: التفســـير فإن جميع الصحابة والتابعين يصفون الله تعالى بأنه شديد القوة، شديد المكر، شديد الأخذ ... فيعرفون معانيـــها، ولكن لايكيفونها ولايشبهونها بصفات المخلوقين، وهذا مجمع عليه بين أهل السنة، انظر التحفة المهديـــة شـــرح الرسالة التدمرية ص ٦٩-٧٢ تأليف الشيخ/ فالح بن مهدي آل مهدي، تصحيح وتعليق الشيخ/ عبدالرحمن بـــن صالح المحمود، مكتبة الحرمين الرياض ط ٢/ ١٤٠٥هـــ وانظر كلام ابن القيم الجوزية في كتاب: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، الوجه الخامس والعشرون: الفرق بين الحقيقة والمجاز ٢/٣٠-٣٥ ط دار الفكر فهو كـــلام شاف واف في هذا الباب.

(7) هو: الربيع بن خثيم ابن عائذ بن عبدالله الثورى، أبو يزيد الكوفى، ثقة، عابد، مخضرم، من الثانية، قال له ابـــن مسعود والله لو رآك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لأحبك، مات سنة احدى، وقيل: ثـــلاث وســـتين، التقريب ص ٢٠٦ ترجمة [١٨٨٨].

مالي أرى الناس ينامون، ولا أراك تنام، قال يابنتاه، إن أباك يخاف البيـــات أراد قوله: ﴿أن يأتيهم بأسنا بياتاً﴾ ﴿فلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَومُ الْخَاسِـــرُون﴾ إلا الكافرون الذين خسروا أنفسهم، حتى صاروا إلى النار.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ (١٠٢).

﴿أَولَمْ يَهْدِ﴾ يبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّو نَشَـــآءُ أَصَبْنَـــهُم بِذُنُوبِهِم﴾ ﴿أن لو نشاء﴾ مرفوع بأنه فاعل ﴿يهد﴾ وأن مخففة من الثقيلـة، أي: أو لم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم، ويرثون أرضهم هذا الشـــأن، وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم،كما أصبنا من قبلهم، فأهلكنا الوارثين،كمـــا أهلكنا الموروثين، وإنما عدى فعل الهداية باللام، لأنه بمعنى: التبيين[١] ﴿وَنَطْبَعُ﴾ مسأنف، أي: ونحن نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِم فَهُمْ لا يَسْمَعُون﴾ [الوعظ][٢] ﴿تِلْـــكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا﴾ كقوله: ﴿هذا بعلي شيخا﴾[٣]في أنـــه مبتـــدأ، وخبر، وحال، أو يكون ﴿القرى﴾ صفة ﴿لتلك﴾ونقص خبرا والمعـــنى: تلـــك

وقال الامام الذهبي: أدرك زمان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأرسل عنه، روى عن عبدالله بن مسعود، وأبي أيوب الأنصاري، وعمرو بن ميمون، وغيرهم، وهو كبير الرواية، إلا أنه كبير الشأن. توفى قبل خمس وستين. السير ٢٤٢/٥-٢٤٥

[١] انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٨٠/١ ؛ الدرالمصون ٣١٠/٣

[٢] في [ق] المواعظ.

[٣] سورة هود – عليه السلام – رقم الآية [٧٢].

القرى المذكورة، من قوم نوح، إلى قوم شعيب، نقص عليك بعض أنبائها، ولهـا أنباء غيرها، لم نقصها عليك ﴿ولقد جآءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات ﴿فمـا كانوا ليؤمنوا﴾ عند مجئ الرسل بالبينات ﴿بمـا كذبوا من قبل﴾ بما كذبو مـن آيات الله، من قبل مجئ الرسل، أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم، بماكذبوا به، أولا حين جاءهم الرسل، أي: استمروا على التكذيب، من لدن مجئ الرسـل إليهم، إلى أن ماتوا مصرين، مع تتابع الآيات، واللام لتأكيد النفي،﴿كذلـك﴾ مثل ذلك الطبع الشديد ﴿يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ لما علم منهم، أنهـم يختارون الثبات على الكفر ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ الضمير للناس على الإطلاق، يعني: أن أكثر الناس نقضوا عهد الله، وميثاقـه في الإيمـان، والآيـة اعتراض، أو للأمم المذكورين، فإنهم كانوا إذا عـاهدوا الله في ضـر، ومخافـة

[قالوا][1]لئن أنجيتنا لنؤمنن، ثم أنجاهم نكثوا / ﴿وإن وجدنا﴾ فـإن الشـأن ١٩٥/ب

والحديث ﴿أكثرهم لفاسقين﴾ خارجين عن الطاعة، والوجود: بمعنى العلم بدليل دخول إن المخففة، واللام الفارقة، ولا يجوز ذلك إلا في المبتدأ والخبر، والأفعـال الداخلة عليهما[2].

---

(1) مثبتة من [ق] ولعله الصواب.

(2) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/١٤٠-١٤١؛ اعراب القرآن للعكبري ١/٢٨١

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ(١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ(١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ(١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ(١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ(١٠٨) قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ(١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ(١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ(١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ(١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ(١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ(١١٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ(١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾(١١٦).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم﴾ الضمير للرسل، في قوله ﴿ولقد جاءهم رسلهم﴾أو للأمم ﴿مُّوسَى بأيَاتِـنَا﴾ بالمعجزات الواضحات ﴿إِلَى فِرْعَونَ وَمَلائـِهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ فكفروا بآياتنا، أجرى الظلم مجرى الكفر، لأنهما من واد واحد، ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾[1] أو فظلموا الناس بسببها، حين آذوا من آمن، أو لأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان، كان كفرهم بها ظلما، حيث وضعوا الكفر غير موضعه، وهو موضع الإيمان ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كان عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ حيث صاروا مغرقين ﴿وَقَالَ مُوسَى يافِرْعَونُ﴾ يقال لملوك مصر: الفراعنة، كما يقال لملوك فارس:الأكاسرة، وكأنه قال: يا ملك مصر، واسمه قابوس، أو الوليد بن مصعب

---

[1] سورة لقمان رقم الآية [١٣].

بن الريان، ﴿إنى رسول من رب العالمين﴾ إليك، قال فرعون:كذبت، فقـــال موسى ﴿حقيق على أن لآ أقول على الله إلا الحق﴾ أي: أنا حقيق على قـــول الحق، أي:واجب علي قول الحق أن أكون قائله، والقائم به، ﴿حقيق علـــي﴾ نافع أي: واجب علي ترك القول على الله، إلا الحق، أي:الصدق وعلى هـــذه القراءة، تقف على ﴿العالمين﴾ وعلى الأول، يجـــوز الوصـــل، علـــى جعـــل ﴿حقيق﴾وصف الرسول ﴿وعلى﴾بمعنى الباء، كقـــراءة أبي، أي: إني رســـول خليق، بأن لا أقول، أو يعلق على بمعنى الفعل، في الرسول أي:إني رسول،حقيق، جدير بالرسالة، أرسلت على أن لا أقول على الله إلا الحق ﴿قد جئتكم ببينة من ربكم﴾ بما يبين رسالتي ﴿فأرسل معى بنى إسراء يل﴾ فخلهم يذهبـــوا معـــي راجعين إلى الأرض المقدسة، التي هي وطنهم، وذلك أن يوسف -عليه السلام- لما توفي غلب فرعون نسل الأسباط، واستعبدهم، فأنقذهم الله بموسى - عليـــه السلام - وكان بين اليوم الذي دخل يوسف -عليه السلام- مصـــر، واليـــوم الذي دخله موسى، أربعمائة عام ﴿معي﴾ حفص[1]﴿قال إن كنت جئت بآية﴾ من عند من أرسلك ﴿فأت بها إن كنت من الصادقين﴾ فأتني بها لتصح دعواك، ويثبت صدقك فيها ﴿فألقى﴾ موسى -عليه السلام- ﴿عصاه﴾ من يده ﴿فـــإذا هى﴾ إذا هذه [للمفاجآت][2] وهـــي مـــن ظـــروف المكـــان بمنـــزلة ثم ، وهنـــــاك[3] ﴿ثعبان﴾ حية عظيمة ﴿مبين﴾ ظاهر أمره، روى أنه كان ذكـــرا فاغرا فاه بين لحييه، ثمانون ذراعا، وضع لحيه الأسفل في الأرض، والأعلى علـــى سور القصر، ثم توجه نحو فرعون، فهرب، وأحدث، و لم يكن أحدث قبل ذلك، وحمل على الناس، فمات منهم خمسة وعشرون ألفا، قتل بعضـــهم بعضـــا،

---

[1] السبعة ص ٣٠١ ؛ النشر ٢/

[2] في [ق] للمفاجأة.

[3] انظر إعراب القرآن للنحاس ١٤٢/٢ ؛ إعراب القرآن للعكبري ٢٨١/١

فصـــاح / فرعون يا موسى خذه، وأنا أو من بك فأخذه موسى فعاد عصـــا[1] ١٩٦/أ
﴿ونزع يده﴾ من جيبه ﴿فإذا هى بيضآء للنظرين﴾ أي: فإذا هـــي بيضـــاء للنظارة، ولا تكون بيضاء للنظارة، إلا إذا كان بياضا عجيبا، خارجـــا [عـــن العادة،][2] يجتمع الناس للنظر إليه، روى أنه أرى فرعون يده، وقال:ما هـــذه ؟ فقال يدك، ثم أدخلها في جيبه، ونزعها، فإذا هي بيضاء غلب شعاعها شـــعاع الشمس، وكان موسى –عليه السلام–آدم شديد الأدمة[3] ﴿قال الملأ من قـــوم فرعون إن هذا لسحر عليم﴾ عالم بالسحر،ماهر فيه، قد خيل إلى الناس العصـــا حية والأدم أبيض، وهذا الكلام قد عزى إلى فرعون في سورة الشعراء، وأنه قاله للملأ، وهنا عزي إليهم، فيحتمل أنه قد قاله هو، وقالوه هم، فحكى قوله، ثمـــة، وقولهم هنا، أو قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لأعقابهم ﴿يريد أن يخرجكـــم من أرضكم﴾ يعني: مصر ﴿فماذا تأمرون﴾ تشيرون، من أمرته فأمرني بكـــذا إذا شاورته، فأشار عليه برأي، وهو من كلام فرعون، قاله للملأ،لما قالوا [لـــه][4]: ﴿إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم﴾ ﴿قالوآ أرجه﴾ بسكون الهاء، عاصم، وحمزة،[5] أي: أخر [واحبس أي:أخر][6] أمره ولا تعجل، أو كأنه هـــم بقتلـــه، فقالوا أخر قتله، وأحبسه، ولا تقتله [ليتبين به سحره][7] عند الخلق ﴿وأخـــاه﴾ هارون ﴿وأرسل فى المدآئن حشرين﴾ جامعين ﴿يأتوك بكل ساحر عليـــم﴾

---

(1) انظر تفسير الطبري ١٣/١٧/١٥٠ المحقق ؛ تفسير ابن أبي حاتم ١٥٣٢/٥ برقم [٨٧٩٣].

(2) ساقطة من [ق].

(3) انظر تفسير الطبري ١٣/١٧-١٨؛ زاد المسير ٢٣٨/٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(4) ساقطة من [ق].

(5) قرئت بكسر الهاء ولايبلغ بها الياء، ولايهمز، ويجر الهاء ويصلها بياء ولايهمز بين الجيم والهاء، وقيل غير ذلك. انظر السبعة ص ٢٨٧-٢٨٩

(6) ساقطة من [ق].

(7) في [ق] ليبين سحره.

سحار حمزة، وعلي[1] أي: ﴿يأتوك بكل ساحر﴾ مثله في المهارة، أو بخير منـــه ﴿وجاء السحرة فرعون﴾ يريد فأرسل إليهم فحضروا ﴿قالوآ إن لنا لأجـــرا﴾ على الخبر، وإثبات الأجر العظيم، حجازي، وحفص،[2] ولم يقل: فقالوا: لأنـــه على تقدير سؤال سائل ما قالوا إذ جاءوه ؟ فأجيب بقولـــه: ﴿قـــالوا إن لنـــا لأجرا﴾ لجملا على الغلبة، والتنكير: للتعظيم، كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر عظيم ﴿إن كنا نحن الغلبين قال نعم﴾ إن لكم لأجرا ﴿وإنكم لمن المقربين﴾ عندي، فتكونون أول من يدخل، وآخر من يخرج، وكانوا ثمانين ألفا، أوسبعين ألفـــا، أوبضعة وثلاثين ألفا ﴿قالوا ياموسى إمآ أن تلقى﴾ عصاك ﴿وإمآ أن نكون نحن الملقين﴾ [لمامعنا،][3] وفيه دلالة على أن رغبتهم في أن يلقوا قبله، حيث أكـــد ضميرهم المتصل بالمنفصل، وعرف الخبر، ﴿قال﴾ لهم موسى – عليه الســـلام – ﴿أ لقوا﴾ تخييرهم إياه، أدب حسن، راعوه معه، كما يفعل المتناظرون قبـــل أن يتخاوضوا في الجدال، وقد سوغ لهم موسى ما رغبوا فيه ازدراء لشأنهم، وقلـــة مبالاة بهم، واعتمادا على أن المعجزة [لم][4] يغلبها سحر أبدا /﴿فلمـــآ ألقـــوا ١٩٦/ب سحروا أعين الناس﴾ أروها بالحيل، والشعوذة، وخيلوا إليها، ماالحقيقة بخلافـــه، روى أنهم ألقوا حبالا، غلاظا، وخشبا طوالا فإذا هي أمثال الحيات، قد مـــلأت الأرض وركب بعضهابعضا،[5] ﴿واسترهبوهم﴾ وأرهبوهم، إرهابا شديدا، كأنهم

---

[1] قرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وابن عامر، في هذه السورة، وفي سورة يونس عليه السلام (بكل ساحر) الألـف قبل الحاء، وقرؤا في الشعراء (سحار) الألف بعد الحاء، وقرأ حمزة والكسائي في السور الثلاث (سحار) الألف بعد الحاء. السبعة ص ٢٨٩؛ النشر ٢/٢٧٠-٢٧١

[2] المرجعين السابقين.

[3] في [ق] مامعنا.

[4] في [ق] لن ولعله الأبلغ.

[5] ذكره ابن جرير الطبري ١٣/٢٨ المحقق عن ابن عباس وغيره.

استدعوا [رهبتهم][1] بالحيلة ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عظيم﴾ في باب السحر، أو في [عين][2] من رآه.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾.

﴿وَأوحَيْنَآ إلى موسَى أن ألقِ عصاكَ فإذا هِيَ تَلْقَفُ﴾ ﴿تلقّف﴾ تبتلع ﴿تلقف﴾ حفص[3] ﴿مايأفكون﴾ ما موصولة، أو مصدرية، بمعني: ما يأفكونه، أي: يقلبونه عن الحق إلى الباطل، ويزورونه، أو إفكهم تسمية للمأفوك بالإفك،[4] روى: أنها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب، والحبال، ورفعها موسى، فرجعت عصا، كما كانت، وأعدم الله - بقدرته - تلك الأجرام العظيمة، أو مزقها أجزاء لطيفة،

---

[1] في الأصل: رهوبتهم والمثبت من [ز] ولعله الصواب.

[2] في [ز] أعين.

[3] جميع القراء بتشديد القاف (تلقف) إلا عاصما في رواية حفص فإنه قرأها (تلقف) ساكنة اللام خفيفة القاف. السبعة ص ٢٩٠؛ النشر ٢/٢٧١

[4] انظر اعراب القرآن للنحاس ٢/١٤٤ ؛ الدرالمصون ٣/٣٢١؛ اللسان ١٠/٣٩٠ ومابعدها مادة: أفك.

قالت السحرة: لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا، وعصينا[1] ﴿فوقــــع الحــــق﴾ فحصل وثبت ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ من السحر ﴿فغلبوا هنـــــالك﴾ أي: فرعون، وجنوده، والسحرة ﴿وانقلبوا صغرين﴾ وصاروا أذلاء مبهوتين ﴿وألقى السحرة ســـاجدين﴾ وخروا سجدا لله، كأنما ألقاهم ملق، لشدة خرورهم، أو لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا، فكانوا أول النهار كفارا ســـحرة، وفي آخــره شهداء بررة ﴿قالوا ءامنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ هو بدل مما قبلــه ﴿قال فرعون ءامنتم به﴾ على الخبر حفص، وهذا توبيخ منه لهــم، وبهمزتــين كوفي، غير حفص، فالأولى همزة الاستفهام، ومعناه الإنكار، والاستبعاد[2] ﴿قبل أن ءاذن لكم﴾ قبل إذني لكم ﴿إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجــــوا منهآ أهلها﴾ إن صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم، وموسى في مصر، قبـــل أن تخرجوا إلى الصحراء، لغرض لكم، وهو أن تخرجوا من مصر القبط، وتســكنوا بني إسرائيل ﴿فسوف تعلمون﴾ وعيد أجمله، ثم فصله بقوله ﴿لأقطعن أيديكـــم وأرجلكم من خلاف﴾ من كل شق طرفا ﴿ثم لأصلبنكم أجمعين﴾ هـــو أول من قطع من خلاف، وصلب ﴿قالوا إنآ إلى ربنا منقلبون﴾ فلا نبالي بــــالموت، لانقلابنا إلى لقاء ربنا، ورحمته، أو إنا جميعا، يعنون أنفسهم، وفرعون، ننقلــب إلى الله فيحكم بيننا ﴿وما تنقم منآ إلا أن أمنا بأيات ربنا لما جآء تنـــا﴾ ومـــا تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله، أردوا وما تعيب منا إلا ما هو أصل المنـــــاقب، والمفاخر، وهو الإيمان ومنه قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم: بهن فلـــول من قـــراع الكتـــائب[3]

---

[1] انظر تفسير الطبري ٢٨/٢٣ ومابعدها، المحقق، فقد ذكر قريبا من هذا.

[2] (آمنتم به) فلها عدة أوجه: إخبارا واستفهاما وتسهيلا وغيره. انظر السبعة ص ٢٩٠-٢٩١

[3] البيت للنابغة الذبياني يصف فرسانا على أفراس عاوقات صابرات ... والبيت من استتباع المدح بمايشبه الـذم. انظر ديوانه، ص ٥٧ دار الفكر ١٩٩٦م

﴿ربنآ أفرغ علينا صبرا﴾ أي: أصبب صبا ذريعا، والمعنى هب لنا صبرا واســـعا
وأكثره علينا حتى يفيض علينا، ويغمرنا،/ كما يفرغ المـــاء إفراغـــا ﴿وتوفنـــا ١٩٧/أ
مسلمين﴾ ثابتين على الإسلام ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه
ليفسدوا فى الأرض﴾ أرض مصر بالاستعلاء فيها، وتغيير دين أهلها، [لأنه وافق
سحرة][(1)] على الإيمان، ستمائة ألف [نفس][(2)] ﴿ويذرك وءالهتك﴾ عطف على
﴿ليفسدوا﴾ قيل صنع فرعون لقومه أصناما، وأمرهم أن يعبدوها تقربا إليه، كما
يعبد عبدة الأصنام الأصنام ويقولون: ﴿ليقربونا إلى الله زلفى﴾[(3)] ولذلك قـــال:
﴿أناربكم الأعلى﴾[(4)] ﴿قال﴾ فرعون مجيبا للملإ ﴿سنقتل أبنآء هم ونستحى
نسـآء هم وإنا فوقهم قاهرون﴾ سنقتل حجازي،[(5)] أي: سنعيد عليـــهم قتـــل
الأبناء، ليعلموا أنا على ما كنا عليه، من الغلبة، والقهر، وأنهم مقهورون تحـــت
أيدينا كما كانوا، [...][(6)] ولئلا يتوهم العامة، أنه هو المولود الذي يحـــدث
المنجمون بذهاب ملكنا على يده، فيثبطهم ذلك عن طاعتنا، ويدعوهـــم إلى
اتباعه.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٍ

---

(1) في [ز] لأنهم وافق السحرة.

(2) في [ز] سنة.

(3) سورة الزمر رقم الآية [٣].

(4) سورة النازعات رقم الآية [٢٤].

(5) انظر السبعة ص ٢٩٠-٢٩١ ؛ النشر ٢/٢٧١

(6) في [ز] زيادة أولا.

مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (١٣١) وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ (١٣٢) فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ (١٣٣).

﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا﴾ قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون ﴿سنقتل أبناءهم﴾ تسلية لهم، ووعدا [...][1] بالنصر عليهم ﴿إن الأرض﴾ اللام للعهد، أي: أرض مصر، أو للجنس، فيتناول أرض مصر تناولا أوليا ﴿لله يورثها من يشآء من عباده﴾ فيه تمنيته إياهم أرض مصر ﴿والعاقبة للمتقين﴾ بشارة، بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم، ومن القبط، وأخليت هذه الجملة عن الواو، لأنها جملة مستأنفة، بخلاف قوله: ﴿وقال الملأ﴾ لأنها معطوفة على ما سبقها، من قوله: ﴿قال الملأ من قوم فرعون﴾ ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا﴾ يعنون: قتل أبنائهم قبل مولد موسى، إلى أن استنبئ، وإعادته عليهم بعد ذلك، وذلك اشتكاء من فرعون، واستبطاء لوعد النصر ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل، وكشف عنه، وهو إهلاك فرعون، واستخلافهم بعده في أرض مصر ﴿فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ فيرى الكائن منكم من العمل، حسنه، [وقبيحه] وشكر النعمة، وكفرانها، ليجازيكم على حسب ما يوجد

[1] في [ز] و [ق] زيادة: لهم.

[منكم][1] وعن عمرو بن عبيد:[2] أنه دخل على المنصور قبل الخلافة، وعلى مائدته رغيف، أورغيفان، فطلب المنصور زيادة، لعمرو فلم توجد، فقرأ عمرو هذه الآية، ثم دخل عليه بعد ما استخلف، فذكر له ذلك، وقال: قد بقي ﴿[فينظر][3]كيف تعملون﴾[4] ﴿ولقد أخذنآ آل فرعون بالسنين﴾ سني القحط، وهن سبع سنين، والسنة من الأسماء الغالبة،كالدابة، والنجم ﴿ونقص من الثمرات﴾ قيل: السنون لأهل البوادي، ونقص الثمرات، للأمصار ﴿لعلهم يذكرون﴾ ليتعظوا، فينتبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر، ولأن الناس في حال الشدة أضرع خدودا،/ وأرق أفئدة، وقيل: عاش فرعون أربعمائة سنة، ولم ١٩٧/ب
ير مكروها في ثلاثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع، أو جوع، أو حمى لما ادعى الربوبية[5] ﴿فإذا جآءتهم الحسنة﴾ الصحة، والخصب ﴿قالوا لنا هذه﴾ أي: هذه التي نستحقها ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ جدب، ومرض ﴿يطيروا﴾ أصله: يتطيروا، فأدغمت التاء في الطاء، لأنها من طرف اللسان، وأصول الثنايا[6] ﴿بموسى ومن معه﴾ تشاءموا بهم، وقالوا: هذه بشؤمهم، ولولا مكانهم، لما أصابتنا، وإنما دخل إذا في الحسنة، وعرفت الحسنة، وإن في السيئة، ونكرت السيئة، لأن جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته، وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة، ولا يقع إلا شيء منها، ﴿ألآ إنما طائرهم﴾ سبب خيرهم، وشرهم ﴿عند

---

(1) ساقطة من [ز و ق] وفي العبارة إشارة إلى الاعتزال كما هو مذهبهم، وقد سبق الرد على مذهبهم في ص٥٦ ودخول الجنة وإن كانت الأعمال سببا فيها إلا أنها بفضل الله ورحمته وغير واجب على الله – عزوجل– كما زعموا.

(2) ابن باب –بموحدتين – التميمي مولاهم، ابوعثمان البصري المعتزلي المشهور، كان داعية الى بدعته، اتهمه جماعة مع أنه كان عابدا، من السابعة، مات سنة ٤٣ أوقبلها. التقريب ص ٤٢٤ ترجمة [٥٠٧١].

(3) ساقطة من [ق].

(4) ذكره الامام الرازي في البحر المحيط ٣٦٩/٤

(5) ذكره الامام الزمخشرى في تفسيره ١٣٩/٢ وفي [ز] تقديم الجوع على الوجع.

(6) انظر إعراب القرآن للنحاس ١٤٥/٢-١٤٦؛ اعراب القرآن للعكبري ٢٨٣/١

الله﴾ في حكمه، ومشيئته، والله هو الذي يقدر ما يصيبهم، من الحسنة، والسيئة ﴿قل كل من عند الله﴾ [1]﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ذلك ﴿وقالوا مهما تأتنا به من أية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ أصل مــــا مـــا، فمـــا[2]الأولى للجـــزاء، [ضمت][3]إليها ما المزيدة [المؤكدة،][4] للجزاء، في قولك: [مـتى][5] ما تخرج أخرج، ﴿أينما تكونوا﴾ ﴿فإما نذهبن﴾ [6] إلا أن الألف قلبت هــــاء، استثقالا لتكريـــر المتجانسين، وهو المذهب السديد البصري، وهو في موضـــع النصب بتأتنا، أي: أيما شيء [تحضرنا،][7]ومن آية تبيين لمهما والضمير في بـــــه وبها يرجع إلى مهما، إلا أن الأول ذكر على اللفظ، والثاني أنث على المعـــــنى، لأنها في معنى الآية، وإنما سموها آية اعتباراً لتسمية موسى، أو قصـــدوا بذلـــك الاستهزاء ﴿فَأَرسلنا عَلَيْهِم الطُّوفَانَ﴾ ما طاف بهم وغلبهم، من مطر، أو سـيل، قيل: طفا الماء فوق حروثهم، وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام، في ظلمة شـديدة، لا يرون شمسا، ولا قمرا، ولا يقدر أحد أن يخرج من داره، وقيل دخل المـــــاء في بيوت القبط، حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، فمن جلس غرق، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، أو هو الجدري، أو الطاعون،[8] ﴿وَالْجَرَادَ﴾ فأكلت زروعهم، وثمارهم، وسقوف بيوتهم، وثيابهم، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ وهي الدباء، وهو أولاد الجراد قبـــل نبـــات أجنحتـــها، أو

---

[1] سورة النساء رقم الآية [٧٨].

[2] وقال بعضهم: هي مركبة من (مه) التي هي اسم فعل بمعنى (الزجر) (وما) الشرطية، ثم كتب الكلمتان فصـارا شيئا واحدا، وقال بعضهم غير ذلك. انظر الدرالمصون ٣٢٩/٣

[3] في [ز و ق] ضم.

[4] ساقطة من [ق].

[5] في [ز و ق] قيماً.

[6] في [ز] تحضرنا.

[7] في [ز] زيادة: تحضرنا.

[8] انظر هذه الأقوال في تفسير ابن الجوزي؛ زاد المسير ٢٤٨/٣ ومابعدها؛ وتفسير ابن عطية ٤٨/٦ ومابعدها.

البراغيث، أو كبار القردان ﴿والضفادع﴾ وكانت تقع في طعامهم، وشـــرابهم، حتى إذا تكلم الرجل وقع في فيه ﴿والدم﴾ أي: الرعاف، وقيل: مياههم انقلبت دما حتى إن القبطي، والإسرائيلي، إذا [اجتمعا][1] على إناء، فيكون مـــا يلـــي الإسرائيلي ماء، وما يلي القبطي دما، وقيل: سال عليهم النيل دمـــا ﴿أيـــات﴾ حال من الأشياء المذكورة ﴿مفصلات﴾ مبينات، ظاهرات، لايشكل على عاقل أنها من آيات الله، أو مفرقات بين كل آيتين، شهر ﴿فاستكبروا﴾ عن الإيمـــان
١٩٨/أ بموسى ﴿وكانـــوا / قوما مجرمين﴾.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (١٣٥) فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾(١٣٧).

﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ العذاب الأخير، وهو الدم، أو العـــذاب المذكـــور، واحدا بعد واحد ﴿قالوا يـــموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ ما مصدرية، أي: بعهده عندك، وهو النبوة، والباء: تتعلق ﴿بادع﴾ أي: ادع الله لنا متوســلا إليه بعهده عندك ﴿لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معـــك بنـــى إسراعيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل﴾ إلى حد من الزمان ﴿هم بـــالغوه﴾ لا محالة فمعذبون فيه، لاينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال، وكشف العـــذاب إلى حلوله ﴿إذا هم ينكثون﴾ جواب لما، أي: فلما كشفنا عنهم فاجئوا النكث، و لم يؤخروه ﴿فانتقمنا منهم﴾ هو ضد الإنعام، كما أن العقـــاب ضـــد الثـــواب

---

[1] في [ز] اجتمعوا.

﴿فأغرقناهم فى اليم﴾ هو البحر الذي لا يدرك قعره، أو هو لجة البحر، ومعظم مائه، واشتقاقه من التيمم، لأن المستنفعين به يقصدونه ﴿بأنهم كذبـــو بأياتنـــا وكانوا عنها غافلين﴾ أي:كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيـــات، وغفلتـــهم عنها، وقلة فكرهم فيها ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ هــــم بنـــو إسرائيل كان يستضعهم فرعون، وقومه بالقتل، والاستخدام ﴿مشـــارق الأرض ومغاربها﴾ يعني: أرض مصر، والشام ﴿التي باركنا فيها﴾ بـــالخصب، وســعة الأرزاق، وكثرة الأنهار، والأشجار ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى علـــى بنـــى إسراعيل﴾ هو قوله: ﴿عسى ربكم أن يـــهلك عدوكـــم ويستخلفـــكم في الأرض﴾[1] أو﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ إلى ﴿ماكـــانوا يحذرون﴾[2]والحسنى: تأنيث الأحسن، صفة للكلمة، وعلى صلة ﴿تمـــت﴾أي: مضت عليهم، واستمرت، من قولك تم على الأمر إذا مضى عليه ﴿بما صبروا﴾ بسبب صبرهم، وحسبك به حاثا على الصبر، ودالا على أن من قـــابل البـــلاء بالجزع، وكله الله إليه، ومن قابله بالصبر، ضمن الله له الفرج ﴿ودمرنا﴾ أهلكنا ﴿ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ من العمارات، وبناء القصور،﴿ومـــا كـــانوا يعرشون﴾ من الجنات، أو ماكانوا يرفعون من الأبنية المشيدة في السماء، كصرح هامان، وغيره، وبضم الراء: شامي، وأبوبكر،[3]وهذا آخـــر قصـــة فرعـــون، والقبط، وتكذيبهم بآيات الله، ثم أتبعه قصة بني إسرائيل، وما أحدثـــوه بعـــد إنقاذهم من فرعون، ومعاينتهم الآيات العظام، ومجاوزتهم البحر، مـــن عبـــادة البقر، وغير ذلك ليسلي رسول الله - ﷺ- مما رآى من بني إسرائيل بالمدينة.

---

[1] سورة الأعراف رقم الآية [١٢٩].

[2] سورة القصص رقم الآية [٥-٦].

[3] بكسر الراء (يعرشون) قرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاص، هنا وفي سورة النحل، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر بضم الراء فيهما (يعرشون) انظر السبعة ص ٢٩٢ ؛ النشر ٢٧١/٢

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٤٠) وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ (١٤١).

﴿وجوزنا ببنى إسرءيل البحر﴾ روي أنه عبر بهم موسى، يوم عاشوراء، بعد ما أهلك الله فرعون، وقومه، فصاموه شكرا لله ﴿فأتوا على قوم﴾ فمروا عليهم ﴿يعكفون على أضنام لهم﴾ يواظبون على عبادتها، وكانت تماثيل بقر، وبكسر الكاف حمزة وعلي[1] ﴿قالوا ياموسى / اجعل لنا إلها﴾ صنما نعكف عليه، ١٩٨/ب
﴿كما لهم ءالهة﴾ أصنام يعكفون عليها، وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها قال يهودي لعلي:-رضي الله عنه – اختلفتم بعد نبيكم، قبل أن يجف ماؤه، فقال: قلتم ﴿اجعل لنا إلها﴾ و لم تجف أقدامكم[2] ﴿قال إنكم قوم تجهلون﴾ تعجب من قولهم، على أثر ما رأوا من الآية العظمى، فوصفهم بالجهل المطلق، وأكده ﴿إن هؤلآء﴾ يعني: عبدة تلك التماثيل ﴿متبر﴾ مهلك من التبار ﴿ما هم فيه﴾ أي: يتبر الله ،ويهدم دينهم، الذي هم عليه، على يدي، وفي إيقاع هؤلاء، اسما لأن وتقديم خبر المبتدأ، من الجملة الواقعة خبرا لها، واسم لعبدة الأصنام، بأنهم هم المعرضون [للتبار][3] وأنه لا يعدوهم البتة ﴿وباطل ماكانوا يعملون﴾ أي: ماعملوا من عبادة الأصنام باطل مضمحل ﴿قال أغير الله

---

(١) المرجعين السابقين.

(٢) ذكره الزمخشري في تفسيره ١٤٤/٢

(٣) ساقطة من [ق].

أبغيكم إلها﴾ أي: أغير المستحق للعبادة، أطلب لكم معبودا ﴿وهو فضلكم على العالمين﴾ حال، أي: على عالمي زمانكم ﴿وإذ أنجيناكم من ءال فرعون﴾ ﴿أنجاكم﴾ شامي[1]﴿يسومونكم سوء العذاب﴾ يبغونكم شدة العذاب، من سام السلعة إذا طلبها، وهو استئناف لا محل له، أوحال من المخاطبين، أو من آل فرعون[2]﴿يقتلون أبناء كم ويستحيون نسآء كم﴾ ﴿يقتلون﴾ [3]نافع ﴿وفى ذلكم﴾ أي: في الإنجاء، أو في العذاب، ﴿بلآء﴾ نعمة، أو محنة ﴿من ربكم عظيم﴾.

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ(١٤٢) وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ(١٤٣) قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ(١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ(١٤٥)﴾.

---

[1] أي: أن ابن عامر وحده قرأ (أنجاكم) بألف بعد الجيم من غير ياء ولانون، وقرأ الباقون (أنجيناكم) انظر السبعة ص ٢٩٣؛ النشر ٢/٢٧١

[2] قال ابن منظور: السوم: عرض السلعة على البيع ... ويقال: سمت فلانا سلعتي سوما إذا قلت أتأخذها بكذا من الثمن ؟ اللسان ١٢/٣١٠ ومابعده، مادة: سوم. الدرالمصون ١/٣٤٥

[3] انظر السبعة ص ٢٩١-٢٩٢؛ النشر ٢/٢٧١ خففها نافع وشددها الآخرون.

﴿ووعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ لإعطاء التوراة ﴿وأتممناهـــا بعشـــر﴾ روي أن موسى - عليه الصلاة والسلام- وعد بني إسرائيل وهو بمصـــر، إن أهلـــك الله عدوهم، أتاهم بكتاب من عند الله، فلما هلك فرعون، ســـأل موســـى ربـــه الكتاب، فأمره بصوم ثلاثين يوما، وهو شهر ذي القعدة، فلما أتم الثلاثين أنكر، خلوف فيه، فتسوك، فأوحى الله إليه: (أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيـــب عندي من ريح المسك) فأمره أن يزيد عليه عشرة أيام، من ذي الحجة لذلـــك[1] ﴿فتم ميقت ربه﴾ ما [وقته له][2] من الوقت، وضربه له ﴿أربعين ليلة﴾ نصـــب على الحال، أي: تم بالغا هذا العدد، ولقد أجمل ذكر الأربعين في البقرة، وفصلها هنا ﴿وقال موسى لأخيه هرون﴾ هو عطف بيان لأخيه ﴿اخلفنى فى قومـــى﴾ كن خليفتي فيهم ﴿وأصلح﴾ ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل ﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ ومن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تتبعه، ولا تطعه ﴿ولما جآء موسى لميقاتنا﴾ لوقتنا الذي وقتنا له، وحددنا، ومعنى اللام الاختصـــاص، أي: اختص مجيئه لميقاتنا ﴿وكلمه ربه﴾ بلا واسطة، ولا كيفية، وروى أنـــه كـــان يسمع الكلام من كل جهة،[3] وذكر الشيخ في التأويلات[4] أن موسى - عليـــه السلام - [سمع][5] صوتا دالا على كلام الله - تعالى- وكـــــان اختصاصـــه: باعتبار أنه أسمعه صوتاً / تولى تخليقه، من غير أن يكون ذلك الصوت، مكتســـبا ١٩٩/أ

---

(1) حكاه الامام السيوطي في الدرر ٣/٥٣٥-٥٣٦ وعزاه للديلمي عن ابن عباس مرفوعا.

(2) في [ز و ق] ماوقت له.

(3) ذكره العلامة أبوالسعود في تفسيره ٢/٢٩٣ وهذا ماتدل عليه النصوص والذي عليه أهل السنة والجماعة من أن الله كلم موسى كلاماً مسموعا منه عزوجل (وتكليما) مصدر معناه التأكيد وفي هذا رد وبطلان على من يقـــول: خلق لنفسه كلاما من شجره فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلما، انظر مختصـــر الصواعق المرسلة ٢/٤٣ ومابعدها ففيها مايشفى ويكفى، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/١٨، وانظر تعليـــق الامام أحمد الاسكندراني على هامش الكشاف ٢/١٤٦-١٤٧

(4) أبو منصور الماتريدي في تأويلات أهل السنة وقد تقدم ص ٣٠ وفي نسخة [ز] زيادة: ابي منصور.

(5) ساقطة من [ز].

لأحد من الخلق، وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد، فيفهم منـــه كـــلام الله – تعالى- فلما سمع كلامه طمع في رؤيته، لغلبة شوقه، فسأل الرؤية بقوله ﴿قـــال رب أرني أنظر إليك﴾ ثاني مفعولي ﴿أرني﴾ محذوف، أي: أرني ذاتك، أنظـــر إليك، يعني: مكني من رؤيتك بأن تتجلى لي حـــتى أراك،[1]﴿أرني﴾ مكـــي، وبكسر الراء مختلسة: أبوعمرو، وبكسر الراء مشبعة: غيرهما،[2]وهو دليل لأهـــل السنة على جواز الرؤية[3]فإن موسى – عليه السلام – اعتقد أن الله –تعـــالى-

---

[1] انظر إعراب القرآن للنحاس ١٤٨/٢؛ الدرالمصون ٣٣٨/٣

[2] قرأ الجمهور: (أرني) بكسر الراء، وقرأ أبوعمرو وابن كثير (أرني) بسكون الـــراء، السـبعة ص ١٧٠-١٧١ والنشر ٢٢٢/٢ عند الكلام على قوله عزوجل: (أرنا مناسكنا) من سورة البقرة.

[3] في هذه الآية دليل على جواز رؤية الله عزوجل، لأن موسى – عليه السلام – مع علمه بالله تعـــالى ســـألها، ولوكانت مما يستحيل لما جاز لموسى أن يسألها.... ولأن الله تعالى لم ينكر على موسى المسألة، وإنما منعه مـــن الرؤية، ولو استحالت عليه لقال: (لا أرى) ألا ترى أن نوحا – عليه السلام- لما قال: (إن ابني من أهلي) [هـود: ٤٥] أنكر عليه بقوله: (إنه ليس من أهلك) ومما يدل على جواز الرؤية أنه علقها باستقرار الجبل، وذلك جائز غير مستحيل .... زادالمسير ٢٥٦/٣

يقول ابن عطية في تفسيره ٦٨/٦ وقوله عزوجل: (لن تراني) نص من الله تعالى على منعه الرؤية في الدنيا، (ولـــن) تنفي الفعل المستقبل، ولو بقينا مع هذا النفي لمجرده لقضينا أنه لايراه موسى أبدا ولا في الآخرة، قلت: وهذا ممـــا تشبثت به الفرق المخالفة التي أنكرت رؤية الله عزوجل كالجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والامامية حيث استدلوا بأن (لن) هنا وضعت لنفي التأبيد، وهذا أضعف الأقوال لأنها وردت في عدة مواضع من كتاب الله تعالى ولم يقصد بها الأبد، من ذلك قوله عزوجل: (ولن يتمنوه أبدا بماقدمت أيديهم ...) [البقرة: ٩٥] لكن عقيـــدة أهل السنة والجماعة أن المؤمنين يرون ربهم عزوجل في الدار الآخرة عيانا بدون واسطة أو حجاب كما جـــاء في الآيات القرآنية الصريحة والأحاديث النبوية الصحيحة، ومذاهب علماء الأمة من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن ذلـــك قوله سبحانه وتعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ...) فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكـــريم، وهذا مافسره به صلى الله عليه وسلم وكثير من الصحابة والتابعين، ومن السنة ماجاء في الصحيحين أن ناسا قالوا: يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ فقالوا: لا، قال: (إنكم ترون ربكم كذلك) والأدلة على إثبات الرؤية كثيرة جدا وهي واضحة وضوح الشمس في رابعـة النهار لمن يريد الحق، ولكن نسأل الله تعالى أن يرزقنا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابــــه، ونعوذ بالله من الزيغ والضلالة والعناد. راجع شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤٥٤/٣ ومابعدها، شـــرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٣ ومابعدها، مختصر الصواعق المرسلة ١٧٩/٢ ومابعدها، وتفســـير الطـــبري ٩١/١٣ ومابعدها، وتفسير البحر المحيط ٣٨٠/٤ ومابعدها. وانظر ماسبق ص ٢٠٣ – ٢٠٩ .

مرأي حتى سألها، واعتقاد جواز ما لا يجوز، على الله كفر،﴿قال لن ترانـــى﴾ بالسؤال بعين فانية، بل بالعطاء، والنوال، بعين باقية، وهو دليل لنا أيضا، لأنه لم يقل: لن أرى ليكون نفيا للجواز، ولو لم يكن مرئيا، لأخبر بأنه ليس بمرئـي، إذ الحالة حالة الحاجة إلى البيان ﴿ولـكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه﴾ بقـي على حاله ﴿فسوف تراني﴾ وهو دليل لنا أيضا، لأنه علق الرؤيـة باسـتقرار الجبل، وهو ممكن وتعليق الشيء بما هو ممكن يدل علـى إمكانـه، كـالتعليق بالممتنع، يدل على امتناعه، والدليل على أنه ممكن قوله: ﴿جعله دكـا﴾ [1]ولم يقل أندك، وما أوجده –تعالى- كان جائزا أن لا يوجد لو لم يوجده، لأنه مختار في فعله، ولأنه تعالى ما آيسه عن ذلك، ولا عاتبه عليه، ولو كان ذلك محـالا لعاتبه،كما عاتب نوحا –عليه السلام- بقوله: ﴿إني أعظك أن تكـون مـن الجاهلين﴾ [2]حيث سأل إنجاء ابنه، من الغرق ﴿فلما تجلى ربه للجبـل﴾ أي: ظهر، وبان ظهورا بلا كيف، قال الشيخ أبو منصور[3]–رحمه الله-:معنى التجلى للجبل: ما قال الأشعري: إنه تعالى خلق في الجبل حياة، وعلما، ورؤيـة حـتى رأى ربه،[4]وهذا نص في إثبات كونه مرئيا، وبهذه الوجوة، تبين جهل منكـري الرؤية، وقولهم: بأن موسى – عليه السلام –كان عالما بأنه لا يرى، ولكن طلب قومه أن يريهم ربهم،كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿لن نؤمن لك حتى نـرى الله جهرة﴾ [5]فطلب الرؤية ليبين الله تعالى أنه ليس بمرئي باطل، إذ لو كان كما زعموا، لقال: أرهم ينظروا إليك، ثم يقول لهم: لن يروني، ولأنها لو لم تكـن

---

[1] سورة الكهف رقم الآية [٩٨].

[2] سورة هود عليه السلام رقم الآية [٤٦].

[3] هو الشيخ محمد بن محمد بن محمود شيخ الماتريدية وقد تقدمت ترجمته ص٠٣

[4] وهذا مذهب المتأولين المتكلمين كالقاضي أبي بكر الطيب الباقلاني وغيره من القائلين بأن رؤية الله عزوجل غير جائزة، وقد سبق الرد على مثل هذا في الصفحة السابقة.وص٢٠٢ و ٢٠٤ .

[5] سورة البقرة رقم الآية [٥٥].

جائزة، لما أخر موسى – عليه السلام – الرد عليهم، بل كان يرد عليهم وقت قرع كلامهم [سماعه][1] لما فيه من التقرير على الكفر، وهو – عليه السلام – بعث لتغييره لا لتقريره، ألا ترى أنهم لما قالوا له: ﴿اجعل لنا إلهـا كما لهم آلهـة﴾[2] لم يمهلهم بل رد عليهم من ساعته بقوله: ﴿إنكم قـوم تجهلون﴾ ﴿جعله دكا﴾ مدكوكا، مصدر، بمعنى مفعول، كضرب الأمير، والدق، والدك أخوان، ﴿دكاء﴾حمزة وعلي، أي: مستوية بالأرض لا أكمة فيها، ناقة دكاء / لا سنام لها ﴿وخر موسى صعقا﴾ حال، أي: سقط مغشيا عليه ١٩٩/ب
﴿فلمآ أفاق﴾ من صعقته ﴿قال سبحنك تبت إليك﴾ من السؤال في الدنيا ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ بعظمتك، وجلالك، أوبأنك لا تعطي الرؤية في الدنيا مع جوازها، وقال الكعبي[3] والأصم[4] معنى قوله: ﴿أرني انظر إليك﴾ أرني آية أعلمك بها بطريق الضرورة، كأني أنظر إليك ﴿لن تراني﴾لن تطيق معرفتي بهذه الصفة، ولكن انظر إلى الجبل، فإني أظهر [له][5]آية، فإن ثبت الجبل لتجليها، واستقر مكانه، فسوف [يثبت له][6]وتطيقها، وهذا فاسد، لأنه قال: ﴿أرني أنظر إليك﴾ولم يقل إليها، ﴿وقال لن تراني﴾ ولم يقل: لن ترى آيتي، وكيف يكون معناه: لن ترى آيتي، [فقد آراه أعظم آيته][7]حيث جعل الجبل

---

(1) في [ز] سمعه ولعله الصواب.

(2) سورة الأعراف رقم الآية [١٣٨].

(3) هو العلامة: عبدالله بن أحمد بن محمود البلخي، شيخ المعتزلة من نظراء أبي علي الجبائي، قال عنه الإمام الذهبي: لااستجيز أن أروى عنه لأنه كان داعية، يعني: إلى الاعتزال، له تصانيف كثيرة منها: كتاب المقالات، وكتاب: الغرر، وكتاب: السنة والجماعة، وكتاب الجدل وغير ذلك، قيل توفى سنة ٣٠٩هـ والصواب سنة ٣٢٩، سيرأعلام النبلاء ٣٢٢/١١ و ٦٣٧

(4) هو: ابوبكر الأصم، شيخ المعتزلة، وكان دينا وقورا، إلا أنه كان فيه قيل عن الامام على، وله كتاب وتفسير: خلق القرآن، وكتاب: الحجة والرسل، وكتاب: الحركات وغيرذلك، توفى سنة ٢٠١هـ السير ٢٥٧/٨

(5) في [ز و ق] لك ولعله الصواب.

(6) في [ز وق] تثبت لها.

(7) في [ز وق] وقد اراه اعظم الآيات.

دكـا ؟﴿قال ياموسى إني اصطفيتك على الناس﴾ اخترتك على أهل زمـانك، ﴿برسالاتى﴾ هي أسفار التوراة ﴿وبرسـالتي﴾ حجـازي[1]﴿وبكلامـى﴾ وبتكليمي إياك،﴿فخذ مآء اتيتك﴾ أعطيتك من شرف النبوة، والحكمة ﴿وكـن من الشاكرين﴾ على النعمة في ذلك، فهي من أجل النعم، قيل: خـر موسـى صعقا يوم عرفة، وأعطى التوراة يوم النحر،[2]ولما كان هارون وزيـرا، وتابعـا لموسى، تخصص الاصطفاء بموسى — عليه السلام -﴿وكتبنا له في الألـواح﴾ الألواح: التوراة، جمع لوح، وكانت عشرة ألواح، وقيل: سبعة، وكانت مـن زمرد، وقيل: من خشب، نزلت من السماء فيها التوراة[3]﴿من كل شـيء﴾ في محل النصب، على أنه مفعول ﴿كتبنا﴾ ﴿موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾ بـدل منه، والمعنى:كتبنا له كل شيء،[4]كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم مـن المواعظ، وتفصيل الأحكام، وقيل: أنزلت التوراة، وهي سبعون وقـر بعـير، لم يقرأها كلها إلا أربعة نفر، موسى، ويوشع، وعزير، وعيسى،﴿فخذها﴾ فقلنـا له: خذها، عطفا على ﴿كتبنا﴾والضمير: للألواح، أو لكل شيء،[5]لأنه في معنى الأشياء ﴿بقوة﴾ بجد، وعزيمة، فعل أولى العزم من الرسل ﴿وأمر قومك يـأخذوا بأحسنها﴾ أي:فيها ما هو حسن، وأحسن،كالقصاص، والعفـو، والانتصـار، والصبر، فمرهم أن يأخذوا بما هو أدخل في الحسن، وأكثر للثـواب،كقولـه: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ [6] ﴿سأوريكم دار الفاسـقين﴾ دار

---

[1] قرأ ابن كثير ونافع بالافراد أي: (برسالتي) السبعة ص ٢٩٣ ؛ النشر ٢/٢٧٢

[2] ذكره أبوالسعود في تفسيره ٢/٢٩٤

[3] فيها سبعة اقوال ذكرها ابن الجوزي في زادالمسير ٢/٢٩٤

[4] انظر الدرالمصون ٣/٣٤٠

[5] الدرالمصون ٣/٣٤٠

[6] سورة الزمر رقم الآية [٥٥].

فرعون، وقومه، وهي مصر، أومنازل عاد، وثمود، والقرون المهلكة،كيف أقفرت منهم، لتعتبروا فلا تفسقوا، مثل فسقهم، فينكل بكم مثل نكالهم، أو جهنم.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ (١٤٦) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٤٧) وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (١٤٩)﴾.

﴿سأصرف عن أياتى﴾ عن فهمها، قال ذو النون[١]-أبى الله أن يكرم قلوب البطالين بمكنون حكمة القرآن ﴿الذين يتكبرون﴾ يتطاولون على الخلق، ويأنفون / عن قبول الحق، وحقيقته: التكلف للكبرياء التي اختصت بالباري — ٢٠٠/أ
عزت قدرته —﴿في الأرض بغير الحق﴾ هو حال، أي: يتكبرون غير محقين،لأن التكبر بالحق لله وحده ﴿وإن يروا كل ءاية﴾ من الآيات المنزلة عليهم ﴿لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد﴾ طريق صلاح الأمر، أوطريق الهدى، الرشد حمزة، وعلي،[٢]وهما كالسقم والسقم ﴿لايتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل

---

[١] سبقت ترجمته ص٥٥ ؟ وفي [ق] زيادة: قدس الله روحه.

[٢] قرأ حمزة والكسائي بفتح الراء والشين مثقلة (الرشد) وقرأ آخرون بالتخفيف. السبعة ص ٢٩٣ ؛ النشر ٢٧٢/٢؛ وانظر إعراب القرآن للنحاس ١٥٩/٢-١٥٠

الغى﴾ الضلال ﴿يتخذوه سبيلا﴾ ومحل ﴿ذلك﴾ الرفع،[1] أي:ذلك الصرف ﴿بأنهم كذبوا بأياتنا﴾ بسبب تكذيبهم ﴿وكانوا عنها غافلين﴾ غفلة عناد،واعراض، لا غفلة سهو، وجهل ﴿والذين كذبوا بأياتنا ولقآء الآخرة﴾ هو من إضافة المصدر إلى المفعول به،[2] أي: ولقائهم الآخرة، ومشاهدتهم [أحوالها][3]﴿حبطت أعمالهم﴾ خبر،[4]والذين ﴿هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ وهو تكذيب الأحوال، بتكذيب الإرسال ﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ من بعد ذهابه إلى الطور ﴿من حليهم﴾ وإنما نسب إليهم مع أنها كانت عواري في أيديهم، لأن الإضافة تكون بأدنى ملابسة، وفيه دليل على أن من حلف أن لا يدخل دار فلان، فدخل دارا استعارها، يحنث[5]على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين،كما ملكوا غيرها من أملاكهم، وفيه دليل على أن الاستيلاء على أموال الكفار، يوجب زوال ملكهم عنها،[6]نعم، المتخذ هو السامري، ولكنهم رضوا به فأسند الفعل إليهم، والحلي جمع حلي، وهو اسم ما يتحسن به من الذهب، والفضة، ﴿حليهم﴾ حمزة، وعلي،[7] للإتباع ﴿عجلا﴾ مفعول ﴿اتخذ﴾ ﴿جسدا﴾ بدل منه، أي: بدنا ذا لحم، ودم، كسائر الأجساد ﴿له خوار﴾ هو صوت البقر، والمفعول الثاني،

---

[1] انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٨٥ ؛ الدرالمصون ٣/٣٤٢-٣٤٣

[2] انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٨٥ ؛ الدرالمصون ٣/٣٤٢-٣٤٣

[3] في [ق] أهوالها.

[4] انظر اعراب القرآن للعكبري ١/٢٨٥ ؛ الدرالمصون ٣/٣٤٢-٣٤٣

[5] وبذلك قال أبو ثور، وأصحاب الرأى، وقال الامام الشافعي –رحمه الله- لايحنث إلا بدخول دار يملكها لأن الاضافة في الحقيقة إلى المالك. المغنى لابن قدامة ١٣/٥٤٤-٥٥٥ كتاب جامع الأيمان فصل (وإن حلف لا يدخل دار فلان ......

[6] ينظر المغنى ١٣/١١٥ ومابعدها، كتاب الجهاد: باب فصل (إذا أسلم الحربي في دار الحرب ...

[7] قرأ حمزة والكسائي (في حليهم) بكسر الحاء مشددة الياء، وقرأ آخرون بضم الحاء. انظر السبعة ص ٢٩٤؛ والنشر ٢/٢٧٢

محذوف،[1] [أي:][2]﴿إلها﴾ ثم عجب من عقولهم السخيفة فقال: ﴿ألم يـروا﴾ حين اتخذوه إلها ﴿أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا﴾ لا يقدر على كـلام، ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته، لنفـد البحر قبل أن تنفد كلماته، وهو الذي هدى الخلق إلى سبيل الحق، بما ركـز في العقول من الأدلة، وبما أنزل في الكتب، ثم ابتدأ فقال: ﴿اتخذوه﴾ إلها، فـأقدموا على هذا الأمر المنكر ﴿وكانوا ظالمين ولما سقط فى أيديهم﴾ ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل، وأصله: أن من اشتد ندمه أن يعض يده غما، فتصـير يـده مسقوطا فيها، لأن فاه وقع فيها، وسقط مسند إلى ﴿في أيديهم﴾ وهو من بـاب الكناية، وقال الزجاج:[3] معناه سقط النـدم في أيديـهم، أي: في قلوبهـم، وأنفسهم،كما يقال:حصل في يده مكروه، وإن استحال أن يكـون في اليـد تشبيها لما يحصل في القلب / وفي النفس، بما يحصل في اليد، ويرى بالعين ﴿ورأو أنهم قد ضلوا﴾ وتبينوا ضلالهم تبينا،كأنهم أبصروه بعيونهم ﴿قالوا لئـن لـم يرحمنا ربنا ويغفر لنا﴾ ﴿لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا﴾حمزة، وعلي، وانتصـاب ربنا على النداء[4] ﴿لنكونن من الخسرين﴾ المغبونين في الدنيا، والآخرة. ٢٠٠/ب

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (١٥١) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن

---

(١) انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٨٥/١ ؛الدرالمصون ٣٤٣/٣-٣٤٤

(٢) في [ز] وهو.

(٣) تقدمت ترجمته ص٦١

(٤) قرأ حمزة والكسائي بالتاء، ونصب (ربنا) وقرأ الباقون بالياء، ورفع (ربنا) السبعة ص ٢٩٤؛ النشر ٢٧٢/٢

رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ(١٥٢) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾(١٥٤).

﴿ولما رجع موسى﴾ من الطور ﴿إلى قومه﴾ بني إسرائيل ﴿غضبان﴾ حال من موسى – عليه السلام – ﴿أسفا﴾ حال[1] أيضا، أي: حزينا ﴿قال بئسما خلفتموني﴾ قمتم مقامي، وكنتم خلفائي ﴿من بعدي﴾ والخطاب لعبدة العجل، من السامري، وأشياعه، أو لهارون، ومن معه من المؤمنين، ويدل عليه قوله: ﴿أخلفني في قومي﴾ والمعنى: ﴿بئسما خلفتموني﴾ حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله، أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله، وفاعل ﴿بئس﴾ مضمر يفسره ﴿ماخلفتموني﴾ والمخصوص بالذم، محذوف تقديره: بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم،[2] ومعنى ﴿من بعدي﴾ بعد قوله ﴿خلفتموني﴾ من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله، ونفي الشركاء عنه، أو من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد، وأكفهم عن عبادة [البقر][3] حين قالوا ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾ ومن حق الخلفاء، أن يسيروا بسيرة المستخلف ﴿أعجلتم﴾ أسبقتم بعبادة العجل ﴿أمر ربكم﴾ وهو إتياني لكم بالتوراة بعد أربعين ليلة، وأصل العجلة: طلب الشيء قبل حينه، وقيل: عجلتم بمعنى: تركتم ﴿وألقى الألواح﴾ ضجرا عند استماعه حديث العجل، غضبا لله، وكان في نفسه شديد الغضب، وكان هارون ألين منه جانبا، ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى، فتكسرت

---

(1) انظر إعراب القرآن للعكبري ١/٢٨٥؛ الدر المصون ٣/٣٤٤

(2) انظر إعراب القرآن للعكبري ١/٢٨٥؛ الدر المصون ٣/٣٤٤

(3) في [ز وق] البقرة.

فرفعت ستة أسباعها، وبقي سبع واحد، وكان فيمــا رفــع ﴿تفصيــل كــل شيء﴾وفيما بقي ﴿هدى ورحمة﴾ ﴿وأخذ برأس أخيه﴾ بشعر رأســه غضبــا عليه،حيث لم يمنعهم عن عبادة العجل ﴿يجره إليه﴾ عتابا عليه لا هوانا به، وهو حال من موسى ﴿قال ابن أم﴾ بني الابن، مع الأم على الفتح،كخمسة عشــر، وبكسر الميم حمزة، وعلي، وشامي،[1]لأن أصله: أمي، فحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة، وكان ابن أمه وأبيه، وإنما ذكر الأم لأنها كانت مؤمنة، ولأن ذكرهــا أدعى إلى العطف ﴿إن القوم استضعفونى وكــادوا يقتلوننــى﴾ أي: إني لم آل جهدا في كفهم بالوعظ، والإنذار، ولكنهم استضعفوني، وهموا بقتلــي ﴿فــلا تشمت بى الأعدآء﴾ الذين عبدوا العجل، أي:لا تفعل بي ما هو أمنيتهم، مــن الاستهانة بي، والإساءة إلي،﴿ولا تجعلني مع القوم الظــالمين﴾ أي:قرينــا لهــم بغضبك علي، فلما اتضح له عذر أخيه ﴿قال رب اغفر لى ولأخى﴾ لــيرضى أخاه / وينفي الشماتة عنه، بإشراكه معه في الدعاء، والمعنى: اغفرلي ما فرط مني ٢٠١/أ
في حق أخي، ولأخي إن فرط في حسن الخلافة ﴿و أدخلنا فــى رحمتــك﴾ عصمتك في الدنيا، وجنتك في الآخرة ﴿وأنت أرحم الراحمين إن الذين اتخذوا العجل﴾ إلها ﴿سينالهم غضب من ربهم﴾ هو ما أمروا به من قتل أنفسهم توبة ﴿وذلة في الحياة الدنيا﴾ خروجهم من ديارهم، فالغربة تذل الأعناق، أو ضــرب الجزية عليهم ﴿وكذلك نجزى المفترين﴾ [الكاذبين][2] علــى الله، ولا فريــة أعظم من قول السامري: ﴿هذا إلهكم وإله موســى﴾[3] ﴿والذيــن عملــوا السيئات﴾ من الكفر، والمعاصي ﴿ثم تابوا﴾ رجعــوا إلى الله ﴿مــن بعدهــا

---

[1] قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر (قال ابن ام) بكسر الميم هنا، وفي سورة طه، وقــرأ الآخرون بالفتح. السبعة ص ٢٩٥؛ النشر ٢٧٢/٢

[2] في الأصل وفي [ق] المتكذبين، وفي [ز] الكاذبين ولعله الصواب.

[3] تقدمت ترجمته في ص

وءامنوآ﴾ وأخلصوا الإيمان ﴿إن ربك من بعدها﴾ أي: السـيئات، أوالتوبـة ﴿لغفور﴾ لستور غليهم، محاء لما كان منهم ﴿رحيم﴾ منعم عليهم بالجنـة وإن مع اسمها، وخبرها خبر والذين وهذا حكم عام يدخل تحته: متخذوا العجـل، وغيرهم، عظم جنايتهم أولا، ثم أردفها بعظيم رحمته، ليعلم أن الذنـوب وإن عظمت، فعفوه أعظم، ولما كان الغضب لشدته، كأنه هو الآمر لموسى بما فعـل قيل: ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ وقال الزجاج:[1] معناه: سكن وقـوئ به ﴿أخذ الألواح﴾ التي ألقاها ﴿وفى نسختها﴾ وفيما نسخ منها، أي: كتـب فعلة، بمعنى: مفعول كالخطبة ﴿هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ دخلت اللام لتقدم المفعول، وضعف عمل الفعل فيه، باعتباره[2].

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ (١٥٥) وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)﴾

﴿واختار موسى قومه﴾ أي: من قومه فحذف الجار، وأوصل الفعل،[3]﴿سبعين رجلا﴾ قيل: [اختار من][4] اثنى عشر سبطا، من كل سبط ستة، فبلغوا اثنـين

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٦١

(٢) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/١٥٤؛ أعراب القرآن للعكبري ١/٢٨٦

(٣) اعراب القرآن للنحاس ٢/١٥٤؛ اعراب القرآن للعكبري ١/٢٨٦

(٤) في [ق] اختار من قومه، ولعله الصواب.

وسبعين رجلا، فقال: ليتخلف منكم رجلان، فقعد كالب ويوشع ﴿لميقاتنـــا﴾ [لاعتذارهم][1] عن عبادة العجل ﴿فلمآ أخذتهم الرجفة﴾ الزلزلـــة الشـــديدة ﴿قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل﴾ بما كان [منهم][2] من عبـــادة العجـــل ﴿وإياى﴾ بقتل القبطي[3] ﴿أتهلكنا بمافعل السفهاء منا﴾ أتهلكنا عقوبة بما فعـــل الجهال منا، وهم أصحاب العجل ﴿إن هى إلا فتنتك﴾ ابتلاؤك، وهو راجع إلى قوله: ﴿إنا قد فتنا قومك من بعدك﴾[4] فقال موسى: هي تلك الفتنة التي أخبرتني بها، وهي ابتلاء الله – تعالى – عباده بما شـــاء، ﴿ونبلوكـــم بالشـــر والخـــير فتـــنـــة﴾ [5] ﴿تضل بها﴾ بالفتنة ﴿من تشآء﴾ من علمت منهم اختيار الضلالـة ﴿وت هدى﴾ بها ﴿من تشآء﴾ من علمت منهم اختيار الهدى[6] ﴿أنت ولينـــا﴾
مولانا القائم بأمورنا ﴿فاغفرلنا وارحمنا وأنت خير الغافرين / واكتب لنـــا﴾ ٢٠١/ب
وأثبت لنا، واقسم ﴿فى هذه الدنيا حسنة﴾ عافية، وحياة طيبـــة، أوتوفيقـــا في الطاعة، ﴿وفى الآخرة﴾ الجنة ﴿إنا هدنآ إليك﴾ تبنا إليك، وهاد إليه يـــهود، إذا رجع، وتاب، والهود: جمع هائد، وهو التائب[7] ﴿قال عذابى﴾ مـــن صفتـــه أنى ﴿أصيب به من أشاء﴾ أن: لا أعفو عنه ﴿ورحمتى﴾ لك ﴿وسعت كل شـيء﴾ أي: من صفة رحمتي، أنها واسعة تبلغ كل شيء، ما من مسلم ولا كـــافر، إلا وعليه أثر رحمتي في الدنيا ﴿فسأكتبها﴾ أي: هذه الرحمـــة ﴿للذيـــن يتقـــون﴾

---

[1] في الأصل: لاعتضادهم ولعل الصواب ما أثبت.

[2] ساقطة من الأصل، وما أثبت من [ز و ق].

[3] إشارة إلى قوله عزوجل: (.... فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان ...) سورة القصص رقم الآية [١٥].

[4] سورة طه رقم الآية [٨٥].

[5] سورة الأنبياء رقم الآية [٣٥].

[6] وقد سبق التعليق على مثل هذا وبيان مذاهب بعض الفرق في الهداية والاضلال ص ١٦٨، ١٢٦ – ٢١٧.

[7] لسان العرب ٤٣٩/٣ ومابعدها، مادة: هود.

الشرك، من أمة محمد-ﷺ -﴿ويؤتون الزكوة﴾ المفروضة ﴿والذين هم بأياتنا﴾ بجميع كتبنا ﴿يؤمنون﴾ لا يكفرون بشيء منها.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١٥٨).

﴿الذين يتبعون الرسول﴾ الذي نوحي إليه كتاب مختصا به، وهو القرآن ﴿النبى﴾ صاحب المعجزات ﴿الأمى الذي يجدونه﴾ أي: يجد نعته أولئك الذين يتبعونه، من بني إسرائيل ﴿مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف﴾ بخلع الأنداد، وإنصاف العباد ﴿وينهاهم عن المنكر﴾ عبادة الأصنام، وقطيعة الأرحام ﴿ويحل لهم الطيبات﴾ ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة،كالشحوم، وغيرها، أو ما طاب في الشريعة، مما ذكر اسم الله عليه، من الذبائح، وما خلا كسبه من السحت ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ ما يستخبث كالدم، والميتة، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، أو ما خبث في الحكم، كالربا، والرشوة، ونحوهما، من المكاسب الخبيثة ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ هو الثقل الذي يأصر صاحبه، أي: يحبسه من الحراك لثقله، والمراد: التكاليف

الصعبة،كقتل النفس في توبتهم، وقطع الأعضاء الخاطئة، ﴿آصارهم﴾ شـــامي على الجمع[1] ﴿والأغ لال التي كانت عليهم﴾ هي الأحكام الشاقة،نحو بــت القضاء بالقصاص عمدا،[كان أو خطأ، من غير][2] شرع الدية، وقرض موضـع النجاسة من الجلد، والثوب، وإحراق الغنائم، وظهور الذنوب علـــى أبـواب البيوت، وشبهت بالغل، للزومها لزوم الغل ﴿فالذين أمنوا به﴾ بمحمـد -ﷺ- ﴿و عزروه﴾ وعظموه، أو منعوه من العدو،حتى لا يقوى عليه عدو، وأصـــل العزر:المنع، ومنه التعزير لأنه منع عن معاودة القبيح،كالحد فهو المنع ﴿ونصـروه واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ أي: القرآن ومع، متعلق[3] باتبعوا، أي: واتبعــوا القــرآن المنــزل مع اتبــاع النبي - عليه السلام -والعمل بسنته ﴿أولـئـك
٢٠٢/أ هم المفلحون﴾ الفائزون بكل خير،/ والناجون من كل شر ﴿قل يــأيها النــاس إني رسول الله إليكم﴾ بعث كل رسول إلى قومه خاصة، وبعث محمد-ﷺ -إلى كافة الإنس وكافة الجن ﴿جميعا﴾ حال من ﴿إليكم﴾ ﴿الذي له ملك السموت والأرض﴾ في محل النصب باضمار أعني، وهو نصب على المدح[4]﴿لا إلــه إلا هو﴾ بدل من الصلة، وهي ﴿له ملك السماوات والأرض﴾ وكذلك ﴿يحــى ويميت﴾ وفي ﴿لا إلا إلا هو﴾بيان للجملة قبلها، لأن من ملك العالم كان هـو الإله على الحقيقة، وفي ﴿يحي ويميت﴾بيان لاختصاصه بالإلهية، إذ لا يقدر علـى الإحياء والإماتة غيره ﴿فأمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الـــذي يؤمــن بـــالله

---

[1] قرأ ابن عامر على الجمع (آصارهم) والباقون بالافراد (إصرهم) السبعة ص ٢٩٥؛ النشر ٢٧٢/٢

[2] في [ق] كأنه ذا أو خطأ من شرع الدية.

[3] إعراب القرآن للعكبري ٢٨٧/١ والدرالمصون ٣٥٥/٣-٣٥٦

[4] إعراب القرآن للعكبري ٢٨٧/١ والدرالمصون ٣٥٥/٣-٣٥٦

وكلماته﴾ أي: الكتب المنـزلة ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ ولم يقل:فآمنوا بـالله وبي بعد قوله: ﴿إني رسول الله إليكم﴾لتجري عليه، الصفات التي أجريت عليه ولما في الالتفات من مزية البلاغة، وليعلم أن الذي وجب الإيمان به، هو هـــذا الشخص الموصوف بأنه النبي الأمي، الذي يؤمن بالله وكلماته،كائنا من كـان، أنا، أو غيري، إظهارا للنصفة، وتفاديا من العصبية لنفسه.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ(١٥٩)وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(١٦٠) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ(١٦١) فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ(١٦٢) وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾(١٦٣).

﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق﴾ أي: يهدون الناس محقين، أو بسبب الحق الذي هم عليه ﴿وبه يعدلون﴾ وبالحق يعدلون بينهم في الحكم، لا يجورون قيل: هم قوم وراء الصين، آمنوا بمحمد -عليه الصلاة والسلام- ليلة المعراج، أو هم عبد الله بن سلام وأضرابه ﴿وقطعناهم﴾ وصيرناهم قطعا، أي: فرقا، وميزنا بعضهم من بعض ﴿اثنتى عشرة أسباطا﴾ كقوله: اثنتى عشرة قبيلة، والأسباط: أولاد الولد جمع سبط، وكانوا اثنتى عشرة قبيلة، من اثنى عشر ولدا من ولد يعقوب -عليه السلام- امم مميز ماعدا العشرة مفردة وكان ينبغي أن يقال: اثنى عشر سبطا، لكن المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة، وكل قبيلة أسباط، لا سبط، فوضع أسباط موضع قبيلة[1] ﴿أمما﴾ بدل من اثنتى عشرة، أي: وقطعناهم أمما، لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة، وكل واحدة كانت تؤم، خلاف ما تؤمه الأخرى ﴿وأوحينآ إلى موسى إذ استسقه قومه أن اضرب بعصاك الحجر﴾ فضرب ﴿فانبجست﴾ فانفجرت ﴿منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم﴾ هو اسم جمع، غير تكسير ﴿وظللنا عليهم الغمام﴾ وجعلناه ظليلا عليهم في التيه ﴿وأنزلنا عليهم المن والسلوى﴾ وقلنا لهم: ﴿كلوا من طيبات ما رزقنكم وما ظلمونا﴾ أي: وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم
النعم ﴿ولكن / كانوآ أنفسهم يظلمون﴾ ولكن كانوا يضرون أنفسهم، ٢٠٢/ب
ويرجع وبال ظلمهم إليهم، ﴿وإذ قيل لهم﴾ واذكر: إذ قيل لهم ﴿اسكنوا هذه القرية﴾ بيت المقدس ﴿وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم﴾ تغفر لكم مدني، وشامي، خطيئاتكم مدني، خطاياكم، أبوعمرو، خطيئتكم، شامي[2] ﴿سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا

---

[1] انظر اعراب القرآن للنحاس ١٥٦/٢ ؛ اعراب القرآن للعكبري ٢٨٧/١؛ الدرالمصون ٣٥٧/٣-٣٥٨

[2] انظر السبعة ص ٢٩٥-٢٩٦ ؛ النشر ٢٧٢/٢

بظلمون﴾ ولا تناقض بين قوله: ﴿اسكنوا هذه القرية﴾ ﴿وكلوا منها﴾ وبـــين قوله في البقرة ﴿ادخلوا هذه القرية فكلوا﴾[١] لوجود الدخـــول، والســكنى، وسواء قدموا الحطة على دخول الباب، أو أخروها، فهم جامعون بينهمَا، وترك ذكر الرغد، لايناقض إثباته وقولـــه: ﴿نغفـر لكـم خطايـاكم سنـزيد المحسنين﴾وموعد بشيئين: بالغفران، وبالزيادة، فطرح الواو، لايخل بذلك، لأنــه استئناف مرتب على [تقدير][٢] قول القائل: وماذا بعد الغفـران، فقيــل لــه: ﴿سنـزيد المحسنين﴾وكذلك زيادة ﴿منـــهم﴾ زيـادة بيـان، ﴿وأرســلنا﴾ ﴿وأنزلنا﴾ ﴿ويظلمون﴾ ﴿ويفسقون﴾ من واد واحد ﴿وسئلهم﴾ واسأل اليهود ﴿عن القرية﴾ أيلة،أو مدين، وهذا السؤال، للتقريع لقديم كفرهم ﴿التي كـانت حاضرة البحر﴾ قريبة منه ﴿إذ يعدون فى السبت﴾ إذ يتجاوزون حد الله فيــه، وهو اصطيادهم، في يوم السبت، وقد نهوا عنه، ﴿إذ يعدون﴾ في محل الجر، بدل من ﴿القرية﴾ والمراد بالقرية: أهلها،كأنه قيل: واسألهم عن أهل القرية، وقـــت عدوانهم في السبت، وهو من بـــدل الاشـــتمال[٣] ﴿إذ تأتيـــهم﴾ منصـوب ﴿بيعدون﴾أو بدل بعد بدل ﴿حيتانهـم﴾ جمع حوت، أبدلـــت الـــواو يـــاء، لسكونها، وانكسار ما قبلها ﴿يوم سبتهم شرعا﴾ ظاهرة على وجه الماء، جمـــع شارع، حال من الحيتان،[٤] والسبت مصدر سبتت اليهود، إذا عظمت سبتها، بترك الصيد، والاشتغال بالتعبد، والمعنى: إذ يعدون في تعظيم هذا اليوم، وكـذا قوله: ﴿يوم سبتهم﴾معناه: يوم تعظيمهم [أمر][٥] السبت ويدل عليه ﴿ويـوم لا

---

[١] رقم الآية [٥٨] من سورة البقرة.

[٢] في [ز] على قول القائل بحذف كلمة: تقدير.

[٣] ينظر إعراب القرآن للنحاس ١٥٧/٢؛ إعراب القرآن للعكبري ٢٨٧/١؛ الدرالمصون ٣٥٩/٣-٣٦٠

[٤] ينظر إعراب القرآن للنحاس ١٥٧/٢؛ إعراب القرآن للعكبري ٢٨٧/١؛ الدرالمصون ٣٥٩/٣-٣٦٠

[٥] في [ز] يوم السبت.

يسبتون لا تأتيهم﴾ ويوم ظرف لا تأتيهم ﴿كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ مثل ذلك البلاء الشديد، نبلوهم بفسقهم.

﴿وَقَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ (١٦٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧) وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨) فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦٩).

﴿وإذ قالت﴾ معطوف على ﴿إذ يعدون﴾ وحكمه حكمه في الإعراب[1] ﴿أمة منهم﴾ جماعة من صلحاء القرية، الذين أيسوا من وعظهم، بعد ما ركبوا الصعب، والذلول في موعظتهم لآخرين، لايقلعون عن وعظهم /﴿لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا﴾ وإنما قالوا ذلك لعلمهم، أن الوعظ لا ينفع فيهم،﴿قالوا معذرة إلى ربكم﴾ -معذرة- أي: موعظتنا إبلاء عذر إلى الله، لئلا [ننسب][2] في النهي عن المنكر، إلى التفريط ﴿معذرة﴾ [حفص][3] على مفعول له، أي: وعظناهم للمعذرة ﴿ولعلهم يتقون﴾ ولطمعنا في أن يتقوا 203/أ

(1) ينظر إعراب القرآن للنحاس ١٥٧/٢؛ إعراب القرآن للعكبري ٢٨٧/١؛ الدر المصون ٣٥٩/٣-٣٦٠

(2) في [ق] تنسب وفي [ز] ينسب.

(3) ساقطة من [ق].

﴿فلما نسوا﴾ أي أهل القرية، لما تركوا ﴿ما ذكروا بــه﴾ مــا ذكرهــم بــه الصالحون، ترك الناسي لما ينساه ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ عن العــذاب الشديد ﴿وأخذنا الذين ظلموا﴾ الراكبين للمنكر، والذين قالوا لم تعظون مـــن الناجين، فعن الحسن:[1] نجت فرقتان، وهلكت فرقة، وهم الذين أخذوا الحيتـان ﴿بعذاب بئيس﴾ شديد، يقال: بؤس، بئس، بأسا، إذا اشتد فهو بئيس، بئـــس شامي، بيس مدني، بيئس على وزن فيعل، أبوبكر غير حمــاد[2] ﴿بمــا كــانوا يفسقون فلما عتوا عن ما نهوا عنه﴾ [عن ترك ماهوا عنه][3] ﴿قلنا لهم كونــوا قردة خسئين﴾ أي:جعلناهم قردة، أذلاء، مبعدين، وقيل: ﴿فلما عتوا﴾ تكريــر لقوله: ﴿فلما نسوا﴾والعذاب البئيس: هو المسخ، قيل: صار الشـــبان قـــردة، والشيوخ خنازير،[4] وكانوا يعرفـــون أقـــارهم، ويبكـــون، ولا يتكلمـــون، والجمهور: على أنها ماتت بعد ثلاث،[5] وقيل: بقيت، وتناسلت ﴿وإذ تـــأذن ربك﴾ أي: أعلم أجرى مجرى فعل القسم، ولذا أجيب بما يجاب به القسم، وهو قوله: ﴿ليبعثن عليهم﴾ أي:كتب على نفسه ليسلطن على اليهود ﴿إلـــى يـــوم القيامة من يسومهم﴾ من يوليهم ﴿سوء العذاب﴾ فكانوا يـــؤدون الجزيـــة إلى المجوس، إلى أن بعث محمد-ﷺ - فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليـــهم، إلى آخر الدهر ﴿إن ربك لسريع العقاب﴾ للكفار ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ للمؤمنـــين ﴿وقطعناهم فى الأرض أمما﴾ وفرقناهم فيها، فلا يخلو بلد عن فرقـــة منـــهم ﴿منهم الصالحون﴾ الذين آمنوا منهم بالمدينة، أو الذين وراء الصين ﴿ومنـــهم

---

[1] هو البصرى وقد تقدمت ترجمته في ص ٨٦

[2] انظر السبعة ص ٢٩٦-٢٩٧؛ النشر ٢/٢٧٢-٢٧٣

[3] ساقطة من [ق].

[4] وهذه رواية عن قتادة -رحمه الله - زادالمسير ١/ ٩٥

[5] وهذا مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما. زاد المسير ١/ ٩٥

دون ذلك﴾ ومنهم ناس دون ذلك الوصف، منحطون عنه، وهم الفسقة، ومحل ﴿دون ذلك﴾الرفع، وهو صفة لموصوف محذوف،[1] أي: ومنهم ناس منحطـون عن الصلاح ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات﴾ بالنعم، والنقـــم، والخصـــب، والجدب،﴿لعلهم يرجعون﴾ يتنبهون فيتتابون ﴿فخلف من بعدهم﴾ من بعـــد المذكورين،﴿خلف﴾ وهم الذين كانو في زمن رسول الله-ﷺ -والخلف: بـدل السوء، بخلاف الخلف:فهو الصالح ﴿ورثوا الكتاب﴾ التوراة، ووقفوا على مـــا فيها من الأوامر، والنواهـــي، والتحليل،/ والتحريم، و لم يعملوا بها ﴿يـــأخذون ٢٠٣/ب عرض هذا الأدنى﴾ هو حال من الضمير في ﴿ورثـــوا﴾، والعـــرض: المتاع أي:حطام هذا الشيء الأدنى، يريد الدنيا، وما يتمتع به منها، وهو من الدنـــو، بمعنى: القرب، لأنه عاجل، قريب، والمراد: ماكانوا يأخذونـــه مـــن الرشـــا في الأحكام وعلى تحريف الكلم، وفي قوله: ﴿هـــذا الأدنى﴾ تخسـيس، وتحقـير ﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ لا يؤاخذنا الله بما أخذنا، والفعل مسند إلى الأخـــذ، أو إلى الجار، والمجرور،أى لنا:[2] ﴿وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ الواو للحـــال[3] أي: يرجون المغفرة، وهم مصرون، عائدون إلى مثل فعلهم، غير تائبين ﴿ألـــم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب﴾ أي: الميثاق المذكور في الكتاب ﴿أن لا يقولـــوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾أي: قد أخذ عليهم الميثاق في كتابهم، أن لايقولوا علـــى الله إلا الصدق، وهو عطف بيان،[4] لميثاق الكتاب ﴿وَدَرَسُوا ما فِيه﴾ وقرءوا ما في

---

(1) قال أبوجعفر: (ومنهم دون ذلك) منصوب على الظرف ولانعلم احدا رفعه، إعراب القرآن للنحاس ١٦٠/٢؛ وانظر الدرالمصون ٣٦٥/٣

(2) اعراب القرآن للعكبري ٢٨٨/١؛ الدرالمصون ٣٦٦/٣-٣٦٧

(3) اعراب القرآن للعكبري ٢٨٨/١؛ الدرالمصون ٣٦٦/٣-٣٦٧

(4) وقيل: إن محله رفع على البدل من (ميثاق) لأن قول الحق هو: ميثاق الكتاب، وقيل: إنه منصوب على المفعول من أجله، وقيل: إن (إن) مفسرة لميثاق الكتاب، لأنه بمعنى القول، ولا ناهية، ومابعدها مجزومة بها.... الدرالمصون ٣٦٧/٣

الكتاب، وهو عطف على ﴿ألم يؤخذ عليهم﴾لأنه تقرير، فكأنه قيـــل: أخـــذ عليهم ميثاق الكتاب، ودرسوا ما فيه ﴿والدار الآخرة خير﴾ من ذلك العـــرض الخسيس ﴿للذين يتقون﴾ الرشا، والمحارم ﴿أفلا يعقلون﴾ أنه كذلك، وبالتـــاء مدني، وحفص[(١)].

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾﴿١٧٤﴾.

﴿والذين يمسكون بالكتاب﴾ -يمسكون- أبوبكر، والإمســـاك والتمسيك والتمسك: الاعتصام والتعلق بالشيء، ﴿وأقاموا الصلاة﴾ خص الصلاة مـــع أن التمسك بالكتاب يشتمل: على كل عبادة، لأنها عماد الدين، ﴿والذين﴾ مبتدأ، والخبر ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾ أي:إنا لا نضيع أجرهم، وجاز أن يكون مجرورا، عطفا على ﴿الذين يتقون﴾و﴿إنا لا نضيع﴾اعتراض[(٢)] ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم﴾ واذكر إذ قلعناه، ورفعناه، كقوله: ﴿ورفعنا فوقهم الطور﴾[(٣)]﴿كأنـــه ظلة﴾ هي:كل ما أظلك من سقيفة، أو سحاب ﴿وظنوا أنه واقع بهم﴾ وعلموا

---

(١) وقرأ بالياء في هذا الموضع وبعض المواضع ابن كثير وأبوعمرو وحمزة والكسائي .... انظر السبعة ٢٥٦؛ النشر ٢/٢٥٧

(٢) انظر اعراب القرآن للنحاس ٢/١٦٠-١٦١؛ اعراب القرآن للعكبري ١/٢٨٨؛ الدرالمصون ٣/٣٦٧-٣٦٨

(٣) سورة النساء رقم الآية [١٥٤].

أنه ساقط عليهم، وذلك أهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها، أوثقلها، فرفع الله الطور على رءوسهم، مقدار عسكرهم، وكان فرسخا في فرسخ، وقيل لهم: إن قبلتموها بما فيها، وإلا ليقعن عليكم، فلما نظروا إلى الجبل،خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر، وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه، فلذلك لا ترى يهوديا يسجد على حاجبه الأيسر، ويقولون: هي السجدة التي رفعت عنابها العقوبة، وقلنالهم: ﴿خذوا ما أتيناكم﴾ من الكتاب ﴿بقوة﴾ وعزم على احتمال مشاقه، وتكاليفه، ﴿واذكروا ما فيه﴾ من الأوامر، والنواهي، ولا تنسوه ﴿لعلكم تتقون﴾ ما أنتم عليه ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾ أي: واذكر إذا أخذ ﴿من ظهورهم﴾ بدل من بني آدم،[1] والتقدير: وإذ

٢٠٤/أ أخذ ربك من ظهور بني / آدم ﴿ذريتهم﴾ ومعنى: أخذ ذرياقم من ظهورهم، إخراجهم من أصلاب آبائهم ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا﴾ هذا من باب التمثيل، ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته، ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم، وجعلها مميزة بين الهدى، والضلالة، فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم، وقال لهم: ﴿ألست بربكم﴾وكأنهم قالوا:بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا، وأقررنا بوحدانيتك ﴿أن تقولوا﴾ مفعول له،[2] أي: فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول،كراهة أن يقولوا ﴿يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ لم ننبه عليه ﴿أو تقولوا﴾ أو كراهة أن يقولوا ﴿إنما أشرك ءاباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم﴾ فاقتدينا بهم، لأن نصب الأدلة على التوحيد،وما نبهوا عليه، قائم معهم، فلا عذر لهم في الإعراض عنه، والاقتداء بالآباء،كما لا عذر لآبائهم في الشرك، وأدلة التوحيد: منصوبة لهم،﴿أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ أي:كانوا

---

[1] إعراب القرآن للنحاس ٢/١٦١ ومابعدها؛ إعراب القرآن للعكبري ١/٢٨٩

[2] إعراب القرآن للنحاس ٢/١٦١ ومابعدها؛ إعراب القرآن للعكبري ١/٢٨٩

السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك، وتركه سنة لنا ﴿وَكَذلك﴾ ومثل ذلـــك التفصيل البليغ ﴿نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ لهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن شركهم،نفصّلـها إلى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير، وذهب جمهور المفسـرين إلى أن الله — تعالى- أخرج ذرية آدم من ظهرآدم، مثل الذر، وأخذ عليهم الميثاق، أنه ربهـم بقوله: ﴿ألست بربكم﴾فأجابوه ﴿بلى﴾ قالوا: وهي الفطرة التي فطر الله النـاس عليها، وقال ابن عباس —رضي الله عنهما:- أخرج الله من ظهر آدم ذريته واراه إياهم كهيئة الذر،[1] [وأعطاهم العقل وقال: هؤلاء ولدك،آخذ عليهم الميثاق، أن يعبدوني][2] قيل:كان ذلك قبل دخول الجنة، بين مكة، والطائف، وقيل: بعـد النـزول من الجنة، وقيل: في الجنة، والحجة للأولين: أنه قال من بني آدم مـن ظهورهم، و لم يقل من ظهر آدم، لأنا لا نتذكرذلـك، فـأنى يصـير حجـة. ﴿ذرياتهم﴾ مدني، وبصري، وشامي، ﴿أن تقولوا﴾ أو —تقولوا- أبو عمرو[3].

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا

---

(1) ذكر نحوه ابن جرير الطبري في تفسيره ٢٢٢/١٣ ومابعدها، تفسير ابن عطية ١٣٤/٦ ومابعدها، وانظر التعليق على هامش هذه الصفحات من تفسير ابن عطية؛ والدرالمنثور ٥٩٨/٣ ومابعدها.

(2) هذه الزيادة في الأثر لم أجدها في الروايات لكن ذكر معناه الامام ابن القيم في زادالمسير ٢٨٦/٣

(3) قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي (ذريتهم) بالافراد، وقرأ غيرهم بالجمع (ذرياتهم) وقرأ أبوعمر وحـده (أن يقولوا) أو (يقولوا) بالياء جميعا وقرأ الباقون بالتاء جميعا، السبعة ٢٩٧-٢٩٨؛ النشر ٢٧٢/٢

لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾(١٧٩).

﴿واتل عليهم﴾ على اليهود ﴿نبأ الذي أتيناه أياتنا﴾ هو عالم من علماء بني إسرائيل، وقيل:هو بلعم بن باعوراء، أوتي علم بعض كتب الله ﴿فانسلخ منها﴾ فخرج من الآيات، بأن كفر بها، ونبذها وراء ظهره ﴿فأتبعه الشيطان﴾ فلحقه الشيطان، وأدركه وصار قرينا له ﴿فكان من الغاوين﴾ فصار من الضالين، الكافرين، روى أن قومه طلبوا إليه، أن يدعو على موسى، ومن معه فأبى، فلم
٢٠٤/ب يزالوا به حتى فعل، وكان عنده / اسم الله الأعظم[1]﴿ولو شئنا لرفعناه﴾ إلى منازل الأبرار من العلماء، ﴿بها﴾ بتلك الآيات ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ مال إلى الدنيا، ورغب فيها ﴿واتبع هواه﴾ في إيثار الدنيا، ولذاتها، على الآخرة، ونعيمها ﴿فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه﴾ أي: تزجره، وتطرده ﴿يلهث أو تتركه﴾ غير مطرود ﴿يلهث﴾ والمعنى: فصفته التي هي مثل في الخسة، والضعة،كصفة الكلب في أخس أحواله، وأذلها، وهي حال دوام اللهث به، سواء حمل عليه، أي: شد عليه، وهيج، فطرد، أو:ترك غير متعرض له بالحمل عليه، وذلك أن سائر الحيوان، لا يكون منه اللهث، إلا إذا حرك، أما الكلب فيلهث في الحالين، وكان مقتضى الكلام، أن يقال: ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه، ووضعنا منزلته، فوضع هذا التمثيل، موضع فحططناه، أبلغ حط، ومحل الجملة الشرطية: النصب على الحال،كأنه قيل:كمثل الكلب ذليلا، دائم الذلة، لاهثا في الحالين، وقيل: لما دعا بلعم، على موسى، خرج لسانه فوقع على

---

[1] انظر ذلك في تفسير الطبري ٢٥٣/١٣ ومابعدها؛ تفسير البغوي ٥٦٨/٢ ومابعدها.

صدره، وجعل يلهث،كما يلهث الكلب، وقيل: معناه هو ضـــال، وعـــظ، أو ترك، وعن عطاء[1]: من علم و لم يعمل فهو كالكلب ينبح، طرد، أو تـــرك[2] ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بأياتنا﴾ من اليهود، بعد ماقرؤا نعت رسول الله-ﷺ - في التوراة، وذكر القرآن المعجز، وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثـــه ﴿فاقصص القصص﴾ أي: قصص بلعم، الذي هو نحـــو قصصـــهم ﴿لعلـــهم يتفكرون﴾ فيحذرون مثل عاقبته، إذا ساروا نحو سيرته ﴿سآء مثلا القوم الذيـــن كذبوا بأياتنا﴾ أي: مثل القوم، فحذف المضاف، وفاعل ﴿ساء﴾ مضمـــر، أي: ساء المثل مثلا، وانتصاب ﴿مثلا﴾ على التمييز[3] ﴿وأنفسهم كانوا يظلمـــون﴾ معطوف على ﴿كذبوا﴾ فيدخل في حيز الصلة، أي: الذين جمعوا بين التكذيـــب بآيـــات الله، [وظلم][4]أنفسهم، أو منقطع عن الصلة، أي: ومـــا ظلمـــوا إلا أنفسهم بالتكذيب، وتقديم المفعول به، للاختصاص، أي: وخصـــوا أنفســـهم بالظلم، لم يتعد إلى غيرها ﴿من يهد الله فهو المهتدى﴾ حمل على اللفظ ﴿ومـــن يضلل﴾ أي: ومن يضلله ﴿فأ ولئك هم الخاسرون﴾ [حمل على المعنى،][5] ولـــو كان الهدى من الله: البيان،كما قالت المعتزلة، لاستوى الكـــافر، والمؤمـــن، إذ البيان ثابت في حق الفريقين، فدل أنه من الله -تعالى- التوفيـــق، والعصمـــة، والمعونة، ولو كان ذلك للكافر، لاهتدى كما اهتدى المؤمن،[6] ﴿ولقد ذرأنـــا لجهنم كثيرا من الجن والإنس﴾ هم الكفار من الفريقين، المعرضون عن تدبـــر

---

(1) سبقت ترجمته ص٦٩

(2) لم أجده في مصدر آخر.

(3) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/١٦٤؛ اعراب القرآن للعكبري ١/٢٨٩ ؛ الدرالمصون ٣/٣٧٣-٣٧٤

(4) في [ز] وظلمهم.

(5) من [ز و ق] وساقطة من الأصل.

(6) وقد سبق التعليق على مثل هذا ص٢١٦وفي ظاهر الآية رد على القدرية والمعتزلة.

آيات الله، والله – تعالى- علم منهم اختيار الكفر،فشاء منهم الكفر،[1]وخلـــق فيهم ذلك، وجعل مصيرهم جهنم / لذلك، ولا تنافي بين هذا، وبـــين قولـــه: ١/٢٠٥ ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ لأنه إنما خلق منهم للعبادة من علم، أنه يعبده، وأما من علم أنه يكفر به، فإنما خلقه لما علم أنه يكون منه، فالحاصل: أن من علم منه في الأزل، أنه يكون منه العبادة، خلقه للعبادة، ومن علم منـــــه أن يكون منه الكفر،خلقه لذلك، وكم من عام يراد به الخصوص، وقول المعتزلـــة: بأن هذه لام العاقبة أي: لما كان عاقبتهم جهنم، جعل كأنهم خلقوا لها، فـــرارا عن إرادة المعاصي، عدول عن الظاهر ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ الحـــق، ولا يتفكرون فيه ﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ الرشد ﴿ولـــهم آذان لا يســـمعون بها﴾ الوعظ ﴿أولئك كالأنعام﴾ في عدم الفقه، والنظر للاعتبار، والاســـتماع للتفكر ﴿بل هم أضل﴾ [من الأنعام، لأنهم كابروا العقول، وعاندوا الرســـول، وارتكبوا الفضول، فالأنعام تطلب منافعها، وتهرب عن مضارها،][2][وهـــم لا يعلمون مضارهم،][3]حيث [اختاروا][4]النار، وكيف يستوى المكلف المـــأمور، والمخلى المعذور، فالآدمي: روحاني، شهواني، سماوي، أرضي:فإن غلب روحـــه هواه، فاق ملائكة السماوات، وإن غلب هواه روحـــه، فاقتـــه بهـــائم الأرض ﴿أولئك هم الغافلون﴾ الكاملون في الغفلة.

---

[1] فالمشيئة هنا مشيئة كونية قدرية كما تقدم ص ٢٦٦ - ٢٧ .

[2] مابين المعقوفتين ساقط من [ق].

[3] ساقطة من [ز].

[4] في [ز و ق] حيث يختاروا.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ
سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٨٠) وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ
يَعْدِلُونَ (١٨١) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢)
وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ (١٨٣) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١٨٤) أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن
شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ (١٨٥)﴾.

﴿ولله الأسمآء الحسنى﴾ التي هي أحسن الأسماء، لأنها تدل على معان حسنة، فمنها: مايستحقه بحقائقه، كالقديم قبل كل شيء، والباقي بعد كل شيء، والقادر على كل شيء، والعالم بكل شيء، والواحد الذي ليس كمثله شيء، ومنها: ما تستحسنه الأنفس لآثارها، كالغفور، والرحيم، والشكور، والحليم، ومنه ما يوجب التخلق به، كالمتفضل والعفو، ومنها: مايوجب مراقبة الأحوال، كالسميع، والبصير، والمقتدر، ومنها: مايوجب الإجلال، كالعظيم، والجبار، والمتكبر، ﴿فادعوه بها﴾ فسموه بتلك الأسماء ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق، والصواب فيها، فيسمونه بغير الأسماء الحسنى، وذلك أن يسموه بمالايجوز عليه، نحو: أن يقولوا: يا سخى، يارفيق، لأنه لم يسم نفسه بذلك، ومن الإلحاد: تسميته بالجسم، والجوهر، والعقل، والعلة - يَلحدون - حمزة - لحد وألحد مال[1] ﴿سَيُجْزَوْنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ﴾ للجنة، لأنه في مقابلة، ﴿ولقد ذرأنا لجهنم﴾ ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في أحكامهم، قيل: هم العلماء، والدعاة إلى الدين، وفيه [دلالة][2] على إن إجماع كل عصر حجة ﴿وَالذِينَ كَذَّبُوا بِأَيَاتِنَا

---

[1] انظر السبعة ص ٢٩٨؛ النشر ٢/٢٧٣

[2] في [ز] دليل.

سنستدرجهم﴾ سنستدنيهم قليلا، قليلا، إلى ما يهلكـــــهم ﴿مـــن حيـــث لا يعلمون/﴾ مايراد بهم، وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم، مع انهماكهم في الغـــي، ٢٠٥/ب
فكلما جدد الله عليهم نعمة، ازدادوا بطرا، وجددوا معصيـــــة، فيتدرجـــون في المعاصي، بسبب ترادف النعم، ظانين أن مواترة النعم أثرة مـــن الله —تعـــالى— وتقريب، وإنما هو خذلان منه، وتبعيد، وهو استفعال مـــن الدرجـــة، بمعـــنى: الاستصعاد، أو الاســـتنـــزال، درجة، بعد درجة ﴿وأملى لهم﴾ عطف علـــى سنستدرجهم، أي: أمهلهم ﴿إن كيدى متين﴾ أخذي شديد، سماه كيدا لأنـــه شبيه بالكيد، من حيث أنه في الظاهر إحسان، وفي الحقيقة: خذلان، ولما نســبوا النبي- ﷺ -إلى الجنون نزل ﴿أولم يتفكروا ما بصاحبـــهم﴾ محمـــد — عليـــه السلام-﴿وما﴾ نافية بعد وقف، أي: أو لم يتفكروا في قولهـــم، ثم نفـــي عنـــه الجنون، بقوله: ﴿مابصاحبهم﴾ ﴿من جنة﴾ [جنون][1] ﴿إن هو إلا نذير مبين﴾ منذر من الله موضح إنذاره ﴿أو لم ينظروا﴾ نظر اســـتدلال ﴿فـــى ملكـــوت السموت والأرض﴾ الملكوت:الملك العظيم، ﴿وما خلق الله من شيء﴾ وفيمـــا خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء، من أجناس، لا يحصرها العدد ﴿وأن عســـى﴾ أن مخففة من الثقيلة، [والأصل][2] وأنه عسى، والضمير: ضمير الشأن، وهـــو في موضع الجر،بالعطف على ملكـــوت، والمعـــنى: أو لم ينظـــروا في أن الشـــأن: والحديث: عسى[3]﴿أن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ ولعلهم يموتون عما قريـــب، فيسارعوا إلى النظر، وطلب الحق، وما ينجيهم، قبل مفاجأة الأجل، وحلـــول العقاب،﴿فَبِـــأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَهُ﴾ بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به، وهـــو متعلق بـــ﴿عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾كأنه قيل: لعل أجلهم قد اقترب،

---

[1] في [ز] من جنون.

[2] في [ق و ز] وأصله.

[3] انظر إعراب القرآن للنحاس ١٦٥/٢؛ إعراب القرآن للعكبري ٢٨٩/١؛ الدرالمصون ٣٧٨/٣

فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن قبل الفوت، وماذا ينتظرون بعـــد وضـــوح الحق، وبأي حديث أحق منه، يريدون أن يؤمنوا.

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ(١٨٦)
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا
لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ
كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ(١٨٧) قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ
أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ
وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(١٨٨) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا
زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ
أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾(١٨٩).

﴿من يضلل الله فلا هادى له﴾ أي: يضلله الله ﴿ويذرهـــم﴾ باليـــاء عراقـــي، وبالجزم: حمزة، وعلى، عطفا علي محل ﴿فلا هادي له﴾كأنه قيل: من يضـــلل الله [لا][1]يهده أجد، ويذرهم، والرفع على الاستئناف، أي: وهـــو يذرهـــم. الباقون بالنون[2]﴿فى طغيانهم﴾ كفرهم ﴿يعمهون﴾ يتحيرون، ولمـــا ســـألت اليهود، أو قريش عن الساعة، متى تكون ؟ نزل﴿يسألونك عن الساعة﴾[3] وهي من الأسماء الغالبة، كالنجم للثريا،وسميت القيامة: بالساعة لوقوعـــها بغتـــة، أو

---

[1] في [ز] فلا.

[2] (يذرهم) بالياء مع الجزم: حمزة والكسائي، والآخرون بالنون والرفع. السبعة ص ٢٩٨؛ النشر ٢٧٣/٢

[3] قال ابن عباس – رضي الله عنهما – قال جبل بن أبي قشير، وشموال بن زيد – وهما من اليهود: يامحمد أخبرنا عن الساعة إن كنت نبيا، فإنا نعلم متى هي، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال قتادة: قالت قريش يامحمد: إن بيننـــا وبينك قرابة فأسر إلينا متى تكون الساعة ؟ فأنزل الله تعالى: (يسألونك عن الســـاعة ...)أسبـــاب النـــزول للواحدي ص ٢٣١؛ وانظر تفسير الطبري ٢٩١/١٣ ومابعدها.

لسرعة حسابها، أو لأنها عند الله على طولها،كساعة من الساعات عند الخلــق ﴿أيان﴾ متى، واشتقاقه من أي: فعلان منه، لأن معناه أي وقت ﴿مرســاها﴾ إرساؤها: مصدر مثل المدخل،بمعنى: الإدخال، أو وقت إرسائها،[1] أي: إثباتها والمعنى:/ متى يرسيها الله ﴿قل إنما علمها عند ربى﴾ أي: علم وقت إرســائها ٢٠٦/أ
عنده، قد استأثر به،لم يخبر به أحدا من ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ليكــون ذلك أدعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية، كما أخفى الأجل الخاص، وهــو وقت الموت،لذلك ﴿لا يجليها لوقتهآ إلا هو﴾ لا يظهر أمرها، ولايكشف خفاء علمها، إلا هو وحده ﴿ثقلت فى السموت والأرض﴾ أي:كل من أهلها، مــن الملائكة، والثقلين أهمه شأن الساعة، ويتمنى أن يتجلى له علمها، وشـق عليـه خفاؤها، وثقل عليه، أو ثقلت فيها، لأن أهلها يخافون شدائدها، وأهوالهـا،﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ فجأة على غفلة منكم ﴿يسألونك كأنك حفى عنها﴾ كـأنك عالم بها، وحقيقته:كأنك بليغ في السؤال عنها، لأن من بالغ في المســئلة عــن الشيء، والتنقير عنه، استحكم علمه فيه، وأصل هذا التركيب:المبالغــة، ومنــه إحفاء الشارب، أو عنها متعلق بــ﴿يسئلونك﴾أي: يسئلونك عنــها كـأنك حفي، أي: عالم بها ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ وكرر ﴿يسئلونك﴾وإنما علمــها عند الله، للتأكيد، وللزيادة ﴿كأنك حفي عنها﴾وعلى هذا تكرير العلمــاء في كتبهم، لايخلون المكرر من فائدة، منهم: محـــمـــد بن الحســـن –رحمــه الله–[2]﴿ولــكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنه المختص بالعلم بها ﴿قل لآ أملـك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شآء الله﴾ هو إظهار للعبودية، وبراءة عما يختــص بالربوبية، من علم الغيب، أي: أنا عبد ضعيف، لا أملك لنفسي [اجتــلاب][3]

(1) انظر إعراب القرآن للعكبري ١/٢٩٠؛ الدرالمصون ٣/٢٧٩-٢٨٠

(2) ابن فرقد الشيباني وقد تقدم ص:١٢١ .

(3) في [ق] استجلاب.

نفع، ولا دفع ضرر،[كالمماليك][1]إلا ما شاء مالكي من النفع لي، والدفع عـــني
﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء﴾ أي: لكـــانت
حالي على خلاف ما هي عليه، مـــن اســـتكثار الخـــير، واجتنـــاب الســـوء،
والمضار،حتى لا يمسني شيء منها، و لم أكن غالبا مـــرة، ومغلوبـــا أخـــرى في
الحروب، وقيل: الغيب الأجل، والخير: العمـــل، والســـوء: الوجـــل، وقيـــل:
لاستكثرت:لاعددت من الخصب للجدب، والسوء: الفقر وقد رد ﴿إن أنـــا إلا
نذير وبشير﴾ إن أنا إلا عبد أرسلت نذيرا، وبشيرا، وما من شـــأني أن أعلـــم
الغيب، واللام في ﴿لقوم يؤمنون﴾ يتعلق بـــــالنذير، والبشـــير، لأن النـــذارة،
والبشارة، إنما تنفعان فيهم، أو: بالبشير وحده، والمتعلق: بالنذير: محـــذوف[2]
أي: إلا نذير للكافرين، وبشير لقوم يؤمنون،﴿هو الذي خلقكم مـــــن نفـــس
واحدة﴾ هي نفس آدم –عليه السلام-﴿وجعل منها زوجها﴾ حواء خلقها مـــن
جسد آدم، من ضلع من أضلاعه ﴿ليسكن إليها﴾ ليطمئن إليها، ويميـــل،/ لأن ٢٠٦/ب
الجنس إلى الجنس أميل، خصوصا إذا كان بعضا منه،كما يسكن الإنســـــان إلى
ولده، ويحبه محبة نفسه، لكونه بضعة منه،وذكر ﴿ليسكن﴾بعد ما أنث، في قوله:
﴿واحدة﴾ منها زوجها، ذهابا إلى معنى النفس، ليبين أن المراد بها:آدم ﴿فلمـــا
تغشاها﴾ جامعها ﴿حملت حملا خفيفا﴾ خف عليها، و لم تلق منه ما تلقـــي
بعض الحبالي، من حملهن من الكرب، والأذى، و لم تستثقله كمـــا يســـتثقلنه
﴿فمرت به﴾ فمضت به إلى وقت ميلاده، من غير إخداج، ولا إذلاق، أوحملت
حملا خفيفا، يعني: النطفة، فمرت به: فقامت به، وقعدت ﴿فلما أثقلت﴾ حـــان
وقت ثقل حملها ﴿دعوا الله ربهما﴾ دعا آدم، وحواء ربهما، ومالك أمرهمـــا،
الذي هو الحقيق بأن يدعى، ويلتجأ إليه فقالا: ﴿لئن أتيتنا صالحا﴾ لئن وهبـــت

---

[1] في الأصل: كما المماليك وفي [ز] كما كالمماليك.

[2] اعراب القرآن للعكبري ٢٩٠/١ ؛ الدرالمصون ٣٨١/٣

لنا ولدا سويا قد صلح بدنه، أو ولدا ذكرا لأن الذكـــورة مـــن الصـــلاح[1] ﴿لنكونن من الشكرين﴾ لك، والضمير في ﴿آتيتنا﴾ ﴿ولنكونن﴾ لهما ولكـــل من يتناسل من ذريتهما.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ(١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ(١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ(١٩٢) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ(١٩٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ(١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ(١٩٥) إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ(١٩٦) وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ(١٩٧) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ(١٩٨) خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(١٩٩).

---

[1] قال الامام الطبري – يرحمه الله -: (..... والصلاح قد يشمل معان كثيرة: منها (الصلاح في استواء الخلـق، ومنها الصلاح في الدين، ومنها: الصلاح في العقل والتدبير، وإذا كان ذلك كذلك، ولا خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم – يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معانى الصلاح، دون بعض، ولافيه من العقل دليل، وجـــب أن يعم كما عمه الله فيقال: إنهما قالا: (لئن أتيتنا صالحا) بجميع معاني الصلاح، تفسير الطبري ٣٠٨/١٣، واكـــثر المفسرين على أنه ولدا سويا.

قلت: أما قوله: ولدا ذكرا لأن الذكورة من الصلاح فهذا غير مسلم به على إطلاقه لأنه قد يكون ذكرا غير صالح، كما قال تعالى عن ابن نوح عليه السلام – مع أن الرغبة غالبا تكون بحصول الولد الذكر، وقد تكون انثى وفيـها من الصلاح ماليس في الولد الذكر. والله أعلم.

﴿فلما أتاهما صالحا﴾ أعطاهما ماطلباه، من الولد الصالح السوى ﴿جعلا لـه شركآء﴾ أي: جعل أولادهما له شركاء، على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه،[1] وكذلك ﴿فيما أتاهما﴾ أي:آتى أولادهما، دليله ﴿فتعلى الله عما يشركون﴾ حيث جمع الضمير، وآدم، وحواء بريئان من الشرك، ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله: تسميتهم أولادهم بعبد العزى، وعبد مناف، وعبد شمس، ونحو ذلك، مكان عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الرحيم، أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله -ﷺ- وهم آل قصى، أي: هو الذي خلقكم من نفس قصى، وجعل من جنسها زوجها، عربية قرشية، ليسكن إليها، ﴿فلما آتاهما﴾[ما طلبا][2] من الولد الصالح السوى، ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف، وعبد العزى، وعبد قصى، وعبد الدار، والضمير في: ﴿أيشركون﴾ لهما، ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك، -شركا-مدني، وأبوبكر،[3]أي: ذوي شرك، وهم الشركاء ﴿أَيُشْرِكُونَ مَالا يَخْلُقُ شَيْئاً﴾ يعني: الأصنام ﴿وَهُمْ يُخْلَقُون﴾ أجريت الأصنام مجرى أولى العلم، بناء على اعتقادهم فيها، وتسميتهم إياها [آلهة][4]والمعنى: أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء، [وهم يخلقون لأن الله خالقهم، أو الضمير في ﴿وهم يخلقون﴾للعابدين، أي: أيشركون ما لا يخلق شيئاً][5] وهم مخلوقوا الله، فليعبدوا خالقهم، أو للعابدين، والمعبودين، وجمعهم:كأولى العلم تغليباً / ٢٠٧/أ
للعابدين ﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُم﴾ لعبدهم ﴿نَصْراً ولاأنفسِهم ينصُرون﴾ فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث، كالكسر، وغيره، بل عبدهم هم الذين يدفعون

---

[1] انظر اعراب القرآن للعكبري ١/ ٢٩٠؛ الدرالمصون ٣/٣٨٣

[2] في الأصل: فما طلب ولعل الصواب ماأثبت.

[3] قرأ نافع وعاصم في رواية (شركا) مكسورة الشين على المصدر لا على الجمع. السبعة ٢٩٩؛ النشر ٢:٢٧٣

[4] في الأصل: إلها.

[5] ساقطة من [ق].

عنهم ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ وإن تدعوا هذه الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ إلى ما هو هدى، ورشاد، أو إلى أن يهدوكم، أي: وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخـــير، والهدى ﴿لا يَتَّبِعُوكُم﴾ إلى مرادكم، وطلبتكم،ولا يجيبوكم كما يجيبكــم الله، ﴿ولا يتبعوكم﴾ نافع[1]﴿سواءٌ عَلَيْكُم أَدَعَوْتُمُوهُم أَمْ أَنتُم صَـــامِتُونَ﴾ عـــن دعائهم، في أنه لا فلاح معهم، ولا يجيبونكم، والعدول عن الجملة الفعليـــة إلى الاسمية، لرءوس الآي ﴿إِنَّ الذيـــن تدعُـــونَ مِـــن دُونِ اللهِ﴾ أي: تعبدونهـــم، وتسمونهم آلهة ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أي: مخلوقون مملوكون أمثالكم،﴿فَـــادْعوهُمْ﴾ لجلب نفع، أو دفع ضر ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ فليجيبوا ﴿إن كُنتُم صَدِقِـــينَ﴾ في أنهم آلهة،ثم أبطل أن يكونوا عباداً أمثالهم فقال ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُـــونَ بِـــهَا﴾ مشيكم ﴿أم لهم أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها﴾ يتناولون بها ﴿أم لهم أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بها أم لهم ءَاذانٌ يَسمَعُونَ بِهَا﴾ أي: فلم تعبدون ما هو دونكم ﴿قُل ادْعُو شُـــرُكَآءَكُمْ﴾ واستعينوا بهم في عداوتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ جميعا أنتم وشركاؤكم، وبالياء يعقوب، وافقه أبو عمرو في الوصل ﴿فَلا تُنظِرُونِ﴾ فإني، لا أبالي بكم، وكـــانوا قـــد خوفوه آلهتهم، فأمر أن يخاطبهم بذلك، وبالياء يعقوب[2] ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ﴾ نـــاصري عليكم ﴿اللهُ الذي نَزَّلَ الْكِتابَ﴾ أوحى إليّ، وأعزني برسالته ﴿وهُـــوَ يَتوَلَّـــى الصَالِحِينَ﴾ ومن سنته أن ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم ﴿والذينَ تَدعُونَ من دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿لا يَستَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ ولآ أَنفُســـهُم ينصُرُون وَإِن تَدْعُوهُم إلى الْهُدَى لا يَسْمَعُوا وتَراهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيكَ﴾ يشبهون الناظرين إليـــك لأنهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب، حدقته إلى الشيء ينظر إليه ﴿وَهُـــمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ المرئي ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ هو ضد الجهد، أي: ما عفا لك مـــن أخـــلاق

---

[1] (لا يتبعوكم) ساكنة التاء وبفتح الباء، نافع وحده، والباقون: بتشديد التاء. السبعة ٢٩٩؛ النشــر ٢/٢٧٣-٢٧٤

[2] قرأها بعضهم بالياء، وبعضهم بالنون المكسورة. انظر السبعة ص ٢٩٩-٣٠٠؛ النشر ٢/٢٧٥

الناس، وأفعالهم ولا تطلب منهم الجهد، وما يشق عليهم، حتى لا ينفروا كقوله —عليه السلام-: (يسروا ولا تعسروا)[1] ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروف، والجميل من الأفعال، أو هو كل خصلةٍ يرتضيها العقل، ويقبلها الشرع،﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم، ولا تمارهم، وأحلم عليهم، وفسرها جبريل —عليه السلام- بقوله:«صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعف عمن ظلمك»،[2] وعن الصادق[3]:أمر الله نبيه — عليه السلام - بمكارم الأخلاق وليس

٢٠٧/ب في القرآن / آية أجمع لمكارم الأخلاق منها[4].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾(٢٠٦).

---

(1) اخرجه الامام أحمد في مسنده ٢٥/٦، كما اخرج نحوه الامام البخاري في كتاب المغازي ٢٨١/٥ باب: بعث أبي موسى ومعاذٍ إلى اليمن؛ وكتاب الأحكام ٧١٣/٩-٧١٤ باب: أمر الوالي إذا وجه اميرين... بلفظ: (يسرا ولا تعسرا، بشرا ولا تنفرا ...).

(2) ذكره الامام الطبري في تفسيره ٣٣٠/١٣ المحقق، مرسلا، وحكاه الامام السيوطي في الدر ٦٢٨/٣ وعزاه لابن مردويه عن جابر، وانظر تفسير البغوي ٥٨٦/٢

(3) تقدمت ترجمته ص٦٩

(4) ذكره أبوالسعود في تفسيره ٣٣٦/٢، وانظر روح المعاني ١٤٧/٩

﴿وَإِمَّا يَنـــزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ وإما ينخسنك منه نخس، أي: بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به ﴿فَاسْتَعِذْ بِــالله﴾ ولا تطعــه، والنـــزغ: النخس كأنه ينخس الناس، حين يغريهم على المعـــاصي، وجعـل النـــزغ [نازغاً][1] كما قيل: جد جده، أو أريد بترغ الشيطان، اعـــتراء الغضـــب،[2] كقول أبي بكر –رضي الله عنه- إن لي شيطاناً يعتريني[3] ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لنـــزغه ﴿عَلِيمٌ﴾ بدفعه ﴿إِنَّ الذين اتَّقَوا إِذا مَسَّهم طَـيِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ طيْف، مكي، وبصري، وعلي،[4] أي: لمة منه مصدر من قولهم: طاف به الخيال، يطيف طيفا، وعن أبي عمرو:[5] هما واحد، وهي الوسوسة، وهذا تأكيد لما تقدم من وجـوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان، وأن عادة المتقين إذا أصابهم أدنى نـزغ مـن الشيطان، وإلمام بوسوسته ﴿تَذَكَّرُوا﴾ ماأمر الله بــه، وهـى عنــه ﴿فَـإِذاهُم مُّبْصِرُونَ﴾ فأبصروا السداد، ودفعوا وسوسته،وحقيقته: أن يفروا منــه إلى الله، فيزدادوا بصيرة من الله بالله ﴿وَإِخْوَنُهُم﴾ وأما إخوان الشياطين مــن شـياطين الإنس فإن الشياطين ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى الْغَىِّ﴾ أي: يكونون مــددا لهـم فيــه، ويعضدوهم يمدوهم، من الإمداد، مدني،[6]﴿ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ ثم لا يمسكون عن إغوائهم، حتى يصروا، ولا يرجعوا، وجاز أن يراد بالإخوان:الشياطين، ويرجــع الضمير المتعلق به، إلى الجاهلين، والأول أوجه،لأن إخواهم في مقابلة ﴿الذيـــن

---

[1] ساقطة من [ز].

[2] انظر القاموس المحيط مادة: نزغ.

[3] وتكملة الأثر (فإذا غضبت فاجتنبوني أن أوثر في اشعاركم وأبشاركم .... ذكره الامام الزيلعـي في تخريـج أحاديث الكشاف ٤٨١/١-٤٨٢ وعزاه لاسحاق بن راهوية وابن سعد.

[4] قرأ ابن كثير وأبوعمرو والكسائي بغير ألف (طيف) وقرأها غيرهم بألف وهمز (طائف) السبعة ٣٠١؛ النشـر ٢٧٥/٢

[5] هو: ابن العلاء بن عمار بن العريان المازني، النحوي، القارىء، إسمه: زبان أو العريان، أو يحيى، أو قزء والأول أشهر، ثقة من علماء العربية، من الخامسة، مات سنة ٥٤هـــ وهو ابن ست وثمانين سنة. التقريب ٦٦٠ ترجمـة رقم [٨٢٧١].

[6] (يمدوهم) بضم الياء وكسر الميم نافع وحده. السبعة ٣٠١؛ النشر ٢٧٥/٢

اتقوا﴾وإنما جمع الضمير في إخوانهم، والشيطان مفرد،لأن المراد به الجنس ﴿وَإِذا لَمْ تَأْتِهِم بأيَةٍ﴾ مقترحة ﴿قَالُوا لَولا اجْتَبَيْتَهَا﴾ هلا اخترتها، أي: اختلقتها،كما اختلقت ماقبلها ﴿قُلْ إِنَّما اتَّبِعُ ما يُوحَى إِلَيَّ مِن ربِّى﴾ ولست بمقترح لها ﴿هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هذا القرآن دلائل تبصركم، [وجوه][1] الحق ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَومٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُم تُرْحَمُونَ﴾ ظاهره: وجوب الاستماع، والإنصات وقت قراءة القرآن في الصلاة، وغيرها، وقيل معناه: إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله، فاستمعوا له، وجمهور الصحابة -رضي الله عنهم- على أنه في استماع المؤتم، وقيل: في استماع الخطبة، وقيل: فيهما وهو الأصح[2]﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ هو عام في الأذكار من قراءة القرآن، والدعاء، والتسبيح، والتهليل، وغير ذلك ﴿تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ متضرعا وخائفاً ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَولِ﴾ ومتكلما كلاما دون الجهر، لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص، وأقرب إلى حسن التفكر ﴿بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ لفضل هذين الوقتين وقيل المراد: إدامة الذكر باستقامة الفكر، ومعنى بالغدو: بأوقات الغدو، وهي [الغدوات،][3] والآصال: جمع أُصُل، والأصل جمع أصيل، وهو العشيء[4] ﴿ولا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ من الذين يغفلون عن ذكر الله،ويلهون عنه ﴿إِنَّ الذين عِندَ ربِّكَ﴾ مكانة، ومنزلة، لامكانا، ومنزلاً يعني: الملائكة ﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ لا يتعظمون عنها ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ وينزهونه، عما لا يليق به ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ويختصونه بالعبادة، لا يشركون به غيره.

---

(1) في الأصل: وجوها والمثبت من [ز وق] ولعله الصواب.

(2) انظر تفسير الطبري ٣٤٤/١٣-٣٥٣؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٥٣/٧-٣٥٥

(3) في الأصل: الغداوات والمثبت من [ز و ق].

(4) انظر إعراب القرآن للنحاس ١٧٣/٢؛ الدرالمصون ٣٩١/٣ وفي [ز و ق] وهي العشي.

(سورة الأنفال مدنية[1] وهي خمس، أو ست، أو سبع وسبعون آية)[2]

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ(١) إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ(٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ(٣) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾(٤).

﴿يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾ النفل: الغنيمة، لأنها من فضل الله، وعطائه، والأنفال: الغنائم،[3] ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر، وفي قسمتها، فسألوا رسول الله كيف تقسم؟ ولمن الحكم في قسمتها؟ للمهاجرين، أم للأنصار؟ أم لهم جميعا؟ فقيل له: قل لهم: هي لرسول الله، وهو الحاكم فيها، خاصة يحكم فيها مايشاء، ليس لأحد غيره فيها حكم،ومعنى الجمع: بين ذكر الله، والرسول: أن حكمها: مختص بالله، ورسوله، يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته، ويمتثل الرسول أمر الله فيها، وليس الأمر في

---

[1] كلها، قال ابن عباس: إلا سبع آيات أولها: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ...) وقال مقاتل: غير آية واحدة وهي: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ...) تفسير ابن عطية ٢٠٠/٦؛ زادالمسير ٣١٦/٣؛ تفسير البحرالمحيط ٤٥٢/٤، لكن الحافظ ابن كثير اكتفى بقوله، وهي مدنية، و لم يذكر أن بعض الآيات فيها مكي، تفسير ابن كثير ٢٩٤/٢

[2] انظر كتاب: التبصره لمكي أبي طالب ص ٥٢٢؛ تفسير البغوي ٥٩٣/٢

[3] انظر لسان العرب ٦٧٠/١١ ومابعدها؛ مادة: نفل؛ وتفسير ابن عطية ٢٠١/٦-٢٠٢

قسمتها مفوضا إلى رأي أحد.﴿فاتقوا الله﴾ في الاختـــلاف، [والتخــاصم][1] وكونوا متآخين في الله ، ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ أحوال بينكم، يعني: مابينكم من الأحوال،حتى تكون أحوال ألفة، ومحبة، واتفاق، وقال الزجـاج:[2] معـنى ذات بينكم حقيقة، وصلكم، والبين، والوصل أي: فاتقوا الله وكونوا مجتمعـين، على ما أمر الله، ورسوله به،قال عبادة رضي الله عنه: نزلت فينا معشر أصحاب بدر،حين اختلفنا في النفل،وساءت فيه أخلاقنا، فنـزعه الله من أيدينا، فجعلـه لرسول الله- ﷺ - فقسمه بين المسلمين، على السواء،﴿وأطيعوا الله ورسـوله﴾ فيما أمرتم به في الغنائم، وغيرها، ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ كاملي الإيمـان،﴿إنمـا المؤمنون﴾ إنما الكاملو الإيمان، ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ فزعـت لذكره استعظاما له، وتهيبا من جلاله،وعزه،وسلطانه، ﴿وإذا تليت عليهم أياته﴾ أي: القرآن، ﴿زادتهم إيمانا﴾ ازدادوا بها يقينا،وطمأنينة،لأن تظاهر الأدلة،أقـوى ٢٠٨/ب
للمدلول عليه،/ وأثبت لقدمه،أو زادتهم إيمانا بتلك الآيات،لأنهـم لم يؤمنـوا بأحكامها قبل ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ يعتمدون،ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم،لا يخشون، ولا يرجون إلا إياه ﴿الذين يقيمون الصلاة وممـا رزقنـاهم ينفقون﴾ جمع بين أعمال القلوب من الوجل، والإخلاص، والتوكـل، وبـين أعمال الجوارح، من الصلاة، والصدقة،﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾ هو صفـة لمصدر محذوف،أي: أولئك هم المؤمنون إيمانا حقا، أو: هـو مصـدر مؤكـد للجملة التي هي: ﴿أولئك هم المؤمنون﴾كقولك: هو عبد الله حقا،أي:حق ذلك

---

[1] في [ز و ق] للتحاكم.

[2] سبقت ترجمته في ص ٦١

حقا،وعن الحسن[1]—رحمه الله —أن رجلا سأله أمؤمن أنت؟ قـال:إن كنـت تسألني عن الإيمان بالله،وملائكته،وكتبه، ورسله،واليوم الآخر،والجنة،والنـار، والبعث،والحساب؟ فأنا مؤمن،وإن كنت تسألني عن قوله: ﴿إنمـا المؤمنـون﴾ الآية، فلا أدري أمنهم أنا أم لا؟ وعن الثوري:[2] من زعم أنه مؤمن بالله حقـا، ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة،فقد آمن بنصف الآية،أي:كمالا يقطع بأنه مـن أهل ثواب المؤمنين حقا،فلايقطع بأنه مؤمـن حقـا، وبهـذا يتشـبث مـن يقول:أنامؤمن إن شاء الله،وكان أبوحنيفة[3]—رحمه الله- لا يقول ذلك،وقـال لقتادة[4]لم تستثنى في إيمانك؟ قال اتباعا لإبراهيم في قوله: ﴿والذي أطمـع أن يغفرلي خطيئتي يوم الدين﴾[5] فقال [له][6]هلا اقتديت بـه، في قولـه: ﴿أو لم تؤمن قال بلى﴾[7] وعن إبراهيم التيمي:[8]قل أنا مؤمن حقا، فإن صدقت أثبت عليه، وإن كذبت فكفرك أشد من كذبك، وعن ابن عباس —رضي الله عنهما- من لم يكن منافقا-فهو مؤمن حقا،وقد احتج عبد الله، على أحمد، فقال: إيـش

---

[1] هو البصرى، وقد تقدمت ترجمته في ص

[2] هو الامام سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى، ابوعبدالله الكوفي ثقة حافظ فقيه عابد، إمام حجة مـن رؤس الطبقة السابعة، وكان ربما دلس مات سنة ٦١، وله أربع وستون سنة، التقريب ٢٤٤ ترجمة رقم [٢٤٤٥].

[3] هو الامام النعمان بن ثابت الكوفي، الامام المشهور صاحب المذهب، فقيه مشهور، من السادسة مات سـنة ١٥٠هـ وله سبعون سنة، التقريب ٥٦٣ ترجمة رقم [٧١٥٣].

[4] سبقت ترجمته ص [١١٠].

[5] سورة الشعراء رقم الآية [٨٢].

[6] ساقطة من [ز].

[7] سورة البقرة رقم الآية.[٢٦٠].

[8] إبراهيم بن محمد بن عبدالله التيمي، المعمري، أبو إسحاق البصري، قاضيها ثقة، من الحادية عشرة مات سـنة خمسين، التقريب ص ٩٣ ترجمة رقم [٢٣٧].

اسمك؟ فقال:أحمد، فقال: أتقول [أنا][1] أحمد حقا؟ أو أنا أحمد -إن شاء الله- فقال أنا أحمد حقا، فقال: حيث سماك والداك لا تستثني، وقد سماك الله في القرآن مؤمنا تستثني[2]؟ ﴿هم درجات﴾ مراتب بعضها فوق بعض، على قدر الأعمال ﴿عند ربهم ومغفرة﴾ وتجاوز لسيآتهم ﴿ورزق كريم﴾صاف عن كد الاكتساب، وخوف الحساب، الكاف في

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ(٥) يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ(٦) وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ(٧) لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾(٨).

﴿كمآ أخرجك ربك﴾ في محل النصب،على أنه صفة مصدر الفعل المقدر،[3] والتقدير: قل الأنفال استقرت لله، والرسول،وثبتت مع كراهتهم، ثباتا،[مثل ثبات][4] إخراج / ربك إياك،من بيتك، وهم كارهون ﴿من بيتك﴾ يريد:بيته ٢٠٩/أ

---

[1] ساقطة من [ز و ق].

[2] انقسم الناس في مسألة الاستثناء في الايمان إلى ثلاثة أقسام:

فمنهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار وهذا هو الصحيح وأصحاب هذا القول هم أسعد بالدليل، فخير الأمور أوسطها: فإن أراد المستثنى الشك في أصل إيمانه منع من الاستثناء وهذا مما لاخلاف فيه، وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...) الخ وفي قوله: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ...) الخ الحجرات [١٥] فالاستثناء حينئذ جائز وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقا للأمر بمشيئة الله لا شكا في إيمانه ... انظر العقيدة الطحاوية ص ٣٣٥ - ٣٣٨

[3] إعراب القرآن للنحاس ٢/١٧٦-١٧٧؛ إعراب القرآن للعكبري ٢/٣

[4] ساقطة من [ز].

بالمدينة، أو المدينة نفسها، لأنها مهاجره، ومسكنه، فهي في اختصاصهابه، كاختصاص البيت بساكنه ﴿بالحق﴾ إخراجا متلبسا بالحكمة، والصواب ﴿وإن فريقا من المؤمنين لكارهون﴾ في موضع الحال،[1]أي: أخرجك في حال كراهتهم، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام، فيها تجارة عظيمة، ومعها أربعون راكبا، منهم أبو سفيان، فأخبر جبريل - النبي عليه السلام- فأخبر أصحابه فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير، وقلة القوم، فلما خرجوا علمت قريش بذلك،فخرج أبوجهل، بجميع أهل مكة، وهم النفير في المثل السائر: لا في العير ولا في النفير،[2] فقيل له: إن العير أخذت طريق الساحل، ونجت فأبى، وسار بمن معه إلى بدر، وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة، ونزل جبريل -عليه السلام- فقال يا محمد: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين: إما العير وإما قريشا،فاستشار النبي-ﷺ-أصحابه وقال: (العير أحب إليكم أم النفير)؟ قالوا:بل العير أحبُ إلينا من لقاء العدو، فتغير وجه رسول الله -ﷺ- ثم ردد عليهم فقال فقالوا: يارسول الله، عليك بالعير، ودع العدو، فقام عند غضب النبي -ﷺ -أبو بكر، وعمر -رضي الله عنهما-فأحسنا، ثم قام سعد بن عبادة، وقال: انظر أمرك فامض، فوالله لو سرت إلى عدن أبين، ماتخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قال المقداد بن عمرو: امض لما أمرك الله، فإنا معك حيث أحببت،

[1] اعراب القرآن للنحاس ٢/١٧٦-١٧٧؛ اعراب القرآن للعكبري ٢/٣

[2] ذكر أن أول من قال هذا المثل هو: ابوسفيان بن حرب وذلك في قصة عير قريش التي قدمت من الشام والتي كانت من أهم أثارها معركة بدر، وهذا المثل يضرب للرجل يحط أمره ويصغر قدره، كما ذكر الأصمعي، انظر مجمع الأمثال ٣/١٦٨-١٧٠ تحت رقم [٣٥٤٢] لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد الميداني، تحقيق/ محمد أبوالفضل إبراهيم. ط دارالجيل ١٤١٦هـ.

لانقول لك كما قال بنو إسرائيل [لموسى][1]﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾[2] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، مادامت عين منا تطرف، فضحك رسول الله-ﷺ -وقال سعد بن معاذ: امض يارسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ماتخلف منا رجل واحد، فسر بنا على بركة الله،ففرح رسول الله-ﷺ - [وبسطه][3] قول سعد، ثم قال (سيروا على بركة الله أبشروا فإن الله وعدني إحدي الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم)[4] وكانت الكراهة من بعضهم، لقوله: ﴿وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾ [أي: الخروج][5] قال الشيخ أبومنصور[6]-رحمه الله:- يحتمل أنهم منافقون،كرهوا ذلك اعتقاداً، ويحتمل أن يكونوا مخلصين، وأن يكون ذلك كراهة طبع، لأنهم غير متأهبين له ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ الحق الذي جادلوا فيه رسول الله -ﷺ - تلقي النفير لإيثارهم،عليه تلقي العير ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ بعد إعلام رسول الله -ﷺ -بأنهم ينصرون،وجدالهم، قولهم: ماكان خروجنا إلا للعير، وهلا قلت لنا لنستعد؟ وذلك لكراهتهم القتال ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ / إِلَى الْمَوتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ ٢٠٩/ب
شبه حالهم في فرط فزعهم،وهم يسار بهم إلى الظفر،والغنيمة، بحال من يعتل إلى القتل، ويساق على الصغار، إلى الموت،وهو مشاهد لأسبابه، ناظر إليها، لا

---

[1] ساقطة من [ز].

[2] سورة المائدة رقم الآية [٢٤].

[3] في [ق] ونشطه.

[4] أخرج نحوه الامام البيهقي في الدلائل ٣/٣٤ و١٠٧-١١٠ ط١٤١٥/١هـ دارالكتب العلمية، تعليق وتخريج د/عبدالمعطي قلعجي. وذكر تخريجه الامام الزيلعي ٢/١١-١٣ وعزاه لابن هشام في السيرة والواقدي في المغازي وغيرهما.

[5] ساقطة من [ز و ق].

[6] تقدمت ترجمته في ص ٣٠

يشك فيها، وقيل: كان خوفهم لقلة العدد، وإنهم كانوا رجالة وما كان فيهم إلا فارسان ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين﴾ ﴿إذ﴾ منصوب بـ﴿اذكر﴾ و﴿إحدى﴾ مفعول ثان[1] ﴿أنها لكم﴾ بدل من ﴿إحدى الطائفتين﴾ وهما: العير، والنفير، والتقدير: وإذ يعدكم الله أن إحدى الطائفتين لكم، ﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ أي: العير، وذات الشوكة، ذات السلاح، والشوكة: كانت في النفير لعددهم، وعدتهم، أي: تتمنون أن تكون لكم العير، لأنها الطائفة التي لا سلاح لها، ولا تريدون الطائفة الأخرى ﴿ويريد الله أن يحق الحق﴾ أي: يثبته، ويعليه ﴿بكلماته﴾ بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة، وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة، وبما قضى من قتلهم، وطرحهم في قليب بدر ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ آخرهم، والدابر: الآخر، فاعل من دبر إذا أدبر، وقطع الدابر[2] عبارة عن: الاستئصال، يعني: أنكم تريدون الفائدة العاجلة، وسفساف الأمور، والله -تعالى- يريد معالي الأمور، ونصرة الحق، وعلو الكلمة، وشتان مابين المرادين، ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة، وكسر قوتهم بضعفكم، وأعزكم، وأذلهم ﴿ليحق الحق﴾ متعلق بيقطع، أو بمحذوف تقديره: ليحق الحق ﴿ويبطل الباطل﴾ فعل ذلك، والمقدر: متأخر ليفيد الاختصاص[3] أي: ما فعله إلا لهما، وهو إثبات الإسلام، وإظهاره، وإبطال الكفر، ومحقه، وليس هذا بتكرار، لأن الأول تمييز بين الإرادتين، وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم، ونصرتهم عليها ﴿ولو كره المجرمون﴾ المشركون ذلك.

---

(1) إعراب القرآن للعكبري ٢/٤؛ الدرالمصون ٣/٣٩٧

(2) انظر مادة: دبر، لسان العرب ٤/٢٦٨ ومابعدها.

(3) إعراب القرآن للعكبري ٢/٤؛ الدرالمصون ٣/٣٩٦

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣) ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٤).

﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ بدل من إذ يعدكم أو متعلق، بقوله: ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لابد من القتـــال، طفقـــوا يدعـــون الله، يقولون: أي [ربنا][1]انصرنا على عدوك، ياغياث المستغيثين، أغثنا،وهي طلـــب الغوث فهو التخليص من المكروه ﴿فاستجاب لكم﴾ فأجاب،وأصـــل ﴿أنـــي ممدكم﴾ بأني ممدكم فحذف الجار، وسلط عليه استجاب فنصب محله ﴿بـــألف من الملائكة مردفين﴾ -مردفين- مدني، غيره بكسر الدال،[2] فالكسر:على أنهم أردفوا غيرهم، والفتح على أنه أردف كل ملك ملكاً آخر، يقال:ردفه إذا تبعـه، وأردفته إياه، إذا اتبعته﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي الإمداد الذي دل عليه ممدكـــم ﴿إلاَّ بُشْرَى﴾ إلا بشارة لكم بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ يعني: أنكم اســـتغثتم/ ٢١٠/أ

[1] من [ز وفي الأصل وق] : دب.

[2] قرأ نافع وحده بفتح الدال – مردفين – والباقون: بكسرها. السبعة ص ٣٠٤؛ النشر ٢/٢٧٥

وتضرعتم لقلتكم، فكان الإمداد بالملائكة، بشارة لكم بالنصر، وتسكينا منكم، وربطا على قلوبكم ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ أي: ولا تحسبوا النصر من الملائكة، فإن الناصر: هو الله لكم، وللملائكة، أو وما النصر بالملائكة، وغيرهم من الأسباب، إلا من عند الله، والمنصور من نصره الله واختلف في قتال الملائكة يوم بدر، فقيل:نزل -جبريل عليه السلام- في خمسمائة ملك على الميمنة،وفيها أبو بكر -رضى الله عنه- وميكائل، في خمسمائة على الميسرة، وفيها علي- رضي الله عنه- في صور الرجال، عليهم ثياب بيض، وعمائم بيض، قد أرخوا أذنابها، بين أكتافهم، فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود: من أين كان يأتينا الضرب، ولا نرى الشخص؟ قال: من قبل الملائكة، قال: فهم غلبونا لا أنتم، وقيل: لم يقاتلوا، وإنما كانوا يكثرون السواد، ويثبتون المؤمنين، وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا ﴿إن الله عزيز﴾ بنصر أوليائه ﴿حكيم﴾ بقهر أعدائه ﴿إذ يغشيكم﴾ بدل ثان من ﴿إذ يعدكم﴾ أو منصوب بالنصر، أو بإضمار:اذكر. يغشيكم مدني[1] ﴿النعاس﴾:النوم، والفاعل: هو الله على القراءتين، يغشاكم النعاس، مكي وأبو عمرو[2] ﴿أمنة﴾ مفعول له، أي: إذ تنعسون أمنة، بمعنى: أمنا، أي: لأمنكم، أو مصدر، أي: فأمنتم أمنة، فالنوم يزيح الرعب، ويريح النفس ﴿منه﴾ صفة لها، أي: أمنة حاصلة لكم من الله ﴿وينزل﴾ بالتخفيف مكي، وبصري، وبالتشديد: غيرهم[3] ﴿عليكم من السمآء مآء﴾ مطرا ﴿ليطهركم به﴾ بالماء من الحدث، والجنابة ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ وسوسته إليهم، وتخويفه إياهم، من العطش، أوا لجنابة من

---

(1) السبعة ص ٣٠٤؛ النشر ٢/٢٧٥

(2) المرجعين السابقين.

(3) السبعة ص ١٦٤-١٦٦؛ النشر ٢/٢١٨

الاحتلام، لأنه من الشيطان، وقد وسوس إليهم، أن لا نصـــرة مـــع الجنابـــة ﴿وليربط على قلوبكم﴾ بالصبر ﴿ويثبت به الأقدام﴾ أي: بالمـــاء، إذ الأقـــدام كانت تسوخ في الرمل، أو بالربط، لأن القلب إذا تمكن منه الصبر، يثبت القـــدم في مواطن القتال ﴿إذ يوحى﴾ بدل ثالث مـــن ﴿إذ يعدكـــم﴾ أو منصـــوب بيثبت[1]﴿ربك إلى الملائكة أني معكم﴾ بالنصر ﴿فثبتوا الذين أمنوا﴾ بالبشرى، وكان الملك يسير أمام الصف في صورة رجل، ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم ﴿سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ هو امتلاء القلب من الخوف، والرعب شامي، وعلي،[2]﴿فاضربوا﴾ أمر للمؤمنين، أو الملائكة، وفيه دليل على أنهـــم قاتلوا ﴿فوق الأعناق﴾ أي: أعالي الأعناق، التي هي المذابح تطييرا للـــرءوس، أو أراد الرءوس، لأنها فوق الأعناق، يعني: ضرب الهام ﴿واضربوا منهم كل بنـلن﴾ هي: الأصابع، يريد الأطراف، والمعنى: فاضربوا المقاتل، والشوى[3]،لأن الضرب إما أن يقع على مقتل، أو غير مقتل، فأمرهم أن يجمعوا عليهم النوعين ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما أصابهم من الضرب، والقتل، والعقاب العاجل/ وهو مبتدأ خـبره[4] ٢١٠/ب
﴿بأنهم شآقو الله ورسوله﴾ أي: ذلك العقاب وقع عليهم، بسبب مشـــاقتهم، أي:مخالفتهم، وهي مشتقة من الشق، لأن كلا المتعادين في شق، خلاف شـــق صاحبه، وكذا المعاداة، والمخاصمة، لأن هذا في عدوة وخصم، أي: جـــانب، وذاك في عدوة وخصم ﴿ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شـــديد العقـــاب﴾ والكاف في ذلك لخطاب الرسول، أو لكل أحد، وفي ذلكم للكفرة، على طريقة

---

[1] انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/١٨٠؛ الدرالمصون ٣/٤٠٣

[2] انظر النشر ٢/٢١٥ ومابعدها.

[3] الشوى: فسرت بهامش الأصل باليدين والرجلين وكل ماليس مقتلا وكذلك في أصل نسخة [ز].

[4] إعراب القرآن للنحاس ٢/١٨٠؛ إعراب القرآن للعكبري ٢/٥

الالتفات، ومحله:الرفع على ذلكم العقاب، أو العقاب،﴿ذلكم فذوقوه﴾ والـــواو في ﴿وأن للكافرين عذاب النار﴾ بمعنى: مع، أي: ذوقوا هذا العذاب العاجل، مع الآجل الذي لكم في الآخرة، فوضع الظاهر، موضع الضمير.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ(١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ(١٦) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧) ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَـٰفِرِينَ(١٨) إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١٩).

﴿يأيها الذين أمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا﴾ حال مـــن الذيـــن كفـــروا، والزحف: الجيش الذي يرى لكثرته كأنه يزحف، أي يدب دبيبا، من زحـــف الصبي إذا دب على إسته قليلا قليلا،[1] سمى بالمصدر ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ فلا تنصرفوا عنهم منهزمين، أي: إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير، وأنتم قليل، فـــلا تفروا فضلا أن تدانوهم في العدد، أو تساووهم، أو حال من المؤمنين، أو مـــن الفريقين، أي: إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم ﴿ومن يولهم يومئذ دبـــره إلا متحرفا﴾ مائلا ﴿لقتال﴾ وهو الكر بعد الفر، يخيل عدوه أنه منهزم، ثم يعطـــف عليه، وهو من خدع الحرب ﴿أو متحيزا﴾ منضما ﴿إلى فئة﴾ إلى جماعة أخرى

---

[1] والجمع: زحوف، انظر لسان العرب ١٢٩/٩ مادة: زحف.

من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها، وهما حالان من ضمير الفاعل في ﴿يولهم﴾ [1]﴿فقد بآء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ ووزن متحيز متفيعل لا متفعل، لأنه من حاز يحوز، فبناء متفعل منه، متحوز،[2] ولما كسروا أهل مكة، وقتلوا، وأسروا، وكان القاتل منهم يقول تفاخرا: قتلت، وأسرت، قيل لهم، ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ والفاء: جواب شرط محذوف، تقديره: إن افتخرتم بقتلهم، فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم،[3] ولما قال جبريل للنبي -ﷺ- خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فرمى بها في وجوههم وقال: (شاهت الوجوه)[4] فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا، قيل: ﴿وما رميت﴾ يا محمد ﴿إذ رميت ولكن الله رمى﴾ يعني: أن الرمية التي رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة، لأنك لو رميتها، لمابلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمى البشر، ولكنها كانت رمية الله، حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، وفي الآية:بيان أن فعل العبد مضاف إليه كسبا، وإلى الله -تعالى- خلقا، لا كما
٢١١/أ تقول الجبرية، والمعتزلة،[5] لأنه أثبت الفعل من العبد، بقوله:/ ﴿إذ رميت﴾ ثم نفاه عنه، وأثبته، لله - تعالى- القول: ﴿ومارميت﴾ ﴿ولكن الله رمى﴾ ﴿ولكن الله قتلهم﴾ ﴿ولكن الله﴾ رمى بتخفيف ﴿لكن﴾ شامي، وحمزة، وعلي،[6] ﴿وليبلى المؤمنين﴾ وليعطيهم ﴿منه بلآء حسنا﴾ عطاء جميلا، والمعنى:

---

(1) اعراب القرآن للنحاس ١٨١/٢؛ إعراب القرآن للعكبري ٥/٢

(2) الدرالمصون ٤٠٨/٣

(3) الدرالمصون ٤٠٩/٣

(4) أخرجه الامام مسلم في كتاب الجهاد، باب: في غزوة حنين ١٤٠٢/٣ رقم الحديث [١٧٧٧].

(5) حيث يقولون: إن أفعال العباد غير مخلوقة، ونسوا قول الله تعالى: (والله خلقكم وماتعملون) سورة الصافات رقم الآية [٩٦] وغيرها من الآيات وقد سبق التعليق على هذا في صفحة [٩٧] من هذا البحث.

(6) السبعة ص ٣٠٤-٣٠٥؛ النشر ٢٧٦/٢

وللإحسان إلى المؤمنين فعل مافعل، ومافعل إلا لذلك ﴿إن الله سميع﴾ لدعائهم ﴿عليم﴾ بأحوالهم ﴿ذلكم﴾ إشارة إلى البلاء الحسن، ومحله: الرفع، أي: الأمر ذلك ﴿وأن الله موهن كيد الكافرين﴾ معطوف على ذلكم، أي: المراد إبلاء المؤمنين، وتوهين كيد الكافرين، ﴿موهن كيد﴾ شامي، وكوفي، غير حفص، ﴿موهن كيد﴾ حفص، موهن غيرهم[1] ﴿إن تستفتحوا فقد جاء كم الفتح﴾ إن تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم، وهو خطاب لأهل مكة، لأنهم حين أرادوا أن ينفروا، تعلقوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم إن كان محمد على حق فانصره وإن كنا على الحق فانصرنا، وقيل: إن تستفتحوا خطاب للمؤمنين، وإن تنتهو للكافرين، وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله- ﷺ- ﴿فهو﴾ أي: الانتهاء ﴿خيرلكم﴾ وأسلم ﴿وإن تعودوا﴾ لمحاربته ﴿نعد﴾ لنصرته عليكم ﴿ولن تغني عنكم فئتكم﴾ جمعكم ﴿شيئا ولو كثرت﴾ عددا ﴿وأن الله مع المؤمنين﴾ بالفتح:مدني، وشامي، وحفص،[2] أي: ولأن الله مع المؤمنين بالنصر،كان ذلك وبالكسر غيرهم، ويؤيده قراءة عبد الله: والله مع المؤمنين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ (٢٢) وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ (٢٣)

---

[1] السبعة ص ٣٠٤-٣٠٥؛ النشر ٢/٢٧٦

[2] السبعة ص ٣٠٥؛ النشر ٢/٣٧٦

﴿يَـأَيُّهَا الذين ءَامَنوا أَطيعُوا اللهَ وَرَسُولَه ولا تَولَّوا عنهُ﴾ عن رسول الله -ﷺ- لأن المعنى: وأطيعوا رسول الله كقوله: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾[1] ولأن طاعة الرسول، وطاعة الله شيء واحد، ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[2] فكان رجوع الضمير إلى أحدهما، كرجوعه إليهما، كقولك: الإحسان، والإجمال، لا ينفع في فلان، أو يرجع الضمير، إلى الأمر بالطاعة، أي: ولا تولوا عن هذا الأمر، وامتثاله، وأصله: ولا تتولوا فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً ﴿وأَنتُم تَسْمَعُونَ﴾ أي:وأنتم تسمعونه، أو ولا تتولوا عن رسول -ﷺ- ولا تخالفوه، وأنتم تسمعون، أي: تصدقون، لأنكم مؤمنون، لستم كالصم المكذبين من الكفرة. ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا﴾ أي: ادعوا السماع، وهم المنافقون، وأهل الكتاب وهم لا يسمعون، لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين، والمعنى: أنكم تصدقون بالقرآن، والنبوة، فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم، وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال: ﴿إن شر الدوآب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ أي: إن شر من
يدب على وجه الأرض، وإن شر البهائم: الذين هم صم / عن الحق، لا ٢١١/ب
يعقلونه، جعلهم من جنس البهائم، ثم جعلهم شرها، لأنهم عاندوا بعد [الفهم][3] وكابروا بعد العقل ﴿ولو علم الله فيهم﴾ في هؤلاء الصم، البكم ﴿خيرا﴾ صدقا، ورغبة ﴿لأسمعهم﴾ لجعلهم سامعين، حتى يسمعوا سماع المصدقين ﴿ولو أسمعهم لتولوا﴾ عنه، أي: ولو أسمعهم، وصدقوا لارتدوا بعد ذلك، و لم يستقيموا ﴿وهم معرضون﴾ عن الإيمان.

---

(1) سورة التوبة رقم الآية [٦٢].

(2) سورة النساء رقم الآية [٨٠].

(3) في [ز و ق] بعد الحق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ (٢٤) وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ (٢٥) وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (٢٦) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٢٧) وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ (٢٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ (٢٩)﴾.

﴿يأيها الذين أمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم﴾ وحد الضمير -أيضا- كما وحده فيما قبله، لأن استجابة رسول الله -ﷺ- كاستجابته، والمراد بالاستجابة: الطاعة، والامتثال وبالدعوة: البعث، والتحريض ﴿لما يحييكم﴾ من علوم الديانات، والشرائع، لأن العلم حياة، كما أن الجهل موت، قال:

لا تعجبن الجهول حلته ... فذاك ميت، وثوبه كفن[1]

أو لمجاهدة الكفار، لأنهم لو رفضوها لغلبوهم، وقتلوهم، أو للشهادة، لقوله تعالى: ﴿بل أحياء عند ربهم﴾[2]﴿واعْلَمُوٓا أنَّ اللهَ يُحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِه﴾ أي: يميته، فتفوته الفرصة التي هو واجدها، وهي التمكن من إخلاص القلب، فاغتنموا هذه الفرصة، وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله، ورسوله، أو بينه وبين ماتمناه بقلبه، من طول الحياة، فيفسخ عزائمه، ﴿وأَنَّهُ إِلَيهِ تُحْشَرُون﴾ واعلموا

---

(١) البيت منسوب للزمخشري كما ذكرت بعض كتب التفاسير، روح المعاني ٩/١٩١

(٢) تكملة الآية: (عندربهم يرزقون) سورة آل عمران رقم الآية [١٦٩].

أنكم إليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلـوب، وإخـلاص الطاعـة ﴿واتقوا فتنة﴾ عذابا ﴿لا تصيبن الذين ظلموا منكم خآصة﴾ هو جواب الأمر، أي: إن أصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة، ولكنها تعمكـم، وجـاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر، لأن فيه معنى النهي، كما إذا قلت إنـزل عن الدابة لا تطرحك، وجاز لاتطرحنك، ﴿ومن﴾ في ﴿منكـم﴾للتبعيـض[1] ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ إذا عاقب ﴿واذكروآ إذ أنتم قليل﴾ إذ مفعول به، لا ظرف[2] أي: واذكروا وقت كونكم أقلة أذلة ﴿مستضعفون في الأرض﴾ أرض مكة، قبل الهجرة، أتستضعفكم قريش؟ ﴿تخافون أن يتخطفكم النـاس﴾ لأن الناس كانوا لكم أعداء مضادين ﴿فأواكم﴾ إلى المدينة ﴿وأيدكم بنصـره﴾ بمظاهرة الأنصار، وبإمداد الملائكة يوم بدر ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من الغنائم، و لم تحل لأحد قبلكم، ﴿لعلكم تشكرون﴾ هذه النعم ﴿يأأيها الذين أمنـوا لا تخونوا الله﴾ بأن تعطلوا فرائضه ﴿والرسول﴾ بأن لا تستنوا به ﴿وتخونـوآ﴾ جزم عطف على ﴿لا تخونوا﴾ أي: ولا تخونوا ﴿أماناتكم﴾ فيما بينكم بـأن لا تحفظوها ﴿وأنتم تعلمون﴾ تبعة ذلك، ووباله، أو:وأنتم تعلمون أنكم تخونـون،
يعني: أن الخيانة توجد / منكم عن تعمد، لا عن سـهو، أو: وأنتـم علمـاء ٢١٢/أ
تعلمون، حسن الحسن، وقبح القبيح، ومعنى الخون: النقص،كما أن معنى الوفاء: التمام، ومنه تخونه، إذا تنقصه، ثم استعمل في ضد الأمانة،والوفـاء، لأنـك إذا خنت الرجل في شيء، فقد أدخلت عليه النقصان فيه ﴿واعلموآ أنمآ أموالكـم وأولادكم فتنة﴾ أي: سبب الوقوع في الفتنة، وهي الإثم، والعذاب، أو محنة مـن الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده ﴿وأن الله عنده أجـر عظيـم﴾ فعليكم أن تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا في الدنيا، ولا تحرصوا على جمـع

---

[1] انظر اعراب القرآن للعكبري ٢/٥؛ الدرالمصون ٣/٤١١-٤١٣

[2] انظر اعراب القرآن للعكبري ٢/٥؛ الدرالمصون ٣/٤١١-٤١٣

المال، وحب الولد ﴿يأيها الذين أمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ نصرا، لأنه يفرق بين الحق، والباطل، وبين الكفر، بإذلال حزبه، والإسلام بإعزاز أهله أو بيانا، وظهورا، يشهر أمركم، ويبث صيتكم، وآثاركم في أقطار الأرض، من قولهم: سطع الفرقان، أي: طلع الفجر، أو مخرجا من الشبهات، وشرحا للصدور، أو تفرقة بينكم، وبين غيركم، من أهل الأديان، وفضلا، ومزية في الدنيا، والآخرة ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ أي: الصغائر ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾، أي: الكبائر ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ على عباده.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ (٣٠) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٣١) وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٦).

﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش [به][1] حين كان بمكة، ليشكر نعمة الله في نجاته، من مكرهم، واستيلائه عليهم، والمعنى: واذكر: إذ يمكرون بك، وذلك أن قريشا لما أسلمت الأنصار فرقوا[2] أن يتفاقم أمره فاجتمعوا في دار الندوة، متشاورين في أمره، فدخل عليهم إبليس، في صورة شيخ، فقال: أنا شيخ من نجد، دخلت مكة، فسمعت باجتماعكم، فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا مني رأيا، ونصحا، فقال أبو البختري[3] رأيي أن تحبسوه في بيت، وتشدوا وثاقه، وتسدوا بابه، غير كوة تلقون إليه طعامه، وشرابه منها، وتتربصوا به ريب المنون، فقال إبليس: بئس الرأي، يأتيكم من يقاتلكم من قومه، ويخلصه من أيديكم، فقال هشام بن عمرو، رأيي أن تحملوه على جمل، وتخرجوه من بين أظهركم، فلا يضركم ما صنع، واسترحتم، فقال بئس الرأي، يفسد قوما غيركم، ويقاتلكم بهم، فقال أبو جهل: أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما، وتعطوه سيفا، فيضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم، فإذا طلبوا العقل عقلناه، واسترحنا، فقال الشيخ: صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا، فتفرقوا، على رأي أبي جهل / مجتمعين على قتله، فأخبر جبريل - عليه السلام- رسول الله - ﷺ - وأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأذن له في الهجرة، فأمر عليا فنام في مضجعه، وقال له: اتشح ببردتي، فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه، وباتوا ٢١٢/ب

---

(١) الزيادة من [ق].

(٢) الفرق: الخوف وقد فرق منه من باب طرب، اللسان: مادة: فرق.

(٣) أبوالبختري هو العاص بن هشام من صناديد الكفر الذين تجمعوا في دار الندوة للتشاور في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وكان معه في ذلك الاجتماع رؤس قريش وهم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبوربيعة وأبوجهل وأبوسفيان وطعمة بن عدي، والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام وبنيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمية بن خلف وأنضم إليهم إبليس – لعنه الله – في صورة شيخ .... الفتوحات الالهية للعلامة/ سليمان بن عمر العجيلي الشافعي – الشهير – بـ"الجمل" المتوفى سنة ١٢٠٤هـ ٣/١٨٧-١٨٨ ط الأولى ١٤٠٦هـ دارالكتب العلمية.

مترصدين، فلما أصبحوا، [ساروا][1] إلى مضجعه، فأبصروا عليـــا، فبـــهتوا، وخيب الله سعيهم، واقتصوا أثـــره، فـــأبطل الله مكـــرهم[2] ﴿ليثبتـــوك﴾ ليحبسوك، ويوثقوك ﴿أو يقتلوك﴾ بسيوفهم ﴿أو يخرجـــوك﴾ مـــن مكـــة ﴿ويمكرون﴾ ويخفون المكايد له ﴿ويمكر الله﴾ ويخفي الله ما أعد لهـــم حـــتى يأتيهم بغتة ﴿والله خير الماكرين﴾ أي: مكره أنفذ من مكـــر غـــيره، وأبلـــغ تأثيرا،[3]كان – عليه السلام – يقرأ القرآن، ويذكر أخبار القرون الماضيـــة، في قراءته، فقال النضر بن الحارث: لو شئت لقلت مثل هذا، وهو الذي جاء مـــن بلاد فارس، بنسخة حديث رستم، وأحاديث العجم، فترل ﴿وإذا تتلى عليـــهم أياتنا﴾ أي: القرآن ﴿قالوا قد سمعنا لو نشآء لقلنا مثـــل هـــذآ إن هـــذآ إلآ أســـطير الأولين﴾ وهذا صلف منهم، ووقاحة، لأهم دعوا [إلى][4] أن يـــأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن، فلم يأتوا به ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا﴾ أي: القرآن ﴿هو الحق من عندك﴾ هذا اسم كان، وهـــو فصـــل، والحـــق خبر كان،[5][روي أن النضر][6] لما قال: ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ قال لـــه النبي-عليه الصلاة والسلام-: (ويلك إن هذا كلام الله) فرفع النضر رأســـه إلى السماء[7] وقال: ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ ﴿فأمطر علينا حجارة مـــن السمآء﴾ أي: إن كان القرآن هو الحق، فعاقبنا على إنكاره بالسجيل،كما فعلت

---

[1] في [ق] ثاروا.

[2] وهذه القصة قد ذكرها ابن هشام في السيرة ١٤٢/٢ ومابعدها.

[3] المكر من الله – عزوجل – لأعدائه مكر يليق بجلاله تعالى وعظمته وهو مكر مناسب حال اعدائه وخداعهم، وهو ثابت في القرآن والسنة بلفظه الذي ورد فيه بدون تفسير أو تأويل مع تنـزيهه سبحانه وتعالى عن مشابهة المخلوقين وهذا هـــو مذهب أهل السنة والجماعة، وانظر مختصر الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية ٣٠/٢ ومابعدها وقد تقدمت ص [٢٩٠].

[4] ساقطة من [ق].

[5] انظر إعراب القرآن للنحاس ١٨٥/٢؛ الدرالمصون ٤١٤/٣

[6] في الأصل: روى أن المنادي: النضر لكن الذي يظهر حذف كلمة: المنادى ليستقيم المعنى.

[7] انظر سيرة ابن هشام ٣٢١/١

بأصحاب الفيل ﴿أو ائتنا بعذاب أليم﴾ بنوع آخر من جنس العذاب الأليم، فقتل يوم بدر صبرا، وعن معاوية:أنه قال لرجل من سبأ: ماأجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة، قال:أجهل من قومي قومك، قالوا لرسول الله -عليه السلام- حين دعاهم إلى الحق: ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة﴾ و لم يقولوا: إن كان هذا هو الحق فاهدنا له[1]﴿وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ اللام لتأكيد النفي، والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم، لأنك بعثت رحمة للعالمين، وسنته: أن لا يعذب قوما عذاب استئصال، مادام نبيهم بين أظهرهم، وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب،إذا هاجر عنهم ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ هو في موضع الحال، ومعناه: نفي الاستغفار عنهم، أي:ولوكانوا ممن يؤمن، ويستغفر،من الكفر، لما عذبهم، أو معناه: وماكان الله معذبهم وفيهم من يستغفر، وهم المسلمون بين أظهرهم، ممن تخلف عن رسول الله - ﷺ - من المستضعفين ﴿وما لهم / ألا ٢١٣/أ
يعذبهم الله﴾ أي: وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وهو معذبهم إذا فارقتهم ﴿ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ وكيف لا يعذبون، وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام، كما صدوا رسول الله - ﷺ - عام الحديبية، وإخراجهم رسول الله، والمؤمنين، من الصد، وكانوا يقولون: نحن ولاة البيت، والحرم، فنصد من نشاء، وندخل من نشاء، فقيل: ﴿وما كانوآ أوليآءه﴾ وما استحقوا مع إشراكهم، وعداوتهم للدين، أن يكونوا ولاة أمر الحرم ﴿إن أوليآؤه إلا المتقون﴾ من المسلمين، وقيل: الضميران راجعان إلى الله ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ذلك كأنه استثنى من كان يعلم، وهو يعاند، أو أراد بالأكثر: الجميع، كما يراد بالقلة العدم ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا

---

[1] انظر تفسير البحر المحيط ٤٨٣/٤

﴿مُكَآءً﴾ صفيرا كصوت المكاء، وهو طائر مليح الصوت، وهو فعال من مكـــا يمكوا إذا صفر[1] ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ وتصفيقاً، تفعلة من الصدى، وذلك أهم كـــانوا يطوفون بالبيت عراة، وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها، ويصفقـــون، وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله -ﷺ- في صلاته، يخلطـــون عليـــه ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ عذاب القتل، والأسر يوم بدر ﴿بِمَا كُنتُم تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم، ونزل في المطعمين يوم بدر،[2] وكانوا أثنى عشر رجلا، وكلـــهم مـــن قريش، وكان يطعم كل واحد [منهم][3] كل يوم عشر جزور ﴿إِنَّ الذين كَفَـرُوا يُنفِقُون أَموَلَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: كان غرضهم في الإنفاق: الصد عـن اتباع محمد -ﷺ- وهو سبيل الله ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيـهم حَسْـرَةً﴾ ثم تكون عاقبة إنفاقها ندما، وحسرة، فكأن ذاهّا تصير ندما، وتنقلب حسرة ﴿ثُـمَّ يُغْلَبُونَ﴾ آخر الأمر، وهو من دلائل النبوة، لأنه أخبر عنه قبل وقوعه، فكـــان كما أخبر ﴿وَالذين كَفَرُوآ﴾ والكافرون منهم ﴿إِلَى جَـهَنَّمَ يُحْشَـرون﴾ لأن منهم من أسلم، وحسن إسلامه واللام في.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بعضـــه عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ الخاســـرون(٣٧) قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إن ينتـــهوا يغفـــر لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ(٣٨) وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ

---

[1] قال بعضهم: هو أن يجمع بين أصابع يديه ثم يدخلها في فيه ثم يصفر فيها ... انظر لسان العـــرب ٢٨٩/١٥ مادة: مكا.

[2] وهم: أبوجهل بن هشام، وعتبة، وشيبة ابنا ربيعة، ونبيه بن الحجاج بن عامر، وأخيه منبـــه بـــن الحجـــاج، وأبوالبختري بن هشام، والنضر بن الحارث، وحكيم بن حرام، وأبي بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بـــن عامر بن نوفل، والعباس ابن عبدالمطلب، وكان كل واحد منهم يطعم عن كل يوم عشر جـــزور. البحرالمحيـــط ٤٨٧/٤

[3] ساقطة من [ز].

فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ (٤٠).

﴿ليميز الله الخبيث﴾ من الكفار ﴿من الطيب﴾ أي: من الفريق الطيب من المؤمنين، متعلقة بـ﴿ يحشرون﴾[1] ليميز حمزة، وعلي،[2]﴿ويجعل الخبيث﴾ الفريق الخبيث ﴿بعضه على بعض فيركمه جميعا﴾ فيجمعه ﴿فيجعله في جهنم﴾ أي: الفريق الخبيث ﴿أولئك﴾ إشارة إلى الفريق الخبيث ﴿هم الخاسرون﴾ أنفسهم، وأموالهم،﴿قل للذين كفروآ﴾ أي:أبي سفيان، وأصحابه ﴿إن ينتهوا﴾ عما هم عليه من عداوة رسول الله - ﷺ -وقتاله بالدخول في الإسلام ﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾ لهم من العداوة ﴿وإن يعودوا﴾ / لقتاله ﴿فقد مضت سنت ٢١٣/ب
الأولين﴾ بالإهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى، أو معناه: أن الكفار إذا انتهوا عن الكفر، وأسلموا غفر لهم ما سلف، من الكفر، والمعاصي، وبه احتج أبو حنيفة –رحمه الله– في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة[3] ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط ﴿ويكون الدين كله لله﴾ ويضمحل عنهم كل دين باطل، ويبقى فيهم دين الإسلام وحده ﴿فإن انتهوا﴾ عن الكفر، وأسلموا ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾ يثيبهم على إسلامهم ﴿وَإِن تَوَلَّوا﴾ أعرضوا عن الإيمان، و لم ينتهوا ﴿فَاعْلَمُوآ أَنَّ اللهَ مَوْلاكُمْ﴾ ناصركم، ومعينكم، فثقوا بولايته، ونصرته ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى﴾ لا يضيع من تولاه ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ لا يغلب من نصره، والمخصوص بالمدح محذوف.

---

(١) اعراب القرآن للعكبري ٦/٢

(٢) حمزة والكسائي بضم الياء والتشديد. السبعة ص ٣٠٦

(٣) ووافقه المالكية لأن الايمان يجب ماقبله، وذهب الشافعية وبعض الحنابلة إلى وجوب القضاء لأن ترك العبادة معصية والمعصية تبقى بعد الردة، انظر حاشية ابن عابدين ٧٦/٢ ط ١٣٨٦/٢

﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ (٤٤).

﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ ﴿ما﴾ بمعنى الذي، ولا يجوز أن يكتب إلا مفصولا، إذ لو كتب موصولا لوجب أن تكون ﴿ما﴾ كافة، وغنمتم: صلته، والعائد محذوف،[1] والتقدير: [الذي][2] غنمتموه ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ بيانه، قيل: حتى الخيط، والمخيط ﴿فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ﴾ والفاء إنما دخلت لما في الذي من معنى المجازاة، وأن وما عملت فيه، في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ،[3] تقديره: فالحكم أن لله خمسه ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُربَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ﴾ فالخمس: كان في عهد رسول الله - ﷺ - يقسم على خمسة أسهم، سهم لرسول الله، وسهم لذي قرباه من بني هاشم، وبني المطلب، دون بني عبد شمس وبني نوفل،

(1) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٨٧ ومابعدها؛ اعراب القرآن للعكبري ٢/٦-٧

(2) ساقطة من الأصل ومن [ز].

(3) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٨٧ ومابعدها؛ اعراب القرآن للعكبري ٢/٦-٧

استحقوه حينئذ بالنصرة، لقصة عثمان، وجبير بن مطعم، وثلاثة أسهم، لليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وأما بعد رسول الله - ﷺ - فسهمه ساقط بموتــه، وكذلك سهم ذوي القربى، وإنما يعطون لفقرهم، ولا يعطى أغنياؤهم، فيقسم على اليتامى، والمساكين، وابن السبيل، وعن ابن عباس –رضي الله عنهما- أنه كان على ستة: لله، وللرسول، سهمان وسهم لأقاربه، فأجرى أبو بكر –رضي الله عنه- الخمس على ثلاثة، وكذا عمر، ومن بعده من الخلفاء- رضي الله عنهم- ومعنى: لله وللرسول، لرسول الله،كقوله: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾[1] ﴿إن كنتم أمنتم بالله﴾ فاعملوا به، وارضوا بهذه القسمة، فالإيمان يوجب الرضا بالحكم، والعمل بالعلم ﴿ومآ أنزلنا﴾ معطوف على بالله، أي: إن كنتم آمنتم بالله، وبالمترل ﴿على عبدنا يوم الفرقان﴾ يوم بدر ﴿يوم التقى الجمعان﴾ الفريقان من المسلمين، والكافرين، والمراد: ماأنزل عليه من الآيات، والملائكة،والفتح يومئذ، وهو بدل من يوم الفرقان ﴿والله على كل شيء قدير﴾
٢١٤/أ يقدر [على][2]أن ينصر القليل / على الكثير،كما فعل بكم [يوم بدر][3]﴿إذ أنتم﴾ بدل من يوم الفرقان، أو التقدير اذكروا إذ أنتم ﴿بالعدوة﴾ بشط الوادي، وبالكسر فيهما مكي، وأبو عمرو[4]﴿الدنيا﴾ القربي إلى جهة المدينة تأنيث الأدنى ﴿وهم بالعذوة القصوى﴾ البعدى عن المدينة تأنيث الاقصى وكلتاهما فعلا من بنات الواو، والقياس قلب الواو ياء كالعليا، تأنيث الأعلى، وأما القصوى: فكالقود في مجيئه على الأصل، ﴿وَالرَّكْبُ﴾ أي: العير، وهو جمع راكب في المعنى ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ نصب على الظرف،[5]أي مكانا أسفل من

---

(١) سورة التوبة رقم الآية [٦٢].

(٢) ساقطة من [ق].

(٣) في الأصل يومئذٍ

(٤) (بالعدوة) العين فيهما مكسورة، لابن كثير وأبي عمرو، وغيرهما بالضم. السبعة ص ٣٠٦؛ النشر ٢/٢٧٦

(٥) انظر اعراب القرآن للنحاس ٢/١٨٨؛ اعراب القرآن للعكبري ٢/٦

مكانكم يعني: في أسفل الوادي بثلاثة أميال، وهو مرفوع المحل، لأنه خبر المبتـدأ ﴿ولو تواعدتم﴾ أنتم، وأهل مكة، وتواضعتم بينكم، على [موعد][1] تلتقون فيه للقتال ﴿لاختلفتم فى الميعاد﴾ [لخالف][2] بعضكم بعضا، فثبطكـم، قلتكـم وكثرهم عن الوفاء بالموعد، وثبطهم ما في قلوبهم، من تهيب رسول الله - ﷺ - والمسلمين، فلم يتفق لكم من التلاقي،[.....][3]﴿ولـكن﴾ جمع بينكم بـلا ميعاد ﴿ليقضى الله أمرا كان مفعولا﴾ من إعزاز دينه، وإعلاء كلمته، والـلام تتعلق بمحذوف، أي: ليقضي الله أمرا كان ينبغي أن يفعل، وهو نصر أوليائـه، وقهر أعدائه دبر ذلك، قال الشيخ أبو منصور[4]-رحمه الله-:القضـاء يحتمـل الحكم، أي: ليحكم ما قد علم أنه يكون كائنا، أو ليتم أمرا كان قد أراده، وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة، وهو عز الإسلام، وأهله، وذل الكفر وحزبـه، ويتعلق بـ﴿يقضي﴾ ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عـن بينـة﴾ ﴿حيي﴾ نافع، وأبوبكـر،[5] فالإدغام: لالتقاء المثلين، والإظهار: لأن حركـة الثاني غير لازمة، لأنك تقول في المستقبل: يحيا، والإدغام أكثر، استعير الهـلاك، والحياة، للكفر، والإسلام[6]،أي: ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة، لا عـن مخالجة شبهة،حتى لا يبقى له على الله حجة، ويصدر إسلام من أسلم —أيضـا— عن يقين، وعلم، بأنه الدين الحق الـذي يجـب الـدخـول فيـه،

---

[1] في [ز] موضع.

[2] في [ز] بخلاف.

[3] في [ز] ماوفقه الله وسبب له.

[4] تقدمت ترجمته في ص

[5] انظر السبعة ص ٣٠٦-٣٠٧؛ النشر ٢٧٦/٢

[6] ولا مانع من أن تكون الحياة هنا حقيقية في أهل الاستقامة وذلك أن غير أهل الايمان لاتتحقق لهم حياة شريفة ولايوصفون بأنهم أحياء، فقوله تعالى: (ويحيى من حي ...) أي: ليتحقق له الحياة التي يستحق بها أن يوصـف بالحياة أما من لايؤمن فحياته غير متحققة لعدم استفادته منها، والله اعلم.

والتمسك [به][1] وذلك أن وقعة بدر، من الآيات الواضحة، التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه، مغالطا لها، ولهذا ذكر فيها مراكز الفريقين، وأن العير كانت أسفل منهم، مع أنهم قد علموا ذلك كله، مشاهدة، ليعلم الخلق أن النصر، والغلبة، لا تكون بالكثرة، والأسباب، بل بالله -تعالى- وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون،كان فيها الماء، وكانت أرضا لا بأس بها، ولا ماء بالعدوة الدنيا، وهي خبار[2] تسوخ فيها الأرجل، ولا يمشي فيها، إلا بتعب،[...][3] وكان العير وراء ظهور العدو، مع كثرة عددهم، وعدهم، وقلة المسلمين، وضعفهم، ثم كان ما كان ﴿وإن الله لسميع﴾ لأقوالهم ﴿عليم﴾ بكفر
٢١٤/ب من كفر، وعقابه،/ وبإيمان من آمن، وثوابه ﴿إذ يريكهم الله﴾ نصبه بإضمار: اذكر، أو هو متعلق بقوله ﴿لسميع عليم﴾ [4]أي: يعلم المصالح، إذ يقللهم في عينك ﴿فى منامك قليلا﴾ أي: في رؤياك، وذلك أن الله -تعالى- أراه إياهم، في رؤياه قليلا، فأخبر بذلك أصحابه، فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم ﴿ولو أراكهم كثيرا لفشلتم﴾ لجبنتم، وهبتم الإقدام،﴿ولتنازعتم فى الأمر﴾ أمر القتال، وترددتم بين الثبات، والفرار ﴿ولكن الله سلم﴾ عصم، وأنعم [...][5]بالسلامة من الفشل، والتنازع، والاختلاف ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ يعلم ما سيكون فيها من الجرأة، والجبن، والصبر، والجزع ﴿وإذ يريكموهم﴾ الضميران مفعولان، أي: وإذ يبصركم إياهم ﴿إذ التقيتم﴾ وقت اللقاء ﴿فى أعينكم قليلا﴾ هو نصب على الحال، وإنما قللهم في أعينهم، تصديقا لرؤيا رسول الله - ﷺ - وليعاينوا ما أخبرهم به، فيزداد يقينهم، ويجدوا، ويثبتوا

---

(١) ساقطة من [ز].

(٢) الخبار: كسحاب وهي: مالان من الأرض واسترخى، انظر اللسان مادة: خبر.

(٣) في [ق] زيادة: ومشقة.

(٤) انظر اعراب القرآن للعكبري ٨/٢ ؛ الدرالمصون ٤٢٤/٣

(٥) في [ز] زيادة: بإكرامه.

قال ابن مسعود —رضي الله عنه- لقد قللوا في أعيننا، حتى قلـــت لرجـــل إلى جنبي، أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، وكانوا ألفا[1] ﴿ويقللكم فى أعينـــهم﴾ حتى قال قائل منهم: إنما هم أكلة جزور، قيل: قد قللهم في أعينهم، قبل اللقـاء، ثم كثرهم فيما بعده، ليجترئوا عليهم، قلة مبالاة بهم، [ثم][2] تفجأهم الكـــثرة فيبهتوا، ويهابوا، ويجوز أن يبصروا الكثير قليلا، بأن يستر الله بعضهم بساتر، أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير،كما أحدث في أعين الحول ما يرون بــه الواحد اثنين، قيل لبعضهم: إن الأحول يرى الواحد اثنين، وكان بين يديه ديك واحد، فقال فمالي لا أرى هذين الديكين أربعة ﴿ليقضى الله أمرا كان مفعـــولا وإلى الله ترجع الأمور﴾ فيحكم فيها بما يريد، ترجع شامي، وحمزة، وعلي[3].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ

---

[1] ذكره الامام الطبري في تفسيره ١٣/٥٧٢-٥٧٣؛ الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٩/٢٢-٢٣؛ وانظر تفسير ابن عطية ٦/٣٢٦

[2] ساقطة من [ز].

[3] قرأ يعقوب بفتح حرف المضارعة وكسر الجيم في جميع القرآن ووافقه أبوعمرو في (واتقوا يوما ترجعون فيه ...) في البقرة ووافقه حمزة والكسائي وخلف في (وإنكم إلينا لاترجعون) في المؤمنين .... الخ، وقرأ الباقون: بضم حرف المضارعة وفتح الجيم. النشر ٢/٢٠٨-٢٠٩

فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٥٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٥١).

﴿يأأيها الذين أمنوا إذا لقيتم فئة﴾ إذا حاربتم جماعة من الكفار، وترك وصفها، لأن المؤمنين ماكانوا يلقون إلا الكفار، واللقاء اسم غالب للقتال ﴿فاثبتوا﴾ لقتالهم، ولا تفروا ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ في مواطن الحرب، مستظهرين بذكره، مستنصرين به، داعين له، على عدوكم: اللهم اخذلهم، اللهم اقطع دابرهم ﴿لعلكم تفلحون﴾ تظفرون بمرادكم من النصرة، والمثوبة، وفيه إشعار بأن على العبد، أن لا يفتر عن ذكر ربه، أشغل ما يكون قلبا، وأكثر ما يكون هما، وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك، وإن كانت متوزعة عن غيره ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾
٢١٥/أ في الأمر بالجهاد، والثبات مع العدو/ وغيرهما ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا﴾ فتجبنوا وهو منصوب بإضمار، أن، ويدل عليه ﴿وتذهب ريحكم﴾ أي: دولتكم، يقال: هبت رياح فلان، إذا دالت له الدولة، ونفد أمره، شبهت في [نفوذ][1] أمرها، وتمشيته بالريح، وهبوبها، وقيل: لم يكن نصر قط، إلا بريح يبعثها الله، وفي الحديث (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور)[2] ﴿واصبروا﴾ في القتال مع العدو، وغيره ﴿إن الله مع الصابرين﴾ أي: معينهم، وحافظهم ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديرهم بطرا ورئآء الناس﴾ هم أهل مكة، حين نفروا لحماية العير، فأتاهم رسول أبي سفيان، أن أرجعوا فقد سلمت عيركم، فأبى أبو جهل، وقال: حتى نقدم بدرا، ونشرب بها الخمور، وننحر الجزور، وتعزف علينا

---

(١) في [ق] في نفوذه وتمشيه.

(٢) متفق عليه فقد اخرجه البخاري في كتاب: الاستقامة، باب: قول النبي نصرت بالصبا ٤٦٢/٢، وفي كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق ٢١٤/٥، واخرجه الامام مسلم في كتاب: الاستسقاء باب: في ريح الصبا والدبور ٦١٧/٢ وكلاهما عن ابن عباس – رضي الله عنهما –

القيان، ونطعم بها العرب، فذلك بطرهم، ورياؤهم الناس بإطعامهم، فوافوها، فسقوا كؤوس المنايا، مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح، مكان القيان، فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين، طربين، مرائين بأعمالهم، وأن يكونوا من أهل التقوى، والكآبة والحزن من خشية الله، مخلصين أعمالهم لله، والبطران: تشغله سكر النعمة عن شكرها ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ دين الله ﴿والله بما يعملون محيط﴾ عالم، وهو وعيد ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس﴾ واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله -ﷺ- ووسوس إليهم، أنهم لا يغلبون، ﴿غالب﴾ مبني، نحو: لارجل ﴿ولكم﴾ في موضع رفع خبر[1]لا، تقديره: لا غالب كائن لكم ﴿وإنى جار لكم﴾ أي: مجير لكم، أوهمهم أن طاعة الشيطان مما يجيرهم ﴿فلما تراءت الفئتان﴾ فلما تلاقى الفريقان ﴿نكص﴾ الشيطان هاربا ﴿على عقبيه﴾ أي: رجع القهقري ﴿وقال إنى برىء منكم﴾ أي: رجعت عما ضمنت لكم من الأمان، روي أن إبليس تمثل لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم في جند من الشياطين، معه راية، فلما رأى الملائكة تنزل نكص، فقال له الحارث بن هشام: أتخذ لنا في هذه الحالة فقال ﴿إنى أرى ما لا ترون﴾ أي: الملائكة وانهزموا، فلما بلغوا مكة قالوا: هزم الناس سراقة، فبلغ ذلك سراقة، فقال: والله ما شعرت بمسيركم،حتى بلغتني هزيمتكم، فلما أسلموا، علموا أنه الشيطان[2] ﴿إنى أخاف الله﴾ أي: عقوبته ﴿والله شديد العقاب﴾ اذكروا ﴿إذ يقول المنافقون﴾ بالمدينة ﴿والذين فى قلوبهم مرض﴾ هو من صفة المنافقين، أو أريد، الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام ﴿غر هؤلاء دينهم﴾ يعنون: أن المسلمين اغتروا بدينهم، فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر، إلى زهاء

---

(1) انظر إعراب القرآن للعكبري ٨/٢؛ الدرالمصون ٤٢٥/٣

(2) ذكره الامام الطبري في تفسيره ٧/١٤ ومابعدها؛ تفسير ابن عطية ٣٣٤/٦ ومابعدها.

ألف ثم قال جوابا لهم: ﴿ومن يتوكل على الله﴾ / يكل إليه أمره ﴿فإن الله ٢١٥/ب
عزيز﴾ غالب يسلط القليل الضعيف، على الكثير القوي ﴿حكيم﴾ لا يسوي بين وليه، وعدوه، ﴿ولو ترى﴾ ولو عاينت وشاهدت، لأن لو ترد المضلوع إلى معنى الماضي، كما ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال ﴿إذ﴾ نصب على الظرف ﴿يتوفى الذين كفروا﴾ يقبض أرواحهم ﴿الملائكة﴾ فاعل ﴿يضربون﴾ حال منهم ﴿وجوههم﴾ إذا أقبلوا ﴿وأدبارهم﴾ ظهورهم، وأستاههم، إذا أدبروا، أو وجوههم عند الإقدام، وأدبارهم عند الانهزام، وقيل: في ﴿يتوفى﴾ ضمير الله - تعالى - والملائكة مرفوعة بالابتداء ﴿ويضربون﴾خبر،[1] والأول: الوجه،[2]لأن الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيهم بلا واسطة، دليله: قراءة ابن عامر تتوفى بالتاء[3]﴿وذوقوا﴾ ويقولون لهم: ذوقوا معطوف على يضربون ﴿عذاب الحريق﴾ أي: مقدمة عذاب النار، أو ذوقوا عذاب الآخرة، بشارة لهم به أو يقال لهم يوم القيامة: ﴿ذوقوا﴾ وجواب لو: محذوف أي: لرأيت أمرا فظيعا ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ أي: كسبت، وهو رد على الجبرية،[4]وهو من كلام الله - تعالى - أو من كلام الملائكة، وذلك رفع بالابتداء، ﴿وبما قدمت﴾خبره[5]﴿وأن الله﴾ عطف عليه، أي: ذلك العذاب بسببين: بسبب كفركم، ومعاصيكم، وبأن الله ﴿ليس بظلام للعبيد﴾ لأن تعذيب الكفار من العدل، وقيل: ظلام للتكثير لأجل العبيد، أو لنفي أنواع الظلم، الكاف في:

---

(١) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/١٩٠؛ إعراب القرآن للعكبري ٢/٨

(٢) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ الوجه الأول ولعل الصواب أن يقال: والأول أوجه.

(٣) السبعة ص ٣٠٧؛ النشر ٢/٢٧٧

(٤) لأنهم ينفون الفعل حقيقة عن العبد ويضيفونه إلى الرب عزوجل، وهم أصناف ثلاثة، انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/٨٥-٨٦؛ وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٥-٢٢٦

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٩١؛ اعراب القرآن للعكبري ١/١٦٠

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ(٥٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٥٣) كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَـٰلِمِينَ(٥٤) إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(٥٥) ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ(٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ(٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ(٥٨) وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾(٥٩).

﴿كدأب آل فرعون﴾ في محل الرفع، أي: دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون، ودأبهم: عادتهم، وعملهم الذي دأبوا فيه، أي: داوموا عليه ﴿والذين من قبلهم﴾ من قبل قريش، أو من قبل آل فرعون ﴿كفروا﴾ تفسير لدأب آل فرعون ﴿بأيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوى شديد العقاب﴾ والمعنى: جرواعلى عادتهم في التكذيب، فأجرى عليهم مثل ما فعل بهم في التعذيب ﴿ذلك﴾ العذاب، أو الانتقام ﴿بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ بسبب أن الله لم يصح في حكمته، أن يغير نعمته عند قوم، حتى يغيروا ما بهم، من الحال، نعم لم يكن لآل فرعون، ومشركي مكة حال مرضية، فيغيروها إلى حال مسخوطة، لكن لما تغيرت الحال المرضية،[1] إلى

---

[1] يشير هنا إلى الحال التي كان عليها أهل الجاهلية قبل الاسلام، ولهذا فإن قوله هنا [الحال المرضية] غير سليم لأن الله عزوجل لم يكن راضيا على تلك الحال التي قد تكون مرضية بالنسبة لهم أما عند الله عزوجل فقد كانوا ممقوتين

المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة إلى أسخط منها، وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم،كفرة عبدة أصنام، فلما بعث إليهم بالآيات، فكذبوه، وسعوا في إراقة دمه، غيروا حالهم إلى أسوأ مماكانت، فغير الله ما أنعم به عليهم، من الإمهال، وعاجلهم بالعذاب ﴿وأن الله سميع﴾ لما يقول مكذبوا الرسل ﴿عليم﴾ بما يفعلون ﴿كدأب ءال فرعون﴾ تكرير للتأكيد، أو لأن في الأولى الأخذ بالذنوب بلا بيان ذلك، وهنا بين أن ذلك هو الإهلاك والاستئصال ﴿والذين من قبلهم كذبوا بأيات ربهم﴾ وفي قوله ﴿بآيات ربهم﴾ / زيادة دلالة على كفران النعم، وجحود الحق ﴿فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنآ آل فرعون﴾ بماء البحر ﴿وكل﴾ وكلهم من غرقي القبط، وقتلى قريش ﴿كانوا ظالمين﴾ أنفسهم بالكفر، والمعاصي ﴿إن شر الدوآب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ أي: أصروا على الكفر، فلا يتوقع منهم الإيمان ﴿الذين عاهدت منهم﴾ بدل من الذين كفروا، أي: الذين عاهدتهم من الذين كفروا، وجعلهم شرالدواب، لأن شر الناس: الكفار، وشر الكفار: المصرون، وشر المصرين، الناكثون للعهود ﴿ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة﴾ في كل معاهدة ﴿وهم لا يتقون﴾ لا يخافون عاقبة الغدر، ولا يبالون بما فيه من العار، والنار،﴿فإما تثقفنهم فى الحرب﴾ فإما تصادفنهم وتظفرن بهم ﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ ففرق عن محاربتك، ومناصبتك، بقتلهم شر قتلة، والنكاية فيهم، من ورائهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد، اعتبارا بهم، واتعاظا بحالهم، وقال الزجاج[1]: افعل بهم ما تفرق، وتطرد به من عداهم ﴿لعلهم يذكرون﴾ لعل

216/أ

كما ورد في حديث : (إن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض عربهم وعجمهم فمقتهم إلا بقايا من أهل الكتاب ...) صحيح مسلم بشرح النووى ٢١٦٧/٤ والمراد بقايا من أهل الكتاب هم الباقون على دينهم من غير تبديل، فيناسب أن يقال هنا: كانوا مسخوطا عليهم فتضاعف السخط، أو يكون الكلام على نعم الدنيا، والله اعلم.

[1] تقدمت ترجمته في صفحة

المشردين من ورائهم يتعظون ﴿وإما تخافن من قوم﴾ معاهدين ﴿خيانة﴾ نكثا بأمارات تلوح لك ﴿فانبذ إليهم﴾ فاطرح إليهم العهد ﴿على سوآء﴾ على استواء منك، ومنهم، في العلم بنقض العهد، وهو حال من النابذ، والمنبوذ إليهم، إي:حاصلين على استواء في العلم ﴿إن الله لا يحب الخآئنين﴾ الناقضين للعهود ﴿ولا يحسبن﴾ بالياء وفتح السين، شامي، وحمزة، ويزيد، وحفص، وبالتاء وفتح السين: أبوبكر، وبالتاء وكسر السين: غيرهم[1]﴿الذين كفروا سبقوا﴾ فاتوا، وأفلتوا من أن يظفر بهم ﴿إنهم لا يعجزون﴾ إنهم لا يفوتون، ولا يجدون طالبهم، عاجزا عن إدراكهم، ﴿أنهم﴾ شامي، أي: لأنهم وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل، غير أن المكسورة: على طريقة الاستئناف، والمفتوحة: تعليل صريح، فمن قرأ بالتاء، فالذين كفروا [مفعول][2] أول، والثاني: سبقوا ومن قرأ بالياء: فالذين كفروا فاعل، وسبقوا مفعول، تقديره: أن سبقوا فحذف، أن وأن مخففة من الثقيلة، أي: أنهم سبقوا فسد مسد المفعولين، أو يكون الفاعل مضمرا[3]أي: ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين، ومن ادعى تفرد حمزة بالقراءة، ففيه نظر، لمابينا، من عدم تفرده بها، وعن الزهري[4] أنها نزلت فيمن أفلت من فل[5] المشركين[6].

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ

---

[1] انظر السبعة ص ٣٠٧؛ النشر ٢/٢٧٧

[2] ساقطة من الأصل ومن [ق].

[3] السبعة ص ٣٠٧ والدذالمصون ٣/٤٣٠

[4] تقدمت ترجمته ص ١٣١

[5] الفل: الجماعة المنهزمة يستوى فيه الواحد والجمع، اللسان مادة: فل جـ ١١/٥٣١

[6] انظر تفسير ابن عطية ٦/٣٥٢؛ تفسير البحر المحيط ٤/٥٠٥

فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ(٦١) وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن
يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ(٦٢)
وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٦٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ(٦٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن
يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ(٦٥) ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ
وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن
يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ(٦٦) مَا كَانَ لِنَبِىٍّ
أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ
يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٦٧).

﴿وأعدوا﴾ أيها المؤمنون ﴿لهم﴾ لناقضي العهد، أو لجميع الكفار ﴿ما استطعتم من قوة﴾ من كل ما يتقوى به في الحرب، من عددهـــا، وفي الحديـــث (ألا إن القوة الرمى)[1] قالها ثلاثا على المنبر، وقيل: هي الحصون ﴿ومن رباط الخيـــل﴾ هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، أو هو جمع ربيط، كفصيل، وفصـــــال، وخص الخيل من بين ما يتقوى به، كقوله: جبريل، وميكال[2] ﴿ترهبون به﴾ بمـــا
استطعتم ﴿عدو الله وعدوكم﴾ أي: أهل مكة /﴿وءاخرين من دونهم﴾ غيرهم، ٢١٦/ب
وهم: اليهود، أو المنافقون، أو أهل فارس، أو كفرة الجـــن، في الحديـــث (إن

(١) أخرجه الامام مسلم في كتاب الامارة، باب: فضل الرمي والحث عليه ١٥٢٣/٣ والامام أحمـــد في مسنده ١٥٧/٤ وكلاهما عن عقبة بن عامر — رضي الله عنه –

(٢) الدر المصون ٤٣١/٣

الشيطان لا يقرب صاحب فرس، ولا دارا فيها فرس عتيق)[1] وروي أن صهيل الخيل يرهب الجن[2]﴿لا تعلمونهم﴾ لا تعرفونهم بأعيانهم ﴿الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم﴾ [يوفر][3] عليكم جزاؤه،﴿وأنتم لا تظلمون﴾ في الجزاء، بل تعطون على التمام ﴿وإن جنحوا﴾ مالوا، جنح له، وإليه مال ﴿للسلم﴾ للصلح، وبكسر السين أبو بكر،[4]وهو مؤنث تأنيث ضدها، وهو الحرب ﴿فاجنح لها﴾ فمل إليها ﴿وتوكل على الله﴾ ولا تخف من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم، فإن الله كافيك، وعاصمك من مكرهم ﴿إنه هو السميع﴾ لأقوالك ﴿العليم﴾ بأحوالك ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ يمكروك، ويغدروا ﴿فإن حسبك الله﴾ كافيك الله ﴿هو الذي أيدك﴾ قواك ﴿بنصره وبالمؤمنين﴾ جميعا، أو بالأنصار ﴿وألف بين قلوبهم﴾ [قلوب الأوس، والخزرج بعد تعاديهم، مائة وعشرين سنة][5]﴿لو أنفقت ما فى الأرض جميعا مآ ألفت بين قلوبهم﴾ أي: بلغت عداوتهم مبلغا، لوأنفق منفق في إصلاح ذات بينهم مافي الأرض، من الأموال، لم يقدر عليه ﴿ولكن الله ألف بينهم﴾ بفضله، ورحمته، وجمع بين كلمتهم بقدرته، فأحدث بينهم التواد، والتحاب، وأماط عنهم التباغض والتماقت ﴿إنه عزيز﴾ يقهر من يخدعونك ﴿حكيم﴾ ينصر من يتبعونك﴿يَأَيُّهَا النَّبِىُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الواو

---

(1) حكى نحوه الامام السيوطي في الدر ٩٧/٤ وعزاه لسعد والحارث بن أبي أسامة وأبويعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم، وانظر القرطبي ٣٨/٨ وقال الحافظ بن حجر: لم أجده هكذا، ينظر تخريج الزيلعي لأحاديث الكشاف ٣٣/٢

(2) ذكره الامام الطبري في تفسيره ٣٨/١٤ لكن قال ابن كثير –يرحمه الله– إن هذا الحديث منكر لايصح اسناده....... انظر تفسير ابن كثير ٣٢٢/٢، قال الامام القرطبي: ولاينبغي أن يقال فيه شيء لأن الله سبحانه قال: (وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم) فكيف يدعى أحد علمائهم إلا أن يصح حديث جاء ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.... الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٨/٨ وانظر: تخريج الزيلعي ٣٤/٢

(3) في [ق] يوفره.

(4) قرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر بكسر السين والباقي بالفتح السبعة ص ٣٠٨

(5) ساقطة من [ز].

بمعنى مع، وما بعده منصوب، والمعنى: كفاك، وكفى أتباعك من المؤمنـــين، الله ناصرا. ويجوز أن يكون في محل الرفع أي: كفاك الله، وكفاك المؤمنون،[1] قيـل: أسلم مع النبي -ﷺ- ثلاثة وثلاثون رجلا، وســت نسـوة ثم أسـلم عمـر فنـزلت[2]﴿يأأيها النبى حرض المؤمنين على القتال﴾ التحريض: المبالغـــة في الحث على الأمر، من الحرض وهو أن ينهكه المرض، حتى يشفي على المـــوت ﴿إن يكن منكم عشرون صبرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوآ ألفــا من الذين كفروا﴾ هذه عدة من الله، وبشارة بأن الجماعـــة مـــن المؤمنـــين إن صبروا، غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار، بعون الله وتـــأييده ﴿بأنـــهم قـــوم لا يفقهون﴾ بسبب أن الكفار قوم جهلة،يقاتلون على غير احتســـاب، وطلـــب ثواب، كالبهائم، فيقل ثباهم، ويعدمون لجهلهم بالله نصرته، خلاف من يقـــاتل على بصيرة، وهو يرجو النصر من الله، قيل: كان عليهم أن لا يفـــروا ويثبـــت الواحد للعشرة، ثم ثقل عليهم ذلك، فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله: ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا﴾ ضعفا عاصم وحمـــزة[3] ﴿فإن يكن منكم نمائة صابرة﴾ بالياء فيهما،كوفي، ووافق البصـــري في الأولى،[4]
٢١٧/أ والمراد:الضعف في البدن ﴿يغلبوا مائتين / وإن يكن منكم ألف يغلبوآ ألفين بإذن الله والله مع الصابرين﴾ وتكرير مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده، للدلالة على أن الحال مع القلة، والكثرة، لا تتفـــاوت، إذ الحـــال قـــد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين، والمائة الألف، وكذلك بين مقاومة المائـــة:

---

(1) إعراب القرآن للنحاس ١٩٤/٢-١٩٥ ؛ إعراب القرآن للعكبري ١٠/٢-١١

(2) أخرجه الامام الطبري في الكبير ٤٧/١٢ حديث رقم [١٢٤٧٠] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس — رضـي الله عنهما — وهو ضعيف بهذا الاسناد، لأن فيه إسحاق بن بشر الكاهلي كان يضع الحديث على الثقات. وكذبه مطين وموسى بن هارون وأبوزرعة ... لسان الميزان ٣٥٥/١ ط ٢ دائرة المعارف — الهند ١٣٩٠

(3) عاصم وحمزة بفتح الضاد وفي الروم، والآخرون بضمها. السبعة ص ٣٠٨-٣٠٩

(4) انظر النشر في القراءات العشر ٢٧٧/٢

المائتين، والألف: الألفين ﴿ما كان لنبى﴾ ماصح له، ولا استقام ﴿أن يكون لــه أسرى﴾ أن تكون بصري[1]﴿حتى يثخن فى الأرض﴾ الإثخان: كثرة القتـــل، والمبالغة فيه من الثخانة، وهي الغلظ،والكثافة،[2] حتى يذل الكفر بإشاعة القتـل في أهله، ويعز الإسلام بالاستيلاء، والقهر،ثم الأسر بعد ذلك، (روى أن رسـول الله -ﷺ- أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه، وعقيل، فاستشار النبي -عليـه السلام- أبا بكر فيهم، فقال: قومك، وأهلك، استبقهم، لعل الله يتوب عليـهم، وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك، وقال عمر -رضي الله عنـــه- كذبـوك، وأخرجوك، فقدمهم، واضرب أعناقهم، فإن هؤلاء أئمة الكفر، وإن الله أغنـاك عن الفداء، مكن عليا من عقيل، وحمزة من العباس، ومكنى من فلان لنسيب له، فلنضرب أعناقهم، فقال عليه السلام: (مثلك يا أبابكر كمثل إبراهيم، حيث قال ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ [3] ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قـــال ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ [4] ثم قال رســول الله - ﷺ - لهم: (إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم فاديتموهم، واستشهد منكم بعدهـــــم)[5] فقالوا: بل نأخذ الفداء، فاستشهدوا بأحد، فلما أخذوا الفــداء نزلـت الآيـة ﴿تريدون عرض الدنيا﴾ متاعها، يعني: الفداء، سماه عرضا لقلة بقائه، وســرعة فنائه ﴿والله يريد الآخرة﴾ أي: ماهو سبب الجنة، من إعزاز الإسلام، بالاثخـان في القتل ﴿والله عزيز﴾ يقهر الأعداء ﴿حكيم﴾ في عتاب الأولياء.

---

(1) أبوعمرو وحده بالتاء وغيره بالياء. السبعة ص ٣٠٩

(2) يقال: قد أثخنه المرض إذا أشتد قوته عليه ووهنه والمراد به هنا: المبالغة في قتل الكفار .... اللســـان ٧٧/١٣ مادة: ثخن.

(3) من الآية [٣٦] من سورة إبراهيم.

(4) من الآية [٢٦] من سورة نوح.

(5) أخرج نحوه الامام أحمد في مسنده ٣٨٣/١ والامام الطبري في الكبير ١٤٣/١٠-١٤٤ وغيرهما كما اخرجــه الحـاكم ٢١/٣-٢٢ وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي، واخرجه غيرهم بطرق كثيرة. وانظر تخريج الزيلعى ٣٧/٢

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٦٨) فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٦٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٧٠) وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٧١) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(٧٢) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾(٧٣).

﴿لولا كتاب من الله﴾ لولا حكم من الله ﴿سبق﴾ أن لا يعذب أحدا على العمل بالاجتهاد، وكان هذا اجتهادا منهم لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سببا في إسلامهم، وأن فداءهم يتقوى به، على الجهاد، وخفي عليهم إن قتلهم أعز للإسلام، وأهيب لمن وراءهم، أو ماكتب الله في اللوح، أن لايعذب أهل بدر، أو ألا يؤاخذ قبل البيان، والإعذار، وفيما ذكر من الاستشارة دلالة جواز الاجتهاد، فيكون حجة على منكري القياس، ﴿كتاب﴾ مبتدأ، ﴿ومن الله﴾ صفته، أي: لولا كتاب ثابت من الله ﴿وسبق﴾ صفة أخرى له، وخبر المبتدأ محذوف، أي: لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود، ﴿وسبق﴾ لا يجوز أن يكون خبرا لأن لولا لا يظهر خبرها أبدا[1] ﴿لمسكم﴾ لنا لكم، وأصابكم ﴿فيمآ أخذتم﴾ من فداء الأسرى ﴿عذاب عظيم﴾ روي أن عمر–رضي الله

[1] إعراب القرآن للنحاس ١٩٧/٢ ؛ إعراب القرآن للعكبري ١٠/٢

عنه-دخل على رسول الله - ﷺ -/ فإذا هو وأبو بكر يبكيان، فقال يارسول الله أخبرني، فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت فقال: (أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه)[1] وروى أنه عليه السلام قال: (لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ)[2] لقوله: كان الاثخان في القتل أحب إلي ﴿فكلوا مما غنمتم﴾ روى أنهم أمسكوا عن الغنائم و لم يمدوا أيديهم إليها فنزلت،[3] وقيل: هو إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم والفاء للتسبيب والسبب محذوف ومعناه قد أحللت لكم الغنائم فكلوا ﴿حلالا﴾ مطلقا عن العتاب، والعقاب، من حل العقال، وهو نصب على الحال، من المغنوم، أو صفة للمصدر، أي: أكلا حلالا[4] ﴿طيبا﴾ لذيذا هنيئا، أو حلالا بالشرع، طيبا بالطبع ﴿واتقوا الله﴾ فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه ﴿إن الله غفور﴾ لما فعلتم من قبل ﴿رحيم﴾ بإحلال ما غنمتم ﴿يأأيها النبي قل لمن فى أيديكم﴾ في ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم ﴿من الأسرى﴾ جمع أسير، من الأسارى، أبو عمرو،[5] جمع أسرى ﴿إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا﴾ خلوص إيمان، وصحة نية ﴿يؤتكم خيرا ممآ أخذ منكم﴾ من الفداء، إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه، أو يثيبكم في الآخرة، ﴿ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾ روي أنه قدم على رسول الله - ﷺ - مال البحرين ثمانون ألفا، فتوضأ لصلاة الظهر، وماصلى، حتى فرقه، وأمر العباس أن يأخذ منه، فأخذ منه ما قدر على

٢١٧/ب

---

(1) جزء من حديث طويل أخرجه الامام مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ١٣٨٣/٣-١٣٨٥ باب: الامداد بالملائكة في غزوة بدر، والامام أحمد في مسنده ٣٠/١-٣٢ واخرجه غيرهما.

(2) انظر تفسير ابن عطية ٣٨٣/٦

(3) انظر الدرالمنثور ١١٠/٤-١١١

(4) إعراب القرآن للنحاس ١٩٨/٢ ؛ الدرالمصون ٤٣٧/٣

(5) وحده، والآخرون: (من الأسرى) بدون ألف. السبعة ص ٣٠٩

حمله،وكان يقول هذا خير مما أخذ مني، وأرجو المغفرة، وكان له عشرون عبدا، وإن أدناهم ليتجر في عشرين [ألفا][1] وكان يقول أنجز أحد الوعدين، وأنا على ثقة من الآخر[2]﴿وإن يريدوا﴾ أي: الأسرى ﴿خيانتك﴾ نكث ما بايعوك عليـه من الإسلام، بالردة، أو منع ما ضمنوا من الفداء ﴿فقد خانوا الله من قبـل﴾ في كفرهم به، ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه ﴿فأمكن منهم﴾ فـأمكنك منهم، أي: أظفرك بهم،كما رأيتم يوم بدر، فسيمكن منهم، إن عادوا إلى الخيانة ﴿والله عليم﴾ بالمآل ﴿حكيم﴾ فيما أمر في الحال ﴿إن الذين أمنوا وهـــاجروا﴾ من مكة حباللہ ورسوله ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى ســـبيل الله﴾ هـــم المهاجرون ﴿والذين ءاووا ونصروا﴾ أي: آووهم إلى ديارهم، ونصروهم علــى أعدائهم، وهم الأنصار ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ أي: يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والأنصار، يتوارثون بالهجرة، وبـالنصرة، دون ذوي القرابات، حتى نسخ ذلك بقوله: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولي ببعض﴾ وقيـل: أراد به النصرة، والمعاونة، ﴿والذين أمنوا ولم يهاجروا﴾ من / مكة ﴿مالكم من ٢١٨/أ
ولايتهم﴾ من توليهم في الميراث. ﴿ولايتهم﴾ حمزة،[3] وقيل: هما واحد ﴿مـــن شيء حتى يهاجروا﴾ فكان لا يرث المؤمن الذي لم يهاجر ممن آمن، وهـــاجر، ولما أبقى للذين لم يهاجروا اسم الإيمان، وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركـــها مرتكبين كبيرة، دل على أن صاحب الكبيرة، لا يخرج مــــن الإيمـــان[4]﴿وإن

---

[1] في [ق] عبدا.

[2] ذكر نحوه الامام الطبري ١٤/٧٣-٧٤ عن قتادة وهو مرسل بهذا الاسناد، وذكر قريبا منــه ابــن أبي حــاتم ٥/١٧٣٦-١٧٣٧ عن ابن عباس وأبي هريرة وسعيد بن جبير وغيرهم، وينظر تفسير ابن عطيــة ٦/٣٨٤-٣٨٦، والقرطبي ٨/٥٢ ومابعده.

[3] قرأ حمزة بكسر الواو وباقي السبعة والجمهور بفتحها. السبعة ص ٣٠٩؛ تفسير البحر المحيط ٤/٥١٨

[4] وفي هذا رد على الخوارج والمعتزلة الذين يخرجون صاحب الكبيرة من الايمان والاسلام وذلـــك أن الايمـــان والاسلام عندهم واحد إلا أن الخوارج تقول: يكفر مرتكب الكبيرة، والمعتزلة تقول: لامسلمون ولاكفار بل هـــم في منـــزلة بين المنـــزلتين، ولاشك أن اعتقادهم هذا مردود بنصوص الكتاب والسنة ومخالف لمذهب أهل الســـنة

استنصروكم﴾ أي: من أسلم، ولم يهاجر ﴿في الدين فعليكم النصـــر﴾ أي: إن وقع بينهم، وبين الكفار قتال، وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم علـــى الكافرين ﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ فإنه لا يجوز لكم نصركم عليهم، لأنهم لا يبتدئون بالقتال، إذا الميثاق مانع من ذلك ﴿والله بما تعملون بصـــير﴾ تحذير عن تعدي حد الشرع ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعـــض﴾ ظـــاهره إثبات الموالالة بينهم، ومعناه: نهي المسلمين عن موالاة الكفـــار، وموارثتـــهم وإيجاب مباعدتهم، ومصارمتهم، وإن كانوا أقـــارب، وأن يـــتركوا يتوارثـــون بعضهم بعضا، ثم قال ﴿إلا تفعلوه﴾ أي: إلا تفعلوا ما أمرتكم به، من تواصـــل المسلمين، وتولى بعضهم بعضا، حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام، علـــى نسبة القرابة، ولم تجعلوا قرابة الكفار كلا قرابة ﴿تكن فتنة فى الأرض وفســـاد كبير﴾ تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة، لأن المسلمين مالم يصيروا يـــدا واحدة على الشرك، كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ(٧٤) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ﴾(٧٥).

﴿والذين أمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا﴾ لأنهم صدقوا إيمانهم، وحققوه بتحصيل مقتضياته، من هجـــرة الوطن، ومفارقة الأهل، والسكن، والإنسلاخ من المال، والدنيا، لأجل الديـــن

والجماعة القائلين: بأن مرتكب الكبيرة لايخرج عن الايمان بل هو في مشيئة الله تعالى — إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. انظر شرح العقيدة الطحاوية من ص ٣١٣ ومابعدها؛ كتاب الايمان من مجموع الفتاوى لابن تيميـــة ٢٢٢/٧ ومابعدها؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٨١٦/٤ ومابعدها مع ملاحظة التعليق على الحاشية لفضيلـــة الاستاذ الدكتور/ أحمد سعيد الغامدي.

والعقبى ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لا منة فيه، ولا تنغيص، ولا تكرار، لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم، مع الوعد الكريم، والأولى للأمر بالتواصل ﴿وَالذِينَ أمَنُوا مِن بَعْدُ﴾ يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة ﴿وَهَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا مَعَكُم فَأُولَئِكَ مِنكُمْ﴾ جعلهم منهم، تفضلاً، وترغيباً ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ وأولوا القرابات أولى بالتوارث، وهو نسخ للتوارث بالهجرة، والنصرة ﴿فِي كِتَابِ اللهِ﴾ في حكمه، وقسمته، أو في اللوح، أو في القرآن، وهو آية المواريث، وهو دليل لنا على توريث ذوي الأرحام[1] ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شيء عليم﴾ فيقضي بين عباده بما شاء من أحكامه، قسم الناس أربعة أقسام قسم آمنوا، وهاجروا، وقسم آمنوا، ونصروا، وقسم آمنوا، ولم يهاجروا، وقسم كفروا، ولم يؤمنوا.

---

[1] وذو الأرحام هم: من لاسهم لهم في الكتاب من قرابة الميت وليس بعصبة، كأولاد البنات، وأولاد الأخوات، وبنات الأخ، والعمة والخالة، والعم أخ الأب للأم، والجد أبي الأم، والجدة أم الأم، ومن ادلى بهم.

فقال قوم: لايرث من لافرض له من ذوى الأرحام، وقال أخرون بتوريثهم، وفي المجموع شرح المهذب ١١٣/١٦ يرجح عدم قسمة المال على ذوى الأرحام ويصرفه إلى بيت مال المسلمين، وانظر الجامع لأحكام القرآن ٥٩/٨-٦٠

[ســـــورة الـتـوبـة]

مدنية،[1] وهي مائة وتسع وعشرون آية،كوفي، ومائة وثلاثون، غيره)[2]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ (٢) وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣)﴾

لها أسماء[3]: براءة، التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة،/ الحافرة، المنكلة، المدمدمة، لأن فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش ٢١٨/ب
من النفاق، أي: تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين، وتبحث عنها، وتثيرها، وتحفر عنها، وتفضحهم، وتنكلهم، وتشردهم، وتخزيهم، وتدمدم عليهم،[4] وفي ترك التسمية في ابتدائها أقوال؛ فعن علي، وابن عباس –رضي الله عنهم- أن بسم الله أمان، وبراءة نزلت لرفع الأمان،[5] وعن عثمان –رضي الله عنه- أن رسول الله –ﷺ- كان إذا نزلت عليه سورة، أو آية قال: اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه،كذا وكذا. وتوفي رسول الله –ﷺ- ولم يبين لنا أين

---

(1) إلا أيتين: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى أخر السورة، تفسير ابن عطية ٣٩٦/٦؛ معالم التنزيل ٣/٣

(2) انظر التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ص ٥٢٦

(3) في [ز] عدة أسماء.

(4) وتسمى – أيضا – سورة العذاب، وهذا القول مروى عن حذيفة، انظر تفسير ابن عطية ٣٩٧/٦؛ زاد المسير ٣٨٩/٣

(5) ذكره ابن عطية ٣٩٧/٦؛ وزاد المسير ٣٩٠/٣؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٢/٨

نضعها،وكانت قصتها تشبه قصة الأنفال، لأن فيها ذكر العهود، وفي براءة نبذ العهود، فلذلك قرنت بينهما، وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطول، وهي سبع، وقيل: اختلف أصحاب رسول الله -ﷺ- فقال بعضهم: الأنفال، وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال، وقال بعضهم: هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال: هما سورتان، وتركت ﴿بسم الله﴾ لقول من قال هما سورة واحدة[1]﴿براءة﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هذه براءة[2]﴿من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ ﴿من﴾ لابتداء الغاية، متعلق بمحذوف، أي: هذه براءة، واصلة: من الله ورسوله، إلى الذين عاهدتم كما تقول: كتاب من فلان، إلى فلان، أو مبتدأ لتخصصها بصفتها، والخبر: ﴿إلى الذين عاهدتم﴾ كقولك رجل من بني تميم في الدار، والمعنى: أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين، وأنه منبوذ إليهم (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) فسيروا في الأرض كيف شئتم والسيح: السير على مهل، روي أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة، وغيرهم من العرب، فنكثوا إلا ناسا منهم، وهم بنو ضمرة، وبنو كنانة، فنبذ العهد إلى الناكثين، وأمروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاءوا، لايتعرض لهم،[3]وهي الأشهر الحرم في قوله: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل، والقتال فيها، وكان نزولها سنة تسع من الهجرة، وفتح مكة سنة ثمان، وكان الأمير فيها: عتاب بن أسيد، وأمر رسول الله -ﷺ- أبابكر، على موسم سنة تسع، ثم أتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم، فقيل له: لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال: لا يؤدي عني إلا رجل مني، فلما دنا علي سمع أبو بكر

---

[1] تفسير ابن عطية ٣٩٧/٦؛ زاد المسير ٣٩٠/٣؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٢/٨

[2] اعراب القرآن للنحاس ٢٠١/٢؛ اعراب القرآن للعكبري ١١/٢

[3] انظر تفسير الطبري ٩٦/١٤ ومابعدها؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٤/٨-٦٥

الرغاء فوقف وقال: هذا رغاء ناقة رسول الله -ﷺ- فلما لحقه، قال أمـــير أو مأمور؟ قال: مأمور، فلما كان قبل التروية، خطب أبوبكـــر وحدثـــهم عـــن مناسكهم، وقام علي يوم النحر، عند جمرة العقبة، فقال يا أيـــها النـــاس: إني
رسول رسول الله إليكم، فقالوا/ بماذا؟ فقرأ عليهم ثلاثين، أو أربعين آية، ثم قال ٢١٩/أ
أمرت بأربع، أن لا يقرب البيت، بعد هذا العام مشرك، ولا يطـــوف بـــالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة، وأن يتم إلى كل ذي عهد عـــهده، فقالوا عند ذلك يا علي: أبلغ ابن عمك، أنا قد نبذنا العهد، وراء ظهورنا، وأنـــه ليس بيننا وبينه عهد، إلا طعن بالرماح، وضرب السيوف،[1] والأشهر الأربعـــة: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، أو عشرون من ذي الحجة، والمحـــرم، وصفر، وشهر ربيع الأول، [وعشر من ربيع الآخر وكانت حرمـــا][2] لأنهـــم أومنوا فيها، وحرم قتلهم، وقتالهم، أو على التغليب، لأن ذا الحجة، والمحرم منها، والجمهور على إباحة القتال في الأشهر الحرم، وأن ذلك قد نسخ ﴿ واعلمـــوا أنكم غير معجزي الله﴾ لا تفوتونه وإن أمهلكم ﴿وأن الله مخزي الكـــافرين﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل، وفي الآخرة بالعذاب ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس﴾ ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين، ثم الجملة معطوفة على مثلـــها،[3] والأذان، بمعنى: الإيذان، وهو الإعلام، كما أن الأمان، والعطاء بمعنى: الإيمان والإعطـــاء، والفرق بين الجملة الأولى، والثانية، أن الأولى: إخبار بثبوت البراءة، والثانيـــة: إخبار بوجوب الإعلام، بما ثبت، وإنما علقت البراءة بـــالذين عوهـــدوا مـــن المشركين، وعلق الأذان بالناس، لأن البراءة مختصة بالمعاهدين، والناكثين منـــهم،

---

(1) ذكره الامام القرطبي عن علي وابن عباس وغيرهما، انظر تفسير الطبري ١٤/١٠٦ ومابعدها؛ الجامع لأحكـــام القرآن للقرطبي ٨/٦٧-٦٨

(2) في الأصل: وعشر من شهر ربيع الآخر وفي [ز] وعشرين من ربيع الآخر فكان حرما.

(3) انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٠٢؛ الدرالمصون ٣/٤٤١

وأما الأذان فعام لجميع الناس، من عاهد ومن لم يعاهد، ومــن نكـث مـن المعاهدين، ومن لم ينكث ﴿يوم الحج الأكبر﴾ يوم عرفة، لأن الوقوف بعرفـة معظم أفعال الحج، أو يوم النحر، لأن فيه تمام الحج من الطــواف، والنحـر، والحلق، والرمي، ووصف الحج بالأكبر، لأن العمرة تسمى: الحج الأصغـر ﴿أن الله برئ من المشركين﴾ أي: بأن الله، حذفت صلة الأذان تخفيفا ﴿ورســوله﴾ عطف على المنوي، في ﴿برئ﴾أو على الابتداء، وحذف الخبر، أي: ورســوله برئ وقرئ بالنصب عطفا على اسم ﴿إن﴾ وبالجر على الجوار أوعلى القســم، كقوله لعمرك،[1]وحكي أن أعرابيا سمع رجلا يقرؤها، فقال: إن كان الله بريئـا من رسوله، فأنا منه بريء فلببه الرجل إلى عمر، فحكى الأعرابي قراءته، فعندهـا أمر عمر بتعلم العربية[2] ﴿فإن تبتم﴾ من الكفر، والغدر ﴿فهو﴾ أي: التــوب ﴿خير لكم﴾ من الإصرار على الكفر ﴿وإن توليتم﴾ عن التوبة، أو تبتم علــى التولي، والإعراض عن الإسلام ﴿فاعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ غير ســابقين الله، ولا فائتين أخذه، وعقابه ﴿وبشر الذين كفروا / بعذاب أليم﴾ مكان بشارة المؤمنين بنعيم مقيم. ٢١٩/ب

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ

---

[1] المرجعين السابقين.

[2] هذه القصة ذكرها الامام القرطبي في جامعه ٢٤/١ باب: ماجاء في اعراب القرآن وتعليمــه والحث عليه .... ؛ وانظر الدرالمصون ٤٤٢/٣

ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ ﴿٨﴾.

﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين﴾استثناء من قوله ﴿فسيحوا في الأرض﴾والمعنى: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ فقولوا لهم: سيحوا إلا الذين عاهدتم منهم ﴿ ثم لم ينقصوكم شيئا﴾ من شروط العهد، أي: وفوا بالعهد، و لم ينقصوه، وقرئ و لم ينقضوكم،[1]أي: عهدكم وهو رايق، لكن المشهورة، أبلغ لأنه في مقابلة التمام ﴿و لم يظاهروا عليكم أحدا﴾ و لم يعاونوا عليكم عدوا ﴿ فأتموا إليهم عهدهم﴾ فأدوا إليهم تاما كاملا ﴿إلى مدهم﴾ إلى تمام مدهم، والاستثناء بمعنى: الاستدراك، كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين، لكن الذين لم ينكثوا فأتموا إليهم عهدهم، ولا تجروهم مجراهم، ولا تجعلوا الوفي كالغادر ﴿إن الله يحب المتقين﴾ يعني: أن قضية التقوى، [ألا يسوى بين الفريقين][2]فاتقوا الله في ذلك ﴿فإذا انسلخ﴾ مضي، أو خرج ﴿الأشهر الحرم﴾ التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا ﴿فاقتلوا المشركين﴾ الذين نقضوكم، وظاهروا عليكم ﴿حيث وجدتموهم﴾ من حل، أو حرم ﴿وخذوهم﴾ وأسروهم، والأخيذ: الأسير ﴿واحصروهم﴾ وقيدوهم، وامنعوهم من التصرف في البلاد، ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ كل ممر ومجتاز ترصدونهم به،

---

(1) وهي قراءة عطاء وعكرمة وابن السميغ بالضاد من النقض. انظر تفسير ابن عطية ٤١١/٦ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧١/٨ وفي الأصل: زيادة: و لم ينقصوكم.

(2) في الأصل: الا يستوى بين القبيلتين.

وانتصابه على الظرف، ﴿فأن تابوا﴾ عن الكفر ﴿وأقاموا الصلاة وءاتو الزكـــوة فخلوا سبيلهم﴾ فأطلقوا عنهم بعد الأسر، والحصـــر، أو فكفـــوا عنـــهم، ولا تتعرضوا لهم ﴿إن الله غفور﴾ يستر الكفر، والغدربالإسلام ﴿رحيـــم﴾ برفـــع القتل، قبل الأداء بالالتزام ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فـــأجره﴾ أحـــد مرتفع بفعل الشرط مضمرا، يفسره الظاهر[١]أي: وإن استجارك أحد استجارك، والمعنى: وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينــه، واستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد، والقرآن، فأمنه ﴿حتى يسمع كلـــم الله﴾ ويتدبره، ويطلع على حقيقة الأمر ﴿ثم أبلغه﴾ بعد ذلك ﴿مأمنه﴾ داره التي يأمن فيها، إن لم يسلم ثم قاتله إن شئت، وفيه دليل على أن المستأمن لايـــؤذي، وليس له الإقامة في دارنا، ويمكن من العود ﴿ذلك﴾ أي: الأمر بالإجارة في قوله ﴿فأجره﴾ ﴿بأنهم قوم لا يعلمون﴾ بسبب أنهم قوم جهلـــة لا يعلمـــون مـــا الإسلام، وما حقيقة ما تدعو إليه، فلا بد من إعطائهم الأمان، حتى يسمعوا، أو يفهموا/ الحق ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رســوله﴾ كيـــف ٢٢٠/أ
استفهام في معنى الاستنكار، أي: مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد، فلا تطمعـــوا في ذلك، ولا تحدثوا به نفوسكم، ولا تفكـــروا في قتلـــهم، ثم اســـتدرك ذلـــك بقوله: ﴿إلا الذين عاهدتم﴾ أي ولكن الذين عاهدتم منهم ﴿عند المسجد الحرام﴾ ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة، وبـــني ضمـــرة، فـــتربصوا [أمرهـــم، ولا تقاتلوهم][٢]﴿ فما استقاموا لكم﴾ فما أقاموا على وفاء العهد ﴿فاستقيموا لهم﴾ على الوفاء، وما شرطية أي: فإن استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴿إن الله يحـــب المتقين﴾ يعني: أن التربص [بهم][٣]من أعمال المتقـــين ﴿كيـــف وإن يظـــهروا

---

[١] اعراب القرآن للنحاس ٢٠٣/٢؛ إعراب القرآن للعكبري ١١/٢

[٢] ساقطة من [ز].

[٣] ساقطة من [ز].

عليكم﴾ تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد، وحذف الفعل، لكونه معلوما أي: كيف يكون لهم عهد، وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم أي: يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان، والمواثيق ﴿لا يرقبوا فيكم إلا﴾ لا يراعوا حلفا، أو قرابة ﴿ ولا ذمة﴾ عهدا ﴿يرضونكم بأفواههم﴾ بالوعد بالإيمان، والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن، مقرر لاستبعاد الثبات منهم، على العهد ﴿وتأبى قلوبهم ﴾ الإيمان والوفاء [بالعهد][1] ﴿وأكثرهم فاسقون﴾ ناقضون العهد، أو متمردون في الكفر، لا مروءة تزعهم عن الكذب، ولا شمائل تردعهم عن النكث، كما يوجد ذلك في بعض الكفرة، من التفادي [...][2]عنهما.

﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ(٩) لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ(١٠) فَإِن
تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(١١) وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ
فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ(١٢) أَلَا تُقَـٰتِلُونَ
قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(١٣) قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ
بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ(١٤)
وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(١٥) أَمْ

[1] ساقطة من [ز].

[2] في [ز] زيادة يمنعهم.

حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١٦).

﴿اشتروا﴾ استبدلوا ﴿بآيات الله﴾ بالقرآن ﴿ثمنا قليلا﴾ عرضا يسيرا، وهو اتباع الأهواء، والشهوات، ﴿فصدوا عن سبيله﴾ فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم ﴿إنـــهم ساء ما كانوا يعملون﴾ أي: بئس الصنيع صنيعهم ﴿لايرقبون في مؤمـــن إلا ولا ذمة﴾ ولا تكرار، لأن الأول على الخصوص، حيث قال ﴿فيكم﴾والثاني: علـــى العموم لأنه قال ﴿في مؤمن﴾ ﴿وأولئك هم المعتدون﴾ المجـــاوزون الغايـــة في الظلم، والشرارة ﴿فإن تابوا﴾ عن الكفر، ﴿وأقاموا الصـــلاة وءاتـــوا الزكـــاة فإخوانكم﴾ فهم إخوانكم، على حذف مبتـــدأ ﴿في الديـــن﴾ لا في النســـب ﴿ونفصل الآيات﴾ ونبينها ﴿لقوم يعملون﴾ يفهمون فيتفكرون فيـــها، وهـــذا اعتراض، كأنه قيل: وإن من تأمل تفصيلها، فهو العالم، تحريضا على تأمل مـــا فصل من أحكام المشركين المعاهدين، وعلى المحافظة عليها ﴿وإن نكثوا أيمـــانهم من بعد عهدهم﴾ أي: نقضوا العهود المؤكدة بالأيمان ﴿وطعنـــوا في دينكـــم﴾ وعابوه ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ فقاتلوهم، فوضع أئمة الكفر، موضع ضمـــيرهم، [وهم][1]رؤساء الشرك، أو [زعماء][2]قريش الذين هموا بـــإخراج الرســـول / ٢٢٠/ب
وقالوا: إذا طعن الذمي في دين الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله، لأن العهد معقـــود معه على أن لا يطعن، فإذا طعن فقد نكث عهده، وخرج من الذمة، ﴿أئمـــة﴾

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) في [ز] رؤساء.

بهمزتين كوفي، وشامي، الباقون بهمزة واحدة غير ممدودة، بعدها ياء مكسـورة، وأصلها أأممة، لأنها جمع إمام، كعماد، وأعمدة فنقلت حركة الميـــم الأولى، إلى الهمزة الساكنة، وأدغمت في الميم الأخرى، فمن حقق الهمزتين أخرجهما علـى الأصل، ومن قلب الثانية [ياءٍ فلكسرها][1]﴿إنهم لا أيمان لهم﴾ وإنما أثبت لهـم الأيمان في قوله: ﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾لأنه أراد أيمانهم التي أظهروها، ثم قال: ﴿لا أيمان لهم﴾ على الحقيقة، وهو دليل لنا على أن يمين الكافر لاتكـون يمينـا،[2] ومعناه عند الشافعي -رحمه الله -أنهم لا يوفون بها، لأن يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث، لا إيمان شامي،[3]لا إسلام ﴿لعلهم ينتهون﴾ مـتـعـلـق بـ﴿ فقاتلوا﴾ أئمة الكفر، وما بينهما اعـتراض، أي: ليكـن غرضكـم في مقاتلتهم، انتهاءهم عما هم، عليه بعدما وجد منهم من العظائم، وهذا من غايـة كرمه على المسيء، ثم حرض على القتال فقال: ﴿ألا تقـاتلون قومـا نكثـوا أيمانهم﴾ التي حلفوها في المعاهدة ﴿وهموا بإخراج الرسول﴾ من مكة ﴿وهـم بدأوكم أول مرة﴾ بالقتال، والبادئ أظلم، فما يمنعكم من أن تقاتلوهم، وبخهـم بترك مقاتلتهم، وحضهم عليها، ثم وصفهم بما يوجب [الحض][4] عليها، مـن نكث العهد، وإخراج الرسول، والبدء، بالقتال من غير موجب ﴿أتخشـوهم﴾

---

[1] السبعة لابن مجاهد ص ٣١٢؛ النشر ٣٧٨/٢ في [ق] وفي قلب الثانية فيكسرها.

[2] قال الامام الشافعي – يرحمه الله – ولا تجوز شهادة مملوك ولا كافر ولاصبي بحال .... والمعروفـون ..... والمعروفون بالكذب من المسلمين لاتجوز شهادتهم فكيف تجوز شهادة الكافرين مع كذبهم على الله عزوجل. قـال المزني – يرحمه الله – أحسن الشافعي. الأم ٤١٤/٥

[3] (لا إيمان) قرأها ابن عامر وحده بكسر الألف، وقرأ الباقون بالفتح. السبعة ص ٣١٢؛ النشر ٣٧٨/٢

[4] في الأصل: الحث وفي [ز] الأحص.

توبيخ على الخشية منهم،﴿فالله أحق أن تخشوه﴾ بأن تخشوه [فتقاتلوا]أعــــداءه ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ فاخشوه، أي: إن قضية الإيمان الكامل، أن لا يخشى المؤمن إلا ربه، ولا يبالي بمن سواه، ولما وبخهم الله على ترك القتال، جرد لهم الأمر بـــه بقوله: ﴿قاتلوهم﴾ ووعدهم النصر، ليثبت قلوبهم، ويصحح نيــاتهم، بقولــه: ﴿يعذبهم الله بأيديكم﴾ قتلا ﴿ويخزهم﴾ أسرا ﴿وينصركم عليهم﴾ يغلبكـــم عليهم ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ طائفة منهم وهم خزاعة عيبة[1] رســـول[2] الله -ﷺ- ﴿ويذهب غيظ قلوبهم﴾ لما لقوا منهم من المكروه، وقد حصـــل الله هذه المواعيد كلها، فكان دليلا على صحة نبوته، ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ ابتداء كلام، وإخبار، بأن [بعض][3] أهل مكة، يتوب عن كفره، وكان ذلـــك أيضا فقد أسلم ناس منهم،كأبي سفيان، وعكرمة ابن أبي جهل، وســـهيل بـــن عمرو، وهي ترد على المعتزلة قولهم: إن الله تعالى شاء أن يتوب علـــى جميـــع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم[4]﴿والله عليم﴾ يعلم ما سيكون كما يعلـــم ما قد كان ﴿حكيم﴾ في قبول التوبة ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذيـــن جاهدوا منكم﴾ أم منقطعة، والهمزة فيها للتوبيخ، على وجود / الحســـبان، أي: ٢٢١/أ

---

[1] عيبة الرجل: موضع سره، القاموس المحيط ص ١٥٢ باب: الباء فصل العين.

[2] في [ز] أسلموا غيبة.

[3] ساقطة من [ز].

[4] وقولهم هذا فاسد مردود مخالف للنصوص القرآنية الصريحة والأحاديث الصحيحة وإجماع المسلمين، إذ المشــية عند أهل السنة والجماعة لابد أن يقع متعلقها وهي الإرادة الكونية لقوله تعالى: (ولو شاء لهداكم أجمعين) والإرادة ترد أحيانا بمعنى المحبة كقوله تعالى: (والله يريد أن يتوب عليكم) واحيانا بمعنى المشيئة أي: لزوم وقوع متعلقـــها كقوله تعالى: (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون). انظر شرح العقيدة ٥٥الطحاوية و٩٣ ومابعدهـــا وص ٢١٧ ومابعدها؛ والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ص ٦٨ ومابعدها للشيخ فالح العمرى.

لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم، وهم الذين جـاهدوا في سبيل الله لوجه الله ﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجـة﴾ أي: بطانة من الذين يضادون رسول الله - ﷺ - والمؤمنين، ﴿ولما﴾ معناها التوقع، وقد دلت على أن تبين ذلك متوقع،كائن، وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله تميزهم بينهم، وبين المخلصين، ﴿ولم يتخذوا﴾ معطوف على ﴿جـاهدوا﴾ داخل في حيز الصلة،كأنه قيل: ولما يعلم الله المجاهدين منكم، والمخلصين غير المتخذين، وليجة من دون الله، والمراد: بنفي العلم نفي المعلوم،كقولك: ماعلم الله مني ما قيل في. تريد ما وجد ذلك مني، والمعنى: أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة، ولابراءة من المشركين ﴿والله خبير بما تعملون﴾ من خير، أو شر، فيجازيكم عليه.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ يَعْمُرُواْ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ
أُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ(١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ
فَعَسَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ(١٨) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ
عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ(١٩) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ(٢٠)
يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ(٢١)
خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٢٢).

﴿ما كان للمشركين﴾ ماصح لهم، وما استقام ﴿أن يعمـــروا مســاجد الله﴾ مسجد الله مكي وبصري[1]:يعني المسجد الحرام، وإنما جمع في القراءة بـــالجمع، لأنه قبلة المساجد، وإمامها، فعامرها:كعامر جميع المساجد، ولأن كل بقعة منــه مسجد، أو أريد جنس المساجد، وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام، الذي هو صدر الجنس، وهو آكد، [إذ طريقه طريق الكتابة][2]كما تقول: فلان لايقرأ كتب الله، كنت أنفى لقراءته القــرآن، من تصريحك بذلك ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ باعترافهم بعبادة الأصنام، وهو حال من الواو في ﴿يعمروا﴾ والمعنى: ماستقام لهم أن يجمعوا بين أمريـــن متضادين، عمارة متعبدات الله، مع الكفر بالله، وبعبادتـــه ﴿أولئـــك حبِطـــت أعمالهم وفي النارِ همْ خالدون﴾ دائمون ﴿إنما يعمُرُ مَساجد اللهِ﴾ عـــمارتهـــا ما استرمّ منها، وقمها، وتنظيفها، وتنويرها بالمصابيح، وصيانتها مما لم تبن لـــه المساجد، من أحاديث الدنيا، لأنها بنيت للعبادة، والذكر، ومـــن الذكـــر درس العلم ﴿من ءَامنَ بالله واليوم الآخر﴾ ولم يذكر الإيمان بالرسول-عليه الســلام- [لما علم أن][3]الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول، لاقترانهما في الأذان، والإقامة، وكلمة الشهادة، وغيرها، أو دلّ عليه بقوله: ﴿وأقام الصلاةَ وءاتى الزكاة﴾ وفي قوله ﴿ولمْ يخشَ إلا اللهَ﴾ تنبيه على الإخلاص، والمراد: الخشية في أبواب الديـــن، بأن لا يختار على رضا الله، رضا غيره، لتوقع مخوف، إذ المؤمـــن قـــد يخشـــى المحاذير، ولا يتمالك أن لا يخشاها، وقيل:كانوا يخشون الأصنـــام، ويرجونهـــا، فأريد نفي تلك الخشية عنهم ﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ تبعيـــد للمشركين، عن مواقف الاهتداء، وحسم لأطماعهم، في الانتفاع بأعمالهم، لأن

---

[1] قراءة ابن كثير وأبوعمرو بالواحد (مسجدالله) وغيرها بالجمع. السبعة ص ٣١٣

[2] في [ز] طريقه الكناية. وهذا هو الصواب.

[3] في [ز] لأن.

﴿عسى﴾ كلمة إطماع، والمعنى / إنما يستقيم عمارة هؤلاء، وتكون معتدا بها عند الله دون من سواهم ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ السقاية، والعمارة، مصدران، من سقى، وعمر، كالصيانة، والوقاية، ولابد من مضاف محذوف، تقديره: أجعلتم أهل سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله ؟ وقيل: المصدر بمعنى الفاعل، يصدقه قراءة ابن الزبير: سقاة الحاج، وعمرة المسجد الحرام، والمعنى: إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين، وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة، وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما، بعد ظلمهم بالكفر، لأنهم وضعوا المدح، والفخر، في غير موضعهما، نزلت جوابا لقول العباس حين أسر، فطفق علي –رضي الله عنه – يوبخه بقتال رسول الله – ﷺ – وقطيعة الرحم، تذكر مساوينا، وتدع محاسننا، فقيل: أو لكم محاسن، فقال نعمر المسجد، ونسقي الحاج، ونفك العاني،[1] وقيل: افتخر العباس بالسقاية، وشيبة بالعمارة وعلي –رضي الله عنه – بالإسلام، والجهاد، فصدق الله تعالى عليا[2] ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ أولئك ﴿أعظم درجة عند الله﴾ من أهل السقاية، والعمارة ﴿وأولئك هم الفائزون﴾ لا أنتم، والمختصون بالفوز دونكم ﴿يبشرهم ربهم﴾ ﴿يبشرهم﴾ حمزة[3] ﴿برحمة منه ورضوان وجنات﴾ تنكير المبشر به، لوقوعه وراء صفة الواصف، وتعريف المعرف ﴿لهم فيها﴾ في الجنات ﴿نعيم مقيم﴾ دائم ﴿خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم﴾ لا ينقطع، لما أمر رسول الله – ﷺ –بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه، ولأخيه، ولقرابته، إنا قد أمرنا بالهجرة، ٢٢١/ب

[1] انظر تفسير الطبري ١٦٩/١٤؛ تفسير ابن عطية ٤٣٩/٦-٤٤١؛ معالم التنزيل ٢٠/٣

[2] انظر تفسير الطبري ١٦٩/١٤؛ تفسير ابن عطية ٤٣٩/٦-٤٤١؛ معالم التنزيل ٢٠/٣

[3] قرأ حمزة (يبشرهم) في كل القرآن إلا قوله تعالى: (فبم يبشرون) الحجر [٥٤] انظر السبعة ص ٣٠٦-٣٠٧

فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه، ومنهم من يتعلق به زوجتـــــه، أو ولـــده، فيقول: تدعنا بلا شيء، فنضيع، فيجلس معهم ويدع الهجرة فنـــزل.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ (٢٣) قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَـٰسِقِينَ (٢٤) لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَـٰفِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (٢٧).

﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان﴾[١] أي آثروه، واختاروه ﴿ومن يتولهم منكم﴾ أي: ومن يتول الكـٰفرين ﴿فأولئك هم الظالمون قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم﴾ أقاربكم، وعشيراتكم، أبوبكر[٢]﴿وأموال اقترفتموها﴾ اكتسبتموها ﴿وتجارة تخشون كسادها﴾ فوات وقت نفاقها ﴿ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ وهو

---

(١) اسباب النـزول للواحدي ص ٢٤٨

(٢) قرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر على الجمع (عشرتكم) وفي رواية حفص عن عاصم واحد: السبعة ٣١٣

عذاب عاجل، أو عقاب آجل، أو فتح مكة ﴿والله لا يهدي القوم الفاسـقين﴾
والآية تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين، واضطراب / حبـل ٢٢٢/أ
اليقين، إذ لا تجد [عند][1] أورع الناس، مايستحب له دينه على الآباء، والأبناء، والأموال، والحظوظ ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ كوقعة بدر، وقريظة والنضير، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة، وقيل: إن المواطن التي نصر الله فيها النبي - عليه السلام - والمؤمنين، ثمانون موطنا، ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفـها ﴿ويوم﴾ أي: واذكروا يوم ﴿حنين﴾ واد بين مكة والطائف[2]كانت فيه الوقعة بين المسلمين، وهم اثنا عشر ألفا، وبين هوازن، وثقيف، وهم أربعة آلاف، فلما التقوا قال رجل من المسلمين: لن نغلب اليوم من قلة، فساءت رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ﴿إذ﴾ بدل من يوم ﴿أعجبتكم كثرتكم﴾ فأدرك المسـلمين كلمة الإعجاب بالكثرة، وزل عنهم أن الله هو الناصر لاكثرة الجنود، فـانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله - ﷺ - وحده وهو ثابت في مركزه، ليس معه إلا عمه العباس، آخذا بلجام دابته، وأبو سفيان ابن الحارث بن عمه، آخـذا بركابه، فقال للعباس "صح بالناس" وكان صيتا، فنادى يا أصحاب الشـجرة، فاجتمعوا وهم يقولون: لبيك، لبيك ونـزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق،[3] فأخذ رسول الله - ﷺ -كفا من تراب فرماهم به، ثم قـال "انهزمـوا ورب الكعبة" فانهزموا،[4]وكان من دعائه عليه السلام يومئذ "اللهم لك الحمـد

---

[1] في [ق] إذ لاتجد أورع الناس مايستحب دينه. بسقوط [عند] وزيادة: له.

[2] بينه وبين مكة ثلاث ليال، وقيل: بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا، قيل: سمى بحنين ابن قانية بن مهلائيل، ولعله العماليق، انظر معجم البلدان لياقوت الحموى ١٩٠/٣ ط١٤١٧/١هـ دار احياء التراث العربي - بيروت.

[3] البلق: سواد وبياض، وكذلك البلقة بالضم، والبلق والبلقة: مصدر الأبلق: إرتفاع التحجيل إلى الفخذين .... اللسان ٢٥/١٠ مادة: بلق.

[4] اخرجه الامام مسلم ١٣٩٨/٣ كتاب الجهاد والسير، وذكر نحوه الامـام الطـبري في تفسـيره ١٨٠/١٤ ومابعدها؛ معالم التنزيل ٢٥/٣ ومابعدها؛ وانظر القصة بتمامها كتاب دلائل النبوة ١٣٩/٥أما قوله (وكان مـن دعائه .... فلم أجده.

وإليك المشتكى وأنت المستعان"[1] وهذا دعاء موسى- عليه السـلام - يـوم انفلاق البحر ﴿فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾ ما مصدرية، والباء بمعنى: مع أي مع رحبها، وحقيقة ملتبسة برحبها، على أن الجار المجرور في موضع الحال،[2] كقولك: دخلت عليه بثياب السفر، أي: ملتبسا بها، والمعنى: لم تجدوا موضعا لفراركم عن أعدائكم، فكأنها ضاقت عليكم ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ ثم انهزمتم ﴿ثم أنزل الله سكينته﴾ رحمته التي سكنوا بها وأمنوا ﴿على رسوله وعلى المؤمنين وانـزل جنودا لم تروها﴾ يعني: الملائكة، وكانوا ثمانية آلاف، أو خمسة آلاف، أو ستة عشر ألفا ﴿وعذب الذين كفروا﴾ بالقتل، والأسر، وسبي النساء، والذراري ﴿وذلك جزاء الكافرين، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ وهم الذين أسلموا منهم ﴿والله غفور﴾ بستر كفر العدو بالإسلام، ﴿رحيم﴾ بنصر الولي بعد الانهزام.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَـٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٢٨) قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَـٰغِرُونَ (٢٩) وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ (٣٠) ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَـٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ

[1] لم أجده.

[2] انظر تفسير البحر المحيط ٥/٢٥

وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (٣١) يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ (٣٢) هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾(٣٣).

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾ أي: ذو ونجس، وهو مصدر، يقال نجس نجسا، وقذر قذرا، لأن معهم الشرك، الذي هو بمنزلة النجس، ولأنهم لا يتطهرون، ولا يغتسلون، ولا يجتنبون النجاسات، فهي ملابسة لهم، أو جعلوا

٢٢٢/ب كأنهم النجاسة بعينها، مبالغة في وصفهم بها /﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ فلا يحجوا، ولا يعتمروا، كماكانوا يفعلون في الجاهلية ﴿بعد عامهم هذا﴾ وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر –رضي الله عنه – على الموسم، وهو مذهبنا،[1] ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا، وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة، وعند مالك يمنعون منه، ومن غيره، وقيل: نهى المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه ﴿وإن خفتم عيلة﴾ أي: فقرا بسبب منع المشركين من الحج، وماكان لكم في قدومهم عليكم من الإرفاق، والمكاسب،﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ من الغنائم، أو المطر، والنبات، أو من متاجر حجيج الإسلام ﴿إن شاء﴾ هو تعليم لتعليق الأمور- بمشيئة الله تعالى – لتنقطع الآمال إليه ﴿إن الله عليم﴾ بأحوالكم

---

[1] يرى الأحناف: أنه يجوز لهم دخول المسجد الحرام وسائر المساجد، وعللوا النهي عن القربان بأنه النهي عن الحج والعمرة، واستدلوا بقول على –رضي الله عنه- حين نادى ببراءة (لا يحج بعد عامنا هذا مشرك) تفسير البحرالمحيط ٢٩/٥، لكن الامام أحمد أخذ بظاهر الآية وأنه يحرم عليهم دخول الحرم وهو قول مالك والشافعي، واختلفت الرواية عنه في دخولهم غير المسجد الحرام من المساجد، فروى عنه المنع أيضا إلا لحاجة كالحرم، وهو قول مالك، وروى عنه جواز ذلك، وهو قول الشافعي. زادالمسير ٤١٧/٣ وانظر الجامع لأحكام القرآن لابن العربي ١٠٤/٨-١٠٦

﴿حكيم﴾ في تحقيق آمالكم، أو عليم بمصالح العباد، حكيم فيما حكـــم، وأراد، ونزل في أهل الكتاب ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بـــالله﴾ لأن اليـــهود مثنيـــة، والنصارى مثلثة ﴿ولا باليوم الآخر﴾ لأنهم فيه على خلاف ما يجـــب حيـــث يزعمون أن لا أكل فيها، ولا شرب ﴿ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله﴾ لأنهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب، والسنة، أولا يعملون بما في التـــوراة والإنجيـــل ﴿ولا يدينون دين الحق﴾ ولا يعتقدون دين الإسلام الذي هو الحق، يقال: فلان يدين بكذا، إذا اتخذه دينه، ومعتقده ﴿من الذين أوتوا الكتاب﴾ بيان للذين قبله، وأما المجوس فملحقون بأهل الكتاب في قبول الجزية، وكذا الـــترك، والهنـــود، وغيرهما، بخلاف مشركي العرب، لما روى الزهري أن النبي – عليه الســـلام – صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان من العرب[(1)] ﴿حتى يعطوا الجزيـــة﴾ إلى أن يقبلوها، وسميت جزية، لأنه يجب على أهلها أن يجزوه، أي: يقضـــوه، أو هي جزاء على الكفر على التمهيل في [التذليل][(2)]﴿عن يد﴾ أي: عن يد مواتيـــة غير ممتنعة، [لأن من أبى وامتنع لم يسقط يده، بخلاف المطيع المنقـــاد][(3)] ولـــذا قالوا: أعطى بيده، إذا انقاد، وقالوا: نزع يده عن الطاعة، أو حتى يعطوها عـــن يد إلى يد نقدا، غير نسيئة، لامبعوثا على يد أحد، ولكن عن يد المعطي إلى يـــد الآخذ، ﴿وهم صاغرون﴾ أي: تؤخذ منهم على الصغار، والذل، وهو: أن يأتي بها بنفسه ماشياً، غير راكب، ويسلمها، وهو قائم، والمتسلم جالس، وأن يتلتـــل تلتلة، ويؤخذ بتلبيبه، ويقال له: أد الجزية يا ذمي، وإن كان يؤديها، ويـــزخ في قفاه،[(4)] وتسقط بالإسلام، ﴿وقالت اليهود﴾ كلهم، أو بعضهم ﴿عزير ابن الله﴾

---

(1) أخرجه الامام عبدالرزاق الصنعاني في تفسيره جـــ١/ القسم الثاني ص ٢٧٢ عن معمر عن الزهرى.

(2) في [ز و ق] في تذليل.

(3) ساقطة من [ز و ق].

(4) لا يظهر لي دليل على هذا الكلام، وكذلك لايفهم من الآية الكريمة وإن كان من باب اذلال غير المسلم، والله اعلم.

مبتدأ، وخبر، كقوله: ﴿المسيح ابن الله﴾ وعزير: اسم أعجمـــي، ولعجمتـــه، وتعريفه، امتنع صرفه،[1] ومن نون، وهو: عاصم، وعلي، فقد جعلـــه عربيـــا ﴿وقالت النصارى / المسح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم﴾ أي: قول لا يعضـــده ٢٢٣/أ
برهان، ولا يستند إلى بيان، فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحتـــه، كالألفاظ المهملة ﴿يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾ لابد فيه من حـــذف مضاف، تقديره: يضاهي قولهم قولهم، ثم حذف المضـــاف، وأقيـــم الضمـــير، المضاف إليه مقامه، فانقلب مرفوعا،[2] يعني: أن الذين كانوا في عهد رســـول الله- ﷺ – من اليهود، والنصارى، يضاهي قولهم قول قدمائهم، يعني: أنه كفـر قديم فيهم، غير مستحدث، أو الضمير للنصاري، أو أي: يضاهي قولهم: المسيح ابن الله، قول اليهود: عزير ابن الله، لأنهم أقدم منهم، يضاهئون، عاصم[3] وأصل المضاهاة: المشابهة، والأكثر ترك الهمز، واشتقاقه من قولهم: امرأة ضهياء، وهـــي التي أشبهت الرجال، بأنها لاتحيض،كذا قاله الزجاج[4] ﴿قاتلهم الله﴾ أي: هـــم أحقاء، بأن يقال لهم، هذا ﴿أنى يؤفكون﴾ كيف يصرفون عن الحق بعد قيـــام البرهان ﴿اتخذوا﴾ أي: أهل الكتابين ﴿أحبارهم﴾ علمـــاءهم ﴿ورهبـــانهم﴾ نساكهم ﴿أربابا آلهة ﴿من دون الله﴾ حيث أطاعوهم في تحليل ما حـــرم الله، وتحريم ما أحل الله،كما يطاع الأرباب في أوامرهم، ونواهيهم ﴿والمسيح ابـــن مريم﴾ عطف على أحبارهم، أي: اتخذوه ربا، حيث جعلوه ابن الله، ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا﴾ يجوز الوقف عليه، لأن ما بعده يصلح ابتداء ويصلـــح وصفا لواحدا ﴿لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ تتريه له عـــن الإشـــراك

---

[1] في الأصل: امتنع الصرف.

[2] انظر اعراب القرآن للنحاس ٢/٢١٠؛ اعراب القرآن للعكبري ٢/١٣-١٤؛ الدرالمصون ٣/٤٥٨-٤٥٩

[3] قرأ عاصم وحده بالهمز (يضاهئون) وقرأ الباقون بغير همز (يضاهون) السبعة ص ٣١٤؛ النشر ٢/٢٧٩

[4] تقدمت ترجمته ص

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواهم ويـأبى الله إلا أن يتـم نـوره ولوكـره الكافرون﴾ مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد -ﷺ- بالتكذيب بحـال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق، يريد الله أن يزيده، ويبلغه الغاية القصوى، من الإشراق ليطفئه بنفخه، أجرى ﴿ويأبى الله﴾ مجرى لا يريـد الله، ولذا وقع في مقابلة يريدون، وإلا لا يقال: كرهت أو أبغضت إلا زيـدا ﴿هـو الذي أرسل رسوله﴾ محمدا -عليه السلام- ﴿بالهدى﴾ بالقرآن ﴿ودين الحـق﴾ الإسلام ﴿ليظهره﴾ ليعليه ﴿على الدين كله﴾ على أهل الأديان كلهم، أو ليظهر دين الحق على كل دين ﴿ولو كره المشركون﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ(٣٥) إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ(٣٦) إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣٧).

﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أمـوال النـاس﴾ استعار الأكل للأخذ ﴿بالباطل﴾ أي: بالرشا في الأحكام ﴿ويصدون﴾ سـفلتهم

﴿عن سبيل الله﴾ دينه/﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ يجوز أن يكون ٢٢٣/ب
إشارة إلى كثير من الأحبار والرهبان، للدلالة على اجتماع، ذميمتين فيهم، أخذ الرشا، وكتر الأموال، والضن بها عن الإنفاق [في سبيل الله][1] ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون، غير المنفقين، ويقرن بينهم، وبين المرتشين، من أهل الكتاب تغليظا، وعن النبي - ﷺ - "ما أدي زكاته فليس بكتر وإن كان باطنا وما بلغ أن يزكي فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهرا"[2] ولقد كان كثير من الصحابة -رضي الله عنهم- كعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، يقتنون الأموال، ويتصرفون فيها، وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية، لأن الإعراض: اختيار للأفضل، والاقتناء: مباح لا يذم صاحبه ﴿ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ الضمير راجع إلى المعنى، لأن كل واحد منهما دنانير، ودراهم، فهو كقوله: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾[3] أو [أريد به الكنوز، والأموال][4] أو معناه: ولا ينفقونها، والذهب، كما أن معنى قوله: *فإني وقيار بها لغريب*[5] وقيار كذلك. وخصا بالذكر من بين سائر الأموال، لأنهما قانون التمول، وأثمان الأشياء، وذكر كترهما، دليل على ما سواهما ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ ومعنى قوله: ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم﴾ أن النار تحمى عليها [أي أن

---

(1) في [ز و ق] في سبيل الخير.

(2) اخرج نحوه الإمام البيهقي – رحمه الله – في سننه ٤/٨٢-٨٣ عن سفيان عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا تحت الأرض وكلما لايؤدى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرا) قال الامام البيهقي – يرحمه الله – ليس هذا بمحفوظ وإنما المشهور عن سفيان عن عبيدالله عن نافع عن ابن عمر مرفوعا.

(3) سورة الحجر رقم الآية [٩].

(4) في [ق] أو أريد الكنوز أو الأموال وفي [ز] وأريد به الأموال والكنوز.

(5) القائل هو: ضابىء بن الحارث البرجمي المتوفى ٣٠هـ وقدد سبقت ترجمته ص١١٤

توقد، وإنما ذكر الفعل، لأنه مسند إلى الجار، والمجرور،[1] أصله: يوم تحمى النار عليها][2] فلما حذفت النار، قيل: يحمى لانتقال الإسناد عن النار، إلى عليها،كما نقول: رفعت القصة إلى الأمير، فإن لم تذكر القصة، قلت: رفع إلى الأمير، ﴿فتكوى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم﴾ وخصت هذه الأعضاء، لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمهم وإيله مجلس ازوروا عنه، وتولوا بأركانهم، ولوه ظهورهم، أو معناه: يكوون على الجهات الأربع: مقاديمهم، ومآخيرهم وجنوبهم، ﴿هذا ما كنزتم لأنفسكم﴾ يقال لهم: هذا ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم، وما علمتم أنكم كنزتموه، لتستضربه أنفسكم، [وهو توبيخ][3]﴿فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ أي: وبال المال الذي كنتم تكنزونه، أو وبال كونكم كانزين،﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا﴾ من غير زيادة، والمراد: بيان أن أحكام الشرع تبتني على الشهور القمرية، المحسوبة بالأهلة، دون الشمسية ﴿في كتاب الله﴾ فيما أثبته، وأوجبه من حكمه، أو في اللوح ﴿يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم﴾ ثلاثة سرد: ذو القعدة، للقعود عن القتال، وذو الحجة: للحج، والمحرم: لتحريم القتال فيه، وواحد فرد: وهو رجب، لترجيب العرب، إياه أي: [تعظيمه][4]﴿ذلك الدينُ القيم﴾ أي: الدين المستقيم / لاما يفعله أهل الجاهلية، ٢٢٤/أ
يعني: أن تحريم الأربعة الأشهر هو الدين المستقيم، دين إبراهيم، وإسماعيل، وكانت العرب تمسكت به، فكانوا يعظمونها، ويحرمون القتال فيها، حتى

---

[1] انظر اعراب القرآن للعكبري ٢/١٤؛ الردالمصون ٣/٤٦٠-٤٦١

[2] مابين المعقوفتين ساقط من [ق].

[3] في [ق و ز] وهو توبيخ لهم.

[4] ساقطة من [ق].

أحدثت النسيء، فغيروا ﴿فلا تظلموا فيهن﴾ في الحـــرم، أو في الاثـــنى عشـــر ﴿أنفسكم﴾ بارتكاب المعاصي ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ حال من الفـــاعل، أو المفعول[1]﴿كما يقاتلوكم كافة﴾ جميعا ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ أي: نـــاصر لهم، حثهم على التقوى، بضمان النصرة لأهلها ﴿إنما النسيء﴾ بالهمز، مصـــدر نساءه، إذا أخره، وهو تأخير حرمة الشهر، إلى شهرآخر، وذلك أنهـــم كـــانوا أصحاب حروب، وغارات، فإذا جاء الشهر الحرام، وهم محاربون، شق عليـــهم ترك المحاربة، فيحلونه، ويحرمون مكانه شهرا آخر، حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم، فكانوا يحرمون من شق شهور العام، أربعة أشـــهر ﴿زيـــادة في الكفر﴾ أي: هذا الفعل منهم زيادة في كفرهـــم ﴿يضـــل﴾ كـــوفي غـــير أبي بكر[2]﴿به الذين كفروا﴾ بالنسيء، والضمير في ﴿يحلونه عاما ويحرمونه عامـــا﴾ للنسيء، أي: إذا أحلوا شهرا من الأشهر الحرم عاما، رجعوا فحرموه في العـــام القابل، ﴿ليواطئوا عدة ما حرم الله﴾ ليوافقوا العدة الـــتي هـــي الأربعـــة، ولا يخالفونها، وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين، واللام تتعلق بيحلونه، ويحرمونه،[3][أو بيحرمونه][4] فحسب، وهو الظاهر

---

(1) اعراب القرآن للنحاس ٢/٢١٣؛ الدرالمصون ٣/٤٦٢

(2) بفتح الياء وكسر الضاد: ابن كثير ونافع وابن عامر وأبوعمرو وعاصم في رواية أبي بكر، وقرأ عاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي: بضم الياء وفتح الضاد. السبعة ص ٣١٤

(3) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢١٤؛ الدرالمصون ٣/٤٦٢

(4) ساقطة من [ق].

﴿فيحلوا ما حرم الله﴾ أي: فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله، من القتال، أو من ترك الاختصاص، للأشهر بعينها ﴿زين لهم سوء أعمالهم﴾ زين الشيطان لهم ذلك، فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ حال اختيارهم الثبات على الباطل.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ (٣٩) إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤٠).

﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا﴾ اخرجوا ﴿في سبيل الله اثاقلتم﴾ تثاقلتم، وهو أصله، إلا أن التاء أدغمت في الثاء فصارت ثاء ساكنة فدخلت ألف الوصل لئلا يبتدأ بالساكن، أي: [تباطأتم][1] ﴿إلى الأرض﴾ ضمن معنى الميل، والإخلاد، فعدي بإلى، أي: ملتم إلى الدنيا، وشهواتها، وكرهتم مشاق السفر، ومتاعبه، أو ملتم إلى الإقامة بأرضكم، ودياركم، وكان ذلك في غزوة تبوك، استنفروا في وقت عسرة، وقحط، وقيظ، مع بعد الشقة، وكثرة العدو، فشق عليهم ذلك، وقيل: ماخرج رسول الله - ﷺ - في غزوة إلا ورى

---

[1] في [ق] تواطأتم.

عنها بغيرها، إلا في غزوة تبوك[1]ليستعد الناس تمام العدة ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ بدل الآخرة ﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة﴾ في جنب الآخـــرة ﴿إلا قليل إلا تنفروا﴾ إلى الحرب ﴿يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غـــيركم ولا تضروه شيئا﴾ سخط عظيم على المتثاقلين، حيث أوعدهم بعذاب أليـــم / ٢٢٤/ب
مطلق، يتناول عذاب الدارين، وأنه يهلكهم، ويستبدل بهم قوما آخرين، خـــيرا منهم، وأطوع، وأنه غني عنهم، في نصرة دينه، لا يقدح تثاقلهم فيـــها شـــيئا، وقيل: الضمير في ﴿ولا تضروه﴾ للرسول – عليه السلام – لأن الله وعـــده أن يعصمه من الناس، وأن ينصره، ووعده كائن لا محالة ﴿والله على كل شـــيء﴾ من التبديل، والتعذيب، وغيرهما ﴿قديرٌ إلا تنصروه فقدْ نصره اللهُ﴾ [إلا تنصروه فسينصره من نصره، حين لم يكن معه [إلا] رجل واحد، فدلّ بقوله: ﴿فقـــد نصره الله﴾][2]على أنه ينصره في المستقبل، كما نصره في ذلـــك الوقـــت ﴿إذ أخرجه الذين كفروا﴾ أسند الإخراج إلى الكفار، لأنهم حين هموا بإخراجه، أذن الله له في الخروج، فكأنهم أخرجوه، ﴿ثاني اثنين﴾ أحد اثنين كقولـــه ﴿ثـــالث ثلاثة﴾[3]وهما رسول الله، وأبو بكر، وانتصابه على الحال ﴿إذ هما﴾ بدل من إذ أخرجه ﴿في الغار﴾ هو نقب في أعلى ثور، وهو جبل في يمنى مكة، على مسيرة، ساعة مكثا فيه ثلاثاً ﴿إذْ يقولُ﴾ بدل ثان[4]﴿لصاحبه لا تحزنْ إن الله معنـــا﴾ بالنصرة، والحفظ، قيل: طلع المشركون فوق الغار، فأشفق أبو بكر، على رسول الله – ﷺ – فقال: إن تصب اليوم ذهب دين الله، فقال –عليه السلام– "مـــا

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ٤/٣٢٥-٣٢٦ باب من أراد غزوة فورى بغيرها، ومسلم في كتـــاب التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك ٤/٢١٢٨ باب رقم [٥٤] وكلاهما عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

[2] ساقطة من [ز وفي ق] سقط إلا.

[3] سورة المائدة رقم الآية [٧٣].

[4] إعراب القرآن للعكبري ٢/١٥؛ الدرالمصون ٣/٤٦٥

ظنك باثنين الله ثالثهما"[1]؟ وقيل: لما دخلا الغار، بعث الله حمامتين، فباضتا في أسفله، والعنكبوت فنسجت عليه،[2] وقال رسول الله - ﷺ -: "اللهم أعم أبصارهم"،[3] فجعلوا يترددون حول الغار، ولا يفطنون، قد أخذ الله بأبصارهم عنه، وقالوا: من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر، لإنكاره كلام الله، وليس ذلك لسائر الصحابة ﴿فأنزل الله سكينته﴾ ما ألقى في قلبه من الأمنة التي سكن عندها، وعلم أنهم لا يصلون إليه ﴿عليه﴾ على النبي - ﷺ - أو على أبي بكر لأنه كان يخاف وكان -عليه السلام- ساكن القلب ﴿وأيده بجنود لم تروها﴾ هم الملائكة، صرفوا وجوه الكفار، وأبصارهم، عن أن يروه، أو أيده بالملائكة يوم بدر، والأحزاب، وحنين، ﴿وجعل كلمة الذين كفروا﴾ أي: دعوتهم إلى الكفر ﴿السفلى وكلمة الله﴾ دعوته إلى الإسلام ﴿هي﴾ فصل ﴿العليا﴾ وكلمة الله يعقوب،[4] بالعطف والرفع على الاستئناف أوجه، أي هي لم تزل كانت عالية ﴿والله عزيز﴾ يعز بنصره أهل كلمته ﴿حكيم﴾ يضل[5] أهل الشرك بحكمته.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ(٤٢) عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ

---

[1] انظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: قوله: (ثاني اثنين إذهما في الغار ...) ٤٠٦/٦ رقم الحديث [١٠٨٧] ومسند الامام أحمد ٤/١

[2] دلائل النبوة ٤٨٢/٢؛ التفسير الكبير للإمام الرازي ٥١/١٦؛ روح المعاني ٩٦/١٠

[3] التفسير الكبير ٥١/١٦؛ و لم أجده عند غيره.

[4] النشر ٢٧٩/٢

[5] في [ز و ق] يذل.

لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٤٣) لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ (٤٦).

﴿انفروا خفافا﴾ في النفور لنشاطكم له ﴿وثقالا﴾ عنه لمشقته عليكم، أو خفافاً لقلة عيالكم وثقالاً لكثرتها، أو خفافاً من السلاح، وثقالاً منه، أو ركباناً، ومشاة، [أوشباناً][1] وشيوخاً، أو مهازيل، وسماناً، أو صحاحاً، ومراضاً ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم﴾ إيجاب للجهاد بهما، إن أمكن، أو بأحدهما على حسب الحال، والحاجة ﴿في سبيل الله ذلكم خيرٌ لكمْ﴾ ذلكم الجهاد خير
٢٢٥/أ من تركه ﴿إن كنتم تعلمون﴾ /كون ذلك خيراً فبادروا إليه، ونزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين ﴿لو كان عرضاً﴾ هو ما عرض لك من منافع الدنيا، يقال الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البر، والفاجر، أي: لو كان ما دعوا إليه غنماً ﴿قريباً﴾ سهل المأخذ ﴿وسفراً قاصداً﴾ وسطاً مقارباً، والقاصد؛ والقصد: المعتدل ﴿لاتبعوك﴾ لوافقوك في الخروج ﴿ولكن بعدتْ عليهم الشقة﴾ المسافة الشاطة، الشاقة ﴿وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم﴾ من دلائل النبوة، لأنه أخبره بما سيكون بعد القفول، فقالوا كما أخبر، وبـ﴿الله﴾ متعلق بـ﴿سيحلفون﴾ أو هو من جملة كلامهم، والقول مراد في الوجهين، أي: سيحلفون يعني: المتخلفين عند رجوعك، من غزوة تبوك، معتذرين يقولون: بالله

[1] في [ق و ز] أو شباباً.

لو استطعنا لخرجنا معكم، أو سيحفلون بالله، يقولون: لواستطعنا، وقوله: ﴿لخرجنا﴾ سد مسد جوابي القسم، ولو جميعا[1] ومعنى الاستطاعة: استطاعة العدة، أو استطاعة الأبدان، كأنهم تمارضوا ﴿يهلكون أنفسهم﴾ بدل من سيحلفون، أو حال منه،[2] أي: مهلكين والمعنى: أنهم يهلكونها بالحلف الكاذب، أو حال من ﴿لخرجنا﴾ أي: لخرجنا معكم، وإن أهلكنا أنفسنا، وألقيناها في التهلكة بما نحملها على المسير في تلك الشقة ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ فيما يقولون ﴿عفا الله عنك﴾ كناية عن الزلة، لأن العفو رادف لها وهو من لطف العتاب، بتصدير العفو في الخطاب، وفيه دلالة فضله على سائر الأنبياء –عليهم السلام– حيث لم يذكر مثله لسائر الأنبياء عليهم السلام ﴿لم أذنت لهم﴾ [بيان][3] لما كنى عنه بالعفو، ومعناه: مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ يتبين لك الصادق في العذر، من الكاذب فيه، وقيل: شيئان فعلهما رسول الله – ﷺ –ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه [الفدا][4] من الأسارى، فعاتبه الله، وفيه دليل جواز الاجتهاد للأنبياء –عليهم السلام– لأنه –عليه السلام– إنما فعل ذلك بالاجتهاد، وإنما عوتب مع أن له ذلك لتركه الأفضل، وهم يعاتبون على ترك الأفضل ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا﴾ ليس من عادة المؤمنين، أن يستأذنوك في أن يجاهدوا ﴿بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين﴾ عدة لهم بأجزل الثواب ﴿إنما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ يعني: المنافقين، وكانوا

---

[1] انظر إعراب القرآن للعكبري ٢/١٦؛ والدرالمصون ٣/٤٦٦

[2] انظر إعراب القرآن للعكبري ٢/١٦؛ والدرالمصون ٣/٤٦٦

[3] ساقطة من الأصل.

[4] زيادة من [ق].

تسعة وثلاثين رجلا ﴿وارتابت قلوبهم﴾ شكوا في دينهم، واضطربوا في عقيدتهم
﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ يتحيرون، لأن التردد ديدن المتحير، كما أن الثبات،
ديدن المستبصر/ ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له﴾ للخروج، أو للجهاد ﴿عدة﴾ ٢٢٥/ب
أهبة، لأنهم كانوا مياسير، ولما كان ولو أراد الخروج معطيا معنى نفي خروجهم، واستعدادهم للغزو، قيل ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ نهوضهم للخروج، كأنه قيل: ماخرجوا، ولكن تثبطوا عن الخروج، لكراهة انبعاثهم ﴿فثبطهم﴾ فكسلهم، وضعف رغبتهم في الانبعاث، والتثبيط: التوقيف عن الأمر بالتزهيد فيه ﴿وقيل اقعدوا﴾ أي قال: بعضهم لبعض، أو قاله الرسول -عليه السلام- غضبا عليهم، [أو قاله][1] الشيطان بالوسوسة ﴿مع القاعدين﴾ هو ذم لهم، وإلحاق بالنساء، والصبيان، والزمني، الذين شأنهم القعود في البيوت.

﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٤٧) لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ (٤٨) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ (٤٩) إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ (٥٠) قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ (٥٢).

---

[1] في الأصل أو قال له.

﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم﴾ بخروجهم معكم ﴿إلا خبالا﴾ فسادا، وشرا، والاستثناء متصل، لأن المعنى: ما زادوكم شيئا إلا خبالا، والاستثناء المنقطع: أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، كقولك: [ما زادوكم][1] خيرا إلا خبالا، والمستثنى منه في هذا الكلام: غير مذكور، وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من الشيء، فكان استثناء متصلا، لأن الخبال بعضه[2] ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ ولسعوا بينكم بالتضريب، والنمائم، وإفساد ذات البين، يقال: وضع البعير وضعا إذا أسرع، وأوضعته أنا، والمعنى: ولأوضعوا ركائبهم بينكم، والمراد: الإسراع بالنمائم، لأن الراكب أسرع من الماشي، وخط في المصحف ولاأوضعوا بزيادة الألف، لأن الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربي، والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن، وقد بقي من تلك الألف أثر في الطباع، فكتبوا صورة الهمزة [ألفا][3] وفتحتها ألفا أخرى، ونحوه أولاأذبحنه ﴿يبغونكم﴾ حال من الضمير في أوضعوا[4] ﴿الفتنة﴾ أي: يطلبون أن يفتنوكم، بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم، ويفسدوا نياتكم في مغزاكم ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ أي: نمامون يسمعون حديثكم [فينقلونه][5] إليهم ﴿والله عليم بالظالمين﴾ بالمنافقين ﴿لقد ابتغوا الفتنة﴾ بصد الناس، أو بأن يفتكوا به — عليه السلام — ليلة العقبة، أو بالرجوع يوم أحد، ﴿من قبل﴾ من قبل غزوة تبوك ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ ودبروا لك الحيل، والمكايد، ودوروا الآراء في إبطال أمرك ﴿حتى جاء الحق﴾ وهو تأييدك ونصرك ﴿وظهر أمر الله﴾ وغلب دينه، وعلا شرعه ﴿وهم كارهون﴾ أي: على رغم منهم ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾ ولا

---

[1] في [ق] مازادوهم.

[2] انظر الدرالمصون ٣/٤٦٩

[3] ساقطة من [ق].

[4] اعراب القرآن للعكبري ٢/١٦؛ الدرالمصون ٣/٤٧٠

[5] في الأصل: فيلقونه.

توقعني في الفتنة، وهي الإثم، بأن لا تأذن لي، فإني إن تخلفت بغير إذنك أثمــت، أولا تلقني في الهلكة، فإني إذا خرجت معك هلك مالي، وعيالي، وقيل: قال الجد بن قيس[1] المنافق: قد علمت الأنصار أني مستهتر بالنساء، فلا تفتني / ببنـــات ٢٢٦/أ
الأصفر، يعني نساء الروم، ولكني أعينك بمالي فاتركني[2] ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ يعني: أن الفتنة، هي التي سقطوا فيها، وهي فتنة التخلف ﴿وإن جهنم لمحيطـــة بالكافرين﴾ الآن لأن أسباب الإحاطة معهم، أو هي تحيط بهم يوم القيامــة، ﴿إن تصبك﴾ في بعض الغزوات ﴿حسنة﴾ ظفر، وغنيمة ﴿تســـؤهم وإن تصبـــك مصيبة﴾ نكبة، وشدة في بعضها، نحو، ماجرى يوم أحد ﴿يقولوا قـــد أخذنـــا أمرنا﴾ الذي نحن متسمون به من الحذر، والتيقظ، والعمل بالحزم ﴿من قبـــل﴾ من قبل ما وقع ﴿ويتولوا﴾ عن مقام التحدث بذلـــك إلى أهاليـــهم ﴿وهـــم فرحون﴾ مسرورون ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ أي: قضى من خـــير، أو شر ﴿هو مولانا﴾ أي: الذي يتولانا ونتولاه ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنـــون﴾ وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله ﴿قل هل تربصون بنا﴾ تنتظرون بنـــا ﴿إلا إحدى الحسنيين﴾ وهما النصرة، والشهادة ﴿ونحن نتربص بكم﴾ إحـــدى [السوءين][3] إما ﴿أن يصيبكم الله بعذاب من عنده﴾ وهو قارعة من الســـماء،

---

[1] الجد بن قيس هذا هو الوحيد الذي تخلف عن مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حيث اختبـــأ تحت بطن بعيره. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١١٨/١-١١٩ ط ١٤١٥ دارالكتب العلمية.

[2] أخرجه الامام الطبري ٩٥/١٢ عن الضحاك عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال في مجمع الزوائـد ٣٠/٧ وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف؛ كما ذكر نحوه، عن الطبري نفسه أيضا ٥٣/١١ عن مجاهد عن ابن عباس، قال في المجمع ٣٠/٧: وفيه أبوشيبة إبراهيم بن عثمان وهو ضعيف، واخرجه كذلك ٢٧٥/٢ عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس – رضي الله عنهما – بلفظ: (لما أراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غزوة تبوك قال لجد بـــن قيس: (هل لك في بنات الأصفر فقال: ائذن لي ولاتفتني، فأنزل الله عزوجل: (ومنهم من يقول ائذن لي ولاتفتني) قال في المجمع ٣٠/٧ وفيه: يحيى الحماني وهو ضعيف، وانظر أسباب النـــزول للواحدي ٢١٩/٢

[3] في [ق و ز] السوئتين.

كما نزلت على عاد، وثمود ﴿أو﴾ بعذاب ﴿بأيدينا﴾ وهو القتل، على الكفـــر ﴿فتربصوا﴾ بنا ما ذكرنا ﴿إنا معكم متربصون﴾ ما هو عاقبتكم.

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٥٣) وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ (٥٤) فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ (٥٥) وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧) وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ (٥٩).

﴿قل أنفقوا﴾ في وجوه البر ﴿طوعا أوكرها﴾ طائعين، أو مكرهين، نصب على الحال،[1] كرها حمزة، وعلي،[2] وهو أمر في معنى الخبر، ومعناه: ﴿لن يتقبـــل منكم﴾ أنفقتم طوعا، أوكرها، ونحوه،﴿اسغفر لهم أو لا تستغفرلهم﴾ [3] وقوله:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومـــة لدينا ولا مقلية إن تقلـــت.[4]

أي: لن يغفر الله لهم، استغفرت لهم، أم لم تستغفرلهم، ولا نلومك أسأت إليـــنا، أو أحسنت، وقد جاز عكسه، في قولك: رحم الله زيدا، ومعنى: عدم القبول أنه

---

[1] اعراب القرآن للنحاس ٢/٢٢٠؛ الدرالمصون ٣/٤٧٢

[2] حمزة والكسائي: بضم الكاف هنا وفي النساء والأحقاف، السبعة ص ٢٢٩؛ النشر ٢/٢٤٨

[3] سورة التوبة رقم الآية [٨٠]

[4] القائل هو: كثير بن عزة، انظر ديوانه [١٠١].

-عليه السلام- يردها عليهم، ولا يقبلها، أولا يثيبها، وقوله ﴿طوعا﴾ أي: من غير إلزام من الله، ورسوله، وكرها، ملزمين، وسمي الإلزام إكراها لأنهم منافقون، فكان إلزامهم الإنفاق شاقا عليهم كالإكراه ﴿إنكم﴾ تعليل لرد إنفاقهم ﴿كنتم قوما فاسقين﴾ متمردين عاتين ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاقم﴾ وبالياء حمزة، وعلي[1]﴿إلا أنهم كفروا﴾ أنهم فاعل منع، وهم، وأن تقبل مفعولاه،[2]أي: وما منعهم قبول نفقاهم إلا كفرهم ﴿بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾ جمع كسلان ﴿ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ لأنهم لا يريدون بهما وجه الله -تعالى- وصفهم بالطوع، في قوله ﴿طوعا﴾ وسلبه عنهم ههنا، لأن المراد، بطوعهم، أنهم يبذلونه من غير إلزام، من رسول الله - ﷺ - أو من رؤسائهم، وماطوعهم ذلك، إلا عن كراهة واضطرار، لا عن رغبة، واختيار فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا﴾ الإعجاب بالشيء: أن تسر به سرور راض به متعجب من حسنه، والمعنى: فلا تستحسن ما أوتوا من زينة الدنيا، فإن الله إنما أعطاهم ما أعطاهم، ليعذبهم بالمصائب فيها، أو بالإنفاق منه في أبواب الخير، وهم كارهون له، أو بنهب أموالهم، وسبي أولادهم، أو بجمعها، وحفظها، وحبها، والبخل بها، والخوف عليها، وكل هذا عذاب ﴿وتزهقُ أنفسهمْ وهم كافرون﴾ وتخرج أرواحهم، وأصل الزهوقُ: الخروج بصعوبة، ودلت الآية على بطلان القول بالأصلح،[3]لأنه أخبر أن إعطاء الأموال، والأولاد، لهم للتعذيب، والإماتة على

[1] (يقبل) بالياء المضمومة حمزة والكسائي، والباقون: بالتاء. السبعة ص ٣١٤-٣١٥؛ النشر ٢/٩

[2] اعراب القرآن للنحاس ٢/٢٢١؛ اعراب القرآن للعكبري ٢/١٦

[3] القائلون بالأصلح هم المعتزلة، وقد سبق الرد عليهم في سورة الأنعام الآية رقم [٨٣] عند قوله سبحانه: (نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم).ص ١٩١-١٦٢

الكفر، وعلى إرادة الله تعالى المعاصي، لأن إرادة العذاب إرادة مايعذب عليـــه، وكذا إرادة الإماتة على الكفر ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾ لمن جملة المســـلمين ﴿وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾ يخافون القتل، ومـــا يفعل بالمشـــركين، فيتظاهرون بالإسلام تقية ﴿لو يجدون ملجأ﴾ مكانا يلجئون إليه، متحصنين مـــن رأس جبل، أو قلعة، أو جزيرة ﴿أو مغارات﴾ أو غيرانا ﴿أو مدخلا﴾أو نفقـــا يندسون فيه، وهو مفتعل من الدخول، ﴿لولوا إليه﴾ لأقبلـــوا نحـــوه ﴿وهـــم يجمحون﴾ يسرعون إسراعا لا يردهم شيء، من الفرس الجموح ﴿ومنهم﴾ ومن المنافقين ﴿من يلمزك في الصدقات﴾ يعيبك في قسمة الصدقات، ويطعن عليـــك ﴿فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ إذا للمفاجـــأة، أي: وإن لم يعطوا منها، فاجئوا السخط، وصفهم بأن رضـــاهم، وســـخطهم لأنفسهم، لا للدين، ومافيه صلاح أهله، لأنه -عليه السلام- استعطف قلـــوب أهل مكة يومئذ، لتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه ﴿ولو أنهم رضوا مـــا آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنـــا إلى الله راغبون﴾ جواب لو محذوف تقديره: ﴿ولو أنهم رضوا لكان خيرا لهم﴾ والمعنى: ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول، من الغنيمة، وطابت به نفوسهم، وإن قـــل نصيبهم، وقالوا: كفانا فضل الله وصنعه، وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمـــة أخرى، فيؤتينا رسول الله -ﷺ- أكثر مما آتانا اليـــوم ﴿إنـــا إلى الله﴾ في أن يغنمنا، ويخولنا فضله، ﴿لراغبون﴾ ثم بين مواضعها التي توضع فيها فقال:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١) يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٦٢) أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ (٦٣) يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥)﴾.

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ قصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة، أي: هي مختصة بهم لا تتجاوز إلى غيرهم، كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم، كقولك إنما الخلافة لقريش، تريد لا تتعداهم، ولا / تكون لغيرهم، ٢٢٧/أ فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها، وأن تصرف إلى بعضها، كما هو مذهبنا[١] وعن حذيفة، وابن عباس، وغيرهما من الصحابة، والتابعين، أنهم قالوا في أي صنف منها وضعتها أجزأك، وعند الشافعي -رحمه الله- لابد من صرفها إلى الأصناف، وهو المروي، عن عكرمة[٢] ثم الفقير الذي لا يسأل، لأن عنده ما يكفيه للحال، والمسكين الذي يسأل، لأنه لا يجد شيئاً فهو أضعف حالاً منه،

[١] انظر شرح فتح القدير للشيخ كمال بن الهمام ٢٠٣/٢ ط دار إحياء التراث العربي.

[٢] قال الإمام مالك – يرحمه الله – تصرف لأمسهم حاجة، وقال الإمام إبراهيم النخعي إن كانت قليلة جاز صرفها إلى صنف، وإلا وجب الاستيعاب للأصناف، انظر المجموع شرح المهذب ١٨٥/٦ ومابعدها، ط دارالفكر.

وعند الشافعي -رحمه الله- على العكس[1]﴿والعاملين عليها﴾ هم السعاة، الذين يقبضونها ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ على الإسلام، أشراف من العرب، كان رسـول الله - ﷺ - يتألفهم على أن يسلموا، وقوم منهم أسلموا، فيعطيهم، تقريرا لهم على الإسلام ﴿وفي الرقاب﴾ هم المكاتبون يعانون منها﴿والغارمين﴾ الذين ركبتـهم الديون ﴿وفي سبيل الله﴾ فقراء الغزاة، أو الحجيج المنقطع بهم ﴿وابن السـبيل﴾ المسافر المنقطع عن ماله، وعدل عن اللام إلى في الأربعة الأخيرة للإيذان بـأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم، ممن سبق ذكره، لأن في للوعاء، فنبه علـى أنهم أحقاء، بأن توضع فيهم الصدقات، ويجعلوا مظنة لها. وتكرير في [قولـه][2] ﴿وفي سبيل الله وابن السبيل﴾ فيه فضل، وترجيح لهذيـن، علـى الرقـاب، والغارمين، وإنما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين، ليدل بكون هـذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة، دون [غيرهم][3]على أنهم ليسوا منـهم، حسما لأطماعهم، وإشعارا بأنهم بعداء عنها، وعن مصارفها، [فما][4] لهـم، ومالها، وماسلطهم على التكلم فيها، ولمز قاسمها، وسهم المؤلفـة [قلوبهـم][5] سقط بإجماع الصحابة، - رضي الله عنهم - في صدر خلافة أبي بكر -رضـي الله عنه- لأن الله أعز الإسلام، وأغنى عنهم، والحكم متى ثبت معقـولا لمعـنى خاص يرتفع، وينتهي بذهاب ذلك المعنى ﴿فريضةً من الله﴾ في معنى المصـدر المؤكد، لأن قوله: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ معناه: فرض الله الصدقـات لهـم ﴿والله عليم﴾ بالمصلحة ﴿حكيمٌ﴾ في القسمة ﴿ومنهم الذين يـؤذون النـبي ويقولون هو أُذُنٌ﴾ الأذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع، ويقبل قول كـل

---

(1) انظر شرح فتح القدير ٢/٢٠٣؛ المجموع ٦/١٨٥

(2) ساقطة من [ز و ق].

(3) ساقطة من [ز].

(4) ساقطة من [ز].

(5) ساقطة من [ق و ز].

أحد، سمي بالجارحة التي هي آلة السماع، كأن جملته، أذن سامعة، وإيذاؤهـــم له: هو قولهم فيه، هو أذن قصدوا به المذمة، وأنه من أهل ســــلامة القلــوب، والعزة، ففسره الله – تعالى- بما هو مدح له، وثناء عليه، فقال ﴿قل أذن خـــير لكم﴾ كقولك: رجل صدق، تريد الجودة، والصلاح، كأنه قيل: نعم، هـــوأذن، ولكن نعم الأذن، ويجوز: أن يريد هو أذن في الخير، والحق فيما يجـــب سماعـــه وقبوله وليس بأذن/ في غير ذلك ثم فسر كونه أذن خير بأنه ﴿يؤمن بـــالله﴾ أي: ٢٢٧/ب
يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ ويقبل مـــــن المؤمنـــين الخلص من المهاجرين، والأنصار، وعدي فعل الإيمان بالباء إلى الله، لأنه قصد به التصديق بالله، الذي هو ضد الكفر به وإلى المؤمنين باللام، لأنه قصد الســـماع من المؤمنين، وأن يسلم لهم ما يقولونه، ويصدقه، لكونهم صادقين عنده، ألا ترى إلى قوله ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾[(١)] كيف ينبو عن الباء ﴿ورحمة﴾ بالعطف، على أذن، ورحمة، حمزة عطف على خير،[(٢)] أي هو أذن خير، وأذن رحمة، لايســـمع غيرهما، ولا يقبله ﴿للذين آمنوا منكم﴾ أي: هو رحمة للذين آمنوا منكـــم، أي: أظهروا الإيمان أيها المنافقون، حيث يقبل إيمانكم الظاهر، ولا يكشف أسراركم، ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين، أو هو رحمة للمؤمنين، حيث استنقذهم مـــن الكفر إلى الإيمان، ويشفع لهم في الآخرة، بإيمانهم في الدنيا ﴿والذيـــن يـــؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ في الدارين ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم﴾ الخطـــب للمسلمين، وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن، أو يتخلفون عــــن الجـــهاد، ثم يأتونهم فيعتذرون [إليهم][(٣)] ويؤكـــدون معاذيرهم، بـــــالحلف، ليعذروهـــم، ويرضوا عنهم، فقيل لهم: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنــــين﴾

---

(١) الآية رقم [١٧] من سورة يوسف عليه السلام

(٢) كلهم قرأ بالرفع (ورحمة) إلا حمزة قرأ بالخفض (ورحمة) السبعة ص ٣١٥-٣١٦

(٣) ساقطة من [ز].

أي: إن كنتم مؤمنين كما تزعمون، فأحـــق من أرضيتـــم الله، ورســـوله، [بالطاعة][(١)] والوفاق، وإنما وحد الضمير، لأنه لا يتفاوت بين رضا الله، ورضـا رسول الله، فكانا في حكم شيء واحد،كقولك: إحسان زيد، وإجماله رفعني، أو والله أحق أن يرضوه، ورسوله كذلك ﴿ألم يعلموا أنه﴾ أن الأمر، والشأن ﴿من يحادد الله ورسوله﴾ يجاوز الحد بالخلاف، وهي مفاعلة من الحد، كالمشاقة مـــن الشق ﴿فأن له﴾ على حذف الخبر، أي: فحق أن له ﴿نار جهنم خـــالدا فيـــها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون﴾ خبر بمعنى الأمر،[(٢)] أي: ليحذر المنـــافقون ﴿أن تنـــزل عليهم سورة﴾ تنـــزل بالتخفيف، مكي، وبصري،﴿تنبئهم بمـــا في قلوبهم﴾ من الكفر، والنفاق، والضمائر [للمنافقين][(٣)] لأن السورة إذا نزلـــت في معناهم، فهي نازلة عليهم، أو الأولان: للمؤمنين، والثالث: للمنافقين، وصـــح ذلك، لأن المعنى يقود إليه، ﴿قل استهزءوا﴾ أمر تهديد [...][(٤)]﴿إن الله مخـــرج ما تحذرون﴾ مظهر ما كنتم تحذرونه، أي: تحذرون إظهاره من نفاقكم، وكـــانوا [يحذرون][(٥)] أن يفضحهم الله بالوحي، وفي استهزائهم بالإسلام، وأهله، حـــتى قال بعضهم: وددت أني قدمت فجلدت مائة، وأنه لاينـــــزل فينـــا شـــيء / ٢٢٨/أ
يفضحنا ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب﴾ بينا رســـول الله-ﷺ- يسير في غزوة تبوك، وركب من المنافقين يسيرون، بين يديه، فقالوا: انظـــروا إلى هذا الرجل، يريد أن يفتح قصور الشام، وحصونه، هيهات، هيهات، فـأطلع الله نبيه على ذلك، فقال: احبسوا علي الركب، فأتاهم، فقال: قلتم كذا، وكـــذا، فقالوا: يا نبي [الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك، ولا من أمر أصحـــابك،

(١) ساقطة من [ز].

(٢) انظر اعراب القرآن للنحاس ٢/٢٢٥

(٣) في الأصل للمنافقون مرفوع على الحكاية.

(٤) زيادة في [ز] كانوا يستهزئون بالإسلام وأهله.

(٥) في [ز] وكانوا يخافون.

ولكن كنا][1]في شيء مما يخوض فيه الركب، ليقصر بعضنا على بعض السفر، أي: ولئن سألتهم، وقلت لهم [لم قلتم؟][2]كذلك لقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب[3]﴿قل﴾ يا محمد ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون﴾ لم يعبأ باعتذارهم، لأنهم كانوا كاذبين فيه، فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم، وبأنه موجود فيهم، حتى وبخوا بإخطائهم موقع الاستهزاء، حيث جعل المستهزأ به، يلي حرف التقرير، وذلك إنما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟

---

[1] في [ز] ساقط مابين المعقوفتين؛ وفي [ق] لا والله.

[2] في [ز] لم قلتم ذلك.

[3] ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره ١٤/٣٣٤؛ وتفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٨٣٠-١٨٧١ وهو مرسل، وانظر أسباب النـزول للواحدي ٢/٢٥٥-٢٥٦

أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠) وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ
وَيَنْهَوْنَ بِٱلْمَعْرُوفِ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)

﴿لا تعتذروا﴾ لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة، فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سركم ﴿قد كفرتم﴾ قد أظهرتم كفركم باستهزائكم ﴿بعد إيمانكم﴾ بعد [إظهاركم][1] الإيمان ﴿إن نعف عن طائفة منكم﴾بتوبتهم، وإخلاصهم الإيمان، بعد النفاق ﴿نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾ مصرين على النفاق، غير تائبين منه، إن يعف، تعذب طائفة، غير عاصم[2]﴿المنافقون والمنافقات﴾ الرجال المنافقون،كانوا ثلثمائة، والنساء المنافقات مائة وسبعين ﴿بعضهم من بعض﴾ أي:كأنهم نفس واحدة، وفيه نفي أن يكونوا من المؤمنين، وتكذيبهم في قولهم: ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾ وتقرير لقوله ﴿وما هم منكم﴾ ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال: ﴿يأمرون بالمنكر﴾ بالكفر، والعصيان ﴿وينهون عن المعروف﴾ عن الطاعة، والإيمان ﴿ويقبضون أيديهم﴾ شحا بالمبار، والصدقات، والإنفاق في سبيل الله ﴿نسوا الله﴾ تركوا أمره وأغفلوا ذكره ﴿فنسيهم﴾ فتركهم من رحمته وفضله ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ هم الكاملون في الفسق، الذي هو التمرد في الكفر، والانسلاخ عن كل خير، وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش، الذي وصف به المنافقون حين بالغ في ذمهم ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها﴾ مقدرين الخلود فيها ﴿هي﴾ أي: النار ﴿حسبهم﴾ فيه دلالة على عظم عذابها، وأنه بحيث لا يزاد عليه ﴿ولعنهم الله﴾ وأهانهم، مع / التعذيب، ٢٢٨/ب

---

[1] في [ز و ق] بعد اظهار الايمان.

[2] قرأ عاصم وحده بالنون وحده جميعا في قوله: (نعف، نعذب) وقرأ الباقون: (إن يعف) بالياء، (تعذب) بالتاء. السبعة ص ٢١٦؛ النشر ٢/ ٢٨٠

وجعلهم مذمومين، ملحقين بالشياطين الملاعين ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ دائم معهم، في العاجل، لاينفكون عنه، وهو ما يقاسونه من تعب النفاق، والظاهر المخالف للباطن، خوفا من المسلمين، وما يحذرونه أبدا من الفضيحة، ونزول العذاب، إن اطلع على أسرارهم الكاف في ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقكم﴾ محلها رفع أي: أنتم مثل الذين من قبلكم، أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم،[1] وهو أنكم استمتعتم بخلاقكم، كما استمتعوا بخلاقهم، أي: تلذذوا بملاذ الدنيا. والخلاق: النصيب، مشتق من الخلق، وهو التقدير، أي: ماخلق للإنسان، بمعنى قدر من خير ﴿وخضتم﴾ في الباطل ﴿كالذي خاضوا﴾ كالفوج خاضوا، أو كالخوض الذي خاضوا، والخوض: الدخول في الباطل، واللهو، وإنما قدم ﴿فاستمتعوا بخلاقهم﴾ وقوله: ﴿كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم﴾ مغن عنه، ليذم الأولين بالاستمتاع، بما أوتوا من حظوظ الدنيا، والتهائهم بشهواتهم الفانية، عن النظر في العاقبة، وطلب الفلاح في الآخرة، ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم ﴿أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ في مقابلة قوله ﴿وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾[2]﴿وأولئك هم الخاسرون﴾ ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح﴾ هو بدل من الذين ﴿وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين﴾ وأهل مدين، وهم قوم شعيب ﴿والمؤتفكات﴾ مدائن قوم لوط، وائتفاكهن: انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر ﴿أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم﴾ فما صح منه أن يظلمهم

---

[1] انظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٢٧؛ وإعراب القرآن للعكبري ٢/١٨

[2] سورة العنكبوت رقم الآية [٢٧]. وفي الأصل و [ق] (وآتيناه أجره في الدنيا والآخرة ...) والصحيح ماأثبت من [ز] لأنها آية.

بإهلاكهم لأنه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمـــون﴾ بالكفر، وتكذيب الرسل، [ثم مدح المؤمنين بقوله][1]﴿والمؤمنـــون والمؤمنـــات بعضهم أولياء بعض﴾ في التناصر، والتراحم ﴿يأمرون بـــالمعروف﴾ بالطاعـــة، والإيمان ﴿وينهون عن المنكر﴾ عن الشرك، والعصيان ﴿ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة [ويطيعون الله ورسوله][2]أولئك سيرحمهم الله﴾ السين مفيدة، وجـــود الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في: سأنتقم منك يوما ﴿إن الله عزيز﴾ غالب على كل شيء، قادر عليه، فهو يقدر على الثواب، والعقـــاب
٢٢٩/أ ﴿حكيم﴾ / واضع كلا موضعه.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٧٢) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٧٣) يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٧٥) فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وهم معرضـــون (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟

---

(1) مثبتة من [ز].

(2) ساقطة من [ز].

يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ (٧٨).

﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة﴾ يطيب فيها العيش، وعن الحسن-رحمه الله-قصورا من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد[1]﴿في جنات عدن﴾هو علم بدليل قوله:﴿جنات عدن التي وعد الرحمن﴾[2]وقد عرفت أن الذي، والتي وضعا لوصف المعارف بالجمل، وهي مدينة في الجنة ﴿ورضوان من الله﴾ وشيء من رضوان الله ﴿أكبر﴾ من ذلك [كله][3]لأن رضاه سبب كل فوز، وسعادة ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ماوعد، أو إلى الرضوان ﴿هو الفوز العظيم﴾ وحده دون ما يعده الناس فوزا ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار﴾ بالسيف ﴿والمنافقين﴾ بالحجة ﴿واغلظ عليهم﴾ في الجهادين جميعا، ولاتحابهم، وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه، يجاهد بالحجة، وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها، ﴿ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ جهنم، أقام رسول الله-ﷺ-في عزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن، ويعيب المنافقين المتخلفين، فيسمع من معه منهم، منهم الجلاس ابن سويد، فقال الجلاس: والله لئن كان ما يقول محمد حقا لإخواننا الذين خلفناهم، وهم سادتنا فنحن شر من الحمير، فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس: أجل والله إن محمدا صادق وأنت شر من الحمار، وبلغ ذلك رسول الله- ﷺ -فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال: (اللهم أنزل

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٤/٣٤٩؛ تفسير ابن عطية ٦/٥٦٣

(٢) سورة مريم رقم الآية [٦١].

(٣) ساقطة من [ق و ز].

على عبدك، ونبيك، تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنــزل[1] ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر﴾ يعني: إن كان ما يقول محمد حقا، فنحن شـر من الحمير، أو هي استهزاؤهم، فقال الجلاس: يارسول الله، والله لقـد قلتـه، وصدق عامر، فتاب الجلاس، وحسنت توبته ﴿وكفروا بعد إسلامهم﴾ وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام، وفيه دلالة على أن الإيمان والإسلام واحد، لأنـه قال ﴿وكفروا بعد إسلامهم[2]﴾﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ من قتـل محمـد –عليـه السلام– أو قتل عامر لرده على الجلاس، وقيل: أرادوا أن يتوجوا ابـن أبي، وإن لم يرض رسول الله –ﷺ– ﴿وما نقموا﴾ وما أنكروا، وماعابوا ﴿إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله –ﷺ– المدينة في ضنك من العيش، لايركبون الخيل، ولا يحوزون الغنيمة، فأثروا بالغنائم، وقتـل للجلاس، مولى فأمر رسـول الله –ﷺ– بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى ﴿فـإن يتوبوا﴾ عن النفاق ﴿يك﴾ التوب ﴿خيرا لهم﴾ وهي الآية التي تـاب عندهـا الجلاس ﴿وإن يتولوا﴾ يصروا على النفاق/﴿يعذبهم الله عذابا أليمـا في الدنيـا ٢٢٩/ب
والآخرة﴾ بالقتل، والنار ﴿وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾ ينجيهـم من

---

[1] هذه الرواية ذكر نحوها الامام الطبري ٣١٦/١٤؛ وابن ابى حاتم ١٨٤٣/٦ وحكاه الامام السيوطي في الـدر ٢٤٠/٤ ونسبه لابن اسحاق وابن أبي حاتم بدون زيادة فرفع عامر يده .... الخ والقصة مشهورة بعمير بن سعد انظر الاصابة ٢٥٦/٢

[2] والصحيح الذي عليه السلف أن اسم الايمان أذا أفرد فإنه يتضمن الاسلام، وإذا افرد الاسلام فقد يكون مـع الاسلام مؤمنا بلا نزاع، وأما حالة اقتران الاسلام بالايمان فهي غير حالة إفراد أحدهما عن الآخر، فمثل الاسـلام من الايمان كمثل الشهادتين أحداهما عن الأخرى، فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية، فهما شيئان في الاعيـان واحداهما مرتبطة بالأخرى، في المعنى والحكم لشيء واحد كذلك الاسلام والايمان. شرح العقيدة الطحاويـة ص ٣٣١ ومابعدها.وذكر الشيخ الحكمي في معارج القبول حالتان لاطلاق الفرق بين الاسلام والايمان، فقال الأولى: أن يطلق على الافراد غير مقترن بذكر الايمان، فهو حينئذ يراد به الدين كله، اصوله وفروعه، من اعتقاداته وأقواله وأفعاله ....

الحالة الثانية: أن يطلق الايمان مقرونا بالاسلام وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل – عليـه السلام – ومافي معناه .... معارج القبول ٢٤/٢ ومابعدها.

العذاب ومنهم من عاهد الله﴾ روي أن ثعلبة بن حاطب قال: يارسول الله ؟ ادع الله أن يرزقني مالا فقال: عليه السلام: "يا ثعلبة قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطيقه" فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه، فدعا له، فاتخذ غنما، فنمت كما ينمي الدود، حتى ضاقت بها المدينة، فنزل واديا، وانقطع عن الجماعة، والجمعة، فسأل عنه رسول الله -ﷺ- فقيل كثر ماله، حتى لا يسعه واد "فقال يا ويح ثعلبة" فبعث رسول الله -ﷺ- مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم، ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة، فقال: ما هذه إلا جزية، وقال ارجعا حتى أرى رأيي، فلما رجعا قال لهما رسول الله-ﷺ- قبل أن يكلماه "يا ويح ثعلبة" مرتين، فنزلت، فجاء ثعلبة بالصدقة، فقال: إن الله منعني أن أقبل منك، فجعل التراب على رأسه، فقبض رسول الله -ﷺ- فجاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، وجاء بها إلى عمر في خلافته، فلم يقبلها، وهلك في زمن عثمان-رضي الله عنهم-[1]﴿لئن آتانا من فضله﴾ أي: المال ﴿لنصدقن﴾ لنخرجن الصدقة، والأصل: لنتصدقن، ولكن التاء أدغمت في الصاد لقربها منها ﴿ولنكونن من الصالحين﴾ بإخراج الصدقة ﴿فلما آتاهم من فضله﴾ أعطاهم الله المال، ونالوا مناهم ﴿بخلوا به﴾ منعوا حق الله، ولم يفوا بالعهد ﴿وتولوا﴾ عن طاعة الله، ﴿وهم معرضون﴾ مصرون على الإعراض ﴿فأعقبهم نفاقا في قلوبهم﴾ فأورثهم البخل، نفاقا متمكنا في قلوبهم،

---

[1] أخرجه الامام الطبراني.٢١٨/٨ رقم الحديث [٧٨٧٣] ؛ والبيهقي في الدلائل ٢٨٩/٥ وقال البيهقي: هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير وإنما يروى موصولا بأسانيد ضعاف .... الدلائل ٢٩٢/٥، كما ذكره الامام الطبري ٣٧٠/١٤ المحقق ومابعدها؛ وانظر أسباب النزول للواحدي ص ٢٥٨ ومابعدها، وقال محققه في الهامش نفس الصفحة [٥١٧] إسناده ضعيف جدا: معان بن رفاعه السلامي، قال ابن حبان: منكرالحديث [مجروحين ٣٦/٣ ... والقاسم بن عبدالرحمن منكر الحديث، وعلى بن يزيد أبي عبدالله ضعيف، وقد رد على هذه الرواية وأنها منسوبة لهذا الصحابي الجليل الشيخ عداب محمود الحمش في كتاب له سماه: ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه والكتاب مطبوع، وحاصله: أن القصد شخص آخر غير هذا الصحابي الجليل.

لأنه كان سببا فيه ﴿إلى يوم يلقونه﴾ أي: جزاء فعلهم، وهو يوم القيامة ﴿بمـــا أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ بسبب إخلافهم ما وعدوا الله مـــن التصدق، والصلاح، وكونهم كاذبين، ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق ﴿ألم يعلموا﴾ يعني: المنافقين ﴿أن الله يعلم سرهم﴾ ما أسروه من النفاق، بالعزم على إخلاف ما وعدوه ﴿ونجواهم﴾ وما يتناجون به فيما بينهم، مـــن المطـــاعن في الدين، وتسمية الصدقة، جزية وتدبير منعها ﴿وأن الله علام الغيوب﴾ فلا يخفـى عليه شيء.

﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٧٩) ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ(٨٠) فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ(٨١) فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ(٨٢) فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ(٨٣) وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ(٨٤) وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾(٨٥).

﴿الذين﴾ محله النصب، أو الرفع على الذم، أو الجر على البدل، من الضمـير،[1] ﴿في سرهم ونجواهم﴾ ﴿يلمزون المطوعين﴾ يعيبون المطوعين المتبرعين ﴿مـــن المؤمنين في الصدقات﴾ متعلق بيلمزون. روى أن رسول الله -ﷺ- حث علـى الصدقة، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم، وقال كان لي ثمانيـة آلاف فأقرضت ربي أربعة، وأمسكت / أربعة لعيالي، فقال -عليه السـلام-: ٢٣٠/أ
"بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت"[2] فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته، عن ربع الثمن، على ثمانين ألفا، وتصدق عاصم[3] بمـائـة، وسق مـن تمر[4]﴿والذين﴾ عطف على المطوعين ﴿لا يجدون إلا جهدهم﴾ طاقتهم، وعـن نافع ﴿جهدهم﴾ وهما واحد، وقيل: الجهد الطاقة، والجهد المشقة، وجاء أبـو عقيل[5]بصاع من تمر، فقال: بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين، فتركت صاعـا لعيالي، وجئت بصاع فلمزهم، المنافقون، وقالوا ما أعطى عبد الرحمن، وعاصم، إلا رياء، وأما صاع أبي عقيل، فالله غـني عـنـه،[6]﴿فيســخرون منـهم﴾ فيهزءون ﴿سخر الله منهم﴾ جازاهم على سخريتهم، وهو خبر، غـير دعـاء،

---

[1] انظر اعراب القرآن للنحاس ٢٢٠/٢؛ الدرالمصون ٤٨٥/٣-٤٨٦

[2] ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣٣٢/٨ في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (الذين يلمزون المطوعـين من المؤمنين في الصدقات).

[3] عاصم بن عدي بن الجد بن عجلان بن حارثة العجلاني ثم البلوي، استخلفه الرسول صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى بدر على قباء وأهل العالية، وضرب له بسهمه، فكان كمن شهد بدرا، توفي – رضي الله عنه – سـنة خمس وأربعين وقد بلغ قريبا في عشرين ومائة سنة، الاصابة ٢٤٦/٢؛ الاستيعاب ٣٣٢/٢ ترجمة رقم [١٣١٧] ط دار الكتب ١٤١٥هـ.

[4] انظر تفسير ابن أبي حاتم ١٨٥٠/٦-١٨٥٢ وتفسير الطبري ٣٨٢/١٤-٣٩٢، وتفسير ابن عطيـة ٥٧٨/٦-٥٧٩

[5] هو الأنصاري، صاحب الصاع ذكر أن اسمه: عبدالرحمن بن بيحان من بني أسد، وقيل اسمـه: عبـدالله بـن عبدالرحمن بن ثعلبة بن بيحان، انظر الاصابة ١٣٦/٤ ترجمة رقم [٧٧٦].

[6] انظر تفسير ابن أبي حاتم ١٨٥٠/٦-١٨٥٢ وتفسير الطبري ٣٨٢/١٤-٣٩٢، ومعالم التـنزيل ٨٧/٣-٨٨؛ وانظر تفسير ابن عطية ٥٧٨/٦-٥٧٩

﴿ولهم عذاب أليم﴾ مؤلم، ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله -ﷺ- أن يستغفر لأبيه في مرضه نزل ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ وقـــد مـــر [أن][1]هذا الأمر في معنى الخبر،كأنه قيل: لن يغفر الله لهم، استغفرت لهـم، أم لم تستغفرلهم، ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ والســـبعون، جـــار مجرى المثل في كلامهم للتكثير، وليس على التحديد، والغاية، إذ لو استغفر لهـم مدة حياته، لن يغفر الله لهم، [لأنهم كفار][2]والله لا يغفر [لمن][3]كفـــر بـــه، والمعنى: وإن بالغت في الاستغفار، فلن يغفر الله لهم، وقد وردت الأخبار بذكـــر السبعين، وكلها تدل على الكثرة لا على التحديد، والغاية، ووجـــه تخصيـــص السبعين، من بين سائر الأعداد، أن العدد قليل، وكثير، فالقليل: مادون الثلاث، والكثير: الثلاث فما فوقه، وأدنى الكثير الثلاثة، وليس لأقصاه غاية، والعـــدد — أيضا- نوعان شفع، ووتر، [وأول][4] الأشفاع اثنان، [وأول][5] الأوتار: ثلاثة، والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجمع الكثير من النوعين لأن فيها أوتارا ثلاثـــة واشفاعا ثلاثة والغشرة كمال الحساب، لأن ما جاوز العشرة، فـــهو إضافـــة الآحاد، إلى العشرة،كقولك: اثنا عشر، وثلاثة عشرة إلى عشرين، والعشـــرون، تكرير العشرة، مرتين، والثلاثون، [تكرارها][6] ثلاث مرات، وكذلك إلى مائة، فالسبعون يجمع الكثرة، والنوع، والكثرة منه، وكمال الحساب، والكثرة منـــه، فصار السبعون أدنى الكثير، من العدد من كل وجه، ولا غاية لأقصاه، فجـــاز أن يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى، -والله أعلم- ﴿ذلك﴾ إشارة إلى اليأس مـــن

---

(1) ساقطة من الأصل.

(2) ساقطة من [ق].

(3) اللام ساقطة من الأصل ومن [ق].

(4) في [ز و ق] وأقل.

(5) في [ز و ق] وأقل.

(6) في [ز وق] تكريرها.

المغفرة ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿كفروا بالله ورسوله﴾ ولا غفران للكـلفر﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن الإيمـــان، مـــاداموا مختـــارين للكفـــر، والطغيان،﴿فرح المخلفون﴾ المنافقون الذين استأذنوا رسول الله -ﷺ- فـــأذن لهم وخلفهم بالمدينة، في غزوة تبوك، أو الذين خلفـــهم كسـلهم، ونفاقـــهم، والشيطان ﴿بمقعدهم﴾ بقعودهم عن الغزو/﴿خلاف رسول الله﴾ مخالفة لـــــه، ٢٣٠/ب
وهو مفعول له، أو حال،[1]أي: قعدوا لمخالفته أو مخالفين لـــــه ﴿وكرهـــوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ أي: لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم، وأرواحهم في سبيل الله، وكيف لايكرهونه، وما فيهم ما في المؤمنـــين، من باعث الإيمان، وداعي الإيقان ﴿وقالوا لا تنفروا في الحر﴾ قال بعضهم لبعض أو قالوا للمؤمنين،﴿قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون﴾ استجهال لهـــم، لأن من تصون من مشقة ساعة، فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الأبد،كـان أجهل من كل جاهل ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا﴾ أي: فيضحكون قليـــلا على فرحهم، بتخلفهم في الدنيا، ويبكون كثيرا جزاء في العقبى، إلا أنه أخـــرج على لفظ الأمر، للدلالة على أنه حتم واجب، لايكون غيره، يـــروى أن أهـــل [النفاق][2] يبكون في النار عمر الدنيا، لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنـــوم[3] ﴿جزاء بماكانوا يكسبون﴾ من النفاق ﴿فإن رجعك الله﴾ أي: ردك من تبـــوك، وإنما قال: ﴿إلى طائفة منهم﴾ لأن منهم من تاب من النفاق، ومنهم من هلـــك ﴿فاستئذنوك للخروج﴾ إلى غزوة بعد عزوة تبوك ﴿فقل لن تخرجوا معي أبـدا﴾ وبسكون الياء: حمزة، وعلي، وأبو بكر،[4]﴿ولن تقاتلوا معي عـــدوا﴾ معـــي

---

[1] انظر اعراب القرآن للعكبري ١٩/٢؛ الدرالمصون ٤٨٧/٣

[2] في [ق] أهل النار

[3] انظر تفسير البحرالمحيط ٨١/٥

[4] السبعة ص ٣٢٠؛ النشر ٢٣١/٢

حفص[1]﴿إنكم رضيتم بالقعود أول مرة﴾ أول ما دعيتم، إلى غــــزوة تبــوك ﴿فاقعدوا مع الخالفين﴾ مع من تخلف بعذر، سأل ابن عبد الله بن أبي، وكـــان مؤمنا أن يكفن النبي -ﷺ- أباه في قميصه، ويصلي عليه، فقبل فاعترض عمــر -رضي الله عنه- في ذلك فقال -عليه السلام-: [ذلك لا ينفعــه][2] وكنــت أرجو أن يؤمن به ألف من قومه" فنــزل ﴿ولا تصل على أحد منهم﴾[3] مــن المنافقين، يعني: صلاة الجنــازة، روي أنه أسلم ألف من الخزرج، لمــا رأوه يطلب التبرك بثوب النبي -ﷺ-[4] ﴿مات﴾ صفة لأحــد ﴿أبــدا﴾ ظــرف ﴿لتصل﴾ وكان- عليه السلام- إذا دفن الميت، وقف على قبره، ودعــا لــه، فقيل: ﴿ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ تعليل للنهي، أي: أنهم ليسوا بأهل للصلاة عليهم، لأنهم كفروا بالله ورســوله ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفســهم وهم كافرون﴾ التكرير للمبالغة، والتأكيد، وأن يكون على بال من المخاطب لا ينساه، وأن يعتقد أنه مهم، ولأن كل آية في فرقة غير الفرقة الأخرى.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ (٨٦) رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ (٨٧) لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ

---

[1] السبعة ص ٣٢٠؛ النشر ٢/٢٣١

[2] في [ز و ق] لاينفعه ذلك.

[3] اخرجه الامام البخاري في كتاب الجنائز، باب: مايكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين، عـن ابن عمر ٢/٥٨١-٥٨٢؛ والامام أحمد في مسنده ١/١٦ وأصحاب السنن.

[4] ذكره الامام الطبري في تفسيره ١٤/٤١٠ عن قتادة مرسلا وانظر أسباب النــزول للامام الواحدي ص ٢٦٢

فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ
وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴿٩٠﴾ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ
مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ
مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا
يُنفِقُونَ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن
يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾﴿٩٣﴾.

﴿وإذا أنزلت سورة﴾ يجوز: أن يراد سورة بتمامها، وأن يراد بعضها، كما يقع القرآن، والكتاب على كله، وعلى بعضه ﴿أن آمنوا بالله﴾ [بأن آمنوا][1] أو هي أن المفسرة ﴿وجاهدوا مع رسوله استئذنك أولوا الطول منهم﴾ / ذوو الفضل، 231/أ
والسعة ﴿وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾ مع الذين لهم عذر في التخلف، كالمرضى، والزمنى ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ أي: النساء، جمع خالفة ﴿وطبع على قلوبهم﴾ ختم عليها لاختيارهم الكفر، والنفاق ﴿فهم لا يفقهون﴾ ما في الجهاد من الفوز، والسعادة، وما في التخلف من الهلاك، والشقاوة، ﴿لكن الرسول والذين آمنوا جاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم﴾ أي: إن تخلف هؤلاء، فقد نهض إلى الغزو من هو خير منهم ﴿وأولئك لهم الخيرات﴾ تناول منافع الدارين، لإطلاق اللفظ، وقيل: الحور، لقوله: ﴿فيهن خيرات﴾[2] ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلوب ﴿أعد الله لهم

---

[1] ساقطة من [ق و ز].

[2] سورة الرحمن رقم الآية [٧٠].

جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾ قوله: ﴿أعد﴾ دليل على أنها مخلوقة[1]﴿وجاء المعذِّرون من الأعراب ليُؤذن لهم﴾ هو من عذَّر في الأمر، إذا قصر فيه، وتوانى، وحقيقته أن يوهم، أن له عذراً فيما فعل، ولا عذرله، أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال، ونقل حركتها إلى العين، وهم الذين يعتذرون بالباطل، قيل: هم أسد وغطفان قالوا: إن لنا عيالاً، وإن بنا جهداً فأذن لنا في التخلف ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ هم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا و لم يعتذروا فظهر بذلك أنهم كذبوا الله رسوله في ادعائهم الإيمان ﴿سيصيب الذين كفروا منهم﴾ من الأعراب ﴿عذاب أليم﴾ في الدنيا بالقتل، وفي الآخرة بالنار ﴿ليس على الضعفاء﴾ الهرمى، والزمنى ﴿ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾ هم الفقراء، من مزينة، وجهينة، وبني عذرة ﴿حرَجٌ﴾ إثم وضيق، في التأخر ﴿إذا نصحوا لله رسوله﴾ بأن آمنوا في السر، والعلن، وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه ﴿ماعلى المحسنين﴾ المعذورين الناصحين ﴿من سبيلٍ﴾ أي: لاجناح عليهم، ولا طريق للعتاب عليهم ﴿والله غفور﴾ يغفر لهم تخلفهم ﴿رحيم﴾ بهم ﴿ولاعلى الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ لتعطيهم الحمولة ﴿قلت﴾ حال من الكاف، في أتوك وقد قبله مضمرة، أي: إذا ما أتوك قائلا ﴿لا أجد ما أحملكم عليه تولوا﴾ هو جواب[2]﴿إذا﴾ ﴿وأعينهم تفيض من الدمع﴾ أي: تسيل [كقولك: تفيض دمعا][3]وهو أبلغ من يفيض دمعها، لأن العين جعلت كأن كلها دمع فائض، ومن البيان كقولك: أفديك من

---

[1] وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، فقد اتفقوا على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، و لم يزالوا على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لمايفعله الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، شرح العقيدة الطحاوية ٤١٦

[2] اعراب القرآن للعكبري ٢/٢٠؛ الدرالمصون ٣/٤٩١-٤٩٢

[3] ساقطة من الأصل ومن [ق] والمثبت من [ز].

رجل، ومحل الجار، والمجرور:النصب على التمييز، ويجوز أن يكون: قلـــت ﴿لا أجد﴾ استئنافا، كأنه قيل إذا ما أتوك لتحملهم تولوا، فقيل: مالهم تولوا بـــاكين، فقيل: ﴿قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾ إلا أنه وسط بين الشـــرط، والجـــزاء، كالاعتراض[1]﴿حزنا﴾ مفعول له ﴿ألا يجدوا ما ينفقون﴾ / لئلا يجـــدوا مـــا ينفقون، ومحله: نصب على أنه مفعول له، وناصبه ﴿حزنا﴾[2] والمستحملون أبـو موسى الأشعري، وأصحابه، أو البكاؤن: وهم ستة نفر من الأنصار[3]﴿إنمـــا السبيل على الذين يستئذنونك﴾ في ا لتخلف ﴿وهم أغنياء﴾ وقوله: ﴿رضـــوا﴾ استئناف، كأنه قيل: مابالهم استأذنوا، وهم أغنياء، فقيل ﴿رضوا بأن يكونوا مـــع الخوالف﴾ أي: بالانتظام في جملة الخوالف ﴿وطبع الله على قلوبهـــم فـــهم لا يعلمون﴾.

231/ب

﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٩٤) سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (٩٥) يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ (٩٦) ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا

---

[1] اعراب القرآن للعكبري ٢/ ٢٠؛ الدرالمصون ٣/ ٤٩١-٤٩٢.

[2] المرجع السابق.

[3] وفي بعض الروايات: أنهم سبعة نفر من قبائل شتى: من بنى عمرو بن عوف: سالم بن عمير، ومن بنى واقـف: هرمى بن عمرو، ومن بنى مازن بن النجار: عبدالرحمن بن كعب، يكنى: ابالیلى، ومن بنى المعلى: سـلمان بـن صخر، ومن بنى حارثة: عبدالرحمن بن يزيد، أبوعبله، وهو الذي تصدق بعرضه فقبله الله منه، ومن بنى سـلمة: عمرو بن غنمة، وعبدالله بن عمرو المزنى وقيل غيرهم. انظر تفسير الطبري ١٤/ ٤٢١-٤٢٣؛ وتفسير ابن عطية ٦/ ٥٩٩

وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٩٧) وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٩٨) وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٩٩).

﴿يعتذرون إليكم﴾ يقيمون لأنفسهم عذرا باطلا ﴿إذا رجعتم إليهم﴾ من هذه السفرة ﴿قل لا تعتذروا﴾ بالباطل ﴿لن نؤمن لكم﴾ لن نصدقكم، وهو علة للنهي عن الاعتذار، لأن غرض المعتذر، أن يصدق فيما يعتذر به، ﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾ علة لانتفاء تصديقهم، لأنه -تعالى- إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم، وما في ضمائرهم، لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ أتنيبون، أم تثبتون على كفركم ﴿ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ أي: تردون إليه، وهو عالم كل سر، وعلانية، ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيجازيكم على حسب ذلك ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم﴾ لتتركوهم، ولا توبخوهم ﴿فأعرضوا عنهم﴾ فأعطوهم طلبتهم ﴿إنهم رجس﴾ تعليل لترك معاتبتهم، أي: أن المعاتبة لا تنفع فيهم، ولاتصلحهم، لأنهم أرجاس، لا سبيل إلى تطهيرهم ﴿ومأواهم جهنم﴾ ومصيرهم النار، يعني: وكفتهم النار عتابا، وتوبيخا، فلا تتكلفوا عتابهم ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾[أي: يجزون جزاء كسبهم][1] ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم﴾ أي غرضهم بالحلف بالله، طلب رضاكم، لينفعهم ذلك في دنياهم ﴿فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ أي فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطا عليهم، وكانوا عرضة لعاجل عقوبته، وآجلها، وإنما

---

[1] ساقطة من الأصل [وق] والمثبت من [ز].

قيل ذلك لئلا يتوهم، أن رضا المؤمنين، يقتضي رضا الله عنهم ﴿الأعراب﴾ أهل البدو ﴿أشد كفرا ونفاقا﴾ من أهل الحضر، لجفائهم، وقسوتهم، وبعدهم عن العلم، والعلماء ﴿وأجدر ألا يعلموا﴾ وأحق بأن لا يعلموا ﴿حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ يعني: حدود الدين، وما أنزل الله من الشرائع، والأحكام، ومنه قوله -عليه السلام-: "إن الجفاء والقسوة في الفدادين"[1] يعني الأكرة، لأنهم يفدون، أي: يصيحون في حروثهم، والفديد: الصياح ﴿والله عليم﴾ بأحوالهم ﴿حكيم﴾ في إمهالهم ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق﴾ أي: يتصدق ﴿مغرما﴾ غرامة، وخسرانا، لأنه لا ينفق إلا تقية من المسلمين، ورياء، لا لوجه الله، وابتغاء المثوبة عنده ﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ أي: دوائر الزمان، وتبدل الأحوال بدور الأيام، لتذهب غلبتكم عليه، فتخلص من إعطاء الصدقة ﴿عليهم دائرة السوء﴾ أي: عليهم تدور المصائب، والحروب، التي يتوقعون وقوعها في المسلمين، ﴿السوء﴾ مكي، وأبو عمرو، وهو العذاب، والسوء بالفتح[2] ذم
٢٣٢/أ للدائرة /كقولك: رجل سوء في مقابلة قولك: رجل صدق ﴿والله سميع﴾ لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة ﴿عليم﴾ بما يضمرونه ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق﴾ في الجهاد، والصدقات ﴿قربات﴾ أسبابا للقربة، ﴿عند الله﴾ وهو مفعول ثاني ليتخذ ﴿وصلوات الرسول﴾ أي: دعاءه لأنه -عليه السلام- كان يدعو للمتصدقين بالخير، والبركة، ويستغفر لهم

---

[1] الحديث متفق على صحته فقد أخرجه الامام البخاري ٣٠١/٦ كتاب: المغازي باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن بلفظ: (الإيمان هاهنا وأشار بيده إلى اليمن والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل، من حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومضر) وأخرجه مسلم باللفظ نفسه في كتاب الايمان ٧١/١ باب: تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه، عن أبي موسى الأشعرى - رضي الله عنه-

[2] السبعة ص ٣١٦؛ النشر ٢٨٠/٢

كقوله: "اللهم صل على آل أبي أوفى"[1]﴿ألا إنها﴾ أي: النفقـــة، أو صلـــوات الرسول ﴿قربة لهم﴾ قربة نافع،[2]وهذا شهادة من الله للمتصدق، بصحـــة مـــا اعتقد من كون نفقته قربات، وصلوات، وتصديـــق، لرجائـــه علـــى طريـــق الاستئناف، مع حرفي التنبيه، والتحقيق، المؤذنين: بثبات الأمر، وتمكنه، وكذلك ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ جنته، وما في السين من تحقيق الوعد، وما أدل هـــذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين، وأن الصدقة منـــه بمكـــان، إذا خلصـــت [النية][3]من صاحبها ﴿إن الله غفور﴾ يستر عيب [المخل][4]﴿رحيم﴾ يقبـــل جهد المقل.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٠٠) وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢) خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٠٣).

---

[1] متفق عليه فقد اخرجه الامام البخاري ٤٣٥/٨ كتاب الدعوات، باب: هل يصلى على غير النبي، واخرجـــه مسلم في كتاب الزكاة ٧٥٦/٢-٧٥٧ باب الدعاء لمن أتى بصدقة.

[2] السبعة ص ٣١٦-٣١٧

[3] ساقطة من الأصل والمثبت من [ز].

[4] في [ق] البخيل.

﴿والسابقون﴾ مبتدأ ﴿الأولون﴾ صفة لهم،[1]﴿من المهاجرين﴾ تبيين لهم، وهم الذين صلوا إلى القبلتين، أو الذين شهدوا بدرا، أو بيعة الرضوان ﴿والأنصار﴾ عطف على المهاجرين، أي: ومن الأنصار، وهم أهل بيعة العقبة الأولى، وكانوا سبعة نفر، وأهل العقبة الثانية، وكانوا سبعين ﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾ من المهاجرين، والأنصار فكانوا سائر الصحابة، وقيل: هم الذين اتبعوهم بالإيمان، والطاعة إلى يوم القيامة، والخبر ﴿رضي الله عنهم﴾ بأعمالهم الحسنة ﴿ورضوا عنه﴾ بما أفاض عليهم من نعمته الدينية، والدنيوية ﴿وأعد لهم﴾ عطف على ﴿رضي﴾ ﴿جنات تجري تحتها الأنهار﴾ من تحتها مكي[2]﴿خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم﴾ يعني: حول بلدتكم، وهي المدينة ﴿من الأعراب منافقون﴾ وهم جهينة، وأسلم، [وأشجع][3]وغفار، وكانوا نازلين حولها، ﴿ومن أهل المدينة﴾ عطف على خبر المبتدأ، الذي هو ﴿ممن حولكم﴾ والمبتدأ ﴿منافقون﴾ ويجوز: أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ، والخبر: وإذا قدرت ومن أهل المدينة قوم[4]﴿مردوا على النفاق﴾ أي: تمهروا فيه، على أن مردوا صفة موصوف محذوف، وعلى الوجه الأول، لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة، لمنافقون، فصل بينها، وبينه بمعطوف على خبره، ودل على مهارتهم فيه، بقوله:﴿لا تعلمهم﴾ أي: يخفون عليك مع فطنتك، وصدق فراستك، لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في أمرهم، ثم قال:﴿نحن نعلمهم﴾

---

[1] إعراب القرآن للعكبري ٢/٢٠؛ الدرالمصون ٣/٤٩٧

[2] انظر السبعة ص ٣١٧ ؛ النشر ٢/٢٨٠

[3] ساقطة من [ق و ز].

[4] انظر اعراب القرآن للعكبري ٢/٢١؛ اعراب القرآن للنحاس ٢/٢٣٣؛ الدرالمصون ٣/٤٩٨

أي: لايعلمهم إلا الله، ولا يطلع / على سرهم غيره، لأنهم يبطنون الكفـــر في ٢٣٢/ب
سويداوات قلوبهـــم، ويـــبرزون لـــك ظـــاهرا،كظـــاهر المخلصـــين مـــن المؤمنين،﴿سنعذبهم مرتين﴾ هما: القتل، وعذاب القبر، أو الفضيحة، وعـــذاب القبر،[1] أو أخذ [الزكاة][2]من أموالهم ونهك أبدانهم ﴿ثم يـــردون إلى عـــذاب عظيم﴾ أي: عذاب النار ﴿وءاخرون﴾ أي: قوم آخـــرون ســـوى المذكوريـــن ﴿اعترفوا بذنوبهم﴾ أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم، ولكـــن اعترفوا على أنفسهم، بأنهم بئس ما فعلوا نادمين، وكانوا عشرة، فسبعة منـــهم، لمابلغهم ما نزل في المتخلفين أوثقوا أنفسهم، على سواري المسجد، فقدم رسول الله – ﷺ – فدخل المسجد فصلى ركعتين، وكانت عادته،كلما قدم من ســـفر فرآهم موثقين فسأل عنهم، فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفســـهم حـــتى يكون رسول الله-ﷺ – هو الذي يحلهم، فقال: (وأنا أقسم أن لا أحلهم، حـــتى أومر فيهم) فنـــزلت، فأطلقهم، فقالوا يارسول الله: هذه أموالنا الـــتي خلفتنـــا عنك فتصدق بها، وطهرنا، فقال: (ماأمرت أن آخذ من أموالكم شيئا) فنـــزل ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾[3]﴿خلطوا عملا صالحا﴾ خروجا إلى الجهاد ﴿وءاخر سيئا﴾ تخلفا عنه، أو التوبة، والإثم، وهو من قولهم: بعت الشاء، شاة، ودرهمـــا،

---

[1] ذكره الامام الطبري في تفسيره ١٤/٤٤١-٤٤٢ وزاد: فلقيهم عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منـــهم حياء أنه لم يشهد الجمعة، وظن أن الناس قد انصرفوا، واختبأوهم من عمر ظنوا أنه قد علم بأمرهم، فجاء عمـــر فدخل المسجد، فإذا الناس لم يصلوا، فقال رجل من المسلمين أبشر ياعمر، فقد فضح الله المنافقين اليـــوم، فـــهذا العذاب الأول حين أخرجهم من المسجد، والعذاب الثاني: عذاب القبر أهـــ.

[2] في [ق و ز] الصدقات.

[3] أخرجه الإمام البيهقي في دلائل النبوة ٥/٢٧١-٢٧٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره ابن أبي حـــاتم مختصرا ٦/١٨٧٨، وانظر أسباب النـــزول للإمام السيوطي ص ٢٠١-٢٠٢

أي: شاة بدرهم، فالواو: بمعنى الباء، لأن الواو للجمـــع، والبـــاء للإلصـــاق، فيتناسبان، أو المعنى: خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلـــوط ومخلوط به،كقولك: خلطت الماء واللبن، تريد خلطت كـــل واحـــد منـــهما بصاحبه، بخلاف قولك: خلطت الماء باللبن، لأنك جعلت الماء مخلوطا، [واللـــبن مخلوطا به][1]وإذا قلته بالواو، فقد جعلت الماء واللـــبن مخلوطـــين، ومخلوطـــا بهما،كأنك قلت: خلطت الماء باللبن، واللبن بالماء ﴿عسى الله أن يتوب عليـــهم إن الله غفور رحيم﴾ ولم يذكر توبتهم، لأنه ذكر اعترافهم بذنوبهم، وهو دليـــل على التوبة ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ كفارة لذنوبهم، وقيـــل: هـــي الزكـــاة ﴿تطهرهم﴾ عن الذنوب، وهو صفة لصدقة، والتاء للخطاب، أو لغيبة المؤنـــث، والتاء[2]في ﴿وتزكيهم﴾ للخطاب لا محالة ﴿بها﴾ بالصدقة، والتزكية، مبالغـــة في التطهير، وزيادة فيه، أو بمعنى: الإنماء، والبركة في المال ﴿وصل عليهم﴾ واعطف عليهم بالدعاء لهم، وترحم، والسنة: أن يدعو المصدق لصـــاحب الصدقـــة إذا أخذها ﴿إن صلواتك﴾ صلاتك كوفي غير، أبي بكر،[3] قيل: الصلاة أكثر مـــن الصلوات، لأنها للجنس ﴿سكن لهم﴾ يسكنون إليه، وتطمئن قلوبهم، بأن الله قد تاب عليهم ﴿والله سميع﴾ لدعائك، أو يسمع اعترافهم بذنوبهـــــم، ودعائـــهم ﴿عليم﴾ بما في / ضمائرهم، من الندم، والغم، لمافرط منهم. ٢٣٣/أ

---

[1] ساقطة من [ق].

[2] انظر اعراب القرآن للعكبري ٢/٢١؛ اعراب القرآن للنحاس ٢/٢٣٣؛ الدرالمصون ٣/٥٠٠

[3] السبعة ص ٣١٧؛ النشر ٢/٢٨٠

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ(١٠٤)وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(١٠٥) وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(١٠٦) وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ(١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ(١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ(١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١١٠).

﴿ألم يعلموا﴾ المراد: المتوب عليهم، أي: ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم، وتقبل صدقاتهم ﴿أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ إذا صحت ﴿ويأخذ الصدقات﴾ ويقبلها، إذا صدرت عن خلوص النية، وهو للتخصيص أي: إن ذلك ليس إلى رسول الله -ﷺ- إنما الله هو الذي يقبل التوبة، ويردها، فاقصدوه بها، ووجهوها إليه ﴿وأن الله هو التواب﴾ كثير قبول التوبة ﴿الرحيم﴾ بعفو الحوبة، ﴿وقل﴾ لهؤلاء التائبين ﴿اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾أي: فإن عملكم لا يخفى، خيرا كان أو شرا على الله، وعباده،كما رأيتم، وتبين لكم، أو غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة، فقد روى أنه لما تيب عليهم، قال الذين لم يتوبوا: هؤلاء الذين تابوا،كانوا بالأمس معنا لا يكلمون، ولا يجالسون،

[فمالهم][1] فنـــزلت، وقوله تعالى: ﴿فسيرى الله﴾ وعيد لهم، وتحذير من عاقبـــة الإصرار، والذهول عن التوبة، ﴿وستردون إلى عالم الغيب﴾ما يغيب عن النـــاس ﴿والشهادة﴾ ما يشاهدونه ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ تنبئة تذكير، ومجـــازاة عليه ﴿وءاخرون مرجون لأمر الله﴾بغير همز مدني، وكـــوفي غـــير أبي بكـــر، مرجئون، غيرهم،[2] من أرجيته، وأرجأته، إذا أخرتـــه ومنـــه: المرجئـــة،[3] أي: وآخرون من المتخلفين، موقوفون إلى أن يظهر أمر الله فيهم ﴿إما يعذبهـــم﴾ إن أصروا، ولم يتوبوا ﴿وإما يتوب عليهم﴾إن تابوا، وهم ثلاثة: كعب بن مـــالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، الضابط بمكة تخلفوا عن غزوة تبوك، وهـــم الذين ذكروا في قوله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ ﴿والله عليم﴾ برجائـــهم، ﴿حكيم﴾ في إرجائهم، وإما للشك، وهو راجع إلى العباد، أي: خافوا عليـــهم العذاب، وأرجو لهم الرحمة، وروى أنه -عليه السلام- أمـــر أصحابـــه أن لا يسلموا عليهم، ولا يكلموهم، ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريـــق، مـــن شـــد أنفسهم على السواري، وإظهار الجزع، والغم، فلما علموا أن أحدا لا ينظـــر إليهم، فوضوا أمرهم إلى الله، وأخلصوا نياتهم، ونصحت توبتهم، فرحمهم الله[4] ﴿والذين اتخذوا مسجدا﴾ تقديره: ومنهم الذين اتخذوا، الذين بغير واو، مـــدني،

---

[1] ساقطة من الأصل.

[2] قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص (وآخرون مرجون) بغير همز، وقرأ الباقون بالهمز، وهمـــا لغتـــان. حجـــة القراءات ص ٣٢٣ لابن زنجلة تحقيق وتعليق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة ط ٥ / ١٤١٨هـ.

[3] المرجئة هم طائفة يقولون: بتأخر العمل عن الإيمان، إلا أنهم وافقوا الخوارج في بعض المســـائل الـــتي تتعلـــق بالإمامة. انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٤ ومابعدها، الملل والنحل ١/١١٤

[4] وقصتهم في الصحيحين من حديث كعب بن مالك – رضي الله عنه – البخاري ٣١٠/٦ ومابعدها، كتـــاب: المغازي، باب: في حديث كعب بن مالك، وقول الله عزوجل: (وعلـــى الثلاثـــة ....) وفي مســـلم ٢١٢٠/٤ ومابعدها، كتاب: التوبة، با: حديث توبة كعب وصاحبيه.

وشامي،[1]وهو مبتدأ، خبره محذوف،[2]أي: جازيناهم، روي أن بني عمرو بن عوف، لما بنو مسجد قباء، بعثوا إلى رسول الله -ﷺ -أن يأتيهم، فأتاهم فصلى، فحسدتهم.إخوانهم بنو غنم بن عوف، وقالوا: نبني مسجدا، ونرسل إلى رسول الله يصلي فيه، ويصلي فيه أبو عامر الراهب، إذا قدم من الشام، وهو الذي قال / لرسول الله - عليه السلام - يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا ٢٣٣/ب
قاتلتك معهم، فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين، فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء، وقالوا للنبي-ﷺ - بنينا مسجدا لذي العلة، والحاجة، ونحن نحب أن تصلي لنا فيه، فقال: "إني على جناح سفر، وإذا قدمنا من تبوك -إن شاء الله- صلينا فيه" فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد، فترلت عليه، فقال: لوحشي قاتل حمزة، ومعن بن عدي، وغيرهما "انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه" ففعلوا[3]وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف، والقمامة. ومات أبو عامر بالشام، ﴿ضرارا﴾ مفعول له، وكذا مابعد،[4]أي: مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء، ﴿وكفرا﴾وتقوية للنفاق ﴿وتفريقا بين المؤمنين﴾لأنهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء، فأرادوا أن يتفرقوا عنه، وتختلف كلمتهم ﴿وإرصادا لمن﴾وإعدادا لأجل من ﴿حارب الله ورسوله﴾وهو الراهب، أعدوه له، ليصلي فيه، ويظهر على رسول الله -ﷺ - وقيل: كل مسجد بني مباهاة، أو رياء، أو سمعة، أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيب، فهو لاحق بمسجد ضرار ﴿من قبل﴾ متعلق بحارب، أي:

---

[1] قرأ نافع وابن عامر بدون واو، وكذلك هي مصاحف المدينة وأهل الشام، وقرأ غيرهم بالواو. السبعة ص ٣١٨؛ النشر ٢٨١/٢

[2] انظر إعراب القرآن للعكبري ٢٢/٢؛ اعراب القرآن للنحاس ٢٣٥/٢

[3] ذكر نحوه ابن جرير في تفسيره ٤٦٨/١٤ ومابعدها، وابن أبي حاتم ١٨٧٨/٦-١٨٧٩، وحكى نحوه السيوطي في الدر ٢٨٥/٤ ومابعدها.

[4] انظر اعراب القرآن للعكبري ٢٢/٢؛ اعراب القرآن للنحاس ٢٣٥/٢

من قبل بناء هذا المسجد، يعني: يوم الخندق ﴿وليحلفن﴾كاذبين ﴿إن أردنا إلا الحسنى﴾ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الخصلة الحسنى، وهي: الصلاة، وذكر الله، والتوسعة على المصلين ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ في حلفهم ﴿لا تقم فيه أبدا﴾للصلاة ﴿لمسجد أسس على التقوى﴾اللام: للابتداء، وأسس: نعت له،[1] وهو مسجد قباء، أسسه رسول الله -ﷺ- وصلى فيه أيام مقامه، [بقباء][2] أو مسجد رسول الله -ﷺ- بالمدينة ﴿من أول يوم﴾من أيام وجوده، قيل: القياس فيه مذ، لأنه لابتداء الغاية، في الزمان، ﴿ومن﴾ لابتداء الغاية في المكان، والجواب: إن من عام في الزمان، والمكان[3]﴿أحق أن تقوم فيه﴾مصليا ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ قيل: لما نزلت، مشى رسول الله -ﷺ- ومعه المهاجرون، حتى وقفوا على باب مسجد قباء، فإذا الأنصار جلوس، فقال أمؤمنون أنتم ؟ فسكت القوم، ثم أعادها فقال عمر: يارسول الله، إنهم لمؤمنون، وأنا معهم، فقال -عليه السلام-: "أترضون بالقضاء"؟ قالوا: نعم قال: "أتصبرون على البلاء" قالوا: نعم قال: "أتشكرون في الرخاء"؟ قالوا: نعم قال -عليه السلام-: "مؤمنون ورب الكعبة" فجلس ثم قال: "يا معشر الأنصار: إن الله عز وجل قد أثنى عليكم، فما الذي تصنعون
أ/٢٣٤ عند الوضوء، وعند الغائط" فقالوا: يا رسول الله نتبع الغائط الأحجار / الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء، فتلاالنبي-عليه السلام-:﴿رجال يحبون أن يتطهروا﴾[4] قيل: هو عام في التطهر عن النجاسات كلها، وقيل: هو التطهر من الذنوب بالتوبة، ومعنى: محبتهم، للتطهر، أنهم يؤثرونه، ويحرصون عليه، حرص المحب

---

(١) إعراب القرآن لعكبري ٢/٢٢؛ إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٣٥

(٢) ساقطة من [ز].

(٣) اعراب القرآن للعكبري ٢/٢٢؛ إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٣٥

(٤) ذكر نحوه الامام الطبري ١٤/٤٨٣ ومابعدها، تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٨٨٢-١٨٨٣

للشيء، ومعنى: محبة الله إياهم، أنه يرضى عنهم، ويحسن إليهم،كما يفعل المحب بمحبوبه ﴿أفمن أسس بنيانه﴾ وضع أساس ما يبنيه، ﴿علـــى تقـــوى مـــن الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ هذا ســـؤال تقريـــر، وجوابه: مسكوت عنه لوضوحه، والمعنى: أفمن أسس بنيان دينه على قـــاعدة محكمة، وهي: تقوى الله، ورضوانه، خير، أم من أسسه على قـــاعدة، هـــي: أضعف القواعد، وهو الباطل، والنفاق، الذي مثله مثل: ﴿شفا جرف هـــار﴾ في قلة الثبات، والاستمساك، وضع شفا الجر، في مقابلة التقوى، لأنه جعل مجـــازا، عما ينافي التقوى، والشفا: الحرف، والشفير، وجرف الوادي: جانبـــه الـــذي ينحفر، أصله بالماء وتجرفه السيول، فيبقى واهيا، والهار: الهائر، وهو المنصـــدع الذي أشفى على التهدم، والسقوط، ووزنه: فعل قصر عن فاعل، كحلف، مـــن حالف، وألفه ليس بألف فاعل، إنما هي عينه، وأصله: هـــور، فقلبـــت ألفـــا لتحركها، وانتفاح ماقبلها،[1] ولاترى أبلغ من هذا الكلام، ولا أدل على حقيقـــة الباطل، وكنه أمره،﴿أفمن أسس بنيانه﴾ أمن أسس بنيانه: شـــامي، ونـــافع، جرف: شامي، وحمزة، ويحيى، هار بالامالة أبو عـــمـــرو، وحمـــزة، في روايـــة ويحيى[2]﴿فانهار به في نار جهنم﴾فطاح به الباطل في نار جهنم، ولمـــا جعـــل الجرف الهائر: مجازا عن الباطل، رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار، الـــذي هـــو للجرف، وليتصور أن المبطل،كأنه أسس بنيانا، على شفا جرف، مـــن أوديـــة جهنم فانهار به ذلك الجرف، فهوى في قعرها، قال جابر: رأيت الدخان يخـــرج من مسجد الضرار حين انهار[3]﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾لا يوفقهم للخير، عقوبة لهم على نفاقهم ﴿لايزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾لا يزال هدمـــه

---

[1] انظر الدرالمصون ٣/٥٠٣

[2] السبعة ٣١٨-٣١٩؛ النشر ٢/٢٨١

[3] ذكره الامام الطبري ١٤/٤٩٣؛ تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٨٨٤

سبب شك، ونفاق، زائد على شكهم، ونفاقهم، لما غاظهم من ذلك، وعظـــم
عليهم ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ شامي، وحمزة، وحفص، أي: تتقطـــع. غـــيرهم
تقطع،[1] أي: إلاأن تقطع قلوبهم قطعا، وتفرق أجزاء، [فحينئذ يسلون عنـــه][2]
وأما ما دامت سالمة، مجتمعة، فالريبة باقية فيها، متمكنة، ثم يجوز أن يكون ذكـــر
التقطع، تصويرا لحال زوال الريبة عنها، ويجوز أن يراد: حقيقة تقطيعها، وما هو
كائن منه بقتلهم، أو في القبور، أو في النار، أو معناه: إلا أن يتوبوا توبة تتقطـــع
بها قلوبهم، ندما وأسفا على تفريطهم ﴿والله عليم﴾ بعزائمهم ﴿حكيم﴾ في جـــزاء
جرائمهم/. ٢٣٤/ب
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ
يقـــاتلون في سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى
بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١١١) ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ
ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٢) مَا
كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى
قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ
ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ
تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ (١١٤) وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ
هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١١٥) إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ

[1] السبعة ٣١٩؛ النشر ٢/٢٨١

[2] في [ز] فح يسلموك.

مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾﴿١١٧﴾.

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم، وأموالهم، في سبيله، بالشراء، وروي: تاجرهم، فأغلى لهم الثمن،[1]وعن الحسن: أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها، ومر برسول الله -ﷺ-أعرابي وهو يقرؤها فقال: بيع والله مربح لانقيله ولانستقيله،[2]فخرج إلى الغزو واستشهد ﴿يقاتلون في سبيل الله﴾بيان محل التسليم ﴿فيقتلون ويقتلون﴾ أي: تارة يقتلون العدو، وطورا يقتلهم العدو فيقتلون، ويقتلون حمزة، وعلي[3]﴿وعدا عليه﴾ مصدر، أي: وعدهم بذلك وعدا ﴿حقا﴾ صفته،[4] أخبر بأن هذا الوعد، الذي وعده للمجاهدين في سبيله، وعد ثابت قد أثبته ﴿في التوراة والإنجيل والقرآن﴾وهو دليل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال، ووعدوا عليه، ثم قال ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾لأن إخلاف الميعاد قبيح، لايقدم عليه الكريم منا، فكيف بأكرم الأكرمين، ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه، وأبلغ ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾فافرحوا به غاية الفرح، فإنكم تبيعون فانياً

---

(1) تفسير الطبري ٤٩٩/١٤ عن الحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم، وانظر تفسير ابن أبي حاتم ١٨٨٦/٦ والدرالمنثور ٢٩٤/٤ ومابعدها. وهو مرسل بهذه الاسانيد

(2) تفسير الطبري ٤٩٩/١٤ عن الحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم، وانظر تفسير ابن أبي حاتم ١٨٨٦/٦ والدرالمنثور ٢٩٤/٤ ومابعدها. وهو مرسل بهذه الاسانيد

(3) قرأ حمزة والكسائي:(فيقتلون ويقتلون)مفعول وفاعل. السبعة ص ٣١٩ وانظر تفسيرابن عطية ٥٠/٧-٥١

(4) اعراب القرآن للعكبري ٢٣/٢؛ اعراب القرآن للنحاس ٢٣٧/٢

بباقٍ ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾قال الصادق[1]:ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها﴿التائبون﴾ رفع على المدح، أي: هم التـــائبون يعـــني المؤمنـــين المذكورين، أو هو مبتدأ خبره ﴿العابدون﴾ أي: الذيـــن عبـــدوا الله وحـــده، وأخلصوا له العبادة، ومابعده خبر بعد خبر،[2]أي: التائبون من الكفـــر، علـــى الحقيقة، الجامعون لهذه الخصال، وعن الحسن: هم الذين تابوا مـــن الشـــرك، وتبرءوا من النفاق[3]﴿الحامدون﴾ على نعمة الإسلام ﴿السائحون﴾ الصـائمون، لقوله -عليه السلام-: "سياحة أمتي الصيام"[4]أو طلبة العلم، لأنهم يسـيحون في الأرض يطلبونه في مظانـــه، أو الســـائرون في الأرض للاعتبـــار﴿ الراكعـــون الساجدون﴾ المحافظون على الصلوات ﴿الآمرون بالمعروف﴾ بالإيمان، والطاعـــة ﴿والناهون عن المنكر﴾ عن الشرك، والمعاصي، ودخلت الواو، للإشعار بـــأن السبعة عقد تام، أو للتضاد بين الأمر، والنهي، كما في قولـــه: ﴿ثـــيبات وأبكارا﴾[5]﴿والحافظون لحدود الله﴾ أوامره ونواهيه، أو معالم الشرع ﴿وبشـــر المؤمنين﴾ المتصفين بهذه الصفات، وهم -عليه السلام- أن يستغفر لأبي طـــالب فنـــزل[6]﴿ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كـــانوا أولي

---

(1) تقدمت ترجمته ص

(2) انظر اعراب القرآن للعكبري ٢/٢٣؛ اعراب القرآن للنحاس ٢/٢٣٨

(3) تفسير الطبري ١٤/٥٠١؛ تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٨٨٨

(4) ذكر نحوه الإمام الطبري مسندا عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وذكره ابن أبي حاتم ١٤/٥٠٣-٥٠٤ تحقيق، وفي سنده: إبراهيم بن يزيد الخوزي، متروك الحديث وعليه فالأثر لايصح بهذا الإسناد، وقد ذكره - أيضا - الامام الطبري في تفسيره ٨/٢٧٠ وقال: رواه أبوهريرة مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(5) سورة التحريم رقم الآية [٥]

(6) أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضر أبا طالب الوفاة دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - وعنده أبوجهل وعبدالله بن أبي أمية فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أي عم قـــل: لاإله إلا الله أحاج لك بها عندالله) فقال أبوجهل وعبدالله ابن أبي أمية: يا أباطالب أترغب عن ملة عبدالمطلـــب؟

قربى﴾ أي: ماصح له الاستغفار في حكم الله، وحكمته ﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك / ثم ذكر عذر إبراهيم فقال: ﴿وماكان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياها﴾ أي: وعد أبوه إياه، أن يسلم، أو وعد هو أباه، أن يستغفر، وهو قوله: ﴿لأستغفرن لك﴾[1] دليله: قراءة الحسن وعدها أباه، ومعنى استغفاره: سؤاله المغفرة له، بعد ما أسلم أو سؤاله إعطاء الإسلام الذي به يغفر له ﴿فلما تبين﴾ من جهة الوحي ﴿له﴾ لإبراهيم ﴿أنه﴾ أن أباه ﴿عدو لله﴾ بأن يموت كافرا، وانقطع رجاؤه عنه ﴿تبرأ منه﴾ وقطع استغفاره ﴿إن إبراهيم لأواه﴾ هو المتأوه، شفقا، وفرقا، ومعناه: أنه لفرط ترحمه، ورقته، كان يتعطف [على أبيه][2] الكافر ﴿حليم﴾ هو الصبور على البلاء الصفوح عن الأذى لأنه كان يستغفر لأبيه وهو يقول: ﴿لأرجمنك﴾[3] ﴿وماكان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾ أي: ما أمر الله باتقائه، واجتنابه، كالاستغفار للمشركين، وغيره مما نهى عنه، وبين أنه محظور، لا يؤاخذ به عباده، الذين هداهم للإسلام، ولا يخذلهم، إلا إذا أقدموا عليه بعد بيان حظره، وعلمهم، بأنه واجب [الاجتناب][4] وأما قبل العلم، والبيان، فلا، وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين، والمراد: بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي، فأما مايعلم بالعقل، فغير موقوف على التوقيف ﴿إن الله بكل شيء عليم إن الله له ملك

٢٣٥/أ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك) فنزلت. صحيح البخاري ٢٥٢/٥ رقم الحديث [٤٦٧٥].

(١) سورة الممتحنة رقم الآية [٤].

(٢) في [ز] لأبيه.

(٣) سورة مريم رقم الآية [٤٦].

(٤) في الأصل: الامتثال.

السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لقـــد تاب الله على النبي﴾ أي: تاب عليه، من بإذنه للمنافقين في التخلف عنه،كقولـه ﴿عفا الله عنك﴾[1]﴿والمهاجرين والأنصار﴾ فيه بعث للمؤمنين على التوبة، وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة، والاستغفار حتى النبي -ﷺ- والمهاجرين، والأنصار ﴿الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾ في عزوة تبوك، ومعناه: في وقتـــها، والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق، وكانوا في عسرة من الظهر، يعتقـــب العشرة على بعير واحد، ومن الزاد تزودوا التمر الممدود، والشـــعير المســـوس، والإهالة[2] الزنخة وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم التمرة اثنـــان، وربمـــا مصـــها الجماعة، ليشربوا عليها الماء، ومن الماء حتى نحروا الإبل، وعصـــروا كرشـــه، وشربوه، وفي شدة زمان من حاره[3]القيظ، ومن الجدب، والقحط ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ عن الثبات على الإيمان، أو عن اتباع الرسـول، في تلك الغزوة، والخروج معه، وفي ﴿كاد﴾ ضمير الشأن، والجملة بعده في موضـع النصب،[4]وهو كقولهم: ليس خلق الله مثله، أي: ليس الشأن خلق الله مثلـــه، ﴿يزيغ﴾ حمزة، وحفص،[5]/﴿ثم تاب عليهم﴾ تكرير للتوكيد ﴿إنه بهـم رؤوف رحيم﴾. ٢٣٥/ب

---

(1) سورة التوبة رقم الآية [٤٣].

(2) الاهالة: ما أذبت من الشحم، قيل: الشحم والزيت، وقيل: كل دهن اؤتدم به إهالة، والإهالة: الـــودك، وفي الحديث: أنه كان يدعي إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب، وقيل: غير ذلك .... اللسان ٣٢/١١ مـــادة: أهل.

(3) الحار: الشاق المتعب ..... اللسان ١٧٩/٤ مادة: حرر والقيظ: هو صميم الصيف .... وقاظ يوما اشتد حره .... اللسان ٤٥٦/٧ مادة: قيظ.

(4) والباقون (تزيغ) بالتاء. السبعة ص ٣١٩ ؛ النشر ٢٨١/٢

(5) انظر تفسير الطبري ٥٤٣/١٤ ومابعدها.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١١٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١١٩) مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (١٢١).

﴿وعلى الثلاثة﴾ أي: وتاب على الثلاثة،[1] وهم [كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أميه][2]وهو عطف على النبي ﴿الذين خلفوا﴾ عن الغزو ﴿حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ برحبها، أي: مع سعتها، وهو مثل للحيرة في أمرهم،كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه، قلقا، وجزعا ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ أي: قلوبهم، لايسعها أنس، ولا سرور، لأنها حرجت من فرط الوحشة، والغم، ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله إلا إلى استغفاره ﴿ثم تاب عليهم﴾ بعد خمسين يوماً ﴿ليتوبوا﴾ ليكونوا في جملة التوابين ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾ عن أبي بكر الوراق، أنه قال: التوبة النصوح أن تضيق على التائب الأرض بمارحبت، وتضيق

---

[1] انظر تفسير الطبري ٥٤٣/١٤ ومابعدها.

[2] ومابين القوسين ساقط من الأصل.

عليه نفسه، كتوبة هؤلاء الثلاثة[1] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونــوا مــع الصادقين﴾ في إيمانهم دون المنافقين، أو مع الذين لم يتخلفوا، أو مـــع الذيـــن صدقوا في دين الله، نية، وقولا، وعملا، [والآية تدل على أن الإجماع حجــــة، لأنه أمر بالكون مع الصادقين، فلزم قبول قولهم][2] ﴿ماكان لأهل المدينة ومــن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ المراد بهذا النفي [النــهي][3] وخص هؤلاء بالذكر، وإن استوى كل الناس في ذلك لقربهم منه، ولا يخفـــى عليهم خروجه ﴿ولا يرغبوا﴾ ولا أن يضنوا ﴿بأنفسهم عن نفسه﴾ عما يصيب نفسه، أي: لا يختاروا بقاء أنفسهم على نفسه، في الشدائد، بـل أمـروا بـأن يصحبوه في البأساء، والضراء، ويلقوا أنفسهم بين يديه، في كل شديده ﴿ذلك﴾ النهي عن التخلف، ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿لا يصيبهم ظمــأ﴾ عطـش ﴿ولا نصب﴾ تعب ﴿ولا مخمصة﴾ مجاعة ﴿في سبيل الله﴾ في الجهاد ﴿ولا يطئـــون موطئا﴾ ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافــر خيولهــم، وأخفــاف رواحلهم وأرجلهم ﴿يغيظ الكفار﴾ يغضبهم، ويضيق صدورهم ﴿ولا ينــالون من عدو نيلا﴾ ولا يصيبون منهم إصابة، بقتل، أو أسر، أو جرح، أو كسـر أو هزيمة، ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ عن ابن عباس -رضي الله عنهما- بكـل روعة سبعون ألف حسنة،[4] يقال: نال منه إذا رزأه، ونقصه، وهو عام في كـل مايسؤهم، وفيه دليل على أن من قصد خيراً كان سعيه فيه مشكوراً، من قيـام، وقعود، ومشي، وكلام، وغير ذلك، وعلى أن المدد يشارك الجيش في الغنيمــة بعد انقضاء الحرب، لأن وطء ديارهم، ممايغيظهم، وقد أسهم النبي -ﷺ- لابني

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٨٧/٨؛ وزاد المسير ٥١٣/٣

(2) انظر ميزان الأصول في نتائج العقول (المختصر) ص ٥٣٤ للإمام: علاء الدين أبي بكر السمرقندي المتوفى سنة [٥٣٩] تحقيق وتعليق د/ محمد زكى عبدالبر ط ١٤٠٤ قطر. ومابين المعقوفتين ساقط من [ز].

(3) ساقط من [ق].

(4) الجامع لأحكام القرآن ٢٩١/٨؛ تفسير البحر المحيط ١١٥/٥

عامر، وقد قدما بعد تقضي الحرب، والموطأ: إما مصدر، كالمورد، وإما مكـان، فإن كان مكانا[1] فمعنى: يغيظ/ الكفار يغيظهم وطؤه ﴿إن الله لا يضيع أجـر المحسنين﴾ أي: أنهم محسنون، والله لا يبطل ثوابهم ﴿ولاينفقون نفقة﴾ في سـبيل الله ﴿صغيرة﴾ ولو تمرة ﴿ولا كبيرة﴾ مثل ما انفق عثمان -رضي الله عنـه- في جيش العسرة ﴿ولا يقطعون واديا﴾ أي: أرضا في ذهابهم، ومجيئهم، وهو كـل [منعرج][2] بين جبال، وآكام، يكون منفذا للسيل، وهو في الأصل فاعل مـن ودي، إذا سال، ومنه الودي، وقد شاع في الاستعمال بمعنى الأرض ﴿إلا كتب لهم﴾ ذلك الإنفاق، وقطع الوادي ﴿ليجزيهم الله﴾ متعلق بـ﴿كتـب﴾ أي: أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء ﴿أحسن ما كانوا يعملون﴾ أي: يجزيهم علـى كل واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيرا لأجرهم. 236/أ

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (١٢٣) وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ (١٢٥) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم

---

(1) انظر اعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٤٠؛ تفسير ابن عطية ٧/ ٧٨

(2) في [ق] منعوج.

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ(١٢٧) لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ
مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ(١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ
ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(١٢٩).

﴿وماكان المؤمنون لينفروا كافة﴾اللام لتأكيد النفي أي أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للإفضاء إلى المفسدة ﴿فلولا نفر﴾ فحين [لم يمكن نفير الكافة][1] فهلا نفر ﴿من كل فرقة منهم طائفة﴾ أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ﴿ليتفقهوا في الدين﴾ ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في تحصيلها ﴿ولينذروا قومهم﴾ وليجعلوا مرمى همتهم إلى التفقه إنذار قومهم وإرشادهم ﴿إذا رجعوا إليهم﴾ دون الأغراض الخسيسة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة في المراكب والملابس ﴿لعلهم يحذرون﴾ ما يجب اجتنابه وقيل إن رسول الله ﷺ كان إذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك بعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعا عن التفقه في الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر إذ الجهاد بالحجاج أعظم من الجهاد بالنصال والضمير في ﴿ليتفقهوا﴾ للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ﴿ولينذروا قومهم﴾ ولينذر الفرق الباقية ﴿قومهم﴾ النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم، من العلوم، وعلى الأول: الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقه[2]﴿ يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم﴾ يقربون منكم ﴿من الكفار﴾. القتال واجب مع جميع الكفرة، قريبهم، وبعيدهم، ولكن الأقرب،

---

[1] في [ق] لم يمكن لهم نفير العامة.

[2] انظر الدر المصون ٥١٣/٣

فالأقرب أوجب، وقد حارب النبي- ﷺ -قومه، ثم غيرهم من عرب الحجاز، ثم الشام، والشام أقرب إلى المدينة من العراق، وغيره، وهكذا المفروض على أهـــل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ شدة، وعنفا في المقـــال
قبل القتال/ ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ بالنصرة والغلبة ﴿وإذا مـــا أنزلـــت ٢٣٦/ب
سورة﴾ ما صلة مؤكدة ﴿فمنهم﴾ فمن المنافقين ﴿من يقول﴾ بعضهم لبعـــض ﴿أيكم زادته هذه﴾ السورة ﴿إيمانا﴾ إنكارا واستهزاء بالمؤمنين وأيكم مرفـــوع بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه ﴿فأما الذين آمنوا فزادهم إيمانـــا﴾ يقينا وثباتا أو خشية أو إيمانا بالسورة لأنهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلا ﴿وهـــم يستبشرون﴾ يعدون زيادة التكليف بشارة التشريف ﴿وأما الذيـــن في قلوبهـــم مرض﴾ شك ونفاق فهو فساد يحتاج إلى علاج كالفساد في البدن ﴿فزادتهـــم رجسا إلى رجسهم﴾ كفرا مضموما إلى كفرهم المنافقين وبالتاء حمزة خطـــاب للمؤمنين ﴿أنهم يفتنون﴾ يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما ﴿في كل عام مـــرة أو مرتين ثم لا يتوبون﴾ عن نفاقهم ﴿ولا هم يذكرون﴾ لا يعتبرون أو بالجهاد مـع رسول الله ﷺ لايتوبون بما يرون من دولة الإسلام ولا هم يذكرون بما يقع بهـــم من الاصطدام ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض﴾ تغامزوا بـــالعيون إنكارا للوحي وسخرية به قائلين ﴿هل يراكم من أحد﴾ من المسلمين لننصـــرف فإنا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو إذا مـــا أنزلت سورة في عيب المنافقين، أشار بعضهم إلى بعض، ﴿هـــل يراكـــم مـــن أحد﴾إن قمتم من حضرته -عليه السلام- ﴿ثم انصرفوا﴾ عن حضرة -النـــبي عليه السلام- مخافة الفضيحة ﴿صرف الله قلوبهم﴾ عن فهم القرآن ﴿بـــأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿قوم لا يفقهون﴾ لا يتدبرون حتى يفقهوا ﴿لقد جاءكم رســـول﴾ محمد -عليه السلام- ﴿من أنفسكم﴾ من جنسكم، ومـــن نســـبكم، عـــربي،

قرشي، [مثلكم][1]﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ شديد عليه، شاق، لكونه بعضا منكم، عنتكم، ولقاؤكم المكروه، فهو يخاف عليكم الوقوع في العـــذاب ﴿حريـص عليكم﴾ على إيمانكم ﴿بالمؤمنين﴾ منكم، ومن غيركم ﴿رؤوف رحيم﴾ قيل: لم يجمع الله اسمين من أسمائه، لأحد غير رســول الله-ﷺ-﴿فإن تولــوا﴾ فـإن أعرضوا عن الإيمان بك، وناصبوك ﴿فقل حسبي الله﴾ فاستعن بالله، وفوض إليه فهو كافيك معرتهم، وناصرك عليهم ﴿لا إله إلا هو عليه توكلـت﴾ فوضـت أمري إليه ﴿وهو رب العرش﴾ هو أعظم، خلق الله خلق مطافا لأهل الســماء وقبلة للدعاء ﴿العظيم﴾ بالجر وقرئ بالرفع على نعت الرب[2] جل وعز. عـــن
أبي رضي الله عنه آخر آية نزلت ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾/ [3]. ٢٣٧/أ

---

[1] ساقطة من [ز].

[2] انظر تفسير ابن عطية ٩١/٧؛ الجامع لأحكام القرآن ٣٠٣/٨

[3] ذكر الامام السيوطي في الاتقان ٧٧/١ – ٨١ عدة روايات في آخر مانزل من القرآن الكريم ويمكن الجمع بين تلك الأقوال بماذكره الامام البيهقي حيث قال: يجمع بين هذه الأقوال إن صحت – بأن كل واحد اجاب بماعنده، وقيل غير ذلك.

واورد الشيخ/ محمد عبدالعظيم الزرقاني في كتابه: مناهل العرفان في علوم القرآن ٩٦/١ ومابعدها عدة أقوال منها قول أبي هريرة – رضي الله عنه – هذا، ثم قال: ويمكن نقضه بأنها آخر مانزل من سورة براءة لا أخر مطلـق ... ورجح أن في تلك الأقوال: أن آخر مانزل على الأطلاق قوله تعالى في سورة البقرة: (واتقوا يوما ترجعون فيـه إلى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون) وأن ماسواها أواخر اضافية أو مقيدة بمـــاعلمت .... المنـــاهل ١٠٠/١